

الجامعة الإسلامية بغزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

أنور الجندي وموقفه من الفكر الغربي الوافد

إعداد الطالب

فضل يونس خليل سعيان

إشراف الدكتور

محمد حسن بخيت

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في
العقيدة والمذاهب المعاصرة

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

الفصل الأول

أنور الجندي عصره وحياته

المبحث الأول : عصره .

المبحث الثاني : حياته .

المبحث الأول

عصره

- المطلب الأول: الحياة الاجتماعية .
- المطلب الثاني : الحياة الدينية
- المطلب الثالث : الحياة الثقافية والعلمية .
- المطلب الرابع : الحياة السياسية

المطلب الأول

الحياة الاجتماعية

لقد جاءت نصوص الشرع الإسلامي الحنيف، معبرة عن حاجة الإنسان في الحياة انسجاماً مع تكريمه والترقي به عن البهيمية، باعتباره الأساس الذي تقوم عليه الحضارة الإنسانية، فصلاحه ينهض المجتمع ويرتفع قدره، لذلك اعتنى الإسلام بالجانب القيمي والأخلاقي، لما له من أثر في ترشيد السلوك .

لقد وضع الإسلام ضوابط ؛ لمنع الظلم الاجتماعي ، فأبطل كل الفوارق التي تميز بين الناس من الجنس ، واللون ، واللغة، والنسب، والطبقة، والمال والجاه، وجعل العبادات معبرة عن تلك المساواة ؛ ليتأكد للناس أنهم سواسية لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى ، وفي ذلك يقول تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)^(١) ولهذا لم يعرف المجتمع الإسلامي التمييز العنصري أو اللوني أو الطبقي الذي عرف في المجتمعات التي لم تتعم بالإسلام، فضلاً على أن المسلمين لا عهد لهم بتلك الطبقات الاجتماعية، التي أدى وجودها إلى أعنف الثورات والصراعات في الغرب .

إن هدف الغرب المعادي للإسلام أن ينال من المجتمع المصري، وذلك بإسقاط منظومة القيم والأخلاق الإسلامية التي تشكل طابع الحياة المصرية، ولا يكون ذلك إلا بالغزو الفكري والثقافي، وإحلال النموذج الغربي في مناحي الحياة المختلفة، ووضع آليات لبلورة مخططاتهم، ومن ثم إحكام السيطرة الفكرية، وإقصاء الإسلام بمبادئه ومناهجه عن الحياة المصرية، ولم يكن بإمكان الغرب أن يتسللوا إلى مصر إلا إذا تحسسوا الخلل والضعف، الذي يمكنهم من التحكم في مصير المجتمع وفرض الوصاية عليه، فكان الاحتلال الإنجليزي لمصر ضمن المخطط الاستعماري بشقيه المادي والفكري، حيث نقلت مساوئ حياتهم الاجتماعية الأوروبية إلى المجتمع المصري، وأجهضت كل محاولات الإصلاح الاجتماعي، وأهملت الآداب العامة، والأخلاق والقيم الروحية^(٢) .

(١) سورة الحجرات : آية ٣ .

(٢) انظر: نضال شعب مصر - ١٧٩٨ - ١٩٥٦ - المستشار محمد عبد الرحمن حسين - ص ٦٩ بدون طبعة - منتشرة

المعارف بالإسكندرية

في الواقع لقد عمل الاحتلال على هدم المجتمع المصري في كافة مناحي الحياة؛ ليقوم على أنقاضه، حيث عمل على تقييد الحريات ، ومصادرة الصحف ،وتكميم الأفواه، واعتقال الوطنيين الأحرار ،في حين تتصارع الأحزاب السياسية حول الحكم ، ليفوزوا بأسلاب الأمر الذي جعل الشعب يعيش واقع الفقر والجهل ، حتى اصبح أسيرا للتيارات المعتركة تقذف به حيث شاءت (١).

لقد نال الشعب المصري في تلك الفترة ويلات الحكم الإقطاعي في جميع جوانبه حيث السيطرة للملك ولإقطاعيين والرأسماليين ،الذين يمثلون الزعامة السياسية في تلك المرحلة، واصبح الفلاح المصري يعاني صنوف الفقر و الجهل والمرض، وعاش الفلاحون في مصر كما كان الفلاحون في أوروبا في القرون الوسطى، لافرق بينهم وبين العبيد، لا يتمتعون بأبسط الحقوق العمالية، ووضعت العقبات في وجه الطبقات الضعيفة من العمال والفلاحين لمنعمهم من المشاركة السياسية، وذلك من خلال الشروط التي تقررت فيمن يحق له الترشيح للبرلمان ،حيث اشترط على المرشح أن يدفع قدرا كبيرا من المال عند الترشيح ؛ حتى لا يستطيع الوطنيون الوصول إلى البرلمان، ويسيطر وقتها على السلطة السياسية والاجتماعية طبقة الملاك من الإقطاعيين والرأسماليين، كما وزيفت الحكومات الانتخابات، ومنعت الوطنيين من الوصول إلى البرلمان، وأصبحت وظائف الحكومة سلعا تباع وتشتري بالمال وانتشرت المحسوبية والرشوة، واستغل بعض الوزراء نفوذهم واشتغلوا بالتجارة، وحازوا ثروات كثيرة، ولعبت الديمقراطية الطبقيّة دورها، فقد حل البرلمان وكثر تغير الوزارات وحجب الشعب ثقته بالحكومة والأحزاب (٢).

لا شك أن لهذه الظروف وغيرها من مظاهر الظلم الاجتماعي والفساد المنقشي في معظم مجالات الحياة والعلاقات الإنسانية عميق الأثر على الواقع الاجتماعي، حيث أفرز قوى اجتماعية استغلالية تحتكر منتوج الدخل القومي، وتحالف طبقي واستعماري ،يسلب نتاج الطبقة الكادحة من العمال والفلاحين، ويحرمهم من الرعاية الصحية والاجتماعية وبذلك تتعدم كل مظاهر العدالة الاجتماعية (٣).

(١) انظر : نضال شعب مصر ،ص ٣٠٣ ، وانظر: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر. محمد محمد حسين، (١/ ٢٤٤) بدون طبعة ، مؤسسة الرسالة

(٢) انظر : نضال شعب مصر .ص ٣٠٣ ، وانظر: دراسات في تاريخ مصر المعاصر د. عبد العظيم رمضان ، بدون طبعة ، المركز العربي القاهرة

(٣) انظر : تاريخ الحركة الوطنية وجذور النضال المصري ص ٢٣٩ - ٣٤٠ . ٣٣٩ د / مصطفى رمضان ص بدون طبعة ودار

ويشخص السادات تلك المرحلة ، حيث اعتبر أن تحالف الإقطاعيين الرأسماليين مع الاستعمار فرض حالة من الاستعباد للطبقة الكادحة في المجتمع المصري ، وبالتالي ممارسة أوسع صنوف الاستغلال والاضطهاد بحقهم (١) .

لقد جعلت تلك الظروف مصر على فوهة بركان، حيث إن الحركة الشعبية الجماهيرية لم تكن غائبة عن مسرح التأثير السياسي، وإنما عبرت عن نفسها في شكل انتفاضات شعبية من الطلاب والعمال في سنة ١٩٤٦م، وظهرت الدعوات المدافعة عن المعدمين من الطبقات الفقيرة، وسعت لتحرير الطبقات الشعبية من الاستغلال الداخلي، وانتقاد سياسة الحكم، واشتعل الحماس في مصر بإلغاء معاهدة ١٩٣٦م في سنة ١٩٥١م وبدا كفاح الشعب المسلح عن طريق العمليات الفدائية في منطقة القناة ضد جيش الاحتلال الإنجليزي، الذي عسكر؛ لحماية مصالحه الاستعمارية ، حيث لا يمكن تطوير البلاد اقتصاديا، واجتماعيا ، إلا بالتخلص من السيطرة الأجنبية على البلاد (٢) .

وبتردي الواقع الاجتماعي الذي صنعه الاحتلال ، انبعثت مساعي الإصلاح بتخطيط وتعزيز من (كر ومر)؛ لترقية مصر، وإصلاحها، وإخراجها من الهاوية لينصرف الشعب المصري عن تيار الكراهية للاحتلال، ودعمًا لحجة الاستعمار الذي يبرر لوجوده في مصر بأنه جاء لإصلاح البلاد ، وإنقاذها من حالة التخلف الذي تعيش لذلك أطلقت حرية الصحافة في الكلام عن عيوب المجتمع وآفاته ووسائل علاجه، وأفرزت تلك المرحلة طوائف متباينة في موقفها من الانخراط والتعايش مع الثقافة الغربية فطائفة تدعو إلى الأخذ بأساليب الحضارة الغربية بكل ما تحمل من أيديولوجيات ووسائل وغايات، وهؤلاء ممن تربوا على موائد الغرب فنهلوا من ثقافتهم ،وتكيفوا مع عاداتهم التي لا تمت إلى الحضارة الإسلامية بصلة، تلك الأخطا من حثالة الناس الذين يفتنهم الجهل والفوضى والانحلال ، العقول التي تشبعت بما كان يذيعه كتاب الغرب الذين كانوا يرجعون تخلف الشرقيين إلى تمسكهم بالإسلام، ويقولون بأن الإسلام لا يصلح لتنظيم المجتمع الجديد في القرن العشرين وطائفة تدعو إلى الاحتفاظ بالتقاليد الإسلامية

(١) انظر : تاريخ الحركة الوطنية وجذور النضال المصري ص ٤١٥ - ٤١٨

(٢) انظر: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية د. أحمد شلبي (٩ / ٣٤١) ط ، ١٩٨٦م ، دار النهضة المصرية.
تطور مصر ١٩٢٤-١٩٥٠م ، مارسيل كولومب ص ٢٨٢ ، بدون طبعة ، مكتبة مدبولي.

والشرقية وطائفة تدعو إلى التوسط بين المذهبيين، في محاولة للتقريب بين الحضارة الغربية والإسلام، وإعادة النظر في التراث الإسلامي، وصياغة الإسلام بما ينسجم مع معطيات العصر (١)

وتعززت الدعوة إلى حرية التفكير، كخطوة للتجديد؛ لمحاكمة العقل للنص الشرعي، فبرز ما يطلق عليهم بالعقلانيين، حيث لجأوا إلى الطريقة النقدية المتبعة في الجامعات الأوروبية، وقصر مهمة الدين على الجانب الروحي، والتربوي، والأخلاقي، وهدفهم بذلك عزل الدين عن الحياة، وبهذا استطاع الغرب أن يعمقوا الخلل والتناقض في الحياة المصرية، وذلك من خلال نشر الدعوات الهدامة التي تفتك بالمجتمع، حيث خرجت أبواق تنادي بتحرير المرأة، ومساواتها بالرجل، وتكييف حقوق المرأة وفقا لما حصلت عليه المرأة الأوروبية من حقوق، وبهذا تسللت الحضارة الغربية فكرا وأسلوبا إلى المجتمع المصري، ولم يعد للآباء سلطة في الأسرة، مما أدى إلى فساد في الآداب وانحطاط في الأخلاق وعبث بالدين، ويستطيع الباحث أن يجمل مظاهره في النقاط التالية:

- ١- انتقال نمط الحياة الغربية ومناهجها الفكرية والثقافية إلى محيط المجتمع المصري.

- ٢- انتشار المخدرات في كافة محافظات مصر، لتدمير الأجيال التي يقوم عليها المجتمع وينهض.

- ٣- القضاء على الاقتصاد المصري بنشر دور البغاء وأوراق اليانصيب.

- ٤- وضع ثقافة مسمومة، لإفساد الأجيال الناشئة؛ وذلك من خلال الصور العارية التي نشرت في المجالات نحو: (مجلة الهلال ومجلة السياسة الأسبوعية) وغيرهما، تحت شعار الفن.

- ٥- صرف الشباب الواعد عن السياسات الخطيرة التي تعاشها البلاد، وإشغالهم بصغائر الأمور، كالحديث عن الممثلين والمغنيين والمغنيات، والراقصين والراقصات، التي احتلت أخبارهم صدور الصحف والمجلات وأخذت هذه المجالات تعرض المذاهب التي استحدثتها مرضى النفوس، والهدامون من الغربيين في صور جذابة تستهوي الشباب، والاهتمام الزائد

(١) انظر: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، ٢/ ٢٥٤ - ٢٥٥ - ٢٥٩.

بالكرة واللاعبين واشغال الأجيال بتتبع أخبارهم ، في محاولة لإفراغهم من هويتهم الإسلامية واتباعها للنموذج الغربي (1) .

لقد عاصر المفكر أنور الجندي حياة اجتماعية تعج بالفوضى والتخبط والفساد واقعا فيه سيطرة للبرجوازية (2) على الطبقات الضعيفة ، وانقسام فكري ، وتباعد في الغايات بين المحافظين والمجددين ، هياً للاستعمار أن يغزو المجتمع في قيمه وأخلاقه، وكانت النتيجة تغريب المجتمع المصري وتسويق ألوان شتى من الفساد والانحراف إليه، وتغيبب النموذج الإسلامي .

لقد عملت تلك الظروف على إفراز جملة من الكتاب والمفكرين الإسلاميين المحافظين والمجددين ، الذين رفضوا تلك المؤامرات ، الهادفة إلى أحكام السيطرة الغربية على مختلف قطاعات الحياة في مصر ، وعملوا على إسقاط كل نظريات ومناهج الاحتواء ، وإظهار الفجوة الضخمة بين مفاهيم الإسلام ونظريات ومفاهيم الغرب ، وتحصين الأمة من عوامل الاحتواء والتبعية ، وكان الأستاذ أنور الجندي في طليعة هؤلاء المفكرين حيث جرد قلمه لمواجهة الحملة التغريبية وكشف مخططاتها ، والكشف عن الوجه الحقيقي للغرب أمام الأجيال المخدرة بالبريق الغربي ، وكان كتابه الأول (اخرجوا من بلادنا) في هذا الصدد أكبر تعبير عن ذلك .

(1) انظر : الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ٢ / ٣٥٠ - ٣٥١ ، ١ / ٢٩٣

(2) البرجوازية : طبقة اجتماعية ترمز إلى طبقة التجار وأصحاب الأعمال والخلات العامة ، وقد ارتبطت من حيث نشأتها بالمدن أو القرى الكبيرة ذات الأسواق التجارية ، وهي طبقة متميزة عن طبقتي العمال والنبلاء . الموسوعة السياسية : عبد الوهاب الكيالي، وآخرون ، ١ / ٥٩٤ ، ط٢ ، ١٩٨٩م ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر .

المطلب الرابع الحياة الدينية

منذ أن بزغ فجر الإسلام والبشرية تعيش حياة يملؤها العدل والرحمة والأمن وجاءت القواعد الشرعية بتكاملها وتنوعها معبرة عن عالمية الإسلام، الأمر الذي أندر أعداء الإسلام بالخطر الشديد ، نظرا للأثر الذي يتركه الإسلام في نفوس الشعوب، فقامت حركة(المؤامرة على الإسلام) في القرن الثاني عشر للهجرة ، في محاولة لصد هذا المد الإسلامي بإثارة الشبه واختلاق الأكاذيب ، فقامت المواجهة الصادقة والمعارضة الصريحة على يد أهل السنة والجماعة،فرأت فسادها وكشفت زيفها ونقضت شبهاتها وأبانت أنها حركة معادية للإسلام، ناشئة عن دين أجنبي، وأنها حركة خارجية أصلاً تلتمس في محيط المجتمع الإسلامي خيوطاً ؛ لتدمير القيم الإسلامية كمقدمة لتدمير النظام الإسلامي نفسه، وبينت أنها وثيقة الصلة بأعداء الإسلام^(١).

وتتعدد المحاولات اليوم في هذا الاتجاه ، بحيث تنتج صورة جديدة ؛لاحتواء الإسلام ، تتمثل في تجديد صفحات هذا الركam المضطرب، الذي عجز عن تحقيق شيئاً من الماضي وسيكون اليوم أعجز عن تحقيق شيء إلا إثارة الشبهات في نفوس الأجيال العاجزة عن تعرّف أبعاد المؤامرة المراد فرضها.

لقد جاء الاحتلال الإنجليزي لمصر ؛ امتداداً لمسلسل العداء للإسلام، فعمل على تخييب دور الشريعة الإسلامية في المحيط السياسي والاجتماعي، وحصر الدين في طقوس تنحصر في المساجد، أسوة بالدين في عالم الغرب ، حيث لا يتعدى الجانب الروحي في محاولة ؛ لصهر المجتمع المصري بالطابع الغربي المادي .

أدرك أعداء الإسلام أن الدين هو الأساس الذي ينعقد عليه البناء، والعامل الرئيس في تشكيل اللغة، والعادات، والتقاليد والأخلاق، والأمزجة، والطباع؛ لذلك عمدوا إلى إسقاطه وإفراغه من محتواه؛ ليتسنى لهم وضع الفلسفات الفكرية الغربية في أدمغة المفرغين من الثقافة الإسلامية الصحيحة؛ ليستعيضوا بها بديلاً عن الإسلام، فكانت المؤامرة على اللغة والأخلاق^(٢) .

(١) انظر: المؤامرة على الإسلام - أنور الجندي ص ٢٦٣ - بدون طبعة - دار الاعتصام.

(٢) انظر: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، ٢ / ٢٩٠ - ٢٩١ .

وعصفت بمصر دعوات تتهم الإسلام بالجمود والمحدودية، وتناقضه مع العلم الحديث وللمنهج العلمي، فكان الطعن في الإيمان بالغيب هدفا للطعن في لب العقيدة، وفي هذه الفترة تشكك الناس في كل ما يخرج عن دائرة المحسوس، وبذلك يسقط الدين، وكان جل ذلك يذاع باسم العلم والعلمانية، وباسم حرية التفكير من عبودية التقليد، و تحرير العقل من الدين ومضت تلك الدعوات بإثارة الشكوك حول الغيبات والمسلمات الإيمانية، ووصفها الأنبياء بالمصلحين؛ لانتراع صفة النبوة عنهم، بادعاء أن الأنبياء قد عرّضوا الديانات التي جاءوا بها للنقد والتصحيح، ووصلوا إلى الحقيقة وهي إنكار ما هو غيبي لا يثبت بالحس، محاولين بذلك إنكار الوحي، ودعوة الناس أن يسلكوا هذا الطريق، وهو الشك في كل العقائد والآراء الشائعة والموروثة، وإخضاعها للتجربة، وراجت هذه الدعوات على يد بعض المتقنين المصريين ممن تتلمذوا في مدارس الغرب، وكان على رأسهم (طه حسين) الذي ذهب إلى مذهب أشد خطرا على الدين، حيث اعتبر أن ما يرويه في كتابه (على هامش السيرة) أساطير وخرافات جميلة، فيها غذاء للعواطف ومنتعة الخيال، منتهجا مبدأ الشك، وخلفه سلامة موسى، الذي نادى بإلغاء الدين من المدارس، باعتباره معوقا للتفكير، حاصرا دوره في تربية العواطف⁽¹⁾.

علاوة على أن الأزهر لم يكن له نشاط واضح لمعالجة تلك الأزمة، بل دخل في مشروع الاحتواء، باعتباره أهم معلم ديني وثقافي للمجتمع المصري، حيث جرت المؤامرة لعزله عن سلطة التأثير في المجتمع، وتغيير مناهجه بما يتوافق وسياسة التغريب التوافقية - على حد زعمهم - وعلمنة النظم القضائي بفضله عن الأحكام الشرعية كمصدر له، لإيجاد حياة جديدة وفق النمط الغربي⁽²⁾.

ويظهر من ذلك أن الطابع الإلحادي كان يسود تلك الفترة، مما جعل ضرورة التجديد الديني من أوجب الواجبات؛ لإنقاذ مصر والإسلام من الغزو الفكري الغربي

(1) انظر: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر (٢/٢٩٣ - ٢٩٥) تاريخ سياسات التعليم في مصر، شكري عباس حلمي و د.

إيهاب السيد إمام، ١١٧، ط ١٩٩٦م تطور مصر ١٩٢٤ - ١٩٥٠ ص ١٨٣.

(2) انظر: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، د. محمد البهي، ص ٤٠٨ ط ٩ ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م ددار غريب

للطباعة

الإلحادي، وكان بطل هذه الفترة الأستاذ حسن البنا⁽¹⁾ الذي أخذ على نفسه إصلاح الواقع المتردي للحياة المصرية ؛ فأنشأ جماعة الإخوان المسلمين، التي نالت رواجاً جماهيرياً وشهرة لم يشهدها تاريخ الأحزاب في مصر، مما جعلها مرشحة للصدام بالنظم القائمة فلما قامت الثورة المصرية في ١٩٥٢م وكان نصف الضباط الأحرار من جماعة الإخوان ، مما أذكى الصراع على السلطة بين الجماعة والسلطة السياسية الحاكمة وذلك سنة ١٩٥٤م⁽²⁾ مما أدى إلى دخول الإخوان المسلمين السجن، ومحاربة برامجهم الدينية لما لها من عميق الأثر على الجماهير، واتجهت الآراء للقضاء على جماعة الإخوان من الناحية الفكرية والمنهجية، حيث تتجلى طبيعة الصراع العقدي بين جماعة الإخوان والنظام الحاكم، ، ويؤكد ذلك ما ورد في التقرير الذي خرج باقتراحات تساهم في القضاء على الجماعة خلال اجتماع عقده جمال عبد الناصر مع لجنة مختصة بذلك ،ومن أبرزها عدم ربط السياسة بالدين في تدريس التاريخ ، ودراسة التاريخ الإسلامي في ضوء المعتقدات الاشتراكية⁽³⁾.

وكانت النتيجة الحتمية لكل منهج لا يقوم على عقيدة الإسلام السقوط ، وشاهد ذلك الفشل الذريع الذي منيت به القوانين الاشتراكية ، حيث عجزت عن معالجة المشكلات الاجتماعية والسياسية ، مما تسبب في هزيمة مصر في يونيو ١٩٦٧م ، والتي كانت بمثابة البداية العلنية للإحياء الديني على كافة المستويات الثقافية والطبقات الاجتماعية؛ لأن البعد عن الدين كان سبب الهزيمة، وعليه فقد أصبح العامل الديني هو الحاسم عند الجماهير، وما يصدق ذلك الانتصار العظيم الذي أحرزه الشعب المصري في أكتوبر ورفع على أثره شعار العلم والإيمان، وكثرت البرامج الدينية في أجهزة الإعلام، وأصبح

(1) الشهيد حسن البنا :حسن بن أحمد بن عبد الرحمن البنا ، من مواليد المحمودية (منطقة قريبة من الإسكندرية) سنة ١٣٢٤ هـ - ١٩٠٦م ، تلقى تعليمه بدار العلوم بالقاهرة وتخرج منها سنة ١٩٢٧م وكان مثالا للتميز حيث كان ترتيبه الأول على زملائه ، ويعتبر المؤسس الأول لجماعة الإخوان المسلمين ، والواضع للمنهجية الدعوية والتنظيمية ، حاز على رتبة المرشد العام لجماعة الإخوان ، واهتم بالإعلام الدعوى حيث أنشأ جريدة الإخوان لتكون منبرا دعويا ، اغتيل في عهد فاروق ١٩٤٩م انظر : قاموس الإعلام ، خير الدين الزركلي (١٨٣/١-١٨٤) ، ط ٥ ، ١٩٨٠م ، دار العلم للمالين ، بيروت .

(2) انظر : مصر في القرن الواحد والعشرين ، د. أسامة الباز ، ١٥٩ ، ط ١ ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م ، مؤسسة الأهرام ، القاهرة

(3) انظر : التقرير في كتاب (في الزنزانة) للمستشار علي جريشة ، ص ١٣٦ - ١٣٩ ، نقلا عن موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ٦٩٣/٩ .

الإسلام وسيلة، ونهجاً ثورياً، وقناة للتعبير عن الغضب، والإمكانية الوحيدة لتحدي نظام العالم الجديد الذي غيب الهوية الإسلامية في الحياة الفردية والاجتماعية بالتبعية⁽¹⁾.
أدرك الأستاذ أنور الجندي أن الحياة الدينية وما صاحبها من تراجع على الصعيد الاجتماعي، والسياسي، والعلمي، كان نتيجة طبيعية للغزو الفكري الذي تلازم مع الغزو العسكري، وعاصر سقوط الأيديولوجيات الغربية التي جاءت لإنقاذ البشرية ممّا هم فيه من ظلمات الجهل، فإذا بها تنتكس انتكاسة خطيرة، حتى جعلتهم على حافة الخطر، الذي كاد أن يفقدهم ذاتيتهم، ويجعلهم صوراً وهمية لا وجود حقيقي لهم في عالم الواقع، من هذا الواقع انطلق أنور الجندي في مشروعه (النهضة وترشيد الفكر) معلناً عن مواقفه وآرائه وتحليلاته لإشكاليات الغزو الفكري والثقافي .

(1) انظر: مصر في القرن الواحد والعشرين، ص ١٦١-١٦٢.

المطلب الثالث

الحياة الثقافية والعلمية

يعد الأزهر الشريف منارة علمية شامخة ، لها دورها التاريخي والريادي والحضاري وقد مر هذا الدور بمرحلتين:

أولها : قبل عصر محمد علي، حين كان الأزهر يتمتع بالاستقلالية التامة على السلطة السياسية، وكان له منهجيات وآليات خاصة في جميع المجالات، العلمية، والسياسية انسجاما مع الرسالة الفكرية والحضارية التي يحملها، وكانت القرارات تصدر عن هيئة علمائه، وشيخه الذي يختار بمعرفة هيئة علمائه .

ثانيها : عندما تولى محمد علي الحكم، إبان الحملة الفرنسية ، حيث عمد الاحتلال إلى انتزاع الدور السياسي للأزهر، والتدخل في شؤونه، ومنع هيئة علمائه من الإشراف على أوقافه، واختيار شيخ الأزهر بناء على المواصفات التي يقررها الاحتلال، ويتولى مشيخة الأزهر من يوثق بولائهم لمن يجلس في سدة الحكم، وبذلك فقد الأزهر استقلاله^(١).

وعلى الرغم من ذلك كله " فقد واصل الأزهر مهمته الكبرى في مجال نشر الثقافة الإسلامية في العالم الإسلامي بصفة عامة، وفي عالم البحر المتوسط بصفة خاصة في مصر وفي بلاد المغرب، وفي بلاد الشام، والأناضول، وشرق أوروبا ، مما جعل الأزهر قبلة ثقافية للعالم الإسلامي، وتأهلت مصر بذلك لتقود العالم الإسلامي عندما استوعبت التراث الإسلامي باللغة العربية، وأضحى الأزهر مركزا للدراسات الإسلامية والعربية لا يضاهيه مركز آخر "^(٢).

ولا يغفل دور الأزهر في الحفاظ على التراث الإسلامي ، غير أنه أخفق في جانب مهم وهو الاهتمام بتدريس القرآن الكريم وتعليم القراءة والحساب وأغفل العلوم العصرية اللازمة لمشروع النهضة، وبذلك يكون الأزهر قد ساهم بشكل غير مباشر في وجود الانفصالية التي عاون عليها الاستعمار الغربي ، وجعلتهم يقبلون تفكير القرن التاسع عشر الاستشراقي والمادي والإلحادي، وتطبيق الهجوم على الإسلام قياسا على

(١) انظر : ثورة الجنرال جمال عبد الناصر ، د. رفعت سيد أحمد، ص ٩٦١، ط ١ ، ١٤٦٣هـ - ١٩٩٣م - دار الهدى للنشر

والتوزيع

(٢) مصر وعالم البحر المتوسط ، رؤوف عباس حامد، ص ١١-١٢، ط ١٩٩٦م - مكتبة فحضة مصر.

الهجوم على الكنيسة في الغرب ، مما أفقد الأزهر دوره في معالجة المشكلات الاجتماعية والتربوية ، والفكرية، ولم يكن الخريج الأزهري مؤهلا فكريا ، حتى يصد التيارات المعادية للإسلام من صليبية واستعمارية وماركسية إلا في حدود ضيقة (١).

وهذا يفسر لنا حالة التخلف الفكري عند بعض الأزهريين الذين نادوا بحرية التفكير والذي كان من أبرزهم علي عبد الرازق (٢) الذي صدر له مؤلف بعنوان (الإسلام وأصول الحكم) محاولا إثبات انسجام مفاهيم الإسلام مع مبدأ فصل الدين عن الدولة وبعد ذلك بعام كانت العقلانية الديكارتية تنفذ إلى جامعة فؤاد الأول على يد أزهرى آخر هو طه حسين (٣) الذي أخذ ينتشك في أصالة الشعر الجاهلي مطبقا منهج الشك الديكارتى في دراسته للأدب، حتى وصل به الأمر أن يثير الشكوك حول بعض المسلمات الدينية التي ثبتت بقواعد الشرع مثل : إنكار صلة إبراهيم بإسماعيل عليهما السلام (٤).

تلك الظروف جعلت فكرة تطوير الأزهر حاجة ملحة، حيث لا بد من النظر في مناهج الأزهر ومدى مواكبتها مع متطلبات العصر، حيث صدر قانون إصلاح الأزهر سنة ١٩٣٠م، ونال الأزهر عناية كبيرة بعد نجاح ثورة ١٩١٩م، وأردفت بقوانين مكملة لقانون الإصلاح سنة ١٩٣٦م و ١٩٣٧م و ١٩٣٨م وبموجب ذلك أصبح للأزهر معاهده وكلياته ، ودخلت إصلاحات كبيرة في مناهجه، مما ساهم في وجود نهضة علمية واضحة المعالم في مجال الدراسات الإسلامية واللغة العربية، التي فقدت دورها في زمن الاستعمار الذي سعى لإضعافها ، والتقليل من مستوى مدرسيها، وإحلال اللغة الإنجليزية

(١) انظر : الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص ٤٠٦ - ٤٠٨ - ٤١٠

(٢) علي عبد الرازق : (١٣٠٥ - ١٣٨٦ هـ - ١٨٨٨ - ١٩٦٦ م) هو علي بن حسن بن أحمد عبد الرازق : ولد بأبي جرح (من أعمال المنيا) تعلم بالأزهر ، ثم بأكسفورد ، وعين قاضيا في المحاكم الشرعية ، وأصدر كتاب (الإسلام وأصول الحكم) سنة ١٩٢٥م، فأغضب على إثره ملك مصر ، فسحبت منه شهادة الأزهر ، وعمل بعدها محاميا ومن ثم انتخب عضوا في مجلس النواب ، فمجلس الشيوخ ، ومن ثم عين وزيرا للأوقاف ، وكان عضوا في حزب المعارضة الذي ترأسه سعد زغلول :: انظر : الأعلام للزركلي ٤ / ٢٧٦ .

(٣) طه حسين : هو طه بن حسين بن علي بن سلامة ، ولد في قرية (لكيلو) محافظة المنيا في صعيد مصر ، كف بصره وهو صغير ، التحق بالأزهر ليبدأ حياته العلمية ، ثم حصل على بعثة إلى باريس ليدرس الأدب الغربي ، حصل على درجة الدكتوراة في الأدب ، ولقب بعميد الأدب العربي ، عينته جامعة القاهرة عميدا لكلية الآداب ثم مديرا للجامعة ، ومن ثم تقلب في المناصب حتى أصبح وزيرا للمعارف ، وله نتاجه الأدبي ومنه : " على هامش السيرة ، ومستقبل الثقافة في مصر ، وفي الأدب الجاهلي والتي أثارت ضجة في أوساط المثقفين . انظر : قاموس الأعلام - خير الدين الزركلي : ٣ / ٢٣١ .

(٤) انظر : تطور مصر ، ص ١٥٨ - ١٥٩ .

والفرنسية بدلا منها ، وكان من نتائج ثورة ١٩١٩م أن استعادت اللغة العربية مكانتها حيث خطت الحكومة (الوفد) خطوة مهمة حين أصدرت القانون رقم ٦٢ لسنة ١٩٤٢م الذي اعتبر اللغة العربية ضرورة يجب استعمالها في علاقات الأفراد والهيئات الحكومية ، مما جعل لتلك الفترة مفاخر تميزها عن غيرها ، باعتبارها بداية التحول على الصعيد الفكري والحضاري في تاريخ مصر الحديث ، وكان من أبرز تلك المفاخر :

- ١- مجانية التعليم في المراحل الابتدائية والإعدادية والثانوية على حد سواء .
- ٢- انتشار الجامعات والمعاهد بصورة لم يشهدها تاريخ مصر، مثل الجامعة المصرية الأهلية فقد أصبحت جامعة رسمية حكومية منذ سنة ١٩٢٥م ، وجامعة إبراهيم (عين شمس) وجامعة محمد علي (أسيوط) وغيرها .
- ٣- كثرة الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية العامة والمتخصصة. (١)
- ٤- إنشاء المدارس المتخصصة في المجالات المختلفة، كالتب والصيدلة والبيطرة ،والحقوق؛ لتلبية حاجات المجتمع المصري.
- ٥- تفعيل دور الترجمة للعلوم المختلفة ، والاهتمام بالأدب والشعر .
- ٦- تنشيط حركة الابتعاث والإرساليات العلمية إلى المعاهد الأوروبية؛ لنقل علوم الطب والطبيعة والكيمياء والعلوم المختلفة إلى مسرح العمل التنموي للحياة المصرية، غير أن هذه البعثات لم تخل من الآثار السلبية ، فقد حمل طلاب هذه الإرساليات ثقافة الغرب وأفكارهم المسمومة إلى محيط الثقافة المصرية ، وكان من أبرز الذين نقلوا موروثات الفكر الغربي (سلامة موسى) (٢) .

٧- إنشاء المعاهد المتخصصة بالخدمة الاجتماعية ، والدراسات التعاونية (٣) .
كما شهد مطلع القرن العشرين اعتناء ملموسا بالتعليم العالي، فتم تشكيل وزارة مستقلة للتعليم العالي سنة ١٩٦١م تشرف على جميع المعاهد العليا والكليات ومن

(١) انظر: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ٩ / ٥١ - ٥٢ .

(٢) سلامة موسى : ولد في الرقازيق بمصر عام ١٣٠٤هـ - تلقى العلم في أمريكا ، وقد تأثر بالإلحاديين أمثال : فرويد ، وماركس ، امتهن الكتابة وعمل في الصحافة ، وله مؤلفات كثيرة من أهمها : (أحلام الفلاسفة) توفي سنة ١٣٧٨هـ . انظر : معجم المؤلفين ، عمر رضا كحالة ، ٢ / ٢٣٦ ، مكتبة المتنبى ، ودار إحياء التراث العربي ، لبنان .

(٣) انظر : الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا د. حسن محمود ١٢٨ ، دار الفكر العربي . - دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة د. محمد بديع شريف وآخرون ، ٥٨٩ ، دار اقرأ . - سياسات التعليم في مصر ص ١١٧ .

هنا كانت بداية التحول في السياسة التعليمية في مصر، حيث العناية بالدراسات الأكاديمية العالية والمتخصصة^(١).

لقد كان للحياة العلمية دور بارز في حياة أنور الجندي الفكرية، حيث أدرك دور الاستعمار العسكري والفكري في المؤامرة على التعليم، حين أهمل التعليم والثقافة بسبب الرسوم الباهظة التي تحول بين المصريين والعلم - ونشر السلبية وروح الاستسلام، وفقد اللغة العربية دورها في حين تتعاطم اللغة الإنجليزية، وبذا يصبح التعليم حكرا على الإنجليز، وتنتشر الأمية في الوسط المصري، والإحلال الثقافي والفكري الغربي في أدمغة المفرجين من الثقافة الإسلامية الأصيلة من أمثال توفيق الحكيم^(٢) وآخرين ممن قادوا التيارات الإلحادية التي عصفت بمصر في القرن العشرين^(٣)، فتصدى لهم وكشف زيفهم وجعلهم في مصاف المتأمرين، ورصد أخطاءهم من خلال كتابه المشهور (إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام) وأظهر فيه جهد السيطرة الاستعمارية في التغلغل في عقل الأمة الإسلامية وفكرها وروحها بدعوات مادية ووثنية وإباحية أعان عليها سيطرة النفوذ الاستعماري من خلال الصحافة والتعليم، حيث إنهما النافذتان الخطيرتان اللتان نفذ منهما إلى الفكر الإسلامي الأصيل، ووقف في وجه طه حسين وحاكم فكره من خلال كتاباته في خمسين عاما، وقد أفرد كتباً لذلك منها (محاكمة فكر طه حسين) و (الوجه الآخر لطله حسين) و (هل غير طه حسين آراءه في سنواته الأخيرة)، ودعا إلى أسلمة المناهج، وتخليصها من رواسب الغزو الثقافي والفكري من خلال كتابه (سموم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية) وعليه فإن تلك الفترة قد شكلت معلما فاصلا في حياة المفكر الإسلامي أنور الجندي، حيث التحدي الغربي للإسلام و مؤامرة التخريب.

(١) انظر: الدليل العام للجامعات العربية، ص ١٩٧، ط ١، ١٩٨٨م.

(٢) توفيق الحكيم: ولد لأسرة متوسطة الحال (١٤١٦هـ - ١٨٩٨م) تنسب إليه ريادة المسرح، اشتغل بالكتابة الأدبية والمسرحية، كان يمثل العمود الفقري للفكر الأدبي والمسرحي، وكان رجلا انطوائيا يميل بفكره إلى علم المشاليات، عبرت عنها تلك الآثار الأدبية من أبرزها: "علي بابا" و "الضيف الثقيل" وكم هائل من القصائد الوطنية، نال درجة الحقوق في عام ١٩٢٤م، وكانت له أعمال مسرحية إضافة للمنتوج الأدبي منها: "شهرزاد" "أوديب" و "أهل الكهف"، توفي سنة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م. انظر: الموسوعة العربية العالمية، إشراف محمد شفيق غربال، (٩ / ٩٧ - ٩٨) بدون طبعة، دار فحضة لبنان، بيروت.

(٣) انظر: مصر وعالم البحر المتوسط، ص ٦٨ - ٦٩.

المطلب الرابع الحياة السياسية

تتمتع مصر بموقع جغرافي فريد لم يتوفر لغيرها من البلاد، حيث تقع عند ملتقى قارات العالم الثالث ، آسيا وأفريقيا وأوروبا ، وهذا الموقع أعطى لمصر مزايا إستراتيجية وحضارية، مما جعلها محمل نظر كل القوى المتطلعة لبسط سيطرتها على هذه البلاد ونهب ثرواتها^(١).

نعمت مصر بحياة كريمة في ظل الفتح الإسلامي قرونا ،حتى دخل الوهن على ولاية المسلمين؛ بسبب شططهم وجنوحهم إلى الباطل ضربا بكل تعاليم الإسلام وقيمة ومبادئه،وعقب ذلك صراعات داخلية كان منشؤها الرغبة في الحكم، وقد أوجد هذا الصراع خلا؛ مكن لأعداء الإسلام أن يتدخلوا في شئون الحكم والسياسة في بلاد المسلمين^(٢).

لقد أوجد الغرب هذا الواقع المتردي ؛ لفرض الوصاية على المسلمين، ومن ثم تنهياً لهم الفرصة ؛ كي يبسطوا نفوذهم متذرعين بالدين في طلب حماية الأقليات المسيحية تحت مسميات إنسانية ودينية واهية، مخفين بذلك مطامعهم السياسية تحت ستار الدين، مما أثار الفتن والملاحم، وانقسامات طائفية لا تتقطع^(٣).

من هنا نفذ الاستعمار إلى مصر؛ لينال من خيرها بأسماء وجنسيات مختلفة، وكانت الفاجعة باحتلال الفرنسيين لمصر عام ١٧٩٨ م ، وقد استمر هذا الاحتلال زهاء ثلاث سنوات، فأحدث تغيرا واضحا في سياسة مصر، وما كان الاحتلال الفرنسي لينقشع لولا الصراع الدولي الذي عقب هذا الاحتلال والمناداة بإجلاء الفرنسيين، ومقاومة الشعب المصري لهذا الاحتلال وإرغامه على الخروج من مصر^(٤).

وجاء عصر الملك فاروق في تلك الظروف ، الذي كان أسيرا لشهوته غارقا في لهوه وباسطا نفوذه بالقوة الحديدية، في الوقت الذي أخذت فيه الأحزاب تتصارع على الحكم طمعاً

(١) انظر : مصر وعالم البحر المتوسط في العصر الحديث ، ص، ٥ .

(٢) انظر: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك د. عبد الرحمن بن الجوزي (٤ / ٢٩١) دار الكتب العلمية وانظر مصر قبل جمال عبد الناصر د. عبد العظيم رمضان - ٣٣ الهيئة العامة للكتاب.

(٣) انظر: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، ٣٧ / ١ .

(٤) انظر : مصر المجاهدة في العصر الحديث د. عبد الرحمن الرفاعي (١٥٠ - ١٥٢) بدون طبعة ، دار الهداية .

في الامتياز والشهرة ، والشعب يعيش حالة من الفقر والبؤس تحت سلطة الإقطاع ، وقد استثمر الإنجليز هذا الصراع حيث هيا لهم التدخل عسكريا في شئون مصر (١). واحتل الإنجليز مصر في تلك الظروف التي كانت أبرز ملامحها الظلم والاستعباد وكان ذلك سنة ١٨٨٢م ، ولم يكن احتلال الإنجليز لمصر عبثاً؛ بل كان مخططاً من قبل حيث كانت بريطانيا لا تصرف أنظارها عن مصر، لما لها من عمق استراتيجي في المجال التجاري، عززه الموقع الجغرافي المتميز، حيث كانت مصر ترتبط بالطريق إلى الهند، وكان الاحتلال يتطلع للهند بحكم العامل الاقتصادي، وبذلك تتضح صورة الاحتلال الحقيقية، حيث كان ضمانا لمصالح الاحتكارات المالية الأجنبية، وتأكيدا لسلطة الخديوي إسماعيل ضد الشعب، ومواصلة الظلم والقهر ضد الشعب المصري، واستبد الإنجليز بالحكم، بعد أن سيطروا على مرافق البلاد، حيث أصبح المعتمد البريطاني هو الحاكم الحقيقي لمصر، وهو مصدر السلطات في البلاد، الذي تستمد منه القوانين الوزارية، وبموجبها يكون التنفيذ من قبل الحكومة المصرية، ومن هنا استأثر الإنجليز بأكبر المناصب السياسية، حيث ازداد عددهم في الوزارات والمصالح الحكومية، وفرضوا قوانينهم الإرهابية والظالمة على الشعب المصري، فقيدوا الحريات، وزجوا بالوطنيين في أتون السجون، وأحكوا سيطرتهم على معظم دور الصحافة المصرية ، وقيدوا دورها الإعلامي (٢).

ولم يقف الشعب المصري صامتا أمام هذا الظلم الذي يمارسه الإنجليز بحق الشعب المصري ، فقد واصل المقاومة ؛ لكنس الاحتلال الجاثم على أرضه، في الوقت الذي تعاقبت النداءات بجلاء الإنجليز عن مصر ، في حين أن الحرب العالمية سنة ١٩١٤م قد فرضت ظروفا دولية تمنع الحركة الوطنية من القيام بدورها النضالي ، ويمكن أن تتجلى مظاهر ذلك الإرهاب في النقاط التالية :

- ١- إلزام مصر بأن تتعامل مع بعض الدول وخاصة ألمانيا وحلفائها.
- ٢- جعل القوات البريطانية البرية والبحرية وصية على جميع الأراضي والموانئ المصرية ولها الحق في أن تستعملها حسبما تريد .

(١) انظر : التاريخ الإسلامي ، محمود شاكر (١٣ / ٨٨) ، ط ٧ ، ١٩٩١م ، المكتب الإسلامي .

(٢) انظر : نضال شعب مصر ، ص ١٧٩٨ - ١٩٥٦ .

٣- القيود التي وضعها الإنجليز على حرية الصحافة والإعلام وغير ذلك من مظاهر الاستبداد (1).

وقد نتج عن تلك الظروف ميلاد ثورة ١٩١٩م وذلك بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى في ١١ نوفمبر ١٩١٨م؛ مما جعل إنجلترا مضطرة لإسقاط حمايتها عن مصر والاعتراف بكيانها دولة مستقلة (2).

وفي تلك الظروف أعلن الصهاينة قيام وطن قومي لهم في فلسطين سنة ١٩٤٨م، وقد تعاضمت همم الجيش المصري؛ لمنع هذه الجريمة التاريخية بالقوة العسكرية، وفاء لقضية فلسطين ولشعبها، ولم تكن إرادة الجيش والشعب هي إرادة القصر، حيث ظهرت الخيانة بما تحمل من أبعاد من الملك فاروق في صفقة الأسلحة الفاسدة في حرب فلسطين، التي حالت بين الجيش وما يريد، لتبرز معالم هذه الفترة من التاريخ، بما تتطوي عليه من ضعف وتفكك وانحلال وفساد سواء في القيادة، أو الأحزاب، التي كان جل همها الصراع علي السلطة متجاوزين بذلك مصالح أمتهم، ومن هنا تأتي قضية فلسطين صانعة عمقها الديني الذي يتسم بالعالمية، محددة بذلك ثبات أو جنوح كل السياسات، التي ترتبط بها، وليس أدل على ذلك تاريخيا من مصير الملك فاروق الذي أسقطته قضية فلسطين، حين انبعثت الثورة على القصر، حيث قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م بتدبير من جماعة الإخوان المسلمين التي وجدت لها رواجاً وتعاطفاً من الجيش والشعب؛ حيث يلتقي الهدف بين جماعة الإخوان والجيش علي قلب نظام الحكم الملكي الظالم، وإعلان النظام الجمهوري الذي تولى رئاسته محمد نجيب (3).

لقد أثرت هذه المرحلة السياسية في فكر الأستاذ أنور الجندي، فقد نال من أتون هذه المرحلة في ظل الحكم الملكي، وقد عايش تفاصيل هذه المرحلة (أي مرحلة تولي الملك فاروق الحكم فقي مصر)، حيث كان في ريعان شبابه فأدرك أبعادها، وتصدى للمؤامرة الإنجليزية التي تستهدف عمق العالم الإسلامي متمثلة بمصر رمز الوحدة العربية، فترجم بقلمه موقفه من خلال كتابه (أخرجوا من بلادنا) يخاطب به الإنجليز المحتلين، كاشفاً فيه

(1) انظر: نضال شعب مصر ص ٨٠.

(2) انظر: مصر قبل جمال عبد الناصر، ص، ٤١-٤٢ وانظر: ثورة ٢٣ يوليو، أحمد حمروش، ص ٧٩ - ٨٩ - ٩٠، بدون ط، الهيئة المصرية للكتاب.

(3) انظر: المصدر السابق، ٩٧.

عن خلفيات هذا الاحتلال وأهدافه، ولم يسلم أنور الجندي بعد هذا الكتاب من زبانية فاروق حيث تم اعتقاله لمدة عام كامل وذلك سنة ١٩٥٢م ، وفرض عليه الحصار طوال فترة الحكم الناصري الذي تبعه، ولم يفت ذلك من عضده، فقد توالى معاركه الفكرية مع أعداء الإسلام من دعاة التغريب ، كاشفا عن طبيعة وحقيقة الصراع ، ومحذرا من سياسة التمير للثقافة الغربية في محيط المجتمع المصري الإسلامي ، فقد رجع للكتابة عن التغريب سنة ١٩٦٣م بمجلة منبر الإسلام ^(١) ومن هنا نستشرف المعطيات التي انطلق منها فكر أنور الجندي من خلال المعادلة الفكرية التي نسجت تلك المرحلة من حياته، حيث كانت الفترة الأساسية التي عاصرها ، ففي زمن فاروق نضجت همته ، وتشكلت شخصيته العلمية .

ودخلت مصر مرحلة جديدة بعد زوال نظام القصر، حيث النظام الجمهوري وقد عين خلفا للملك فاروق محمد نجيب قائد الثورة، وظن شعب مصر أن الأمن سيعم البلاد في هذه المرحلة، وكان الخطر يتربص برئيس الجمهورية وبشعب مصر من غدر جمال عبد الناصر حيث تأمر على محمد نجيب بالطرق الملتوية، وذلك من خلال القوانين الجائرة التي تمس بالقضايا المصيرية الصادرة باسم محمد نجيب ، وقد استغل اسمه بتكتيك من جمال عبد الناصر؛ لتعم الفوضى في البلاد، وتسقط ورقة التوت عن هذا الزعيم، في حين أن السلطة الحقيقية كانت في يد جمال عبد الناصر، وكانت عليه مسؤولية هذه الأعمال، ولم يكن محمد نجيب إلا واجهة فقط، كل ذلك بهدف إسقاط محمد نجيب ، وإفراغ الساحة لعبد الناصر ليشبع رغبته في الحكم، فعاشت البلاد في حالة من الفوضى ، وكشف القناع عن جمال عبد الناصر ، وأخذ يكشف ما بدواخله، ويعبر عن خبث طويته، حين اتجه إلى مضايقة الرئيس محمد نجيب ومن مظاهر ذلك : اختصار كلماته وإهمالها ^(٢) واتهام سياسته بأنها عقيمة ، وأن البلاد لا تنفعها سياسة اللين، وطالب بإبعاد أعوانه دون سبب، ولم يستطع محمد نجيب أن يصنع شيئا أمام هذه المضايقات التي تتابعت عليه فقرر تقديم استقالته إلى مجلس قيادة الثورة، وتم بالفعل ووافق مجلس قيادة الثورة عليها وعندها أصبحت الفرصة مهيأة لجمال عبد الناصر بأن يستلم زمام الحكم الذي طالما حلم به ، وبعد استقالة محمد نجيب من رئاسة الحكومة خرجت جماهير مصر في هبة لم يشهدها تاريخ مصر؛ اعتراضا على استقالة محمد

^(١) مجلة المنار الجديد " مقالات " مقال للكاتب محمود خليل ، ص ١٠٧ محرم ١٤٢٣هـ - ١٠ أبريل ٢٠٠٢م .

^(٢) انظر: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة ٩ / ٢٣٧ .

نجيب، حيث خرج أساتذة الجامعات والقضاة والمعلمون مطالبين بعودة محمد نجيب إلى الحكم، واستجاب مجلس القيادة لرغبة الجماهير الغاضبة، فقرروا عودة محمد نجيب إلى سدة الحكم، ولم يسلم بعدها - من مكر جمال عبد الناصر ، حيث اعتدي عليه بالضرب من رجالات عبد الناصر ، مما اضطره لتقديم استقالته مرة أخرى، وتم بالفعل تعيين جمال عبد الناصر رئيساً للجمهورية في عام ١٩٥٥م وتحقق المراد ومن ثم تفرغ لتشكيل الوزارة ورسم سياسته الدكتاتورية، والتي رأينا إرهاباتها في عهد محمد نجيب ، ولقد كانت فترة حكمه تنسم بذلك، بل هي الفترة الأكثر خطورة في تاريخ مصر الحديث، حيث زج بكل من يخالفه في غياهب السجون؛ ليدوقوا من سخطه وجبروته ممارسا بذلك الإرهاب الفكري والجسدي بكافة صورته (١).

لقد كان التسلط واضحاً بعد تشكيل الوزارة، حيث تركزت القيادة والحكم في يده، وقد ساعد بعض الضباط على تقوية مراكزهم لخدمته، وأخذ ببعض الإجراءات والقوانين الجائرة لتكون فاتحة عهده المتسم بالظلم، ويستطيع الباحث أن يجمها في النقاط التالية :

١- حرمان كل من تولى الوزارة من عام ١٩٣٦م حتى قيام الثورة من الوظائف العامة لمدة خمس سنوات.

٢- معاقبة الطلاب الذين قادوا المظاهرات المطالبة بعودة محمد نجيب ، بالفصل أو الحرمان من الامتحانات ، وإحالة أساتذة الجامعات الذين شاركوا في تلك التظاهرات، أو شجعوها إلى التقاعد .

٣- إبعاد أسرة محمد نجيب عن البلاد .

٤- وضع قوانين صارمة تقيد حرية الصحافة .

٥- حرمان بعض السياسيين القدامى من أبسط الحقوق السياسية التي يتمتع بها اقل مواطن وتجرىم بعضهم باتهامات لا واقع لها .

٧- عزل المحامين الذين يتبنون أفكارا معارضة لسياسة الحكم .

(١) انظر: التاريخ الإسلامي، ١٣/١١٣ - ١٢٦.

وهذا بعض من كل ، وكانت نتيجة ذلك سخط وزراء الدولة على تلك القوانين، مما أدى إلى استقالة معظم الوزراء من الحكومة ، علاوة على قطع دول الجوار علاقاتها الدبلوماسية والاقتصادية مع مصر (1).

يصرح كمال الدين حسين - أحد قيادات الثورة وأحد رجالها المقربين إلى جمال عبد الناصر - بما يقطع بدكتاتورية عبد الناصر ،من خلال اللقاء الذي أجري معه في مجلة أكتوبر تحت عنوان (هل كان جمال عبد الناصر دكتاتوريا) فأجاب بقوله: " نعم، كان عبد الناصر دكتاتوريا، وأردف قائلا : " لقد كان عبد الناصر مثل الثعبان يلف ويدور، ويدخل الجحر ويقول : " لاحدود للاشتراكية لا...نحن متفوقون على الحدود ... على أن ملكية الشعب لوسائل الإنتاج شيء آخر، أنا لست ضد الاشتراكية ، ولكن مشكلتي أنني أردت أن أكون صادقا مع الشعب، وعبد الناصر يريد أن يضحك على الشعب...إنني رفضت مجلس قيادة الجيش، واختلفت مع عبد الناصر في الوحدة مع سوريا والحرب مع اليمن، ثم اصطدمت مع عبد الناصر بعد اعتقال الإخوان المسلمين عام ١٩٦٥م، وقد بعثت بخطاب له قلت فيه (اتق الله) في وقت كان لا يجرؤ أحد على مجرد النظر في عين عبد الناصر " . (2)

وما كان من عبد الناصر إلا أن أصدر أمرا باعتقال كمال الدين حسين وأولاده، في نفس الليلة التي يحتفل فيها عبد الناصر بزفاف ابنته الكبرى هدى -ونام أولاده على الأرض في معتقل الهرم، ومنعوا الطبيب عن زوجته المريضة حتى ماتت (٢).

وهكذا كانت سياسته مع كل من يخالفه الرأي، ولقد كان الأكثر صداماً مع عبد الناصر جماعة الإخوان المسلمين، ومن الطبيعي -بعد ذلك- أن ينالهم من ظلمه وجبروته فقد أطلق عبد الناصر لزيابته العنان باعتقال رجال الحركة الإسلامية متمثلة بجماعة الإخوان المسلمين، ومن ثم زجهم في غياهب السجون ، وممارسة أبشع ألوان التعذيب الجسدي والنفسي عليهم، وإصدار أقسى العقوبات بحق الصفوة منهم ،الذين كان على رأسهم

(1) انظر : التاريخ الإسلامي، ١٣/ ١٢٢ - ١٢٣ .

(2) انظر: باشوات وسوبر باشوات (صورة مصر في عشرين) د.حسين مؤنس ص(٣٢٥ - ٣٢٦) الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ -

١٩٨٨م - الزهراء للإعلام العربي .

(٢) انظر : المصدر السابق ص(٣٢٥ - ٣٢٦) موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية (٩/ ٦٩٨ - ٦٩٩) .

عماق الفكر الإسلامي الشيخ سيد قطب إبراهيم⁽¹⁾، حيث نفذ فيه حكم الإعدام، رغم تدخل الوساطات من شخصيات عالمية وهيئات معتبرة من العالم الإسلامي، تندد بالحكم وتطالب بالإفراج عنه، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، فقد منح الحرية الكاملة لأصحاب الفكر المنحرف؛ ليعيثوا في الأرض فسادا، ويبثوا سمومهم الفكرية في المجتمع المصري؛ للقضاء على الصحة الإسلامية فكرا ومنهجاً⁽²⁾.

ولم ينته عبد الناصر عند لاستئصال الجسدي فحسب، بل تعدى إلى أبعد من ذلك حيث اتجه إلى وسائل الإعلام؛ لتأخذ دورها الفاعل والمؤثر في إسقاط جماعة الإخوان فكراً حيث قام الضابط محمد توفيق عويضة -رئيس تحرير مجلة منبر الإسلام- التي كان يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بإصدار ملحق خاصّ بعدد من أعدادها عام ١٩٦٥م أسماه (رأي الدين في إخوان الشياطين) - تنفيذاً لقرار الرئاسة بالقضاء على الإخوان بواسطة علماء الأزهر ، وتظهر على غلاف هذا الملحق صورة دموية مخيفة وختم بمجموعة من الصور الكاريكاتيرية البذيئة تصور الإخوان في صور شيطانية، وقد اشتمل الملحق على مجموعة من المقالات المهاجمة للجماعة ، ولم يكن أحد يستطيع أن يرفض طلب توفيق عويضة في الكتابة، فإن من يفعل ذلك سيلقى به في المجهول فاستجابت أقلام كثيرة لهذا الأمر، إلا نفرًا قليلاً من المفكرين المنصفين الذين رفضوا التشهير بجماعة الإخوان المسلمين، وتكلموا عن الإرهاب بمفهومه العام دون التعرض لجماعة الإخوان⁽³⁾ ونخص منهم الأستاذ أنور الجندي حيث حرر نفسه من أضواء الشهرة

(1) سيد قطب : "هو سيد بن قطب بن إبراهيم ، مفكر إسلامي مصري ، من مواليد قرية " موشا " في أسبوط ، تخرج بكلية دار العلوم بالقاهرة سنة ١٣٥٣هـ - ١٩٣٤م ، عمل في جريدة الأهرام ، وكتب في مجلتي الرسالة والثقافة ، وعين مدرسا للعبودية ، فموظفا في ديوان وزارة المعارف ، ثم مراقبا فنيا للوزارة ، انضم إلى جماعة الإخوان المسلمين فترأس قسم نشر الدعوة ، وتولى تحرير جريدتهم (١٩٤٥م) وسجن معهم ، عكف على التأليف وهو في سجنه حتى صدر الأمر بإعدامه فاعدم ، وله مؤلفات كثيرة منها : ، في ظلال القرآن و النقد الأدبي أصوله ومناهجه ، العالة الاجتماعية في الإسلام ، التصوير الفني في القرآن ، الإسلام ومشكلات الحضارة ، المستقبل لهذا الدين ، معالم في الطريق " .الأعلام للزركلي ، ١٤٧/٣ - ١٤٨ .

(2) موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ٩ / ٦٩٠ .

(3) انظر : المرجع السابق ، ٩ / ٦٩٤ - ٦٩٠ .

(٢) شبكة المعلومات العلمية مجلة أون لاين مقال تحت عنوان أنور الجندي رجل بكته الأرض والسماء كتبه عصام تليمة بتاريخ ٦/٢/٢٠٠٢م .

الإعلام الأخاذ، كما برأ قلمه من الانغماس في التبعية العمياء، فسد بذلك الطريق أمام الخراصين من خصوم الإسلام، الذين يقفون له ولأهله بالمرصاد، يحسبون كل صيحة عليهم ومن ذلك ندرك الخلفية الفكرية لهذا المفكر العظيم، حيث تعود بأصولها إلى العلاقة التي تربط الشيخ حسن البنا بالأستاذ أنور الجندي ومدى تأثر أنور الجندي بالطرح الذي تتبناه جماعة الإخوان المسلمين، منهاجاً وفكراً وأسلوباً .

وفي الواقع لقد كان عصر جمال عبد الناصر عصر الهزائم والنكبات، وذلك بعداً لنظر العميق في نتائج السياسة الدكتاتورية التي انتهجها بحق شعبه ، ومن الوقائع المؤكدة :

١- الهزائم المتتالية على مصر في حرب ١٩٥٦م عند انسحابها من سيناء أمام هجوم اليهود وذلك بحجة عدم استعدادها لصد الهجوم، وعدم توفر الوقود اللازم للطائرات.

٢- نكسة حرب ١٩٦٧م وضياع باقي فلسطين ، واحتلال اليهود لشبه جزيرة سيناء .

٣- الهزائم الداخلية على مستوى الفكر والسياسة ، فقد ساهم في هزيمة مصر عندما قرر تطوير الأزهر والذي يعني هدم الأزهر، ونزع استقلاليته ؛ مما أدى إلى تغييب الشريعة الإسلامية عن الحكم ، وفصل المؤسسة الإسلامية عن واقع المجتمع المصري، وتآلق أصحاب الفكر المنحرف من أدياء الاشتراكية وغيرهم في وضع مشاريعهم الإلحادية في وقت تنهاوى فيه مصر^(١).

عندها رأت الولايات المتحدة أن جمال عبد الناصر قد فقد شعبيته؛ بسبب التعاطف الإسلامي مع قضايا المسلمين، ولم يعد لعبد الناصر من قيمة ترجى، لذلك كان من الضروري ان يستبدل بآخر، فقررت الولايات المتحدة التخلص من عبد الناصر، وتم بالفعل تصفيته بوضع الزئبق له في الطعام فتوفي على أثره^(٢)

وتربّع على كرسي الحكم محمد أنور السادات سنة ١٩٧٠م، وقد عمد بعد تحمله مسئولية قيادة البلاد على إسقاط كل المراكز التي ترفع شعار الناصرية، والقضاء عليها كما فعل سلفه عبد الناصر مع محمد نجيب، وانتهج السادات نفس السياسة ولكن بطريقة دبلوماسية أكثر نكاه من سياسة عبد الناصر، فقد سعى لتثبيت مركزه ومركز أعوانه في مراكز السلطة، وذلك من خلال القاعدة الشعبية، حيث استجاب لرغبة الجماهير حين طالبت بعد النكسة بالتغيير، وقرر في ١٥ مايو ١٩٧١م تصفية كل المراكز المعادية لحركة

(١) انظر : التاريخ الإسلامي ، ١١٣/١٣ - ١٦٣ .

(٢) انظر: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة ، ٥٣/٥ ، التاريخ الإسلامي ١١٣/١٣ -

التصحيح التي قادها السادات بنجاح، والتي حاول البعض احتواءها، وحاولوا إطلاق اسم الثورة عليها، وفطن السادات إلى تلك المحاولات، فأعلن - في حسم - أنه ليس هناك ثورة غير ثورة يوليو، وأن حركة مايو لا تصنع زعامة جديدة لأنور السادات، ونسب كل عظمة إلى يقظة الشعب المصري، محاولاً بذلك أن يصنع لنفسه مجداً عند شعبه، ومن ثم اتجه لتنظيم البيت المصري من جديد

حيث سعى إلى مجموعة من الإصلاحات التي من أبرزها :

- ١- إعادة تشكيل الاتحاد الاشتراكي من القاعدة إلى القمة، وإعادة التنظيمات النقابية؛ حتى يجعل قوى الشعب العامة صاحبة الدور الأساسي في عملية البناء الجديد .
- ٢- إعلان سيادة القانون، وإقامة دولة المؤسسات، وإلغاء كثير من أنواع الرقابة على حرية الشعب، كالرقابة على التلفزة، والبريد، والصحافة.
- ٣- إخراج المعتقلين من السجون، والقضاء على كثير من عوامل الحقد، والعمل على الإصلاح في كافة المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والعسكرية، كل ذلك كان عاملاً غير مباشر لإحراز الانتصار على إسرائيل عام ١٩٧٣م^(١).

لقد كان لهذه السياسة عميق الأثر على شعب مصر، فقد أحدثت انقلاباً ملموساً في جميع المجالات، وأكسبت مصر ثقة بنفسها بعد أن فقدت دورها التاريخي في ظل العهد الناصري وما صحبه من نكسات، مما جعل لأنور السادات تعاطفاً قوياً بسبب تلك الإصلاحات، والضجة الإعلامية التي عززت هذا التأييد، فقد عبرت سياسته عن ذكائه، حيث إن ثقة الشعب بقائده تعطيه شرعية لتمرير ما يحلو له من قرارات مصيرية، ويجد لنفسه بعدها ثقلاً جماهيرياً، وهذه صفة الديكتاتور الذكي، ولا أذكر ذلك تجنياً، بل هناك من التاريخ ما يشفع لذلك.

لقد اتجه أنور السادات لتوطيد العلاقة مع الولايات المتحدة الأمريكية، بالإضافة إلى الانقلاب الدبلوماسي على الاتحاد السوفييتي، والاعتراف بإسرائيل دولة تتمتع بكافة الحقوق، ومن ثم إقامة علاقات دبلوماسية معها، حيث انصبت الجهود نحو التسوية السلمية بالمفاوضات^(٢).

وقد قوبلت هذه السياسة بالرفض والاستنكار من قبل الشعوب العربية وقياداتها، حيث اتهمت مصر بأنها منشقة عن الصف العربي، وتمت مقاطعة مصر من قبل تسعة عشرة دولة

(١) انظر: تاريخ الحركة الوطنية وجذور النضال المصري، ص ٤١٥ - ٤١٨ .

(٢) انظر: السادات وكامب ديفيد د/ صلاح العقاد (١٧٩) بدون طبعة - مكتبة مدبولي .

مما جعل مصر تعيش في عزلة عن بقية الشعوب العربية، كما انتقل مقر جامعة الدول العربية الى تونس، وقد كانت هذه البداية لتصفية قضية فلسطين، حيث أجرى أنور السادات مباحثات كامب ديفد سنة ١٩٧٨م بين مصر وإسرائيل، وإقامة صلح مع إسرائيل في مقابل الانسحاب من سيناء على حساب قضية فلسطين، مما جعل هذه الاتفاقية محمل سخط عربي تجاه سياسة أنور السادات ، فاتهم بالخيانة ، ونتج عن ذلك حالة من الانقسام الداخلي والخارجي طائفا وقوميا (١٠٠) .

وكان المصير الذي ينتظر أنور السادات بضع رصاصات اخترقت جسده في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة عام ١٤٠١هـ ، فتوفي في الحال ، وذلك أثناء حضوره المهرجان الذي أقيم في ذكرى حرب رمضان ١٣٩٣هـ، واستقبلت مصر عهدا جديدا تحت قيادة (محمد حسني مبارك) رئيس الجمهورية خلفا للرئيس الراحل محمد أنور السادات ، وقد حاول مبارك أن يتجاوز الأخطاء التي لازمت السياسات السابقة ، وقد اتسم عصره بمجموعة من المميزات منها:

١- تجاوز الخلافات السياسية مع الدول العربية ، فقد ساد البلاد الهدوء الذي تطلع إليه شعب مصر سنوات عديدة.

٢- إعطاء الحرية لبعض الأحزاب السياسية ؛ لممارسة نشاطها دون رقابة.

٣- مباشرة مصر لممارسة نشاطها في المؤتمر الإسلامي، مما جعل لمصر دورا رياديا مميذا يعيد لمصر عمقها العربي والإسلامي بين دول العالم.

٤- انسحبت إسرائيل من شبه جزيرة سيناء وموقع طابا .

٥- الثورة الصناعية والتقنية التي ساهمت في زيادة الدخل القومي، ومعالجة مشكلة البطالة إلى حد كبير؛ من خلال غزو الصحراء وإنشاء المشاريع (٢) .

وبعد تتبع للحياة السياسية التي واكبت حياة الأستاذ أنور الجندي ، رأينا كيف كانت تلك الفترة عاملا مهما في تكوينه الثقافي والفكري، ففي زمن الملك فاروق قدم ضريبة إيمانه العميق بالله ، حيث السجن لمدة سنة ، بسبب مواقفه المعارضة لسياسة الحكم، وموقفه من الإنجليز، ولم يسلم من ويلات العهد الناصري ، حيث فرضت عليه دائرة من التضييق والتعتيم والحصار، غير أنه كان جبلا أشمًا تتهاوى عليه كل العقبات، فاستعصت عليه كل عوامل

(١) انظر: التاريخ الإسلامي ١٣ / ١٨٠ - ٣١٧ - ٣٩٠ ، السادات وكامب ديفد ص ١٨٠ .

(٢) انظر : التاريخ الإسلامي : ١٣ / ٢١٧ - ٢٩٠ .

الحظر، واستطاع بعد فترة من العنت الشديد أن يعود للكتابة عن التغريب سنة ١٩٦٣ م في مجلة منبر الإسلام، فالاستمرار والتواصل كان أهم سمة تميز العملاق الزاهد أنور الجندي. وكان قوله الذي يعبر عنه : "ولقد كان من إيماني أن يكون هناك صوت متصل ، وإن لم يكن مرتفعا بالقدر الكافي ليقول الإسلام " (١) .

وبعد دراسة البيئة السياسية التي مر بها المفكر أنور الجندي، نستطيع القول بأن الفترة الحاسمة التي صنعت واقعا جديدا ومعلما مهما في حياة المفكر أنور الجندي هي فترة الملك فاروق، فقد كانت بداية للتحوّل في المحيط السياسي والثقافي والفكري للمجتمع المصري خاصة، يعبر عن حالة التراجع الذي فرضته السياسة الاستعمارية ابتداء من حملة نابليون وانتهاء بالاستعمار الإنجليزي لمصر عسكرياً وفكرياً الذي استطاع أن يعزل بين الشعوب وقادتها، وأن يفرض قيمه على المجتمع المصري ؛ بهدف تغريبه ، وإحلال القوميات والفلسفات الإلحادية في محيطه ، فأدرك المفكر أنور الجندي هذه المؤامرة، فشق طريقه متجسماً كل الصعاب، كاشفاً عن أهداف الاستعمار الحقيقية ،وموضحا لأساليبه ومناهجه والتي تبرز في ثلوث العداة (الاستشراق والتبشير والتغريب) .

ويمكن القول بأن الحياة السياسية التي عاشها المفكر أنور الجندي قد أظهرت لنا أطواره الفكرية ، بدءا بعصر فاروق ومرورا بعهد جمال عبد الناصر ، وانتهاء بأخر يوم من حياته ، ففي الفترة الواقعة ما بين (١٩٤٠م - ١٩٥٠م) كان ناقدا لأحوال المجتمع ، ومن (١٩٥٠م - ١٩٦٤م) كان معالجا للواقع ، ومن (١٩٦٤م إلى آخر عهده بالحياة - قبل مرضه - مصححا للمفاهيم كاشفا عن الحقائق الخطيرة ،بعد ازدهاء الشيوعية حيناً والرأسمالية حيناً آخر إلى النظام العالمي الجديد ، وفجور عصر العولمة المعاصرة .

(١) مجلة المنار الجديد : مقالة للكاتب محمود خليل عن المفكر الإسلامي أنور الجندي ، ص ٢٠٢، ١٠٧.

المبحث الثاني

حياته

المطلب الأول : اسمه ومولده ونشأته ووفاته.

المطلب الثاني : طلبه للعلم وثقافته.

المطلب الثالث : أعماله ومؤلفاته وأقوال معاصريه فيه.

المطلب الأول

اسمه ومولده ونشأته ووفاته

أولاً: اسمه

شاع بين رواد الفكر والمهتمين بالدعوة أن أنور الجندي هو اسم صاحب ذلك التراث الفكري، الذي أغنى المكتبة الإسلامية بجملة من المعارف والفرائد، وبعد البحث والتحقيق عن اسم هذا الكاتب والمفكر، فوجئ الباحث بأن ما اشتهر به ليس اسمه الحقيقي وقد كان للباحث اتصال هاتفي مع ابنته (فايزة الجندي)، حيث أفادت بأن اسم أبيها هو "أحمد أنور السيد الجندي" (بكسر الجيم) وما اصطلح عليه (أنور الجندي) إنما هو اسم الشهرة الذي اندرج ذكره على صدر مؤلفاته^(١)، وقد ذكر اسمه الحقيقي كذلك في جريدة المساء المصرية في إطار الحديث عن مآثر هذا المفكر^(٢)، وتظهر للباحث رغبة المفكر أحمد أنور الجندي بذكر اسم أبيه على صدر أعماله ونتاجه؛ اعترافاً بفضل والده عليه وبراً له وصلة جزاء ما أفاض عليه من حب ورعاية وإحسان.

ثانياً: مولده

ولد المفكر أحمد أنور السيد الجندي في مدينة "ديروط" محافظة أسيوط بصعيد مصر عام ١٣٣٥هـ - ١٩١٧م^(٣) وهي واحدة من أجل بلاد الصعيد، حيث تسقيها ثلاثة روافد هي: الإبراهيمية وبحر يوسف، والدجاوي^(٤).

ثالثاً: نشأته

لقد هيا الله للمفكر أحمد أنور الجندي محيطاً إيمانياً وتربياً طيبة تحيط به من كل جانب فولده (أنور الجندي) عمل بالتجارة وكان شغوفاً بالجهاد، ومتطلعاً إلى الحرية وحياة الأبطال الشرفاء وسماه والده أنور تيمناً بالقائد التركي "أنور باشا" إعجاباً بفروسيته وشجاعته، عدا ما منحه الله من إيجابية في متابعته لمجريات الأحداث في زمنه وكان جده

(١) أجري هذا الاتصال الهاتفي في السابع عشر من شهر أكتوبر لعام أربعة بعد الألفين في تمام الساعة الخامسة مساءً.

(٢) مقال تحت عنوان "أنور الجندي... الفارس الذي رحل" د. حلمي محمود القاعود بتاريخ ١/٢/٢٠٠٢م.

(٣) مجلة "منبر الإسلام" مقال سامي التوني، عدد ١٢ ذو الحجة ١٤٢٢هـ فبراير ومارس ٢٠٠٢م. السنة ٦٠.

(٤) شبكة المعلومات العالمية (إسلام أون لاين) مقال عن "مجاهيل مشاهير" للكاتب محمود خليل في ٦/٢/٢٠٠٢م.

قاضيا شرعيا وكان يقضي جل وقته في تحقيق التراث، وخط المدونات، واقتناء نفائس الكتب^(١).

حفظ أحمد أنور الجندي القرآن الكريم في كتاب القرية، حيث كان ذلك عاملا مهما لتوقد الفكر ونضوجه، ولاسيما في بواكير حياته، فقد بدأت رحلته مع القلم وهو في الثامنة عشرة من عمره، "حيث نشر أول نتاج له سنة ١٩٣٢م في مجلة البلاغ وأبولو"^(٢) فقد كتب بحثا عن شاعر النيل حافظ إبراهيم، في الوقت الذي كانت (ديروط) تفتخر بشاعر النيل الذي كان مسقط رأسه فيها، وذلك في إطار المسابقة التي أعلنت عنها أبولو لإصدار عدد يخص شاعر النيل حافظ إبراهيم، فكان ذلك فاتحة لرحلته مع القلم، حيث أتيج له أن يكتب في كبريات الجرائد والمجلات^(٣) يقول الأستاذ محمود خليل في سياق الحديث عن ألمعية هذا المفكر: "ولد الجندي كبيرا، وفي بواكير شبابه بزغ نبته مباركا بإذن ربه ليسامق الرافعي والزيات والمنفلوطي وزكي مبارك... وغيرهم من أرباب البيان العربي"^(٣).

إن ظروف النشأة لهذا المفكر قد أنتجت لديه قاعدة فكرية منهجية، مكنته من تحليل الواقع الحركي للأمة الإسلامية عبر تاريخها الطويل، والإحاطة بمتغيراتها والوقوف على مكنم الداء الذي أصاب المجتمعات، فبرع في فن التشخيص للحركة الثقافية والأدبية والفكرية، وتطلعه لإنشاء مشروع أسلمة المناخ الفكري والثقافي والأدبي للمجتمع المسلم، وتحصينه من الأخطار التي تتهدده.

رابعا: وفاته

كان القدر المحتوم للمفكر أحمد أنور الجندي في يوم الاثنين الرابع عشر من ذي القعدة لعام ألف وأربعمئة واثنين وعشرين للهجرة الموافق للثامن والعشرين من يناير

(١) انظر: مجلة المنار الجديد، قسم المقالات مقال للكاتب . محمود خليل، بعنوان " أنور الجندي رائد الأصالة والتنوير" ص ١٠٥ في محرم ١٤٢٣هـ - العاشر من إبريل سنة ٢٠٠٢م.

(٢) مجلة الوعي الإسلامي، قسم الشخصيات، مقال بقلم، محمد محمد صالح عوض ص ١٣ عدد ٤٣٨، السنة ٣٩ صفر ١٤٢٣هـ - مايو ٢٠٠٢م.

(٣) انظر: المنار الجديد، مقال محمود خليل ص ١٠٥.

(٣) المصدر السابق ص ١٠٥

لعام ألفين واثنين ميلادي عن عمر يناهز الخامسة والثمانين -رحمه الله رحمة واسعة وأدخله فسيح جنانه إنه على ذلك قدير!!⁽¹⁾ .

أ - ظروف الوفاة والدفن :

كان -رحمه الله - مصابا بمرض الكلى ، وكان المرض يتسبب له بالغيوبة ولا يوقظه إلا الأذان، فيقوم ليتوضأ ويصلي، دخل مستشفى الجيزة الدولي بعد أن اشتد عليه المرض، وتوفي بعد أربع وعشرين ساعة فقط من دخوله المستشفى.

ب - كرامات صاحبه وهو يحتضر :

أفاد الطبيب المعالج والمرضات بأن الجندي كان يردد قبل خروج الروح بلحظات: السلام عليك يا رسول الله ... أنا أنور الجندي جئتك من أقاصي الصعيد افتح لي، فأنا قادم ، وقد اندهش الطبيب من ذلك، لاستحالة ذلك علميا وطبيا ، لأنه كان شبه ميت إكلينيكيًا ، ومن الغريب أيضا أنه نام على جنبه الأيمن، واضعاً يده اليمنى على اليسرى كهيئة الصلاة وتوفي وهو يصلي، على شهادة الطبيب والمرضات الذين تابعوا اللحظات الأخيرة من عمره.

ج - الدفن:

ووري جثمان فقيد الأمة أنور الجندي في مقابر الأسرة عند الكيلو الخامس والأربعين بطريق مصر - الفيوم الصحراوي⁽²⁾ .

د - رثاؤه:

لقد كان خبر وفاة المفكر أنور الجندي كالصاعقة على من أحبوه ، أو من تتلمذوا على كتبه، في حين يشعر الإنسان بألم ممض تجاه تجاه تجاه الإعلاميين العربي والإسلامي لمثل هذه الشخصية الفذة في حياته وبعد مماته، ذلك الرجل الذي سخرَّ جلَّ قدراته ومؤهلاته عبر مدة من الزمن في خدمة الإسلام والمسلمين وقضاياهم، في الوقت الذي ترصد فيه أدق تفاصيل الحياة وبعد الموت للاعب كروي ، أو نجم سينمائي، أو ممثلة على المسرح أو مطربة فاجرة سافرة، أو شاعر خليع ، أو أديب متهتك، أو قاص ماجن

(1) انظر: جريدة الخليج ، الإمارات ، الزهرة / مقال بعنوان " أنور الجندي .. الفارس الذي رحل " بتاريخ ٢٠٠٢/٣/٢ ص ٧- مجلة الوعي الإسلامي في عندها الثاني عشر في مقال للكاتب / عالم خليل الأميني بعنوان المفكر والكاتب العصامي الأستاذ أنور الجندي ص ٤٠ في صفر ١٤٢٣هـ ، أبريل - مايو ٢٠٠٢م.

(2) انظر: شبكة المعلومات العامية ، لها أون لاين - حوارات - أنور الجندي المفكر الإسلامي بعين ابنته فائزة، ص ١-٥ بتاريخ ٢٠٠٢/٧/١٨م.

في حين تأذى العديد من العلماء والمفكرين الذين يعرفون قدر هذا الرجل، من العائبة الفاضحة التي يتبناها رجال الإعلام من الصحفيين والإذاعيين في تكريمهم وإغفالهم لدور هذه الموسوعة البشرية المتحركة، وكان من أبرز العلماء المعاصرين الذين تألق نجمهم في مجال الدعوة الدكتور (يوسف القرضاوي)، الذي اعتصره الألم حين علم بنبا وفاة المفكر أنور الجندي بعد أيام من دفنه قال معزياً ومتألماً : " مسكين أنور الجندي لقد ظلمته أمته ميتاً، كما ظلمته حياً، فلم يكن الرجل ممن يسعون للظهور وتسييل الأضواء عليه، كما يفعل الكثيرون من عشاق الأضواء الباهرة، بل عاش الرجل عمره راهباً في صومعة العلم والثقافة ، يقرأ ويكتب، ولا يبتغي من أحد جزاء ولا شكوراً، كأنما يقول ما قال رسل الله الكرام ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^(١) .

وقال الدكتور مصطفى الشكعة - أستاذ الأدب والدراسات الإسلامية بكلية الآداب بجامعة عين شمس، وعضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف في- سياق عزائه- لهذا المفكر : " العظماء هكذا يهملهم عصرهم دائماً ، ويتنكر لهم الجميع، وإذا كان المفكر الكبير أنور الجندي قد لاقى صنوفاً من المضايقات والإهمال، فإن له عظيم المكانة - إن شاء الله - في الآخرة ، وحسبه أنه وقف مدافعاً بمفرده عن العربية السليبية والشريعة الإسلامية الغراء... .."^(٢) .

ومن الحق أن يقال إن هناك جملة من دور الكتابة والنشر أهمها نبأ وفاة المفكر أنور الجندي ، ولاسيما التي تتبنى مشروع خدمة اللغة العربية والثقافة الإسلامية ومن أبرزها: جريدة "العالم الإسلامي" لسان حال رابطة العالم الإسلامي بمكة حيث نشرت على الصفحة الثانية من عددها ١٧٣٢ الصادر يوم الجمعة ٢٥/ ذو القعدة ١٤٢٢هـ الموافق ٨/ فبراير ٢٠٠٢م ، مقالا كتبه مدير التحرير الأستاذ / منير حسن منير عدد أسطره لا يتجاوز عشرين سطراً بعنوان : " كان أحد كتاب "العالم الإسلامي" المميزين ... الكاتب والمفكر أنور الجندي إلى رحمة الله " كما نشرت " رسالة الإخوان المسلمين " في عددها (٢٦٦) الصادر يوم الجمعة ٢٥/ ذو القعدة ١٤٢٢هـ الموافق ٨/ فبراير ٢٠٠٢م على صفحتها السادسة نبأ وفاته -رحمه الله - في إطار يضم عشرين سطراً

(١) سورة الشعراء : آية : ١٠٩ .

(٢) مجلة الوعي ، مقال ل عالم خليل الأميني، في صفحتها الأربعين من العدد الثاني لشهر صفر ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م مايو السنة ٢٦ .

(٣) المصدر السابق ص ٤١ .

بعنوان : " إنا لله وإنا إليه راجعون ... أنور الجندي في ذمة الله " وهذه الجريدة الوحيدة التي أتبعته خبر الوفاة بتحديد اليوم والتاريخ لوفاته، وإن كانت تتقصه الدقة، كما أشادت مجلة " المجتمع الكويتية " بجهود المفكر أنور الجندي في إطار نعيه ووداعه، حيث نشرت على صفحاتها ٤٤ - ٤٥ من عددها (١٤٨٨) الصادر يوم ٢٧/ذو القعدة ١٤٢٢هـ الموافق ٢٠٠٢م مقالاً بقلم الأستاذ صلاح رشيد المصري بعنوان " العصامي الذي رحل بعد معارك فكرية استمرت نصف قرن أثمرت ٢٥٠ كتاباً : أنور الجندي ... تاريخ من العطاء المتجدد ... والريادة الأصيلة" ، كما نعت مجلة منبر الإسلام في صفحتها ١١٠ من عددها ١٢ الصادر في ذي الحجة ١٤٢٢هـ لشهر فبراير ومارس ٢٠٠٢م مقالاً بقلم رئيس التحرير سامي التوني تصدر بالعنوان التالي (المفكر الإسلامي أنور الجندي في رحاب الله) قال فيه : " فقدت الأمة الإسلامية علماً من أعلام الصحافة الإسلامية ، وواحداً من زمرة فريدة من القمم الشامخة، التي وجدت وعاشت بيننا في هذا العصر... أنكر ذاته في سبيل خدمة دينه وعقيدته" ، كما أشارت جريدة الأهرام المصرية إلي نبأ وفاة أنور الجندي في مقال لا يتجاوز أحد عشر سطراً بقلم الكاتب خميس البكري بعنوان " أنور الجندي خلود لأفناء" وجاء فيه: " رحل أنور الجندي إلى دار الخلود ، وتسامت روحه الطاهرة إلى بارئها، ولكن بقيت كلماته تحيا بيننا لا تموت " (١) واطرد هذا النعي في الجريدة نفسها في مقال للكاتب محمود مهدي في قائمة الأسوة الحسنة في مقال بعنوان " أنور الجندي عطاء موصول " جاء فيه بيان الأثر الذي خلفه هذا الرجل بعد موته يقول فيه : " من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، جهادا بالروح ، وجهاد بالكلمة ، ... هؤلاء الرجال عطاؤهم موصول في حياتهم وبعد مماتهم .. ومن هؤلاء الرجال المفكر الإسلامي الأستاذ أنور الجندي" (٢) كما نعت مؤسسات إسلامية عالمية مثل ندوة العلماء بالهند ورابطة الأدب الإسلامي، وأشادت بجهوده العظيمة في مواجهة حملات التغريب والاحتواء للشخصية الإسلامية من خلال الموسوعات العلمية الضخمة التي تعتبر ميراث فكري ومنهجي للأجيال القادمة (٣) .

(١) جريدة الأهرام حرر المقال في ٢٠٠٢/٢/١م في الصفحة ٩

(٢) جريدة الأهرام ص ١٦ بتاريخ ٢٠٠٢/٢/٨م

(٣) انظر: مجلة اللواء الإسلامي ، تحت عنوان " من يحمي مكتبنا بعد وفاته؟ ص ١٤ في ٢٤ من ذي القعدة ١٤٢٢هـ يوم الخميس

٧/فبراير ٢٠٠٢م

كما أثنى منظمة الإيبسكو في الرباط بتاريخ : ٢٠٠٢/٢/١م على الدور الكبير الذي لعبه المفكر أنور الجندي في دعم هذه المنظمة في المجالات الثقافية والعلمية المختلفة، في إطار نعيه وبيان مآثره وجاء في هذا النعي : " والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، إذ تنعي هذا المفكر العالم إلى الأمة الإسلامية، تسجل له باعتزاز مواقفه في الدفاع عن القيم الإسلامية والثقافة العربية " وسجل زوج ابنة الراحل المفكر أنور الجندي الأستاذ/محمود سعيد احمد عبد النبي رثاء ،كتبه بمداد الحب والتقدير للراحل أنور الجندي جاء فيه : " والدي الحنون الكاتب والمفكر الإسلامي المرموق الأستاذ أنور الجندي ، يعز علينا أن نرثي من نحب ، ويصعب علينا أن نودع أ نموذجاً للأبوة الرحيمة والأخوة الحميمة ... إلى من حباني من حنانه، وفرج عني وأنا كئيب ومن إرشاده ما قومني وأنا غض رطيب"^(١) كما نعتة أقلام الشعراء ،حيث كتب الشاعر : حسن حسين شعبان رثاء في المرحوم أنور الجندي قال في قصيدته:

وأفنت شمس العلم والأفلام	وبحسرة القراء والعلماء
يا أنور الجندي عشت مناضلاً	بالعلم للأوطان بالأرجاء
يا أنور الجندي كنت مكافحاً	للذل للإقلال للجهلاء
الله درك كاتباً ومؤلفاً	للعلم للأنوار للأحباء
موسوعة الإسلام يا نخر السورى	بالبحث والتأليف بالآلاء
يا موت أنت حرمتنا في نعيه	من شخصه من قمة العلماء
شرفت بك الأوطان يا رمز العلا	ببراعة التأليف بالسراء
فاهناً بفيض الله في ملكوته	وبجنة الفردوس في العلياء
واهناً بذكر في النفوس جميعها	وريادة العلماء والأدباء" ^(٢)

(١) رثاء مخطوط بقلم ، محمود سعيد أحمد عبد النبي ، تم الحصول عليه منه مباشرة .

(٢) مجلة منبر الإسلام ص ١٠٥ العدد (١) الحرم ١٤٢٣هـ مارس وأبريل.

المطلب الثاني طلبه للعلم وثقافته

أولاً : طلبه للعلم

ظهرت بوادر نبوغ المفكر أنور الجندي مبكراً منذ أن كان طالباً في المرحلة الابتدائية، حيث كان يتردد على بيوت العلماء؛ لينهل من معارفهم وخبراتهم، أقبل على دراسة العلوم الشرعية فقرأ الإحياء للإمام الغزالي، كما درس الحديث الشريف فقرأ البخاري وغيره من كتب الحديث، وأكمل دراسته حيث تخرج في مدرسة التجارة، ومن ثم التحق بالعمل في بنك مصر وهو في مقتبل العمر بسبب ظروف والده، فتابع دراسته الجامعية في المساء، وتخصص بعلم التجارة والاقتصاد وأعمال المصارف وإدارة الأعمال، كما درس اللغة الإنجليزية بالجامعة الأمريكية؛ ليستقرى الانحراف والضللال الذي يعمد إليه المستشرقون والمتغربون، وليدحض شبهاتهم ويبين عوارها^(١).

ثانياً : ثقافته

اهتم المفكر أنور الجندي منذ أن شق الله بصره بكتب التراث القديمة، فاتجه هوام إليها، فقرأ كل ما وقعت عليه عيناه منها، فقرأ (مقدمة ابن خلدون)، ودائرة معارف (فريد وجدي)، واطلع على عشرات المقالات للكتاب المعاصرين له، والكتب الجديدة التي كانت تعبر عن تطور الحركة الثقافية في فكر عمالقة الكتابة في عصره فكانت هذه القراءات بمثابة مزيج بين تراث الماضي والحاضر، مما أحدث لديه حالة التفاعل بين الماضي والحاضر، والخروج بمنهج فكري يجمع فيه بين ما أنتجه التراث القديم والحركة الثقافية المعاصرة، محاولاً بذلك تأصيل حركة الثقافة لتجمع بين الأصالة والمعاصرة، وفي هذا يقول أنور الجندي: "لقد بدأت هذه الخيوط تتجمع لتشكل نوعاً من التركيز الفكري، حتى هدى الله قلبي إلى المفهوم الإسلامي الجامع، ومن ثم تفتحت لي آفاق السنة والسيرة النبوية بعد القرآن، وفي ضوء هذه المصادر العليا جاءت مؤلفات الشيخ محمد الغزالي؛ لتثبت لي المؤشر الحاسم بأن الإسلام منهج حياة ونظام اجتماعي عالمي متكامل"^(٢).

(١) انظر: جريدة المساء، مقال للدكتور/ حلمي محمد القاعود، الملحق الديني بتاريخ عدد ٦٠ ٢/٢/٢٠٠٢ م، وانظر: المنار الجديد، مقال: بقلم الباحث محمود خليل، ص ١٠٥ محرم ١٤٢٣هـ - ١٠ / أبريل ٢٠٠٢ م.

(٢) انظر: مجلة منبر الإسلام، مقال للكاتب، محمد عباس عرابي مقال بعنوان "المفكر الموسوعي أنور الجندي ترك ثروة فكرية ثرية" ص ٤٩ العدد الثاني، السنة الثامنة والعشرون، صفر ١٤٢٣هـ - أبريل ومايو ٢٠٠٢ م.

لقد قضى أنور الجندي جل شبابه في التنقيب والبحث والدراسة والاستقراء والاستقصاء؛ منقطع النظير، مما أهله فكريا وتراثيا لأن يكون موسوعي المعرفة على امتداد الوجود الإسلامي، فكان حفيا بالانتصارات العظيمة التي نالها في ميادين الثقافة الإسلامية، فكشف عن أخطار الاستشراق والغزو الفكري، والحملات المشبوهة التي شنت على الإسلام وشريعته، وقد أظهر أنور الجندي تأهله لناصية الكتابة والتأليف والتحليل في قوله : " قرأت بطاقات الكتب وهي تربو على مليوني بطاقة، وأحصيت في كراريس بعض أسمائها، وراجعت فهرس المجلات الكبرى كالهلال والمقتطف والمشرق والمنار والرسالة والثقافة، وأحصيت منها بعض رؤوس موضوعات ، وراجعت الأهرام على مدى عشرين سنة كاملة، وراجعت المقطم والمؤيد واللواء والبلاغ وكوكب الشرق ... وعشرات من الصحف والمجلات والدوريات ، كل ذلك من أجل التعرف على موضوع معين في وقت ما ؛ لكي أكون قديرا في الكتابة عنه " (١) .

لقد اختار أنور الجندي لنفسه منهجا بحثيا ، يقوم على قواعد علمية تتسم بالدقة والحيوية، كلفه ذلك أنه أدمن السهر وركب الخطر، وهو ينتقل بين الكتب قراءة وتحليلا وتقييما ، فقد قضى وهو يعد الموسوعة الإسلامية العربية جل وقته، حتى كاد أن يكون جزءا لا يتجزأ من دار الكتب المصرية، فقرأ آلاف الكتب، بالإضافة إلى ما يربو على نصف مليون بطاقة، وجعل قائمة تضم أسماء الكتب اللازمة وأرقامها ، حتى خلص إلى إعداد مجلد يضم أكثر من خمسة آلاف كتاب ، بالإضافة إلى فهرس الصحف والمجلات التي صدرت منذ عام ١٨٧١م حتى اليوم، فكان بذلك طفرة علمية ، لفتت الانتباه، وأعدت للعلم الإسلامي تألقه وتميزه، في زمن انصرف فيه العلماء إلى جوانب خاصة من مساحة العلم والمعرفة (٢) .

كما كان لأنور الجندي اهتمام خاص بالدراسات الأدبية ، وتوسع معرفي بالحركة الأدبية ، باعتبار الأدب أحد روافد الثقافة والمعرفة ، وعنصر فاعل في تشكيل الشخصية العربية والإسلامية ، فحلل مناهجها ، وقيم مادتها ، يبرز ذلك في كتابه : (المعمار الأدبية) الذي كتب فيه هالة من المساجلات الأدبية المدافعة عن الإسلام ، كما اهتم بالكتب التاريخية التي طفت بالأباطيل والشبهات التي تجعل الإسلام في قفص الاتهام، فرد عليها

(١) جريدة الخليج / الإماراتية " الزهرة" في مقال بعنوان " أنور الجندي الفارس الذي رحل " بتاريخ ٢٠٠٢/٢/٣م العدد

١٣ وانظر: المنار الجديد ص ١٠٥ - ١٠٦ في عددها ٣٢ .

(٢) انظر : المنار الجديد العدد السابق ص ١٠٦ .

وبين بطلانها ، حيث قام بتعرية الكتب الأدبية التي تشكل خطرا على الثقافة الإسلامية فحذّر من كتاب (كليلة ودمنة ، والأغاني للأصفهاني)، فكانت ثقافته الأدبية إضافة نوعية إلى خزانة أنور الجندي الثقافية .

ثالثا : الأحداث التي أثرت في تكوينه الفكري والثقافي

هناك ثمة عوامل وأحداث عملت على بناء شخصية الأستاذ أنور الجندي فكريا وثقافيا، يمكن أن نجملها في النقاط التالية :

- ١- مقابلته للعديد من أعلام ونخب الفكر والكفاح خلال رحلاته في البلاد العربية .
- ٢- متابعته أعمال جملة من أعلام الإسلام المعاصرين له ، ودراسته لكتاباتهم .
- ٣- كانت له علاقة خاصة بالشيخ حسن البنا مما أثر في اتجاهه الفكري والثقافي وإضفاء طابع الأصالة عليه ، لا سيما في مقالاته وكتاباته التي نشرها في الصحافة العامة والخاصة^(١) .

(١) انظر : مجلة منبر الإسلام: مقال : محمد عباس عراي ، ص ٤٩ عدد ٢ ٢٨ صفر ١٤٢٣هـ - أبريل ومايو ٢٠٠٢ م .

المطلب الثالث

أعماله ومؤلفاته وأقوال معاصريه فيه

أولاً: أعماله

سلك الأستاذ أنور الجندي طريقه متجشماً كل الصعاب في سبيل الغاية السامية وهي: الدفاع عن الإسلام وحضارته ، ومقاومة كل مشاريع الاحتواء الفكري والثقافي الغربي التي تحول بين الإسلام، ومشروعه الحضاري، يقول الأستاذ أنور الجندي عندما سئل من أنت ؟ قال: " أنا محام في قضية الحكم بكتاب الله، ما زلت موكلاً فيها منذ بضع وأربعين سنة أعد لها الدفوع، وأقدم المذكرات بتكليف وعقد وبيعة إلى الحق تبارك وتعالى، وعهد على بيع النفس له والجنة سلعة الله الغالية- هي الثمن لهذا التكليف"^(١).

انصب جهد الأستاذ أنور الجندي على تصحيح المفاهيم، بعد الكشف عن مؤامرات ومخططات (الاستشراق والتبشير والتغريب)، وقضى في سبيل ذلك عشر سنوات من عمره قضاها في دار الكتب المصرية؛ للتقريب عن جذورها وقد وصف تلك الفترة التي تعتبر نقطة تحول كبرى في حياته سنة ١٩٤٠م بقوله: " وأمضيت عشر سنوات كاملة بين أضابير دار الكتب المصرية فقد كان ضروريا أن أعرف جذور العملية"^(٢).

ثانياً : أسباب التحول في منهج أنور الجندي :

كان الاتجاه لقضايا الأدب ومتعلقاته هو الرغبة الأساسية عنده، بيد أن الأحداث التي مر بها سنة ١٩٤٠م قد شكلت معلماً فاصلاً ومهماً في حياته، جعلته يتحول في منهجه وأسلوبه واتجاهه، فثمة أمران أساسيان قد عملا على هذا التحول :

الأمر الأول: إن المستشرقين أصدروا كتاباً يصورون فيه الإسلام بأنه دين كهنوتي ينحصر في الطقوس التعبدية ، ليس له ارتباط بحركة الحياة والمجتمع ، تحت عنوان (وجهة نظر الإسلام) ، وأثار هذا الكتاب حفيظة المفكر أنور الجندي ، فحرك فيه التحدي لأعداء الإسلام ذلك لأنه شعر بالمؤامرة التي تحاك على الإسلام^(٣) مما جعله يتصدى لهذه المؤامرة بحزم فوضع موهبته وعقليته من أجل هذا الهدف، وقد عبر الأستاذ أنور الجندي عن تلك المرحلة بقوله: " وبدأت أقف في الصف : هذا قلبي عدتي وسلاحي من أجل مقاومة النفوذ الفكري

(١) المنار الجديد ، محمود خليل ، ص ١٠٦ ومجلة الوعي الإسلامي في مقال بقلم /محمد محمد عوض بعنوان " وداعاً لفقيد الأمة" ص ١٣ عدد ٤٣٨ السنة ٣٩ صفر ١٤٢٣هـ - مايو ٢٠٠٢م.

(٢) أصالة الفكر الإسلامي في مواجهة التغريب والعلمانية ، الأستاذ/ أنور الجندي ، ص ٤٧٦ ، ط دار الفضيحة .

(٣) انظر : المصدر السابق ص ٤٧٥ .

والأجنبي والغزو الثقافي، غير أنني لم أتبين الطريق فوراً وكان على أن أخوض في بحر لحيّ ثلاثين عاماً، كانت وجهتي الأدب ولكني كنت لا أنسى ذلك الشيء الخفي الذي يتحرك في الأعماق، هذه الدعوة التغريبية في مدها وجزرها، في تحولها وتطورها" (١).

الأمر الثاني: لقاءه بالإمام الشهيد حسن البنا - رحمة الله عليه - في عهد مبكر من حياته شكل لديه المنهج والطريق، فتبنى فكر جماعة الإخوان المسلمين بعد أن حرك فيه البنا جذوة الفكر، أكد أنور الجندي على ذلك بقوله: " رغم إحساسي بمسئوليتي الكبرى تجاه تراثنا وعقيدتنا ولغتنا، وبالرغم من كل ما كتبت كانت دعوة الإمام حسن البنا إلى بناء المجتمع الإسلامي على منهج القرآن هو الطريق الذي أخذته وآمنت به، حيث وجدت حلاً لكل الأسئلة التي كانت غلا على مشاعري وكان ذلك مقدمة لسفري إلى القاهرة للعمل في الصحافة الإسلامية منذ عام ١٩٤٦م" (٢).

من هنا ارتبط أنور الجندي بجماعة الإخوان المسلمين حين تلقفه الشهيد حسن البنا؛ ليكون أبرز دعائم الإخوان المسلمين في بدء انتشارها، حتى كان أول أمين لصندوقها وواحداً من أبرز معالمها الفكرية، إذ كان الركيزة الأساسية والقاعدة الثقافية في حركة الإعلام الإسلامي، التي بدورها تدفع الأذى وتثري المنظومة الإسلامية بكثير من الجهد الصحفي الذي يعمل على حماية مشروع الصحوة من المتربصين بالإسلام (٣).

إن هذا الاتجاه الذي سار عليه أنور الجندي يقوم على أسس واضحة المعالم، فهو يقوم على التعريف بعظمة الإسلام وحضارته، وتاريخه الحافل بالانتصارات وتراثه، وإعطاء نموذج يبرز عظمة الأمة الإسلامية عبر تاريخها الطويل، وقد جمع لتلك النماذج في أعماله والتي منها: الشرق في فجر النهضة الإسلام تاريخ وحضارة صور مضيئة من التراث، نوابع الإسلام (٤) وغيرها كثير، كما قام بمحاربة دعاة التغريب فعّري أقلامهم، ووضعهم في مصاف أعداء الإسلام من أمثال طه حسين، ولطفي السيد، وقاسم أمين، وساطع الحصري وغيرهم كثير في نفس الوقت الذي أنصف فيه المظالم من السلف والخلف من مصححي المفاهيم أمثال: ابن تيمية، وابن حزم، وابن رشد، وابن خلدون، ومن الخلف فريد وجدي

(١) شهادة العصر والتاريخ، أنور الجندي ص ٤٨ دار الاعتصام.

(٢) المنار الجديد، محمود خليل ص ١٠٧.

(٣) انظر: الروافد الثقافية للنشر والطبع والتوزيع، مقال: عبد الله كانون ص ١٩٩ في يوم الثلاثاء، ٤ صفر ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢/٤/١٦، تم الحصول عليه من هذه الشركة مباشرة.

(٤) انظر: مجلة الوعي الإسلامي، ص ١٣، عدد ٤٣٨، صفر ١٤٢٣هـ، مايو ٢٠٠٢م.

والثعالبي، والرافعي، وسيد قطب ، فترجم لهم، وعرف بدورهم، فأنتجت تلك المعارك العديد من الكتب ، كان من أبرزها كتاب : طه حسين حياته وفكره في ضوء الإسلام، ومحاكمة فكر طه حسين ، ونحوها (١).

وكانت لأنور الجندي مشاركات كثيرة تدرج ضمن أعماله ،" فقد شارك في المؤتمرات الإسلامية في القاهرة والرياض والجزائر والمغرب وجا كرتا، ومكة المكرمة والأردن والخرطوم ، كما عمل محاضرا في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض ، وجامعة العين بالإمارات، والمجمع اللغوي بالأردن " (٢) كما شارك في إحدى الندوات الثقافية التي عقدها منظمة الايسيسكو للتربية والفنون في الرياض في مرحلة الإعداد الاستراتيجية الثقافية للعالم الإسلامي، كما شارك أيضا في ندوة نظمتها الايسيسكو بالمملكة المغربية حول تصحيح ما نشر في الموسوعة الإسلامية الأوروبية،الصادرة عن دار برييل بهولندا من تحريفات ومغالطات عن الإسلام ، بالإضافة إلى عمله الصحفي فقد عمل في صحيفة العالم الإسلامي وكان من أبرز كتابها ، حيث أغنى صفحاتها بفرائده العجيبة وآرائه الجريئة، وقدرته على معالجة قضايا الأمة وهمومها، كما كان عضوا فاعلا في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية في مصر (٣) .

ثالثا : مؤلفاته

يعد المفكر أنور الجندي من المكثرين في التأليف والتصنيف، ومن الذين أغنوا المكتبة الإسلامية بالفرائد، وقد أدرجته مجلة الفيصل السعودية ضمن أبرز المكثرين من التصنيف ، وأشادت بموسوعية معرفته وتنوعها (٤) .

انصبت اهتمامات أنور الجندي في التأليف على الغزو الفكري الاستعماري الاستشراقي، كاشفا عن خلفياته، ومحلا أبعاده، راصدا لتحركاته في شتى المحاضن الثقافية،فجرد قلمه؛ لمواجهة حملات التغريب الهادفة إلى احتواء العقليّة الإسلاميّة مبينا عوار أديائها من أعلام الثقافة في العصر الحديث من أمثال طه حسين ، الذي يشكل محور

(١) انظر : المنار الجديد ، مصدر سابق ، ص ١٠٧-١٠٨ .

(٢) انظر : الوعي الإسلامي ، ص ١٣ ، عدد سابق ٤٣٨ .

(٣) انظر : جريدة العالم الإسلامي ، ص ٢ " نعي أنور الجندي " عددها ١٧٣٢ ، الجمعة ٢٥ ذو القعدة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢/٢/٨م .

(٤) مجلة الفيصل السعودية ، ص ٢٢-٢٩ العدد ٣٢٦- شعبان ١٤٢٤هـ ، أكتوبر ٢٠٠٣م، الموضوع " المكثرون من التصنيف في القديم والحديث " .

اهتمام المفكر أنور الجندي ، حيث تتبع شططه من خلال كتاباته ، وأظهر عمالته للغرب، والدخائل التي حاول أن يشوّه بها الفكر الإسلامي.

لقد افتخر العلماء والكتاب الإسلاميون الألعيون بالثروة العلمية والثقافية، التي قدمها المفكر أنور الجندي للمكتبة الإسلامية ، ولا سيما في اتجاهها الدفاعي عن الإسلام، ومن أبرز هؤلاء العلماء والكتاب الشيخ أبو الحسن الندوي بقوله " إن أخانا أنور الجندي اليوم في طليعة الكتاب الإسلاميين المهتمين بأمر الغزو الفكري الاستعماري للعالم الإسلامي " (١) .

ترك أنور الجندي تراثا علميا وفكريا ضخما ، فقد ألف ما يربو على ثلاثمئة وخمسين كتاباً (بعضها طبع ، والبعض الآخر لم يطبع) ، بالإضافة إلى الموسوعات الضخمة والمقالات المتناثرة في أبرز المجالات العالمية في مختلف قضايا المعرفة والثقافة الإسلامية، التي تتسم بغزارتها ونوعيتها.

بعض مؤلفات الأستاذ أنور الجندي حسب الترتيب التاريخي:

المرحلة الأولى : (١٩٦٤م)

- ١- الإسلام وحركة التاريخ .
- ٢- خصائص الأدب العربي .
- ٣- القيم الأساسية للفكر الإسلامي .
- ٤- الفكر الإسلامي في مواجهة التغريب والغزو الثقافي .
- ٥- يقظة الفكر الإسلامي في مواجهة التغريب والغزو الثقافي .
- ٦- يقظة الفكر الإسلامي - ملحقا به كتاب (قضايا) .
- ٧- الإسلام والثقافة العربية .
- ٨- على مشارف القرن الخامس عشر .
- ٩- العالم الإسلامي (قضاياها السياسية والاجتماعية والفكرية) .
- ١٠- معالم الثقافة العربية وانتمائها الإسلامي .
- ١١- قضايا الفكر ومشاكل العصر .

المرحلة الثانية :

- ١- سقوط العلمانية .
- ٢- الفصحى لغة القرآن .

(١) مجلة الفيصل السعودية ، ص ٢٢-٢٩ العدد ٣٢٦- شعبان ١٤٢٤هـ ، أكتوبر ٢٠٠٣م، الموضوع " المكثرون من التصنيف في القديم والحديث

- ٣-التربية وبناء الأجيال .
- ٤-الإسلام والعالم المعاصر .
- ٥-الإسلام والدعوات الهدامة .
- ٦-أخطاء المنهج الغربي الوافد .
- ٧-الإسلام والفلسفات القديمة .
- ٨-الإسلام والأيدولوجيات .
- ٩-اليقظة الإسلامية في مواجهة الاستعمار .
- ١٠-اليقظة الإسلامية في مواجهة التغريب .

المساجلات الأدبية :

موسوعة مقدمات العلوم والمناهج: في عشرة مجلدات

- ١- الفكر الإسلامي .
- ٢-تاريخ الإسلام .
- ٣-العالم الإسلامي .
- ٤-اللغة والأدب والثقافة .
- ٥-التبشير والاستشراق .
- ٦-المجتمع الإسلامي .
- ٧-العلوم والحضارة .
- ٨-الإسلام وموقفه من الفلسفات الأخرى .
- ٩-المنهج الغربي : أخطاؤه وشبهاته .

المرحلة الثالثة : (١٩٧٥ م)

- ١-آفاق جديدة للدعوة الإسلامية في الغرب .
- ٢- العروبة والإسلام .
- ٣-الإسلام والغرب .
- ٤-الإسلام والعلم .
- ٥-الإسلام والحضارة .
- ٦-المجتمع الإسلامي .
- ٧- مقدمات المناهج .
- ٨-تاريخ الإسلام .

- ٩- الشعوبية في الأدب العربي الحديث .
- ١٠- المؤامرة على الإسلام .
- ١١- من التبعية إلى الأصالة .
- ١٢- الأيديولوجية التلمودية .
- ١٣- حركة اليقظة الإسلامية .
- ١٤- مفاهيم العلوم الاجتماعية والنفس والأخلاق .
- ١٥- الإسلام في وجه التغريب: الاستشراق والتبشير .
- ١٦- الإسلاميّة : نظام مجتمع ومنهج حياة .
- ١٧- هزيمة الشيوعية في عالم الإسلام .
- ١٨- طه حسين : حياته وفكره في ضوء الإسلام .
- ١٩- صفحات مضيئة من التراث .
- ٢٠- الصحافة والأقلام المسمومة .
- ٢١- عالمية الإسلام .
- ٢٢- الإمام الشهيد حسن البنا .
- المرحلة الرابعة : (١٩٨٠ م)**
- الشبهات والأخطاء الشائعة :**
- ١- معالم التاريخ الإسلامي المعاصر .
- ٢- المد الإسلامي .
- ٣- الإسلام حضارة وتاريخ .
- ٤- القرن الخامس عشر : قضايا ومشاكله .
- ٥- إطار إسلامي للفكر المعاصر .
- ٦- شبهات التغريب .
- الصحة الإسلامية :**
- ١- نوابغ الإسلام .
- ٢- عقبات في طريق النهضة .
- ٣- المدرسة الإسلامية .
- ٤- العودة إلى المنابع .
- ٥- تصحيح المفاهيم .

- ٦- جيل العمالقة والقمم الشوامخ .
- ٧- إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام .
- ٨- محاكمة فكر طه حسين .
- ٩- سموم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية .
- دراسات في مراحل مختلفة .
- ١- أحاديث إلى الشباب المسلم : من ثلاثة أجزاء .
- ٢- بماذا انتصر المسلمون .
- ٣- وذكرهم بأيام الله (٦) أعلام الإسلام .
- ٤- الرسائل الجامعة (٥)
- ٥- الرجل القرآني .
- ٦- في دائرة الضوء (خمسون حلقة) .
- ٧- تاريخ الصحافة الإسلامية .
- ٨- على طريق الأصالة الإسلامية (قضايا معاصرة وبيان وجه الإسلام منها في عشرين حلقة) .
- ٩- العلوم الإسلامية (٣) الآن تحت الطبع .
- ١٠- "معلمة الإسلام" وهي دائرة معارف عصرية ، تضم معظم المفردات المتداولة في الحياة الفكرية
- ١١- مجموعة معالم الأدب المعاصر التي تتكون من عشرين مجلدا
- ١٢- مجموعة تراجم الأعلام في ثلاثة مجلدات
- ١٣- مجموعة مقدمات العلوم والمناهج في أربعين جزءا
- ١٤- "المعارك الأدبية في مصر ١٩١٤ - ١٩٣٩" سجل فيه ابرز المعارك الأدبية بين أعلام الأدب في ذلك الوقت ، أمثال مصطفى صادق الرافعي ، وأحمد شكري شوقي، وعباس محمود العقاد، وطه حسين ، وحافظ ابراهيم شاعر النيل ، والمازني وغيرهم
- ١٥- نوايغ الإسلام
- ١٦- "النثر العربي المعاصر في مائة عام" وهو دراسة تأصيلية متعمقة في مدارس النثر العربي في القرن المنصرم وبيان مزاياها
- ١٧- "موسوعة القرن الخامس عشر الهجري"
- ١٨- "من أعلام الفكر والأدب"

- ١٩- "مشكلات العصر وقضايا الفكر"
- ٢٠- "هزيمة الاستشراق في ملتقى الإسلام"
- ٢١- "نحن وحضارة الغرب"
- ٢٢- "نظرية الساقية مؤامرة على الحنفية الإبراهيمية"
- ٢٣- "المدرسة الإسلامية على طريق الله ومنهج القرآن"
- ٢٤- "مفاهيم النفس والأخلاق والاجتماع في ضوء الإسلام"
- ٢٥- "الانقطاع الحضاري"
- ٢٦- "أهداف التغريب في العالم الإسلامي"
- ٢٧- "أضواء على الأدب العربي المعاصر"
- ٢٨- "عرضوا أنفسكم على موازين القرآن"
- ٢٩- "الأعلام الألف"
- ٣٠- "الإسلام وحركة التاريخ"
- ٣١- "بناء منهج جديد للتعليم والثقافة على قاعدة الأصالة"
- ٣٢- "التبشير الغربي"
- ٣٣- "تحديات في وجه المرأة المسلمة"
- ٣٤- "الطريق إلى الأصالة"
- ٣٥- "كمال أتاترك وإسقاط الخلافة الإسلامية"
- ٣٦- "قائد الدعوة... حياة رجل وتأريخ مدرسة في ترجمة الشيخ حسن البنا - رحمه الله - ."
- ٣٧- "السلطان عبد الحميد"
- ٣٨- "السنة النبوية"
- ٣٩- "الصحوّة الإسلامية"
- ٣٠- "زكي مبارك... دراسة تحليلية لحياته وأدبه"
- ٣١- "حركة تحرير المرأة في ميزان الإسلام"
- ٣٢- "حضارة الإسلام تشرق من جديد"
- ٣٣- "حقائق مضيئة في وجه شبهات مثارة"
- ٣٤- "خلفيات عمر الخيام وقضية الرباعيات"
- ٣٥- "رسالة المسلم"
- ٣٦- "الفكر والثقافة المعاصرة في شمال أفريقيا"

- ٣٧- "كيف يعود الأدب العربي المعاصر إلى أصلته؟"
- ٣٨- "الفنون والمسرح"
- ٣٩- "على الفكر الإسلامي أن يتحرر من سار تر فرويد ودور كايم"
- ٤٠- "منهج الإسلام في بناء العقيدة "
- ٤١- "موقف الإسلام من العلم والفلسفة الغربية"
- ٤٢- "جو رجي زيدان منشئ الهلال"
- ٣٤- "مناورات السياسة"
- ٣٥- "الإسلام في حضارته ونظمه الإدارية والسياسية العلمية"
- ٣٦- "الإسلام وموقفه من الفلسفات والأديان"
- ٣٧- "الصحافة والأقلام المسمومة "
- ٣٨- "سقوط الأيدولوجيات وكيف يملأ الإسلام الفراغ"
- ٣٩- "رجال عرفتهم"
- ٤٠- "صفحات مجهولة من الأدب العربي"
- ٤١- "حقائق وأباطيل"
- ٤٢- "الشيخ المرغي في مرآة التاريخ"
- ٤٣- "محمد فريد وجدي رائد التوفيق بين العلم والدين"
- ٤٤- "رسائل إلى الشباب المسلم"
- ٤٥- "ارحلوا عن أرضنا"
- ٤٦- "قضية الإسلام" مكون من خمسين جزءا
- ٤٧- أقباس من السيرة العطرة
- ٤٨- "السلطان عبد الحميد والخلافة الإسلامية"
- ٤٩- "اليقظة الإسلامية في مواجهة التغريب."
- ٥٠- "عبد العزيز الثعالبي رائد الحرية والنهضة الإسلامية ١٨٧٩م - ١٩٤٤م"
- "عبد العزيز جاويش من رواد التربية والصحافة والاجتماع"
- ٥١- "القيم الأساسية للفكر الإسلامي والثقافة العربية."
- ٥٢- " قضايا الشباب المسلم."
- ٥٣- " قضايا العصر ومشكلات الفكر تحت ضوء الإسلام"
- ٥٤- قضايا مثارة تحت ضوء الإسلام

- ٥٥ - اليقظة الإسلامية في مواجهة الاستعمار: منذ ظهورها إلى أوائل الحرب العالمية الأولى.
- ٥٦ - يوم من حياة الرسول.
- ٥٧ - الوجه الآخر لظه حسين من مذكرات السيدة سوزان "معك".
- ٥٨ - وحدة الفكر الإسلامي: مقدمة للوحدة الإسلامية الكبرى
- ٥٩ - هزيمة الشيوعية في عالم الإسلام.
- ٦٠ - هل غير الدكتور طه حسين آراءه في سنواته الأخيرة؟
- ٦١ - نظريات وافدة كشف الفكر الإسلامي زيفها.
- ٦٢ - نحو بناء منهج البدائل الإسلامية للنظريات والأيدولوجيات والمفاهيم الغربية الوافدة.
- ٦٣ - مؤلفات في الميزان.
- ٦٤ - مناهج الحكم والقيادة في الإسلام
- ٦٥ - من طفولة البشرية إلى رشد الإنسانية
- ٦٦ - كيف يحتفظ المسلمون بالذاتية الإسلامية في مواجهة أخطار الأمم؟
- ٦٧ - ابتعاث الأسطورة.. مواجهة جديدة تواجه الفكر الإسلامي
- ٦٨ - الإسلام في أربعة عشر قرنا
- ٦٩ - أسلمة المناهج والعلوم والقضايا والمصطلحات المعاصرة
- ٧٠ - أضواء على الأدب العربي المعاصر
- ٧١ - بناء منهج جديد للتعليم والثقافة على قاعدة الأصالة
- ٧٢ - تاريخ الإسلام في مواجهة التحديات
- ٧٣ - تاريخ الدعوة الإسلامية في مرحلة الحصار من حركة الجيش إلى كامب ديفيد
- ٧٤ - دراسات إسلامية معاصرة: الاقتصاد الإسلامي
- ٧٥ - دراسات إسلامية معاصرة: الأدب، اللغة
- ٧٦ - دراسات إسلامية معاصرة: الأصالة في مواجهة المعاصرة والاقتباس وسلم القيم
- ٧٧ - دراسات إسلامية معاصرة: النفس، الفرويدية
- ٧٨ - سقوط نظرية دارون
- ٧٩ - السلطان عبد الحميد: صفحة ناصعة من الجهاد والإيمان والتصميم لمواجهة...
- ٨٠ - الشباب المسلم: مشاكله وقضاياها في مواجهة تحديات العصر
- ٨١ - شبهاث التغريب في غزو الفكر الإسلامي

- ٨٢-شبهات في الفكر الإسلامي
- ٨٣-الشبهات المطروحة في أفق الفكر الإسلامي
- ٨٤-الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي
- ٨٥-شخصيات اختلف فيها الرأي
- ٨٦-الشرق في فجر اليقظة : صورة اجتماعية للعصر من ١٩٧١ إلى ١٩٣٩
- ٨٧-الشعوبية في الأدب العربي الحديث
- ٨٨- الصحافة السياسية في مصر منذ نشأتها إلى الحرب العالمية الثانية
- ٨٩- الصحوة الإسلامية: منطلق الأصالة وإعادة بناء الأمة على طريق الله
- ٩٠- صفحات مضيئة من تراث الإسلام
- ٩١-الطريق إلى الأصالة
- ٩٢- الطريق إلى الأصالة والخروج من التبعية
- ٩٣-الطريق أمام الدعوة الإسلامية
- ٩٤- العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي
- ٩٥- عالمية الإسلام
- ٩٦-عقبات في طريق النهضة: مراجعة لتاريخ مصر الإسلامية منذ الحملة الفرنسية إلى النكسة
- ٩٧- عقيدة الكاتب المسلم
- ٩٨-الفكر الإسلامي والتحديات التي تواجهه في مطلع القرن الخامس عشر الهجري
- ٩٩-الفكر البشري القديم
- ١٠٠- الفنون الشعبية
- ١٠١- في مواجهة الفراغ الفكري والنفسي في الشباب
- ١٠٢-القاديانية : خروج على النبوة المحمدية
- ١٠٣- كتاب العصر تحت ضوء الإسلام
- ١٠٤-الضربات التي وجهت للانقراض على الأمة الإسلامية
- ١٠٥- ماذا يقرأ الشباب المسلم؟
- ١٠٦-محاذير وأخطار في مواجهة إحياء التراث والترجمة
- ١٠٧- المحافظة والتجديد في النثر العربي المعاصر في مائة عام ١٨٤٠م-١٩٤٠م.
- ١٠٨- المخططات التلمودية الصهيونية اليهودية في غزو الفكر الإسلامي

- ١٠٩- المد الإسلامي في مطالع القرن الخامس عشر
- ١١٠- المدرسة الإسلامية : على طريق الله ومنهج القرآن
- ١١١- المرأة المسلمة في وجه التحديات
- ١١٢- مصابيح على الطريق
- ١١٣- مصححو المفاهيم : الغالي، ابن تيمية، ابن حزم، ابن خلدون
- ١١٤- الدعوة الإسلامية في عصر الصحوة : قضايا السياسية والاجتماع والاقتصاد
- ١١٥- الأعراض موسوعة طبية أمريكية
- ١١٦- المثل الأعلى للشباب المسلم
- ١١٧- المساجلات والمعارك الأدبية في مجال الفكر والتاريخ والحضارة
- ١١٨- المسلمون في فجر القرن الوليد
- ١١٩- المعاصرة في إطار الأصالة
- ١٢٠- معالم تاريخ الإسلام المعاصر
- ١٢١- معالم التاريخ الإسلامي المعاصر من خلال ثلاثمائة وثيقة سياسية ظهرت خلال القرن
- ١٢٢- مؤامرة تحديد النسل وأسطورة الانفجار السكاني
- ١٢٣- أحمد زكي الملقب بشيخ العروبة: حياته - آراؤه - آثاره
- ١٢٤- فضائح الأحزاب السياسية في مصر: السياسة والزعماء.. والرشوة واستغلال النفوذ
- ١٢٥- مستقبل الإسلام بعد سقوط الشيوعية
- ١٢٦- أصالة الفكر الإسلامي في مواجهة التغريب والعلمانية والتنوير الغربي: قضايا الأدب
- ١٢٧- قراءة في ميراث النبوة: إطار إسلامي للصحوة الإسلامية
- ١٢٨- كيف يحطم المسلمون قيد التبعية والحصار
- ١٢٩- تحديات في وجه المجتمع الإسلامي
- ١٣٠- كامل الكيلاني في مرآة التاريخ
- ١٣١- الأدب العربي المعاصر في معركة المقاومة والحرية والتجمع
- ١٣٢- كسر طوق الحصار عن الإسلام

التأليف في العمل و التراجم :

_ (موسوعة معالم الأدب العربي المعاصر) .

- ١- النثر .
- ٢- الشعر .
- ٣- القصة .
- ٤- الترجمة .
- ٥- أدب المرأة .
- ٦- المعارك الأدبية .
- ٧- أدب المقاومة والتجمع .
- ٨- الفكر والثقافة في شمال أفريقيا .
- ٩- مفكرون وأدباء .
- ١٠- آفاق جديدة .
- ١١- صفحات مجهولة .

التراجم :

- ١- أعلام وأصحاب أقلام .
- ٢- تراجم الأعلام في العالم الإسلامي .
- ٣- أعلام القرن الرابع عشر الهجري .

تراجم مفردة:

- ١- حسن البنأ .
- ٢- عبد العزيز جاويش .
- ٣- أحمد زكي شيخ العروبة .
- ٤- المراغي .
- ٥- فريد وجدي .
- ٦- زكي مبارك .^(١)

(١) قام بهذا التثيت الدكتور عبد الحميد أبو سليمان المدير العام للمعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن

بالولايات المتحدة عن كتاب : معلمة الإسلام ، ٢ / ٦٤٣ - ٦٤٨

وبعد هذا العرض لأبرز مؤلفات المفكر أنور الجندي التي طبعت ، يظهر العطاء الفكري والثقافي العظيم في تنوعه ونوعيته، الذي قدمه هذا المفكر للمكتبة الإسلامية، وتبدو عدة حقائق يستطيع الباحث أن يجملها في النقاط التالية :

- ١- موسوعية ثقافة المفكر أنور الجندي وتنوعها .
- ٢- التحول في منهج الكتابة تاريخيا ،فالكثابة الأدبية كانت قضية هذا المفكر ، ثم تحولت إلى دراسات فكرية متنوعة .
- ٣-اهتمام الأستاذ أنور في كتاباته يركز في قضية جوهرية هي مواجهة التغريب والغزو الفكري .
- ٤-يؤخذ على كتاباته المتنوعة التكرار في المضامين ، وإن اختلفت العناوين والمفردات .

٥- صعوبة تأريخ كتابات الأستاذ أنور ، لذا كان من الصعوبة بمكان الوصول لهذا الترتيب التاريخي لكتاباته ، خاصة عند تتبع تاريخ كتابتها ، والظروف السياسية التي رافقتها .

وعليه فإن تلك الكتابات تمثل مشروعا ضخما ، لتأصيل الثقافة وأسلمتها ، كلفت صاحبها أنفس أوقاته قضاهها في صومعة الكتابة والتأليف والتصحيح ، وفي ضوء تلك الدراسات العميقة يستطيع الباحث أن يكشف عن أهداف تلك الحقائق المترامية في كتبه ومؤلفاته ، وعن منهجه ووسائله لبلوغ تلك الغاية ، ويمكن أن نقول هنا بأن الأستاذ أنور الجندي كان ينطلق لمشروع ضخم يقوم على :

- ١- نقل المجتمع المسلم من حالة الخمول والضعف والغفلة إلى اليقظة الفكرية .
- ٢-إبراز الخصوصية التي يتمتع بها الإسلام في نظمه ومفاهيمه ونظريته للكون والإنسان والحياة .
- ٣- بيان عوار الطرح الغربي بنظرياته ، وتحليل جذورها التاريخية ، ورصد تطورها في البيئات الغربية ، ووضع البديل الإسلامي الأصيل في قالب التأصيل والمشروعية .
- ٤-إزالة وتصفية كل الشبهات المطروحة في مسيرة المسلمين التاريخية ، وتقنيد الشبهات التي يراد لها أن تخترق قاعدتنا الفكرية ، وتضعف الوحدة الإسلامية الجامعة .
- ٥- تخليص العلوم العربية والإسلامية من رواسب الغزو الثقافي، أو الاختراق الفكري ، بوضع آليات لأسلمة تلك المناهج في ضوء المفاهيم الإسلامية الأصيلة .

رابعاً : أقوال معاصريه فيه

نال المفكر أنور الجندي مكانة متميزة بين الذين عاصروه وعرفوه من خلال كتاباته التي زخرت بها المكتبة العربية والإسلامية، والتي عبرت عن شخصيته العلمية المتألقة وقامته الفارعة بين علماء عصره، فكان علما ومشعلا للنور يحيط بمن حوله ، فملاً حياتهم بالخير والحق والفضيلة.

لقد سجل عدد كبير من العلماء والمفكرين إعجابهم بشخصية المفكر أنور الجندي، واعترافهم بمكانته الخاصة بين علماء عصره، فقد أشاد الدكتور شوقي ضيف – أستاذ الأدب العربي بكلية الآداب بجامعة القاهرة – بمكانته بعد أن تتبعت مواجهته الحادة لطفه حسين ورده عليه، وعكوفه على استخلاص النماذج الأصلية من التراث العربي والإسلامي، وإخراجها كمثال رائع للحضارة الإسلامية وحيويتها في كل الأزمان، فقال معجبا : " إن أنور الجندي لا يقلُّ في كتاباته وما توصل إليه من نتائج باهرة عن العلماء الأفاضل في تاريخنا، فهو يماثل الجاحظ والأصمعي وابن تيمية وابن القيم في موسوعية المعرفة، والجهاد الطويل بالنفس والروح والوقت لنصرة الإسلام وقضاياه المصيرية".^(١)

كما أثنى الشيخ الدكتور /يوسف القرضاوي على جهود المفكر أنور الجندي العظيمة في خدمة الإسلام وقضاياه، حتى وصفه بأنه راهب في العلم، ومنتج للدرر النفيسة من تراث الحضارة الإسلامية، وصاد للمؤامرات الاستشراقية والتغريبية.^(٢)

وقال الدكتور /حسين مجيب المصري- رائد الأدب الإسلامي المقارن وأستاذ اللغات الشرقية وآدابها بآداب عين شمس- مثنيا الجهود الجليلة لهذا المفكر والمكانة المرموقة التي يحتلها ، ومتألما على تجاهل الأمة له : " أنور الجندي علامة في هذا العصر، وهو الذي أعاد للإسلام رواءه وحيويته مرة أخرى ... عصامي في مدرسة المجددين المسلمين، ... كان جامعة قائمة في رجل واحد ، تخرج فيها آلاف المثقفين بفضل كتاباته العميقة، وريادته لصقل الفكر الإسلامي"^(١)

وعد الدكتور/حسن حبشي_ المؤرخ المشهور_ أنور الجندي في مصاف الأعلام الذين عرفهم التاريخ ، ممن ساهموا في النهضة الفكرية والعلمية من أمثال : مصطفى

(١) مجلة الوعي، في عددها الثاني ، ص ٤١ ، صفر ١٤٢٣هـ – أبريل - مايو ٢٠٠٢م.

(٢) انظر: مجلة المنار الجديد، ص ١٣٤ في مقال " رحلة قلم... مع الحق والحقيقة"

(١) مجلة الوعي ، عدد ٢ ص ٤١

صادق الرفاعي، ومحمود شاكر، كما اعتبر كتاباته من أهم المصادر المعرفية في شتى المجالات^(٢).

جاء في كلمة التأبين الذي نظّمته نقابة الصحفيين المصرية للراحل المفكر أنور الجندي، والتي ألقاها الدكتور / عبد الحليم عويس - أستاذ التاريخ الإسلامي - التأكيد على مكانة هذا المفكر، واعتبار مولده مكرمة للأمة الإسلامية، ووصفه بأنه أمة، كما قرن ذكره بأعلام الأمة من أمثال الشيخ محمد الغزالي، ومحمد عبد الله السمان، وسيد قطب، كما نعتته بأنه موسوعة فكرية ندر أشباهها وأنظارها، أما الأستاذ محمود مهدي - رئيس لجنة الإعلام بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية والكاتب الصحفي بجريدة الأهرام - وهو من الذين كانت لهم علاقة خاصة بأنور الجندي، فقد امتدح عقلية أنور الجندي وثقافته، حيث يرى أنه كان موسوعة فكرية متحركة في السياسة والتاريخ والصحافة والفقهاء، وأنه كان عملاقاً في المؤتمرات الفكرية التي شارك فيها عبر رحلاته الطويلة في العالم العربي وغيره، وأوضح الأستاذ عبد المنعم سليم جبارة - رئيس تحرير مجلة لواء الإسلام بالقاهرة - بأن أنور الجندي كان مصححاً للمفاهيم، وقائداً على ساحة الفكر دفاعاً عن الإسلام، كما وصفه الشيخ حسن عاشور - الناشر الإسلامي المعروف ووثيق الصلة بالفقيد - بأنه كان رائداً للصحافة الإسلامية، وأشار إلى أن قيادات الحركة الإسلامية في معظم بلاد العالم كانت جادة في طلب مقابلة المفكر أنور الجندي، ويؤكد الدكتور/سليمان الخطيب - أستاذ الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم بألمانيا - فضل أنور الجندي عليه حيث أفاض عليه بالفوائد والإضافات والملاحظات الدقيقة في رسالتي الماجستير والدكتوراه عن " فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي " وأضاف بأن كلية دار العلوم بجامعة المنيا - قسم الفلسفة الإسلامية - قررت أن تفتح أبوابها لطلاب الدراسات العليا؛ لدراسة فكر ومنهج المفكر أنور الجندي، اعترافاً بقيمته العلمية الفريدة، وفي محاولة لإحياء فكره وبعثه من جديد^(١) ودانت بالفضل نفسه الدكتورة إلهام محمد شاهين - أستاذة الفلسفة بكلية الدراسات الإسلامية بجامعة الأزهر بنات - اعترافاً بالفضل لأهله، فتذكر أن المفكر أنور الجندي قد قام بمساعدتها وإفادتها في رسالتها للدكتوراه حول " العلمانية في مصر

(٢) انظر: المصدر السابق، ص ٤١ .

(١) انظر: مجلة المنار، مقال لمحمود خليل " أنور الجندي رائد الأصالة والتنوير " ١٢٩ - ١٣٥ .

وأشهر معاركها" وأشادت بموسوعية معرفته، بل هناك كثير من الدراسات العلمية التي قامت ونمت على يديه^(٢).

وفي الحوار الأخير مع المفكر الإسلامي أنور الجندي، والذي أجراه الكاتب صلاح رشيد، ، حيث عبّر في مقدمته عن قيمة هذا الرجل بقوله : " ما نزال لا نعرف قيمة هذا الرجل، ولا أظن أننا عرفناه حتى بعد وفاته ، إنه العلامة والمفكر الإسلامي الراحل الأستاذ أنور الجندي الموسوعة البشرية الإسلامية... شخصية ثرية الفكر ، غاية الثراء ، عميقة غاية العمق، إنها شخصية مفكر وعالم وكاتب وأديب وباحث متجرد لفكره، يعيش حياته كلها من أجلها" ^(٣).

ومن الحق أن يقال بأن أنور الجندي حفي بهذه المكانة العظيمة، وإن كان التجاهل من بعض الغالين الجاهلين لمكانته، فإنه يبقى نجما متألقا في دنيا العلم والمعرفة ، وتبقى أعماله وآثاره ناطقة بذلك .

(٢) انظر : المصدر السابق ، ص ١٣٥

(٣) المختار الإسلامي، حوار مع المفكر الإسلامي أنور الجندي، ص ٩٠ العدد ٢٤٩ - السنة ٢٤ - غرة جمادى

الأولى ١٤٢٤هـ - يوليو ٢٠٠٣م

الفصل الثاني

موقفه من الحضارة الغربية

المبحث الأول : مفهوم الحضارة.

المبحث الثاني : التغريب.

المبحث الثالث : التبشير.

المبحث الرابع : الاستشراق .

المبحث الأول

مفهوم الحضارة

المطلب الأول تعريف الحضارة لغة واصطلاحاً

المطلب الثاني : الحضارة عند أنور الجندي

المطلب الأول

تعريف الحضارة لغة واصطلاحاً

يجدر بنا قبل الحديث عن الحضارة بوجوهها المختلفة ، أن نصور كنهها من حيث اللغة والاصطلاح ، لاسيما وأن لهذا الموضوع جوانب واتجاهات متعددة ، ولا يمكننا معرفة حقيقتها إلا إذا تكون لدينا تصور واضح عن الحضارة ومفاهيمها، من أجل القدرة على خوض لجة هذا الموضوع الذي اضطربت فيه الأفهام، وتعددت فيه المذاهب.

أولاً: الحضارة لغة:

هنالك أقوال لعلماء اللغة حول معنى الحضارة حيث ذكر الزبيدي في تاج العروس : "الحضر محرّكة والحضرة بفتح فسكون، والحضارة بالكسر عن أبي زيد وبفتح عن الأصمعي ، خلاف البادية والبدوة والبدو، أما الحضارة بالكسر الإقامة في الحضر ذكره أبو زيد وكان الأصمعي يقول: الحضارة بالفتح ، الحاضر والحضرة والحضر، هي المدن والقرى والريف، وقد سميت بذلك؛ لأن أهلها حضروا الأمصار ومسكن الديار التي يكون لهم بها قرار" (١) .

وجاء في لسان العرب : "الحضارة الإقامة في الحضر ، قال القّطامي :

من تكن الحضارة أعجبتة فأبي رجال بادية ترانا" (٢).

وأطرد هذا المعنى في مختار الصحاح وجاء فيه " الحضر بفتحيتين خلاف البدو والمضر السجل والحاضر ضد البادي، والحاضرة ضد البادية وهي القرى والريف والبادية ضدها يقال: فلان من أهل الحاضرة، وفلان من أهل البادية ، وفلان حضري وفلان بدوي، وفلان حاضر بموضع كذا (مقيم به) والحضارة بالكسر الإقامة في الحضر" (٣).

ويظهر من خلال التعريفات اللغوية ، أنها لا تختلف في مضامينها ، فإن غاية ما انتهت إليه معاجم اللغة أن الحضارة مقابلة للبدوة، ثم أخذت طورها لتصبح دلالة على الإقامة في الحضر، وما يرافقها من مظاهر التقدم والدعة والتفنن والترقي، وعليه فلا خلاف على معنى الحضارة في قواميس اللغة ، والتي استند الباحث إلى بعض منها رغبة في الإيجاز .

(١) " تاج العروس من جواهر القاموس" محب الخطيب أبي الفيض السيد محمد الزبيدي ، ٦ / ٢٦٨ ، ط دار الفكر

(٢) " لسان العرب " جمال الدين ابن منظور ، ٤ / ١٩٧ ، دار الفكر ، بيروت

(٣) مختار الصحاح / ٥٩ مادة حضر ، محمد بن أبي بكر الرازي ، ط دار الفكر - بيروت انظر : القاموس المحيط ، الإمام مجد

الدين محمد يعقوب الشيرازي الشافعي ١ / ٤٥ مادة حضر ، ط / ١ دار الكتب العلمية بيروت - لبنان .

ثانيا : الحضارة في الاصطلاح:

ليس هناك تعريف اصطلاحي محدد ومجمع عليه للحضارة، ولعل ذلك ناتج عن عدم تكامل الرؤية لمفهوم الحضارة، فكل طائفة عبرت عن الحضارة بناء عن تصور خاص لفلسفة الحضارة ينسجم مع تكوينها الثقافي والنفسي، بالإضافة إلى أن العرب قديما لاعهد لهم بهذا المصطلح حيث لم يجر استعماله في ممارساتهم اللغوية ، غير أن أول من نبه إليه من العرب ابن خلدون من خلال مقدمته المشهورة، هذا ما أشار إليه الدكتور عماد الدين خليل في كتابه التفسير الإسلامي للتاريخ بقوله : " يكاد أن يكون ابن خلدون أول من نبه إليها واستخدمها في مقدمته، إلا أن اصطلاحه الذي كان يستغني به معظم الأحيان عن هذه الكلمة بقوله (العمران البشري) الذي يقابل الحضارة البشرية^(١) .

يعرف ابن خلدون مفهوم الحضارة بقوله " إنه تفنن في الترف وأحكام المصانع المستعملة في وجوهه ومذاهبه من المطابخ والملابس والمباني، والفرش والأبنية وسائر عوائد المنزل وأحواله ، فلكل واحد منها صنائع في استجاداته ، والتأنق فيه تختص به ، ويتلو بعضها بعضا ، وتتكرر باختلاف ما تنزع إليه النفوس من الشهوات والملاذ ، والتتعم بأحوال الترف وما تتكون به من العوائد"^(٢) .

ويظهر من كلام ابن خلدون ، أن الحضارة مرتبطة بالجانب المادي المحض ، حيث صبغها في الإطار المادي والمدني ، وهذا التصور ينسجم مع تصور جملة من المفكرين المعاصرين الذين غلبوا الطابع المادي في تفسيرهم للحضارة ، وكذلك يظهر في تعريف ابن خلدون الاتجاه الشكلي للحضارة ، والذي استلهم فهمه من الدلالة اللغوية لمفهوم الحضارة وهذا الاتجاه في الفهم يمثل جانبا من جوانب الحضارة وهو الجانب المادي المترف ، الذي يغفل الجانب القيمي والأخلاقي من قاموس التحضر والرقى .

وتعرض لتعريف الحضارة كثير من المفكرين المعاصرين مركزين على الجانب الأخلاقي والمادي ، حيث عرفها المفكر الإسلامي سيد قطب بقوله : "هي ما تعطيه للبشرية من تصورات ومفاهيم ومبادئ وقيم تصلح لقيادة البشرية ، وتسمح لها بالنمو والترقي الحقيقيين"^(١) . وعرفها المفكر الإسلامي مالك بن نبي بقوله : "هي مجموعة الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع معين أن يقدم لكل فرد من أفراده ، وفي كل طور من

(١) التفسير الإسلامي للتاريخ ص ١٧٣ ط الثانية ١٩٧٨ م ، دار العلم للملايين .

(٢) مقدمة ابن خلدون ، عبد الرحمن بن خلدون ص ١٧٢ ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان .

(١) المستقبل لهذا الدين ، ص ٥٦ ط الكويت

أطوار وجوده، منذ الطفولة إلى الشيخوخة المساعدة الضرورية له في هذا الطور أو ذلك " (٢). وعرفها محمد قطب بقوله "هي الجانب المعنوي الذي يحمل القيم ، والجانب المادي والتنظيمي على حد سواء ، فهي حضارة ذات قيم ثابتة وأشكال مادية وتنظيمية نامية ومتغيرة على الدوام" (٣). وعرفها الدكتور محمد حسين بقوله : "كل ما ينشئه الإنسان في كل ما يتصل بمختلف جوانب نشاطه ونواحيه عقلا ، وخالقا ، ومادة ، وروحا ، ودينا ، ودنيا" (٤).

تمثل التعريفات السابقة الاتجاه الإنساني في تفسير الحضارة في جانبها الأخلاقي والقيمي فالحضارة من هذه الوجهة مرهونة بالجهد الإنساني في شقيه المادي والمعنوي ، إذ هما الركيزتان الأساسيتان في عملية البناء والعمران المادي والإنساني.

ويمثل هذا الاتجاه الدكتور حسين مؤنس فنظرته للحضارة مغايرة حيث عرفها بقوله : "هي ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته ، سواء أكان الجهد المبذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصودا أم غير مقصود، سواء أكانت الثمرة مادية أم معنوية" (٥) فارتكزت نظرتة في هذا التعريف إلى جهد الإنسان ، فإمكانية الصعود الحضاري منوطة بما يقدمه الإنسان من جهد في الجانب المادي او المعنوي ، إذ يلزم من ذلك اعتبار الحضارة الغربية بما تحتويه من إخفاقات في الجانب الاجتماعي حضارة ، وهذا الاتجاه أقرب إلى التفسير الغربي للحضارة. وهناك اتجاه خطر يمثل حضارة الغاب في المنهج والأسلوب ، وهو اتجاه حيواني صرف ، يقوم على استباحة كل المحذورات بمنطق القوة ، ومعاداة القيم والأخلاق والعدل وإطلاق العنان للطبيعة البشرية بأن تتحرك دون ضابط؛ لتفعل ما يحلو لها.

فيعرفونها بقولهم : " إن الأخلاق ليست إلا اختراع الضعفاء، لكي يقيدوا بها سلطة الأقوياء ، فلنكن حرباً على الأخلاق ، ويجب أن نحطم قيد العدل الظالم ... يجب أن يكون لنا الجسارة فيما به نحيا حياة حرّة سافرة في وضوح النهار " (٦)

(٢) آفاق جزائرية، ص ٣٨، عالم المعرفة ، الكويت

(٣) واقعنا المعاصر، محمد قطب ص ١٠١ ط الثانية ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، الناشر مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر

(٤) الإسلام والحضارة الغربية، ص ٤، ط المكتب الإسلامي

(٥) الحضارة ص ١٣، ط الأولى، عالم المعرفة الكويت

(٦) المشكلة الأخلاقية والفلسفة، أندريه كرش ص ٣٢ تعريب عبد الحليم محمود وآخرين ، نقلا عن الحضارة الإسلامية

مقارنة بالحضارة الغربية ص ٣٣، ص ٣٦ ط الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ، دار الوفاء للطبع والنشر .

ويتضح من التعريف أن هناك قاعدة ينطلق منها أتباع هذا النهج البهيمي ألا وهي : أن الحياة تقوم على اللذة ،و يعقب الدكتور أحمد شلبي على هذا الاتجاه فيقول : " إن هذا الفكر رافد من روافد فلسفة اللذة والشهوة التي سبقته " (١) .

إن فلسفة الحضارة على هذا الفهم أسقطت المجتمعات الغربية في أتون التخلف والشطط فمجتمعاتهم منهاره متفككة ؛ بسبب إغفال جانب مهم وفاعل ورئيس ، هو الجانب القيمي والأخلاقي ، بل إن تلك المجتمعات سقطت في عالم القيم ، وغاية ما يمكن أن تسمى به هذه الحضارة بأنها حضارة اسمية (٢)

من الواضح بعد تلك التعريفات الاصطلاحية للحضارة وجود انقسام واضح في تفسير الحضارة ، فرض ذلك الانقسام الطبيعة الفكرية لكل اتجاه، والذي نخلص إليه بعد مناقشة التعريفات الاصطلاحية للحضارة :

١- إن نظرة الإسلام الحضارية هي المعبرة عن مقاصد التحضر والرفي بكافة مظاهره تمثلت تلك النظرة في تعريف سيد قطب ومحمد قطب ومالك بن نبي ومحمد مجمد حسين إذ تقوم على القيم الإنسانية العليا ، ، والتي تدفعه للتناغم مع الكون في مظاهره المختلفة ليعمر الأرض وفق قانون الاستخلاف .

٢- لا يمكن أن تكون المادة هي الباعث على النهوض الحضاري ، والدافع للحراك الإنساني في مجالات الحياة المختلفة ، ففقدان القوة الروحية الدافعة يفقد الحضارة المادية عنصر التواصل والحيوية .

إن المنتج المادي من مخرجات الإنسان في جانبه القيمي والأخلاقي، فهي من مظاهر الاستخلاف ومقوماته ، فعندما تسيطر القيم الإنسانية على المجتمع تكون الحضارة، فالحراك المدني يدور في إطار الثوابت أي (العقيدة) ، وبهذا يكون للحضارة بعدان ، بعد ديني وقيمي وأخلاقي ، وبعد مدني مادي، وكلاهما من مقومات الخلافة على الأرض كما قررها الإسلام ، فالحضارة هي الإسلام (٣) ويؤكد هذه الحقيقة القرآن الكريم ، حيث يقول تعالى موضعا ومؤصلا لتلك الحقيقة : (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ

(١) الحضارة الإسلامية : ٢ / ٢٠ ، دار النهضة المصرية .

(٢) معالم في الطريق : سيد قطب ، ص ٤ ، دار الشروق للتوزيع .

(٣) انظر: المصدر السابق ، ص ١١٠ .

فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ
بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (١).

ومن هنا فإن التفسير الإسلامي للحضارة هو التفسير الذي يعبر عن الشمولية والتكاملية في التعاطي مع القضايا الحياتية في كافة جوانبها، بل إن الحضارة إطار لكل ألوان النشاط البشري المستمد من القيم التي تذكى وتحفظه، وإن سقوط الحضارة المدنية الغربية اليوم لأكبر دليل على مدى قابلية الإسلام للتطبيق، والتكيف مع المشروع الحضاري المعاصر وفق الرؤية الإسلامية

ثالثاً : مصطلحات ذات صلة بالحضارة:

أ - المدنية والحضارة .

شاع استخدام كلمة المدنية على الحضارة عند كثير من المتقنين، باعتبارها مرادفة للحضارة، وقد أخذ هذا المعنى من التعريفات اللغوية، والتي يتبدى فيها الجانب المادي نحو الترقى في العمران، والتفنى و الارتقاء من البداوة إلى الحضرة، حيث التمدن والانصهار في عالم المدينة، وقد عرفها علماء الاجتماع بأنها : "الحالة الراقية التي توجد عليها الأمم تحت تأثير العلوم والفنون الجميلة، والطبائع المناسبة لهذه الحالة" (٢) كما ظهر في تعريف ابن خلدون الذي أضفى على الحضارة الطابع المادي كما سلف.

ويشير التعريف المتقدم إلى ارتباط الحضارة بالمكان حيث المدنية، وهذا الاتجاه في تفسير الحضارة قاصر، إذ هناك عوامل كثيرة تعمل في المشروع الحضاري والتموي.

ذلك بأن الحضارة تشمل المدنية، لاشتمالها على الثقافة، وعلى ما تقوم به الحياة المدنية في شقيها المادي والمعنوي، وكذلك فإن التقن المادي ما هو إلا تعبير عن المدنية في جانبها الثقافي، وبهذا يمكن الجمع بين المدنية والحضارة، بحيث تكون الحضارة مفهوم يدل على تلك الجوانب مجتمعة. ويعزز هذه الرؤية التوفيقية بين الحضارة والمدنية (الدكتور توفيق الواعي) حيث اعتبر أن الحضارة والمدنية أمران متلازمان

(١) سورة النور الآية ٥٥.

(٢) دائرة المعارف القرن العشرين ج ٤ ص ٥٥٢ محمد فريد وجدي، نقلا عن دراسات في الثقافة الإسلامية د. أمير عبد العزيز ص ٨٤ ط الثالثة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، مطبعة الخليل الإسلامية.

فيقول: "كلمة حضارة ومدنية مترادفتان ، فالحضارة مشتقة من أهل الحضرة والمدن الذين يسكنون المدن والحواضر، حيث يكون أفقه عقلا، وأكثر فهما، وأحسن استعدادا للراقي من غيره" (١)

ب: الثقافة والحضارة :

الثقافة في اللغة هي " التهذيب والصقل والحدق ، يقال : ثقف الشيء ثقافيا وثقوفة حذقة ورجل ثقف ، وثقف حاذق ، ويقال : ثقف الرمح أي (قومه وسواه) ، وثقفته بالثقف أي (أقمتم المعوج منه)" (٢).

وهذا الاتجاه لا يدل على البعد المكاني ، إنما يبرز جانبا معنويا متعلقا بالثقف والتشديد والتهذيب ، ولاشك أن هذا عامل فاعل في التكوين الحضاري للأمم ، فالثقافة تعني: " الإرث الاجتماعي ، ومحصلة النشاط المعنوي والمذهبي والروحي والفكري والفني والأدبي، وهي المحيط الذي يشكل طباع الفرد وشخصيته " (٣).

وهذا الاتجاه في تفسير الحضارة أغفل جانب المدنية كدليل للنهضة المعنوية، غير أنه يمكننا الجمع بينهما بدلالة الاقتضاء ؛ إذ يقتضي أحدهما وجود الآخر وفق منظومة متكاملة يرتبط بعضها ببعض ، إن دلالة كلمة الثقافة على الحضارة أمر فيه نظر ، فالثقافة محدودة ومنحصرة ، فهي تدور في مجال الأفكار والمعتقدات والتصورات ، وبهذا المعنى تكون الثقافة في إطار أضيق من الحضارة ، والذي يلزم منه إغفال العلوم التجريبية ، وأسباب التقدم المادي ، فالعلاقة بين الثقافة والحضارة علاقة تكاملية ، ويؤكد ذلك الدكتور أمير عبد العزيز بقوله : "الحضارة هي نتاج لما بلغته الأمة في مجالها الفكري والعقائدي والأخلاقي" (٤).

وعليه فإن الاصطلاحات التي دار حولها الجدل لا تتعدى المفهوم النظري والتطبيقي للحضارة ، وبذلك تكون الحضارة هي الإطار العام الذي يتسع لكل ما أنتجته تلك الأفهام من تصور للحضارة .

(١) الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، ص ٣٦.

(٢) لسان العرب، وتاج العروس مادة ثقف.

(٣) الموسوعة السياسية ١/٨٤٤ وانظر: نحو ثقافة إسلامية أصيلة ، ص ٢٦ .

(٤) دراسات في الثقافة الإسلامية ص ٨٥.

المطلب الثاني

الحضارة عند أنور الجندي

يرى المفكر أنور الجندي أن الحضارة تسير في خطين ، خط مادي صرف وهو ما يعبر عنه بالمادية، وخط عقائدي وفكري وثقافي، ولا يمكن لحضارة أن تستمر إلا بتفاعل هذين الخطين إيجاباً بطريقة متوازنة بين القيم الإنسانية، ومعطيات المادة، ومن هذا المزيج الحضاري تتبلور الحضارة وفق مقوماتها الأساسية، يقول الأستاذ أنور الجندي: "لما كانت الحضارة تقوم على حركة مادية مدنية عمرانية تتحرك في إطار عقدي، فإن هذا الإطار هو منطلقها إلى الاستمرار أو التمزق"^(١).

يريد أنور الجندي من ذلك أن يضع الحضارات المادية التي انفصلت عن عقدها العقدي في موقعها، حيث السقوط والانقطاع الحضاري، وهذه الحتمية تمس الإطار الثقافي الذي يعبر عن الشخصية والهوية لأصحابها، وتبقى مخلفات المدنية والعمران ميراث عالمي تتخطفه الحضارات الأخرى، يقول أنور الجندي في هذا السياق: "تسقط الحضارات في هيكلها المادي حيث تجاوز عقدها الأخلاقي، ولكنها تخلف معطياتها حتى تلتقطها الأمم من بعد"^(٢).

ومن هذا التأصيل الفكري للحضارة، يمكن محاكمة المنظومة الحضارية المعاصرة في محكمة الأستاذ أنور الجندي من خلال المعطيات التالية :-

١- الحضارة الغربية المعاصرة والمركب الحضاري :

تقوم الحضارة الغربية على الفصل بين المادة والقيم، لذلك فقد فقدت القيم الأساسية في التركيبة الحضارية، فهي تقوم على مخالفة الفطرة وخاصة في القرن الخامس عشر، فحتمية أفولها وانهارها لا يختلف فيه؛ لاستعلائها بالنظرة المادية على الدين وقيمه ومبادئه، وتفريغ المنهج الحضاري منه، يقول أنور الجندي: "لا يزال الفكر الغربي يرى استحالة الجمع بين العنصرين؛ لقيامه أساساً على الانشطارية، وعلى الفلسفة المادية وحدها، واستحالة الجمع بين الفردية والجماعية، وقد أظهرت كتابات علماء اللاهوت المحدثين أبحاثاً عن نقض فكرة الإله المجدد تحت عنوان (أسطورة الإله المجدد)"^(٣) تنبذ هذه النظرة من إسقاطها لمفهوم الروح والمعنويات والعقائد، وما لها من

(١) عالية الإسلام، أنور الجندي، ص ٩٧، دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة

(٢) المصدر السابق ص ٩٩.

(٣) حقائق مضيئة في وجه شبهات مضيئة، أنور الجندي ص ١٠٧، دار الصحوة للنشر، القاهرة

تأثير في بناء الشخصية ، وقوة في تحليل الأحداث والمواقف ، مما أغرق الحضارة الغربية في أزمة خانقة ، حيث الإباحية وحرية الجنس ، والترف ، وانهيار الهيكل الأسري ، وكراهية المرأة للولادة ، وهذا الانهيار أصاب الحضارات السابقة لها ، فسقوط الحضارة الرومانية والفارسية كان لنفس السبب ، ولاشك أن الحضارة الغربية تمر بحالة احتضار^(١).

٢- الحضارة الغربية والإنسان (التكامل بين القيم):

يرى أنور الجندي بأن الحضارة الغربية عجزت عن تلبية مطالب الروح للإنسان فهي لم تستطع أن تحقق أشواق النفس ، أو توازن بين المادة والروح ، أو تجمع بين العقل والقلب ، مما صرف المجتمع البشري عن أخص مفاهيم الاستخلاف في الأرض ، وجعلهم عاجزين عن فهم المسؤولية الفردية والانضباط الخلقي، فانحرفت في اتجاهها الإنساني وجنحت إلى الوثنية الإغريقية المتحللة من أبسط القيم الخلقية ، حيث الانطلاق الغريزي والجسدي^(٢).

ومن هنا نلاحظ أن أنور الجندي يثبت حقيقة في الحضارة الغربية ، وهي أنها حضارة تقوم على الفصل بين القيم ، حيث لم توازن بين الجانب الروحي ، والجانب المادي، والجانب العقلاني والوجداني، والجانب الفردي والاجتماعي ، لاسيما أن هذه الجوانب تحكم النفس البشرية، في حين نجد الحضارة المعاصرة أوغلت في جانب واحد فقط ، فانحرفت عن قاعدة التكامل، ف وقعت في أزمة حضارية لا يمكن أن يلتمس في محيطها الحل ، وقد عبر أنور الجندي في كتابه حقائق مضيئة عن ذلك بقوله : "وهذه الحضارة المعاصرة تدخل الآن مرحلة الانهيار؛ لأنها تخالف قاعدة التكامل ، فالإسلام دعوة إلى التقدم في إطار الربانية والأخلاق"^(٣).

٣- الحضارة الغربية المعاصرة ووحدة البشرية:

يبين أنور الجندي النظرة العنصرية التي تقوم عليها الحضارة المعاصرة ، حيث التفاضل بالثروة والعنصر والجنس ، " فهي تقسم العالم إلى شرق وغرب وشمال وجنوب وفقراء وأغنياء، وتستعلي بالجنس الأبيض على البشرية ، وترى أنه من حقها السيطرة على

(١) انظر : نحن وحضارة الغرب ، أنور الجندي ص ١١ - ١٢ دار الاعتصام .

(٢) انظر : مقدمات العلوم والناهج ، أنور الجندي ٤ / ٧٤٤ ، ٧٤٥ ، دار الأنصار شارع عبدين - القاهرة .

(٣) المصدر السابق ، ص ٥٢ .

مقدرات الأمم الملونة والفقيرة ، وحرمان الأمم النامية من حق امتلاك ثروتها أو إقامة حضارتها الخاصة بها " (١).

يتبين من تلك الثقافة الغربية التي تقوم الحضارة المعاصرة عليها أنها تقوم على الفوقية والإلغائية والامتصاصية للحضارات الأخرى، حيث تحاول أن تفرض وجودها من هذه الفوقية على كل الحضارات ، وتضرب بهيمنتها وفوقيتها لا تفوقها كل عوامل النهوض للحضارات الأخرى، وجعل الثقافة العربية والإسلامية في إطار ثقافة القوي المهيمن ، فتصهر الثقافات في قالب المنتصر .

ومن هنا فإن الأستاذ أنور الجندي يكشف عن حقيقة مهمة يجب أن يفتن إليها وهي أن الحضارة الغربية تقوم في أيديولوجيتها على الاستعمار والسلب الحضاري، فهي حضارة عدائية لا تقوم على القيم والمبادئ والإخاء الإنساني ؛ لذلك قرنوها بالاستعمار الذي يأخذ شكل التقدم والرقي ، وهو في حقيقته خداع وتخدير للشعوب بما أنتجته الحضارة المعاصرة ، ومن هنا يؤتى المسلمون في ثقافتهم ، ومن ثم تفنى شخصيتهم يقول أنور الجندي : "إن الحضارة الغربية ارتبطت ارتباطا وثيقا وعضويا بالاستعمار ، والتوسع ، والفتح ، والسيطرة على المناطق المختلفة في قارتي آسيا وأفريقيا ، ذلك أن هذه الحضارة نمت في قارة أوروبا وهي قارة لا تملك جميع وسائل الصناعة التي هي دعامة الحضارة ، ومن هنا كان اندفاعها للسيطرة على العالم التماسا للخامات التي هي أدوات الصناعة ، وللأسواق التي هي مصادرها" (٢).

(١) حقائق مضيئة ص ١٣٩ .

(٢) مقدمات العلوم والمناهج ج ٤ ص ٧٥٦

ومن هنا نجد أن الاستعمار^(٣) أضفى على الحضارة المعاصرة طابع الغدر وأبعدها عن الطابع الإنساني الذي عرفته الحضارة الإسلامية في انتشارها، فضلا عن أن الحضارة الغربية لم تنقل إلى العالم إلا الجوانب المترفة والبراقة، في حين منعت هذه الأمم والشعوب عوامل القوة والنهوض، وحالت بينها وبين الوصول إلى مقدرات العلم والاختراع والتكنولوجيا، وكذلك حظرت عليها إقامة أسباب الصناعة، أو القوة العسكرية في أرضها لتكون دائما ضعيفة، فنقرض وصايتها عليها وتكون في حمايتها، ومن ثم تكون أسواقها لتوزيع المنتج الصناعي الغربي، وتكون الأرض خامات، وتتحول الشعوب إلى شعوب استهلاكية، وبهذا ينفذ الغرب والجنس الأبيض - وحده - بأسرار الصناعات والاختراعات وأدوات الإنتاج والصناعات الثقيلة، وأسباب القوة العسكرية ضمن خطة استعمارية في غاية الدقة^(١).

من هنا كشف أنور الجندي عن المخططات الاستعمارية التي تسعى إليها الحضارة الغربية، من خلال عرضه للمناخ الذي نشأت فيه، والطبيعة الثقافية لها، والخلفية الأيديولوجية التي تنطلق منها، والتوسعية في الاقتصاد والثقافة على حساب الحضارات الأخرى تحت دعوى تمدين الشعوب الملونة والمختلفة، وحمل هالة من المصطلحات التنويرية التي تحمل في طياتها سما قاتلا؛ بهدف الاحتواء والسيطرة، وتذويب كيائها في

^(٣) استعمل الباحث كلمة (استعمار) نظرا لأن الأستاذ أنور وظفها كمفردة تعبر عن الغزو لبلاد المسلمين، في حيث لا يوافق الباحث على هذا الوصف، ويسوغ لذلك بأن الاستعمار لا يبنى عليه طلب العمارة والإصلاح والبناء الحضاري، ولما ساق القرآن هذا الوصف نبه على أن المراد هو الإصلاح لا الدمار، يقول تعالى: (الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ) (الشعراء: ١٥٢)، فهل يكون طلب العمار وصفا صحيحا على ما يصنعه الغرب في بلاد المسلمين، إن وصف الغزو لديار المسلمين أنه استعمار يجمل دلالة المدح لا الذم، ولا يوجد ما يؤيد ذلك (أي هذا الإطلاق) في قواميس اللغة، فالحال يؤكد تجريم الغرب لما يقومون به من فساد في عالم المسلمين، لذلك يرى الباحث أن التسمية الصحيحة التي تناسبهم هي: احتلال الغربي أو الغزو الغربي أو نحو ذلك ويؤكد ذلك القرآن الكريم: (وَأَلِيَّ تُمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ) (هود: ٦١)، وفي تفسير (واستعمركم فيها) قال الصابوني في تفسيره، أي جعلكم عمارها، وهذا الوصف منتف بالكلية عن الغرب في تدميرهم انظر = صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، ٢٢/٢، الطبعة التاسعة، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م، دار الصابوني للطباعة - القاهرة . إفسادهم.

^(١) انظر: مقدمات العلوم والمناهج ٧٦١/٤ .

كيانه، وبهذا يؤصل أنور الجندي المشروع الغربي المعاصر الذي يهدف إلى عولمة الثقافة والفكر، واحتواء الحضارات الأخرى، وإفناء مقوماتها.

إن ما يحدث في العراق اليوم لأكبر دليل على المشروع الغربي التوسعي، الذي يهدف لسلب الخيرات والقضاء على مقدرات عاصمة الخلافة، والتي ترمز إلى عمق التاريخ الحضاري للمسلمين، وفرض الوصاية عليها وعلى شعوب العالم، وفرض الثقافة الغربية والمنهج الغربي علي طابع الحياة في العراق، وجعل الأهمية بين الشعوب العربية حتى يسهل هضمها وصهرها واستعمارها وإضفاء الأنموذج الغربي عليها.

وقد أشار أنور الجندي إلى نقطة في غاية الأهمية، وهي أن الحضارة الغربية لا تربط بين الوسائل والغايات، فهي تقوم على نظرية الأمير ميكافيلية، التي تجرد القيم والأخلاق من منهجها، حيث تشرع كل الوسائل للوصول إلى الغاية، يقول أنور الجندي: "قد ارتبط الاستعمار بأيدولوجية الفكر الغربي القائم على نظرية الأمير، التي نادى بها ميكافيلي التي سيطرت على السياسة الغربية والحضارة الغربية"⁽¹⁾، فهي بذلك تقوم على صراع الحضارات وصدامها، لا على الالتقاء والحوار والتبادل والإخاء.

وبذلك يكون المفكر أنور الجندي قد استشرّف لنا حقيقة الحضارة المعاصرة، فقد كشف النقاب عنها وجلي أبعادها، ووضح النظرية الفكرية والثقافية التي ينطلقون منها؛ حتى يتبصر المسلم حقيقة عدوه وأين يتجه؟ والوسائل التي اختارها في إطار النظرية.

٤ - مفهوم الحضارة الإسلامية في فكر أنور الجندي:

بعد أن رصد أنور الجندي مقومات الحضارة بمفهومها العام والخاص، أبرز لنا سمات الحضارة الغربية المعاصرة، وما انطوت عليه من تخلف وتصدع، وانفصال عن القيم الأساسية للحضارة، يجدر بنا بعد هذا العرض أن نتعرف على التصور المثالي للحضارة ممثلاً في مفهوم الحضارة الإسلامية، ومدى علاقتها بالمركب الحضاري الذي تتكامل فيه أركان ومقومات.

أ - مقومات الحضارة الإسلامية:

إن الحضارة الإسلامية تستمد مقوماتها من القرآن الكريم الذي يمدّها بالقوة والتماسك وهي حضارة إنسانية جامعة، حضارة تقوم على التوازن بين مطالب الروح والبدن وفق ضوابط خلقية، فهي حضارة تتميز بشمولية الطرح في إطار التوحيد الخالص لله تعالى تهدف إلى الخير والسلام العالمي، تلك النظرة التي أراد أنور الجندي أن يظهرها فيقول في هذا

(1) انظر: مقدمات العلوم والناهج / ٤ / ٧٥٨

السياق: "إنها حضارة تربط بين عناصرها عقيدة التوحيد، التي تقوم على الموازنة بين الروح والمادة، والعلم والدين، والعقل والقلب، والدنيا والآخرة، يقوم نظامها السياسي على الشورى والمساواة، واحترام حقوق الإنسان"^(٢).

لقد تميزت الحضارة الإسلامية بين الحضارات المختلفة في أنها انطلقت مستهدفة استهدفت غايتها من زاوية خاصة، هي التوحيد الذي هو لب الإسلام وجوهره، فالتوحيد هو الذي يعطي للحضارة الإسلامية هويتها، وهو الذي يربط بين أجزائها، ويجعلها متجانسة مع كل ما حولها - قديما وحديثا -، هذا الذي جعل المفكرين يعرضون آراءهم تحت عنوان التوحيد؛ لَمَّا رأوا أنه القوة الكبرى التي تفجرت منها جميع المظاهر المكونة للحضارة الإسلامية؛ لذلك أطلق عليها أنور الجندي (حضارة التوحيد) بذاتيتها الخاصة وطابعها المتميز، يقول أنور الجندي: "ولا ريب أن حضارة الإسلام (حضارة التوحيد) تواجه اليوم من تحديات الإلحاد في مواجهة التوحيد، والإباحية في مواجهة الأخلاق، والعنصرية في مواجهة الأخوة الإنسانية، والتدين في مواجهة الانحلال"^(١) يريد أنور الجندي بذلك وضع إطار مطلق للحضارة تتحرك من خلاله، وترد إليه، وجعل المنطلقات الوضعية للحضارة في إطار النسبية، تتفاوت فيها الأحكام، وتختلف وتتباين، تبعا للمناخات الثقافية والفكرية المتطورة، وبذلك تنفصل الحضارات الأخرى عن دائرة الوحدة والتكامل والالتقاء، والتي هي الدعائم الأساسية للمنهج الحضاري، وقد أشار إلى ذلك بقوله: "قرر الإسلام ثلاث حقائق تقوم عليها وحدة الفكر الإسلامي هي: وحدة الألوهية، ووحدة الجنس البشري ووحدة الفكر الإنساني، فكل حضارة لا تركز على التوحيد والعدل والأخلاق هي حضارة زائفة"^(٢).

فعندما يكون التوحيد هو الإطار فهو الميزان الذي تتحدد من خلاله الوحدة بكافة جوانبها والحضارة المعاصرة اليوم تنفصل عن التوحيد في ماديتها وانحلالها في القيم واستعلائها بالجنس الأبيض، ونظرتها إلى الكون والإنسان والحياة مغايرة للمكون الحضاري. لذلك فهي حضارة وثنية زائفة، فقدت أدنى مقومات الحضارة، وبذلك يضع أنور الجندي الحضارات الوضعية غير المستمدة من الوحي في سلم الحضارات البائدة والتي تركت خلفها ميراثا ماديا للحضارات الأخرى، وانتهت في وجودها وشخصيتها وذاتيتها.

^(٢) انظر: المصدر السابق ٧٤٩/٤.

^(١) شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي، أنور الجندي ص ٣٧٩، ط المكتب الإسلامي بقطر.

^(٢) حقائق مضيئة في وجه شبهات مغارة ص ٣٥

ب- الحضارة الإسلامية والقيم:

يرتب أنور الجندي على التوحيد الخالص النهوض الحضاري، حيث إن الحضارة الإسلامية قامت على الربانية والإنسانية، فخالفت بذلك كل مفاهيم الفكر البشري الذي قامت عليه حضارة اليونان، والرومان، والفرس، والحضارة الغربية المعاصرة، التي استلهمت منهجها من الفلسفات المختلفة؛ فتباينت واضطربت، أما حضارة التوحيد فهي مستمدة من الخالق سبحانه لا شريك له -، وهذه الوجدانية تعني وحدة التصور، وحدة المنهج، وحدة الهدف، وحدة النوع، ووحدة القيم أو "وحدانية القيم"، وبالتالي تخرج الحضارة الإسلامية عن دائرة النسبية، ذلك لأن الله تعالى هو الوجود الأعظم، وما ينبعث منه واحد ليس للبشر فيه إرادة أو نظر، فالقيم الإنسانية ثابتة لا تقبل التطور المطلق، ولا تخضع للنسبية؛ لعدم ارتباطها بتصوير البشر للكون وفق دائرة ضعفهم واختلافهم، يقول أنور الجندي في هذا السياق: "أما كون الله واحدا، فمعناه عند العقل العربي أن القيم تحمل معيارا واحدا، لا يتأثر باختلاف الزمان والمكان، فالمعيار واحد بكل إنسان أنى كان، وحيثما كان، فليس لكل مجموعة من الناس معيارها الخلقى، ومعيارها الذي تعيش به" (1).

من هنا يؤمن أنور الجندي بموضوعية القيم، وتخليصها من قيود النسبية التي تختلف فيها المعايير باختلاف الظروف المكونة لها، وبالتالي تكون الحضارة الإسلامية قد تميزت عن الحضارة الوثنية بثوابتها وأصالتها التي لم ترتبط بمؤثرات البيئات والعصور وانسجامها مع الفطرة الإنسانية، ولم يكن حملة هذه الحضارة حملة لعلوم قديمة، وفلسفات وثنية لتظهر من جديد، بل كانت الحضارة الإسلامية فاصلا مهما بين عصر الجاهلية وعصر الحضارة ممثلا بالإسلام، تحمل معاني الإنسانية، والأخوة البشرية، والإسلام تمتد جذوره إلى يوم أن وجد الإنسان على هذه البسيطة، فكل ما سبق من التاريخ كان يهدف لغاية واحدة هي وجود الرسول نفسه، وبذلك يصبح ماضي الأمة أي -ما قبل التاريخ - أما التاريخ الصحيح فيبدأ بالمجتمع الإسلامي، وبذلك يثبت أنور الجندي للحضارة الإسلامية عمقها التاريخي والإنساني والحضاري، ورد بذلك على دعوى أن العرب والمسلمين لم يكونوا في وجودهم التاريخي الضخم الذي انفردوا به في العالم كله أكثر من ألف سنة -على الأقل - يقول أنور الجندي في كتابه (شبهات التغريب) مبينا أن حضارة الإسلام كانت قبل ظهور النهضة الأوروبية: "ومنذ جاء الإسلام، فإن حوض البحر المتوسط قد انشطر إلى حضارتين، فقد برزت حضارة لها طابعها وذاتيتها وتشكيلها الروحي والفكري والنفسي

(1) شبهات التغريب ص ٣٦٨ .

والاجتماعي، ولها نظريتها الخالصة ولها أسلوبها في المعرفة، ولها منهجها العلمي التجريبي الذي قدمته إلى البشرية كلها، وقامت عليه الحضارة الحديثة^(٢).

٥ - موقف العلماء من تحديات الحضارة الغربية المعاصرة:

تعددت الاتجاهات الفكرية عند علماء المسلمين في موقفها من الحضارة الغربية المعاصرة ، لاسيما وأنها تشكل خطرا على الإسلام في أساليبها ومناهجها ومخططاتها على أربعة مذاهب :

أولها: فريق ذهب إلى عدم الأخذ بشيء مما انبثق عنها من مؤسسات حضارية ، وثقافية وفكرية، وهذا الموقف سلبي ؛ ذلك لما فيه من تعطيل وإلغاء لدور العقل في التفكير في الكون ، واختيار ما هو نافع للمجتمع ، وهذا فيه سوء تفسير للنصوص الشرعية التي تحث على النظر والتفكير واقتباس المفيد ، وإجراء التنقيح والتطوير عليه.

وثانيها: فريق دعا إلى الاستسلام الكامل للحضارة الغربية ، وتقليدها والانصهار فيها ، - بخيرها وشرها - ، سواء فيما يتعلق بالعقائد الأساسية ومناهجها الفكرية ونظمها الاقتصادية والسياسية، أو ما يتعلق بالعلم أو الصناعة ، أو أسلوب حياتها، وقد وجد هذا الاتجاه أنصارا يدافعون عنه في كافة بقاع الإسلام ممن انخدعوا ببريق الحضارة الغربية^(١).

ويعتبر طه حسين من أبرز دعاة أي : (التغريب) حيث أكد ذلك من خلال كتابه الذي يعبر عنه " مستقبل الثقافة في مصر" يقول فيه : "إن سبيل النهضة هو السير على النهج الأوروبي في معاشهم وطرقهم ومناهجهم وأساليبهم ، حتى تتحقق المساواة والانصهار معهم في المشروع الحضاري في كافة جوانبه، خيرا كان أم شرا"^(٢).

ثالثها: فريق دعا إلى التوفيق بين الحضارتين ، بتقريب منهج الإسلام ومفاهيمه وقيمه من كل ما تقدمه الحضارة الغربية في المجال الفكري والثقافي، وتبني الثقافة الغربية، وهذا الاتجاه يدعو إلى تطوير الإسلام ، أو ما يعبر عنه في الوقت المعاصر " تجديد الخطاب الديني " تحت مسميات حضارية زائفة ، ومحاولة تأصيل هذه الرؤية من النصوص الشرعية ، أو من أقوال علماء الإسلام ومفكره، ومهاجمة التقليد والنظر في التشريع الإسلامي دون ضوابط أو قيود، مما أتاح لأصحاب الأهواء أن يعملوا على إغفال ، بل

^(٢) المصدر السابق ، ص ٣٧٦.

^(١) انظر: معالم الثقافة الإسلامية، د. عبد الكريم عثمان ، ص ١٠٤ ، ط مؤسسة الرسالة

^(٢) الاتجاهات الوطنية ج/٢ ص ٢٢٩

إلغاء جملة من المبادئ الشرعية ، حتى تطابق الحضارة الغربية، مما أدى إلى اختلاط الحق بالباطل^(٣) .

وقد خدع بهذه الرؤية الشيخ (محمد عبده) فكان من الداعين لها، فاتخذ منها تأصيلاً يبرز من خلاله مدى قابلية الدين للتطور وتعاطيه مع كل المنجزات المعاصرة ومما يؤكد ذلك موافقه تجاه بعض القضايا الشرعية، والتي تشكل محور خلاف وصادم مع الحضارة الغربية، ومن جملتها قضية الحجاب ، وموقفه من تعدد الزوجات حيث رأى ضرورة الحد من تعدد الزوجات ، والحد من حرية الطلاق ، والأخطر من ذلك أنه نادى بالوطنية والقومية ، ومشروعية الأخذ بالنظام السياسي الغربي ، والعناية بالتاريخ السابق على الإسلام ، ضارباً بذلك إجماع العلماء السابقين له والمعاصرين^(٤) .

رابعا : فريق يفرق بين الثقافة والمدنية ، حيث يرى مشروعية الاستفادة من المدنية الغربية ومنجزات العلم بما يحقق مصالح المجتمع الإسلامي مع الحفاظ على الهوية الإسلامية ومنابعها الأصيلة، وعدم تجاوزها، ورفض الثقافة الغربية ولاسيما ما يتعارض مع قواعد الإسلام ومبادئه وثقافته ، وهذا الاتجاه يجمع بين الثوابت والمتغيرات ، حيث يخرج بمنهج جديد ينبغي للغرب -أنفسهم - أن يحاكيه ؛ نظراً لما فيه من توازن وتكامل وموضوعية وفي نفس الوقت يبقي المسلم في إطار عقيدته التي ينطلق من خلالها راسخاً ثابتاً مترفعاً عن التقليد، ويمثل هذا الاتجاه المساحة الكبرى من علماء الإسلام ومفكره، ففي الهند ندوة العلماء تعلن عن أهدافها في كلمات محددة هي : " إحداث فكر جديد يجمع بين محاسن القديم والجديد، بين القديم الصالح والجديد النافع، بين التصلب في الأصول والغايات والتوسع والمرونة في الفروع والآلات" وأخذت به جماعة الإخوان المسلمين ، والتي تعد أشهر حركة إسلامية في العصر الحديث ، وجمعية العلماء الجزائريين، وجماعة دار الإسلام في إندونيسيا، والحركة النورية في تركيا، وغير ذلك كثير^(١) .

٦ - موقف أنور الجندي من تحديات الحضارة الغربية:

يمثل أنور الجندي الاتجاه الرابع في موقفه من الحضارة الغربية، فهو يفرق بين الثقافة والحضارة ، فهو ينظر إلى الحضارة من الزاوية المدنية ، فيعتبرها ذلك التقدم

^(٣) انظر معالم الثقافة ص ١٠٤ - ١٠٤ ، حاضر العالم الإسلامي والغزو الفكري، د. صالح الرقب ، ص ٦٤، ط ١٤١٨ -

١٩٩٨، فلسطين

^(٤) انظر : حاضر العالم الإسلامي ص ٦٤ وانظر : معالم الثقافة الإسلامية ص ١١٢

^(١) انظر : معالم الثقافة الإسلامية ص ١٠٥ - ١١٣ - ١١٥ .

المادي المتعلق بطرق المعيشة والأدوات والآلات ، وكل ما يتصل به من الناحية الاجتماعية المرتبطة بالحياة والمجتمع ، في حين يرى بأن الثقافة ترتبط بالفلسفات والفكر والأدب ، فهو بذلك يخطر من شأن التوارث الثقافي ، لما يلزم منه من إلغاء للآخر ويبرر لهذا بأن الثقافة ذاتية وقومية، والحضارة إنسانية عالمية، ملك للإنسانية ، ومشاع للبشرية، وعليه فالثقافة -في نظره- خاصة لأمة ما يمثل طابعها وهويتها وذاتيتها المستمدة من وجدانها وضميرها ومزاجها^(٢). كما ذكر أن الثقافة فكر ، والحضارة مادة والمادة متعلقة بالمعرفة والمعرفة غير الثقافة ، فالمعرفة ملك عام ، والثقافة متعلقة بالعقائد والقيم الأساسية للأمم^(٣) .

ومن هنا أثبت وإمكانية الترابط بين العلم والحضارة ، والتي هي ملك للبشرية، فهو بذلك يرى إمكانية الاستفادة والالتقاء مع الحضارات الأخرى ، والأخذ من نتائجها وتجاربها في حدود العلم والمدنية فقط ، مع الحفاظ على الذاتية الإسلامية ، وصهرها في إطار القيم الأساسية للحضارة الإسلامية يقول أنور الجندي في هذا الصدد : " فقد ورثت الحضارة الإسلامية مختلف منجزات الحضارات البشرية السابقة عليها في مصر وفارس والهند والصين واليونان ، وبذلك قامت لأول مرة حضارة ذات مضمون مدني متقدم في إطار عقائدي على أساس التكافل الاجتماعي والأخوة الإنسانية"^(١) هذا الاقتباس متعلق في المنتج العلمي والمدني ، فهو ملك عام لكل الأمم والشعوب ، تتناوله دون الاقتباس من ثقافتها وفكرها الخاص بها ، بل ليس بالضرورة أن يكون توارثا حضاريا مطلقا يجمع بين الثقافة والمدنية والمعرفة فالغرب مثلا عندما نقلوا من العرب والمسلمين علومهم وتجاربهم لم يتجاوزوا العلوم ونتائجها ، أما الثقافة فما نقل منها فقد صهر في بوتقة الفكر الغربي ، وبالتالي لم تنتقل ثقافة على أصولها ، فلاخطر في نقل العلوم والمعارف ، فهي عامة يمكن تطويعها وفق المشروع الحضاري لأي أمة، بالنظر إلى نتائجها الذي لا يختلف فيه ، ومبادئها الواحدة أما الثقافة فمفاهيمها تختلف بين ثقافة وثقافة ، فالمعطيات المادية هي التي يمكن توارثها بين الحضارات المختلفة.^(٢)

(٢) انظر : مقدمات العلوم والمناهج ٧٤٣/٤ .

(٣) انظر : شبهات في الفكر الإسلامي ، أنور الجندي ، ص ٨ ط دار الاعتصام .

(١) عالمية الإسلام ، ص ٩٧ .

(٢) انظر : مقدمات العلوم والمناهج ص ٤/٧٤٤ ، اعرضوا أنفسكم على موازين القرآن ، أنور الجندي ، ص ٢٥ ، دار الاعتصام .

وعليه فالحضارة لا تتفضل عن الثقافة من الناحية التكوينية ، فالحضارة تطبيق للتصميم الذي تمثله الثقافة ، فعندما تسقط الحضارة في شقها الثقافي والفكري تبقى المعطيات المادية إرثا عالميا، لذلك لا يمكن عولمة الثقافة ، بل يمكن عولمة العلم ونتاجه ، وبناء عليه يؤمن أنور الجندي بالانفتاح على الحضارات والأمم مع رفض القيم والمفاهيم التي تتعارض مع المنهج الإسلامي، وانتقاء ما يتناغم مع قواعد الإسلام يقول أنور الجندي في هذا : " منذ اليوم الأول لليقظة الإسلامية كان علينا أن نقف من حضارات الأمم موقف القدرة على الاختيار، والرفض بإرادة كاملة ، وفق قانون أساسي واضح " (٣)

فالانتقاء من مدنية الغرب أمر مشروع ، ولكنه خاضع للاختبار والانتقاء ، فلا تقبل الحضارة الغربية بحلها ومرها مطلقا ، بل ترد جزئياتها إلى قواعد وأصول الحضارة الإسلامية، عبر أنور الجندي عن ذلك بقوله : " يريدون منا أن نقبل كل شيء وأن ننصهر في هذا الوجود العلمي ، فإننا لا نقبل بوجهة نظر هذه الحضارة وأهلها في مسائل كثيرة ، وأن علينا ألا نتردد في قبول الأجهزة والوسائل والأساليب الغربية، لنقدم من خلالها فكرنا " (٢) .

ويفهم من كلام أنور الجندي ، أن التعامل مع الحضارة المعاصرة ينبع من الضرورة التي فرضتها الظروف العالمية ، التي جعلت الغرب وحضارتها قوة مهيمنة في بلاد المسلمين ، إلا أن الإسلام أعطى للمسلمين القدرة على حماية كل ما يتلاءم مع روح الإسلام ، ورفض كل ما يتعارض مع جوهرها ، والقدرة على الأخذ والانفتاح على الفكر الإنساني والتطور العلمي ، وهذا يتطلب من الأمة استيعاب المتغيرات العالمية من أجل صياغة مصير واعد للمجتمع الإسلامي ، هذا الإعداد ينبغي أن يسير وفق منظومة التغيير الفكري للأمة ، فتنطور الحياة الإسلامية وتضان من الانصهار ، وتحرر من الأزمات ، ولن تبلغ الأمة القدرة على الاختيار إلا إذا تمكنت من التغيير .

وقد أكد الدكتور عماد الدين خليل على هذه النقطة في كتابه (حول تشكيل العقل المسلم) بقوله : "إن حركة التغيير تعني أن الله يمنح الإرادة البشرية قدرتها على صياغة المصير ... وليس التغيير روحيا أو أخلاقيا أو سلوكيا فقط ، إنما هو في إعادة تشكيل العقل المسلم ، فيكون قادرا على استيعاب المتغيرات ،..... والإعداد يأتي بعد التغيير " (٣)

(٣) حقائق مضئفة في وجه شبهات مثارة ص ١٣٨ .

(٢) المصدر السابق ص ١٣٨

(٢) حول تشكيل العقل المسلم : د. عماد الدين خليل ، ص ٤٠ ط المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، سلسلة قضايا الفكر الإسلامي (٦)

١٤٠١هـ - ١٩٨١م

- موقف أنور الجندي من الانفتاح على ثقافة الغرب:

يرفض أنور الجندي الانفتاح على ثقافة الغرب ولاسيما فيما يتعلق بالنظام السياسي والاقتصادي الذي يقوم على الربا والاحتكار والتزام على المال الحرام ، والتنافس على ذلك عن طريق الوسائل المحرمة ، أو ما يتعلق بالأخلاق والقيم ؛ إذ لا يمكن الالتقاء مع حضارة فقدت مقومات الحضارة الأساسية ، فهي تنفصل في ثقافتها عن الثقافة الإسلامية في أمور كثيرة ، فالثقافة التي تقوم عليها الحضارة الغربية وثنية تترك البعد الرباني في تكوينها ، والمنهج الأخلاقي في حركتها ، فهي تقوم على الجنس الصارخ والإباحية المطلقة، والعنصرية والطبقية فكيف يمكن لها أن تكون رديفة لحضارة الإسلام؟! وأن يحدث الحوار الحضاري والتواصل الثقافي بين الحضارتين، بيد أن هذا الانفتاح يلزم منه محاذر كثيرة منها :

١- إن هذا الانصهار يجعل المسلمين تابعين غير قادرين على امتلاك إرادتهم ، وإبراز ذاتيتهم ، في مقابل القيمة الأساسية للحضارة الإسلامية ، وهي القوة والسيادة بالإرادة والحرية الإنسانية ، والمسئولية الفردية والالتزام الخلفي.

٢- الانقسام الواضح بين الحضارتين في الجذور ، فالحضارة الغربية تقوم على نظرية الأمير والسيادة المادية المطلقة ، على حساب الطرف الذي لم يمتلك إرادته ، فهي بذلك تزيد ضعفا واحتواء ، فيفقد بذلك هويته وذاته^(١) لذلك يرى الباحث بأنه لا يمكن أن يقوم حوار حضاري بين المسلمين والغرب لاسيما في الشق الثقافي ؛ ذلك لاختصاص كل ثقافة بالمكونات والمواريث والعقائد والفلسفات والعادات و الأعراف التي مايزت بين البصمات الثقافية في أمم هذه الحضارات، وقد سوغ الأستاذ أنور الجندي لهذا الانفصال في سياق عرضه للمناخ الفكري والثقافي الذي يشغل العقل الغربي المعاصر ، وانسلاخه عن مضامين وثوابت الحركة الحضارية التي تقوم على دعائم العدل والإخاء الإنساني ، حيث تقوم على صدام الحضارات وصراعها ، بينما تمثل المدنية غالبا المشترك الإنساني العام بين الحضارات ، والذي يمكن أن يفاد منه في حدود الثوابت الإسلامية ، وصهرها في إطار الفكر الإسلامي ، فهو المعيار الذي يتحدد من خلاله القبول أو الرفض ؛ لتتحقق الأصالة الفكرية ، وتحفظ الذاتية الإسلامية من التغريب الثقافي ولاسيما في ظل خطة (عالمية الثقافة) التي طالما حذر من خطورتها المفكر أنور الجندي .

(١) انظر: حقائق مضنية في وجه شبهات مثارة ص ١٤٠- التربية وبناء الأجيال في ضوء الإسلام ، أنور الجندي ، ص ٢٣٠ ط ١٩٧٥ م ، دار الكتاب اللبناني - بيروت ، المسلمون في فجر القرن الوليد ، أنور الجندي ، ص ٩ ، دار الاعتصام .

المبحث الثاني

التغريب

المطلب الأول : تعريفه – أهدافه

المطلب الثاني : الرد على دعاة التغريب

المطلب الأول

التغريب (تعريفه وأهدافه)

تعتبر حركة التغريب في العالم الإسلامي أخطر ما يواجه الفكر الإسلامي والثقافة الإسلامية في واقعنا المعاصر، في محاولة لاحتواء معالم الشخصية الإسلامية، بإفناء مقوماتها، وفرض الأنماط الغربية علي طابع الحياة الإسلامية ؛ ليسهل هضمها والتحكم في مصيرها وفق خطط ومناهج خطط لها أصحابها من قبل لمحاصرة الإسلام .

أولاً :تعريف التغريب :

١ - تعريفه لغة :

إن مصطلح التغريب وافد على اللسان العربي ، من هنا كان التأصيل لهذا المفهوم في دلالاته عسير ، إلا أن الباحث يستطيع أن يجد علاقة دلالية من المفهوم بمقارنته بمفهومه الثقافي المعاصر ، فقد ورد في القاموس المحيط من مادة غرب " الإغراب إتيان الغريب والإتيان بالغريب ، والملء ، وكثرة المال ، وحسن الحال ، والإمعان في البلاد كالتغريب " (١) وجاء في مختار القاموس في المعنى نفسه من مادة غرب ما يصح نسبته إلى المفهوم وفيه و" الغرب : البعد والغرب والاعتراب ، والتغرب : النزوح عن الوطن ، والإغراب الإتيان بالغريب " (٢) .

٢ - تعريفه اصطلاحاً :

لاشك بأن التغريب قد ارتبط بالاستعمار ؛ ذلك لأنه نشأ في محيط الغزو العسكري لبلاد المسلمين ، وقد تحدث الدكتور محمد حسين عن هذه العلاقة في إطار تعريفه بحركة التغريب فقال : " التغريب هو فرض الدول الغربية الغازية لغاتها وثقافتها في البلاد التي احتلها ، وتقديم أنموذج لأنماط فكرية واجتماعية وافدة ؛ ليعيش في قلب المشاهدة والتقليد " (٣) .

(١) القاموس المحيط ، الإمام مجد الدين الشيرازي الشافعي ، منادة الغرب ١/١٤٧ ، ط دار الكتب العلمية لبنان .

(٢) مختار القاموس ، الطاهر أحمد الزاوي ، من مادة غرب ص ٣٥١ ، ط ١ ، دار العربية للكتاب .

(٣) الإسلام والحضارة الغربية ، ص ٤١ .

أو بعبارة أخرى "هو تيار كبير ذو أبعاد سياسية واجتماعية وثقافية وفنية ، يرمي إلى صبغ حياة الأمم بعامه ، والمسلمين بخاصة بالأسلوب الغربي ؛ وذلك بهدف شخصيتهم المستقلة وخصائصهم المنفردة ، وجعلهم أسرى التبعية الكاملة للحضارة الغربية"^(١).
وقد سلك التغريبيون في -سبيل ذلك- كل الوسائل ؛ لتجميل وتحسين هذه الحركة تحت مسميات تنويرية واصطلاحية ، فتارة أطلقوا عليها الحضارة وتارة أطلقوا عليها مشروع التغيير الاجتماعي (الحداثة والتطور والتقدم) ؛ لخداع المجتمعات الإسلامية وتضليلهم بحقيقة هذه الحملة، وحملهم على تبني هذه الأفكار والدفاع عنها^(١).

وبناء على التعريفات السابقة للتغريب يظهر وجود علاقة بين ما دل عليه التعريف اللغوي ، والمعنى الاصطلاحي ، فقد أفادت القواميس اللغوية بأن كلمة التغريب في أصولها من الإتيان بالغريب ، وما يتضمنه التعريف الاصطلاحي يؤكد حقيقة هذه الدلالة فقد جاء الغرب بما هو جديد على ثقافة وعقلية الأمة الإسلامية ، وعليه فإن الباحث يستطيع أن يخرج بتعريف عام يجمل ما تضمنته التعريفات التالية ، ويمكن القول : بأن التغريب هو محاولة لإفراز عقلية جديدة ، تستمد تصوراتها من الفكر الغربي ومقاييسه ؛ بغية محاكمة التراث الإسلامي من خلالها ؛ لتمكين سيادة الحضارة الغربية على حضارات الأمم ، ولإسيما الحضارة الإسلامية ، واستلاب العمق الحضاري والتاريخي للشخصية الإسلامية .

ثانيا : أهداف التغريب :

دأبت مختلف القوى المعارضة والكارهة والمعادية للإسلام على وضع مؤامرة جديدة تضع الإسلام وأهله في مواجهة الغرب ، في محاولة لتمزيق جبهة الإسلام العريضة والموحدة ، واختراق حصونها واقتحام معقلها من جميع الجوانب .
وقد مضت حركة التغريب في العالم الإسلامي منطلقاً من الأهداف التي خطط لها أصحابها ؛ لاحتواء الإسلام وأهله ، وصهره في إطار الفكر الغربي الاستعماري.
تتبع الباحث خيوط هذه المؤامرة ، فأدرك التغيرات التي أحدثتها التغريب في خارطة العالم الإسلامي (العقائدية والثقافية والاجتماعية) ، وتأثيرات هذا التغيير على ملامح الشخصية العربية والإسلامية، ويمكننا تلخيص هذه الأهداف في النقاط التالية :

^(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي - الرياض - ص ١٤٥ ، من إصدارات مسجد نور شمس طولكرم ن

١٩٧٢م.

^(١) انظر : حاضر العالم الإسلامي ، ص ٦٠ .

١ - كان الهدف الأخطر هو القضاء على الوحدة الإسلامية المتمثلة في الخلافة العثمانية ، التي تمثل الرمز وحدوي للحضارة الإسلامية ، تلك الدولة التي تمكنت من اقتحام القسطنطينية ، واقامة التوحد الإسلامي الجامع للعرب والترك فيما يزيد على خمسة قرون ، الأمر الذي أدى إلى قيام الخلافة الإسلامية ، التي استطاعت أن تتغلغل في قلب أوروبا باسم الإسلام ، وتصل إلى أسوار فيينا مرتين، الأمر الذي حرك ملوك أوروبا واليهود والماسونية للقضاء على الخلافة الإسلامية ، حيث صدر عن مؤتمر (كابل بنرمان) سنة ١٩٠٧م قرار يقضي بإقامة جسر في قلب الوطن الإسلامي تمثله الصهيونية العالمية في احتلالها لفلسطين ، والحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨م في إطار تحقيق النفوذ الأجنبي والسيطرة على مقدرات الأمة ، والقضاء على الشريعة الإسلامية وتفريغها من مقوماتها ، وتطبيق القانون الوضعي ومتعلقاته نحو تعزيز مشروع الربا ، والدعوة إلى العلمانية ، فكانت هذه المقررات مقدمة لعزل السلطان عبد الحميد سنة ١٩٠٨م ، وإسقاط الخلافة ، وإقامة جسم غريب في قلب العالم الإسلامي ، عدا التجني التاريخي على الدولة العثمانية ، وتحميلها تبعة أخطاء لم يرتكبوها ؛ لتنتشئة أجيال تكره الوحدة الإسلامية وتحاربها ، من خلال التاريخ المزيف الذي كتبه عدد من المبشرين في ثياب المستشرقين ، في إطار الحملة على التراث الإسلامي ، مبطناً ذلك بالصورة الحاكمة على الدولة العثمانية والخلافة ، فكان إسقاط الخلافة يهدف إلى تمزيق المجتمع الإسلامي إلى دويلات صغيرة ؛ ليسهل هضمها واستعمارها والدعوة إلى الإقليمية وفكرة القومية العربية الوافدة للقضاء على الوحدة الإسلامية ، وضرب الشريعة الإسلامية بعزلها عن الحياة وعن السياسة ^(١) .

٢ - التشكيك في العقيدة الإسلامية من خلال ابتعاث الفكر الوثني القديم الذي عرف قبل ظهور الإسلام في المناطق الشرقية والغربية من العالم : وهو فكر يجمع بين الوثنية والإلحاد والتعدد والإشراق والمادية ، ذلك الفكر الذي عرفه العرب والمسلمون ، عندما ترجمت الفلسفات اليونانية والفارسية والهندية ، الذي ظهرت آثاره واضحة في الفلسفة وعلم الكلام المتمثل في إحياء الفكر الاعتزالي العقلي والتصوف والدعوات الهدامة من الباطنية المنبعثة عن المجوسية ، ومحاولة إعادة تاريخ القرامطة والزنج والحركات الضالة ، وتصويرها على أنها ثورات تحريرية عادلة بهدف إثارة الصراع بين ما تطرحه هذه الأفكار من الشبهات حول الإسلام ، وما تعبر عنه الأصالة الإسلامية من شمولية وتكاملية وتجدد ، ولتمزيق جبهة الوحدة الفكرية الجامعة والقضاء على التوحيد من خلال انقسام

(١) انظر: أصالة الفكر الإسلامي في مواجهة التغريب ، ص ١٨ ، ٢٤ .

الآراء حوله، وبذلك يدخل المسلمون في صراع الفرق؛ فينفصلون عن الدور الأساسي لهذا التوحيد ، فضلا عن التخلف والتراجع الذي سيلحق بالأمة^(٢).

٣- تعزيز التفاهم والتلاقي بين الشعوب والاستعمار، وذلك عن طريق إزالة الحواجز الدينية، واللغوية، والثقافية بما فيها العادات والتقاليد، التي تحول بين الاستعمار ومصالحه الاقتصادية، فالشعور بالغربة من قبل الاحتلال ، والغربة من قبل الشعوب ، وشعورهم بالنفور من المحتل ، والشعور بالمسئولية الدينية تجاه هذا النفوذ الاستعماري، باعتبار الدين القوة التي تربط وتجمع المجتمع، وثقافة الصراع بين الكفر والإسلام التي تمتد جذورها إلى القرون الأولى من تاريخ الإسلام ، لذلك لا يمكن للغرب أن يتغلغل في عمق الوجود الإسلامي إلا بتقريب الهوية التي تفصل بينه وبين المسلمين، نتيجة الانقسام في القيم والدين في سبيل تحقيق الأهداف الممزوجة بين القضاء على روح الصراع، وحماية مصالحهم الاقتصادية ، فكانت الدعوة إلى تطوير الإسلام ، وتطويره ؛ لينسجم مع الحضارة الغربية ، ولتعزيز التفاهم ومن ثم ترسيخ الاستعمار وتبرير الأنماط الغربية لذلك فالاستعمار يحرس مصالحه معتمدا على الصداقة التي هي الوسيلة الأساسية في فكر الغرب المستعمر^(١).

٤- دعم الآراء المنحرفة والمذاهب الهدامة التي تخدم أهداف الاستعمار ، وذلك بحمل الإسلام على تأويل المؤلّين ، وطريقة ذلك أن يقال إن هذا التأويل يوافق قول فلان ومن يخالفه يعاب بضيق الأفق ، وقد وظف الاستعمار الإعلام لخدمة هذا الهدف بقيادة الصهيونية العالمية، حيث يلقى الضوء على نوعية خاصة من العلماء والمفكرين وتلميعهم وتكرار مقولاتهم ، والاهتمام بأخبارهم، وعرض صورهم كما تعرض صور نجوم التمثيل والغناء، ونعتهم بالقداسة والتألق والتحضر، وإهمال النخبة من عمالقة العلم والفكر ، وتسفيه مقولاتهم وآرائهم، وبهذا تغييب صورة الإسلام الحقيقية، وتشويه معالمه الأصيلة^(٢).

٥- الدعوة إلى إقليمية الثقافة ، بحيث تنفصل الأمة عن مفهوم الوحدة العربية التي هي الوسيلة لتحقيق الوحدة الإسلامية ، وبث الفكر القومي والاشتراكي لتحقيق هذه التجزئة ، سعيا إلى تمزيق الكتل الكبيرة وتحويلها إلى علاقات تقوم على الرابط الجغرافي الذي

(٢) انظر: المؤامرة على الإسلام ، ص ٥-١٢ .

(١) انظر: الإسلام والحضارة الغربية ، ص ٤١ ، ٤٤ ، ٤٢ .

(٢) انظر: المصدر السابق ، ص ٤٨ .

يجمع أناسا تجمعهم أصول عرقية ،وبهذا يتمكن الاستعمار من بسط نفوذه على الأمة وتحقيق مصالحه (٣) .

٦- الدعوة إلى إقليمية الأدب ،لطمس الوصف الإسلامي عن هذا الأدب ، طاوين بذلك الأدب الإسلامي الذي سبق الحملة الفرنسية ، وإخضاع الأدب العربي وشخصياته من أمثال المتنبي ، وابن الرومي للمدارس النقدية الغربية لمحاكمته ، وبذلك ينقطع الاتصال الحضاري بين الماضي والحاضر ، وتكون أدبيات الغرب هي المادة الثقافية والأدبية للعرب والمسلمين ، وبذلك يحارب القديم باسم الرجعية والسلفية ، لتخرج الحداثة الغربية كبديل حضاري يستمد قوامه من مقاييس الفكر الغربي ، ومنطلقاته ؛ ليكون فكر المسلمين من خلاله وعلى ضوءه (١) .

٧- الدعوة إلى العالمية الإنسانية (وحدة الثقافة الإنسانية) وهي إحدى مخططات الصهيونية العالمية ؛ لجمع البشرية على مذهب واحد ودين واحد ، أو ما يسمى (وحدة الأديان) ، جمعا تزول فيه كل الاختلافات العقائدية والفكرية ، ويتحقق السلام العالمي من خلاله ، والغرض من ذلك (وحدة الأديان أو التقارب الديني) هو إبعاد الإسلام وإقصائه عن الحياة ، وإذابة معتقداته ؛ ليعيش أصحاب العقائد المختلفة في محبة تزول معها كل أشكال الصراع، ويختفي الولاء الديني ، ليصبح الولاء للوطن الذي هو للجميع ،فالدين لله والوطن للجميع ، وإخراج هذه النظرية في أروع الصور؛ لخداع الشعوب وتضليلها وإخفاء الهدف الحقيقي وراء ذلك ألا وهو تدمير ثقافات الأمم ، وتحطيم مقوماتها واحتواؤها في دائرة الأقوياء من أصحاب النفوذ العالمي، وفرض النظريات الغربية الهدامة نحو الوجودية، والفرويدية والماركسية ،التي عملت سابقا على تقويض الحضارة الغربية (٢) .

٨- إقامة السودود بين الشعوب الإسلامية واللغة العربية الفصحى ،من خلال نشر اللهجات العامية الإقليمية ،واتخذ التغريب لذلك أساليب شتى منها : جعل اللهجات العامية هي اللغة الرئيسية في البلاد ، وبها تدون العلوم والآداب والعقود وكل المعاملات ، وإنزال العربية المكتوبة عن طابعها الذي ينسجم مع بلاغة القرآن ؛ بهدف فصل اللغة في مستواها

(٣) انظر: أصالة الفكر الإسلامي في مواجهة التغريب ،ص ١١-١٢ .

(١) انظر: أصالة الفكر الإسلامي في مواجهة التغريب ص ١٤ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ١٥٠ .

(٢) انظر: شبهات في الفكر الإسلامي ،ص ٤٥ ، التقارب الديني خطره وأسبابه ودعائه تأليف الشيخ الأمين الحاج محمد احمد ص ٢٠ حقوق الطبع محفوظة لشركة المفكرة ١٤٢٤هـ - ١٤٢٥هـ .

البلاغي عن القرآن، وبذلك تنهدم ركيزة من ركائز الإسلام وهي إضعاف فهم القرآن واستيعابه ، والإحاطة بمقاصده الدلالية والاقتضائية والإشارية ، وينتهي بهم الأمر إلى عزلة ثقافية وتواصلية ، المعبر عنه بالعزل الصناعي ، المتولد عن لغات متباينة لشعب واحد، كل ذلك في سبيل إفناء كل مقومات التوحد الإسلامي المستمد قوته من الوحي واللغة التي جاء بها (٣) .

٩- الدعوة إلى الإقليمية والشعبوية ، في محاولة لتغييب الجذور العربية من ذاكرة الأجيال وتعزيز الانفصال التاريخي بدعوى إقليمية التاريخ ، وهو من قبيل بعث الحضارات القديمة ، وقد برزت اهتمامات الغرب الاستعماري والصهيونية العالمية في هذا الاتجاه ، فقد عرض (رولفكر) وهو صهيوني متعصب تيرعه بعشرة ملايين دولار في سبيل إقامة متحف للآثار الفرعونية في مصر، فما الفائدة القريبة التي يجنيها ذلك اليهودي والغرب الاستعماري برمته من هذا الاهتمام؟! بالإضافة إلى تشويه التاريخ الإسلامي من خلال دراسة الشخصيات الشاذة في التاريخ الإسلامي، كالحلاج وابن الراوندي ، وأبي نواس فقد اهتم المستشرقون بإبراز هذه النماذج؛ لتشويه صورة التاريخ الإسلامي ، وإخفاء الجانب المشرق في حضارتنا وتاريخنا الإسلامي الزاخر بالعطاء والتقدم (١) .

١٠- السيطرة على كل شيء يهدر التاريخ الحقيقي لتقدم البشرية وإسهام الأمة المسلمة فيه ، من خلال قتل التفاعل الخلاق بين الحضارات المتنوعة ، في وقت تصطدم الحضارة الغربية مع آمال وتطلعات الشعوب التي ظنت أن الغرب جاء لينقذها من أزماتها (٢) .

١١- مهاجمة الدين بصفة عامة ، بإثارة شبهة الصراع بين العلم والدين ؛ بهدف فصل الدين عن الحياة ، وما خرجت تلك الفكرة إلا في مناخهم الأوروبي عندما استبدت الكنيسة وحظرت عليهم النظر العقلي والعلمي على أتباعها ، ففصل الغرب بين العلم والدين وقامت حضارتهم على ذلك (٣) .

(٣) انظر: أجنحة المكر الثلاثة ، التبشير ، الاستشراق ، الاستعمار ، عبد الرحمن حسن حنيفة الميداني ص ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ط ١

١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م ، دار القلم بيروت وانظر : شبهات في الفكر الإسلامي ص ٤٧ .

(١) انظر : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ١٥٢

(٢) انظر: " دراسات في التنمية والتكامل الاقتصادي العربي " سلسلة كتب المستقبل العربي ، بيروت حزيران ١٩٨٢م ط ١

مقالة للدكتور/ إسماعيل صبري ص ٦٩ - ٧٠

(٣) انظر: " الحركات الإسلامية قراءة أولية " د. محمد أركون ترجمة هاشم صالح في مجلة الوحدة، العدد ٩٦، ص ١٢

١٢- إحياء همة المسلمين من خلال الشبهات التي يثيرها الغرب حول الإسلام ، نحو ادعاء أن الإسلام كان مصدر ضعف المسلمين ، ووصم الشريعة الإسلامية بالحدودية والقصور، ذلك أنها انحصرت على جزيرة العرب ، واستمدت مادتها من القانون الروماني ، وقد دحض علماء المسلمين هذه الفرية وهذا التجني التاريخي ، حيث أثبتوا بأن القانون الروماني وجد في القرن الحادي عشر والثاني عشر الميلادي ، في حين سبقته القوانين الإسلامية بقرون ، بل القانون الروماني قام باستلاب جملة من القوانين الشرعية ، إضافة إلى اعتراف مؤتمر القانون الدولي المقارن بـ (لاهاي) الذي انعقد في عام ألف وتسعمئة واثنين وثلاثين للميلاد - باستقلال الشريعة الإسلامية عن التشريع الروماني^(٤) .

ويتضح من أهداف التغريب أنها تقوم على تقويض الإسلام من خلال هدم أركانه ، ذلك باعتباره قاعدة التوحد والالتقاء ، وما نلمسه اليوم من تراجع عربي وإسلامي على كافة الأصعدة إنما هو نتيجة التغلغل الغربي في عمق العالم الإسلامي ، وقدرته على إدارة حركة الصراع الداخلي بين المسلمين ، وتمكنه من تجرئة الأمة إلى تيارات متباينة ، ففي غياب الوحدة الإسلامية كان الضعف والتفرق والذل ، لذلك كان على المسلمين أن يستعيدوا وجودهم ، ويلتمسوا مقومات توحدهم ، بالرجوع إلى إسلامهم ، ومحاربة كل المبادئ والقيم والشبهات التي تطرأ على ثقافتهم .

(٤) انظر: الثقافة العربية ، أنور الجندي ، ص ٢٩٩ ، ط ١٩٨٢ م ، دار الكتاب اللبناني

المطلب الثاني

الرد على دعاة التغريب

كانت مؤامرة التغريب للعالم الإسلامي ضمن مخططات وآليات الاستعمار الغربي ولا يمكننا أن نقف على طبيعة التحدي الذي يواجهه المجتمع الإسلامي من قبل التغريب إلا بإدراك المرحلة الأساسية من الغزو الثقافي والتغريبي، والدور الذي لعبه جيل الرواد إبان الحرب العالمية الأولى ، ممن احتضنتهم المعاهد الغربية في أوروبا ، تلك المعاهد المتخصصة في تأهيل هذه النخبة من الشباب لقيادة المشروع التغريبي ، في محاولة لاحتواء الشباب المسلم المثقف ، وصرفهم عن دينهم وقيمهم ، ودمجهم في أجنحة الطرح الغربي مما يطلقون عليه الفكر العالمي ، أو الفكر الحر ، أو الحضارة العالمية .

لقد كان طه حسين في طليعة هذا النخبة التي التقطتها هذه القوى في تلك المرحلة في الوقت الذي كانت فرنسا تنفذ بفكرها وثقافتها في إطار حملتها على مصر إبان حكم محمد علي عبر المستشرقين الذين كان دأبهم إغراء جيل النخبة من الفقراء لمواصلة تعليمهم ، من خلال الإرساليات والابتعاث ، مما يفتح الباب للتغريب ؛ لكي يحقق أغراضه وأهدافه التي جاء من أجلها .

يرى الأستاذ أنور الجندي بأن طه حسين كان من أبرز الطلاب الذين احتضنتهم البعثات الغربية في تلك المرحلة الخطيرة، حيث عاد بعد رحلته في أوروبا عام ألف وتسعمئة وتسعة عشر ميلادي، وهو يحمل ثقافة الغرب ومفاهيمه ومقاييسه، فانطلق منها متجها إلى مرتكزات البناء الثقافي والفكري للمجتمع المصري، ممثلة في ثلوث البناء (الصحافة - التعليم - الثقافة) ليسيّط على الأدب العربي والفكر والثقافة ، من خلال السموم والشبهات التي أثارها أمام التاريخ والأدب والحضارة الإسلامية ، يقول المفكر أنور الجندي في هذا السياق : " لا نستطيع أن ندرس واقعنا المعاصر اليوم في مجال الفكر ، والسياسة والاجتماع ، والتربية ، دون أن نتعرف إلى أبعاد الدور الذي قام به - طه حسين - من خلال كتاباته وآثاره ومؤلفاته" (1) .

وعليه يعتبر طه حسن في نظر أنور الجندي قائد لواء التغريب في العالم العربي والإسلامي ، وعلما من أعلامها ، وفي طليعة دعائها ، على يديه تتلمذ الكثير من الشباب العربي المثقف ، فأخذوا بأفكاره وتطلعاته ، ونادوا بها ، فكانوا مطية يسهل ركوبها -من

(1) انظر : محاكمة فكر طه حسين ، أنور الجندي ، ص 7-8 ، ط دار الاعتصام القاهرة .

أمثال سلامة موسى الذي نادى بحرية الفكر، وهي أبرز ما أفرزته سموم التغريب في الثقافة العربية والإسلامية .

من هنا اتجه المفكر أنور الجندي ؛ لصد الفكر التغريبي والاستشراقي الذي حمل لواءه طه حسين ، فأقبل على كتبه محللا وراصدا للشبهات المطروحة في أفق الفكر الإسلامي ومستقرا المنهج العلمي الذي سار عليه في مؤلفاته ، فوضعه في قفص الاتهام هو وأمثاله من الرواد، بعد أن كشف عن السموم التي طفحت بها كتبه في حق التاريخ والأدب والثقافة فكشف عن الوجه الآخر له .

لقد عمد طه حسين على إفساد مفاهيم الأصالة ، من خلال نظرية (الشك الفلسفي الديكارتي) ؛ للقضاء على العقائد والقيم الأخلاقية التي أرساها الفكر الإسلامي، وقد حصر المفكر أنور الجندي المجالات التي انطلق منها في إطار تلك النظرية لهدم الإسلام وتقويضه في ثلاثة مجالات هي: الأدب العربي ، واللغة، وتاريخ الإسلام، والسيرورة الفكر الإسلامي^(١) .
أولا : طه حسين .

أ - في مجال الأدب العربي واللغة:

كشف المفكر أنور الجندي عن الأعمال التي قام بها في هذا المجال متمثلة في :

١-تقديم فكرة فصل الأدب العربي عن الفكر الإسلامي باسم حرية الأدب ، حيث اعتبر ذلك مقدمة لتحرير الأدب من قيود الفضيلة والتأثير الديني، مسقطا مقاييس الشك الفلسفي عليه لينقل الأدب إلى ساحة الإباحيات.

٢-إحياء وابتعاث الشعر الماجن والتغزل بالغلمان ، ذلك أن طه حسين اهتم بكل الأشعار الخارجة عن حدود الخلق، سواء ما يتعلق بالجنس أو الهجاء ، يقول أنور الجندي في ذلك : " وقد أولى - طه حسين - اهتمامه بأبي نواس ، وبشار، والضحاك في دراسات واسعة عرض فيها آراءهم وحل حياتهم " ^(٢) ويظهر هنا تجاهل طه حسين للنخبة من العلماء والحكماء الذين كان لهم ظهور واضح في تاريخ الأدب ، من هنا يظهر أنور الجندي الهدف من تعيين هذا الاتجاه في الأدب والشعر لديه ، حيث يعبر عن خبث طويته ، بتجريد الأدب عن الأدب وهذه هي الإباحية التي يتطلع إليها الغرب ، فكان طه حسين أداة لتعميق هذا التجريد .

٣-كشف أنور الجندي عن رغبة طه حسين من ترجمة القصص الجنسية الغربية، حيث يرى أن ذلك يندرج ضمن نظرية الإسقاط والاحتواء للأدب الإسلامي ، عدا أن فيه إعلاء من شأن

(١) انظر: محاكمة فكر طه حسين ص ١٠ .

(٢) انظر : إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام، أنور الجندي ص ١٩٤ ، ط دار الاعصام القاهرة .

الأدب اليوناني القديم، والأدب الفرنسي الحديث الذي يقوم على الحرية المطلقة ، التي تنظر إلى الأدب على أنه قناة للتعبير الحر ، ليزول بهذا العقد الأساسي للأدب العربي والإسلامي ويخرج عن قيمه الأساسية ، وينفصل عن جذوره ، فيكون طه حسين بهذا قائد لواء المجون والإباحية التي نرى آثارها اليوم في عالم الفن تحت دعوى الفن للفن ، أو بعبارة أخرى الصدق الفني ، ولا يخفى ما وراء ذلك من أهواء ونزوات تخرج الفن والأدب عن مقاصده الموضوعية ، وقد سلك طه حسين في سبيل ذلك أن دعا إلى تحريض المرأة على الرجل والخروج عن طاعته وولايته ، وإعطاء الفتاة الحرية المطلقة ، وترك الأولاد وهم صغار دون تقييدهم بالتقاليد ، وقد اعتبر المفكر أنور الجندي أن أفكار طه حسين مستمدة من آراء الماسونية العالمية، التي احتضنتها مناهج الفكر المادي وفلسفاته التي أسس لها فرويد ودوركايم وسارتر (١) .

٤- قام طه حسين بانتزاع الأصالة الأدبية عن الأدب العربي، وقد كشف أنور الجندي عن هذا الهدف، عندما رصد توجه طه حسين في محاولاته إثبات العلاقة بين الأدب العربي والاتجاه الوثني القديم ، محاولاً نزع الأصالة عن الأدب العربي من خلال فرية تأثير الوثنية فيه، كما اعتبر أن لليهودية والنصرانية كبير الأثر في الشعر العربي والأدب العربي (٢) .

٥ - اتجاه طه حسين للفصل بين الدين واللغة، الذي كان من أخطر ما يهدد المجتمع المسلم نقل أنور الجندي عن كتاب مستقبل الثقافة قول طه حسين : " فالذين يزعمون لنا أن نتعلم العربية ونعلمها ؛ لأنها لغة الدين فحسب، ثم يرتبون من النتائج العلمية والعملية إنما يخدعون الناس ، وليس ينبغي أن تقوم حياة الأمم على الخداع ، فإن اللغة العربية ليست ملكاً لرجال الدين يؤمنون وحدهم بها ، ويقومون وحدهم من دونها، ويتصرفون وحدهم فيها، فهي ملك للذين يتكلمونها " (٣) دلت هذه الكلمات على ما يرمي إليه طه حسين فيما يتعلق بالحق في تطوير اللغة، وتشجيع اللهجات العامية في إطار محاولته لنزع القداسة عن العربية لغة القرآن الكريم، وقطع الصلات بين الدراسات العربية والدراسات الإسلامية بالإضافة إلى التنظير لإقليمية اللغة، فيكون اللسان العربي عبارة عن لهجات شتى متباينة؛ فتقطع الصلة بين

(١) انظر : إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام ، ص ١٤٩ ، طه حسين حياته وفكره في ضوء الإسلام . أنور الجندي ص ١٥١ ط ٢ ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م ، دار الاعتصام القاهرة .

(٢) انظر: طه حسين حياته وفكره في ضوء الإسلام ص ، ١٤٠ الصحو الإسلامية منطق الأصالة وإعادة بناء الأمة على طريق الله ، أنور الجندي ، ص ٢٩٥ - ٢٩٦ دار الاعتصام .

(٣) مستقبل الثقافة : طه حسين ، عن كتاب محاكمة فكر طه حسين ، ص ٩٦ .

أبناء اللغة الواحدة ، من هنا تحسس أنور الجندي رغبة طه حسين في إبعاد دور الأزهر عن القيام بوظيفة تعليم الدين، عندما أشار إلى أن اللغة ليست حكراً على أحد، ومن هنا فهو ينظر إلى تغيير المناهج ولاسيما فيما يتعلق باللغة، واتهام مناهج الأزهر بأنها عقيمة، ضمن خطة التبرير والتسويف لفكرة التطوير في سبيل تدمير لغة القرآن، وتبديل قواعد اللغة العربية وتصحيف رسمها، ومن ثم تخضع للمناهج الغربية ومقاييسها وطرقها، وعليه فإن طه حسين يتأمر على كل قديم باسم الحداثة، ومن الحق أن يقال أن طه حسين أول من أصّل للحداثة ومحاربة القديم واتهامه بالرجعية، ولاشك بأن هذا المخطط من أهم ما يسعى إليه التغريب الاستعماري^(١).

٦- انعكس منهج الشك الفلسفي^(٤) على آراء طه حسين هذا ما أثبتته أنور الجندي بعد تحليل ونظر لدراسات ومواقف طه حسين، فقد دعا إلى اقتحام القرآن بكل جرأة، وإخضاعه للنقد وفق منهج الشك، ولم يتورع عن وصف القرآن بأنه كتاب أدبي فيه المعقول المقبول، وفيه المردود، إنما حاول طه حسين هنا أن يبطل العقائد؛ لأنها لا تثبت على منهجه، وكان من أخطر الشبهات التي أثارها طه حسين على القرآن، وأنه فرق بين القرآن والكتاب، فقال: " القرآن غير الكتاب "؛ محاولاً بذلك إثبات أن القرآن أخذ من التوراة والإنجيل، فالقرآن صورة عربية منه أي: (الكتاب)، عدا ما وصم به القرآن بأنه مجرد من العقلانية والنظر، إذ يعتبر أن القسم المكي فيه هروب المناقشة وخلو من المنطق، والقسم الثاني وهو المدني فيرى أن فيه مناقشة وحججاً عقلية، ويلزم من ذلك إنكار التنزيل لهذا القرآن، وطمس وصف النبوة عن النبي ﷺ واتهامه بوضع هذا القرآن من عند نفسه وعليه فقد جعل أنور الجندي طه حسين في مصاف المستشرقين، الذين أنكروا نبوة النبي ﷺ بما لزم من مذهبه، والواقع أن هذا الحكم في غاية الصدق والموضوعية ولا نتجنى إذا قلنا أنه فاق المستشرقين في عدائهم للإسلام فقد اعترف الغربيون في أبحاثهم بأن القرآن من عند الله وهو سقف اللغة العربية وقد ورد ذلك على لسان (جاك بيرك) فكيف بك يا طه حسين وأنت أزهرى من أصل عربي أن تضع القرآن هذا الموضع؟! ويبدو أنه لم يقرأ القرآن، أو أعمى الله بصره وبصيرته^(٢).

(١) انظر : محاكمة فكر طه حسين ص ٩٦-١٠٠ .

(٤) الشك الفلسفي أو الديكارتي الذي يعتمد الحواس الوسيطة الوحيدة للمعرفة ، والشك بكل العقائد التي لا تثبت بالحواس ، في مقدمة لإنكار الدين والرسالات ، وقد ارتبط الشك المنهجي بالانحياز الحضاري الذي مني به الغرب . انظر : أصالة الفكر الإسلامي

في مواجهة التغريب والعلمانية والتنوير الغربي ، ص ١٨٨

(٢) انظر : طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام ، ص ١٤١-١٤٢ .

وقد رتب المفكر أنور الجندي على إخضاع طه حسين جميع الكتب الدينية وغيرها للنقد الغربي ، إنكار وقائع التاريخ التي أكد عليها القرآن والعقائد التي جاء بها ، وبالفعل فقد أنكر طه حسين وجود إبراهيم وإسماعيل – عليهما السلام – رغم تصريح القرآن بوجودهما وأعلن المزوجة أو الثنائية بين التصديق والتكذيب ، مما لا يقبله ذي جنة فكيف بالعاقل؟! فهو يصدق بهما وجدانيا، ويرفضهما عقليا ، محاولا بذلك إيجاد تناقض بين العقل والقرآن فكيف يكون الإنسان مؤمناً وكافراً في نفس الوقت؟! فلا غرابة فهي طبيعته فهو متناقض يؤمن بالشيء وضده في آن واحد ، فقد نقل عنه أنور الجندي تعريفه بهويته وشخصيته في إطار حديثه عن (نقد الكتب المقدسة) عن كتابه (في الصيف)بقوله : " إذا كان من حق الناس جميعاً أن يقرأوا الكتب الدينية ويدرسوها ويتذوقوا جمالها الفني، فلم لا يكون من حقهم أن يعلنوا نتائج هذا التذوق ... ما دام هذا الإعلان لا يمس مكانة الكتب المقدسة لم لا يكون من حق الناس أن يعلنوا آراءهم في هذه الكتب من حيث هي موضع للبحث الفني والعلمي بقطع النظر عن مكانتها الدينية" فكيف يمكن أن نجمع بين القداسة لها والشك فيها وإخضاعها للنظر والنقد؟!^(١) ، وقد ترتب على منهجه مجموعة من المعتقدات الفاسدة كشف الأستاذ أنور الجندي عنها ويمكن إجمالها فيما يلي :

١- اعتقاده بأن القرآن قد مثل العصر الجاهلي أو مرآة له، فهو بهذا ينكر عالمية الإسلام وهو اعتقاد المستشرق (جب) ذكره في كتابه (المذهب المحمدي)^(٢).

٢- نفي الثابت بالتواتر من القراءات القرآنية ، وتفسير هذه القراءات على أنها ناتجة عن الاختلاف في لهجات القبائل^(٣).

٣- تشككه في الحروف التي في صدر بعض السور القرآنية، وتفسيرها على أنها إشارات موسيقية، يراد بها اتخاذ مقام موسيقي قبل التلاوة .

٤- نفي حق العرب ببلاد الحجاز تاريخياً ، بإنكار هجرة إبراهيم وإسماعيل إلى الحجاز واعتبر ذلك من الأساطير ، ولا يمكن من وجهة نظره الربط بين الإسلام وبين إبراهيم عليه السلام.

٥- كما أكد ما زعمه المستشرق (كليمان هوار) الذي زعم بأن شعر (أمية بن الصلت) كان من مصادر القرآن، حيث اعتبر بأن القرآن بعضه من اليهود، وبعضه من النصارى

(١) انظر: محاكمة فكر طه حسين ص ١٦٥ انظر : الطريق إلى الأصالة ، أنور الجندي ، ص ٢٨ ، دار الاعتصام .

(٢) انظر : في الأدب الجاهلي ، طه حسين ، ص ٧٠ - ٧١ ، الطبعة السادسة عشر ١٩٢٧م ، دار المعارف - القاهرة .

(٣) انظر : المصدر السابق ، ص ٨٠ - ٨٤ - ١٠٦ .

وبعضه عند العرب ، ورأى إمكانية أن يعرف القرآن أمية والنبى ﷺ ، لاسيما وأن النبى وأمية متعاصران ، فيكون النبى قد أخذ من أمية كل ذلك لتقرير بشرية القرآن (٤) .
من هنا كشف لنا المفكر أنور الجندي أن مؤسسة الاستشراق هي إحدى وسائل التغريب ، التي تتآمر على الإسلام والمسلمين .

١ - في مجال التاريخ الإسلامي:

اتجه طه حسين في حملته على الإسلام إلى التاريخ الإسلامي، محاولاً تحسس مواطن الزلل ؛ ليطعن في الإسلام ويشكك في أصالته، رصد المفكر أنور الجندي هذه المحاولة من طه حسين ، عندما استقرأ منهجه (الشك) في كتابه الشعر الجاهلي وهو يشكك في وجود إبراهيم وإسماعيل والكعبة ، وإثارة أخطر ما طوى التاريخ صفحته من قضية الخلاف الذي وقع في آخر عهد خليفة المسلمين عثمان بن عفان - رضي الله عنه - ، وأول خلافة علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه-؛ لتكون القاعدة التي ينظر من خلالها إلى الإسلام، لخدمة الصهيونية العالمية ، وعليه فإن أنور الجندي يعتبر أن كتاب طه حسين الشعر الجاهلي يمثل الخطوط الأساسية لفكر طه حسين ، وما عقبه من كتابات ما هو إلا تعزيز لاتجاهه المشبوه والرامي إلى تقويض الإسلام وتاريخه (١) .

راجع المفكر أنور الجندي مراجعة كاملة لكتابات طه حسين في كتاباته عن تاريخ

الإسلام، فوجده كان حريصاً في كتابته عن التاريخ على قضيتين خطيرتين:

الأولى : دور شخصية عبد الله بن سبا اليهودي في الفتنة الكبرى .

لقد أنكر طه حسين بصراحة في كتابه (الفتنة الكبرى) الدور الذي قام به ابن سبأ - اليهودي اليمني المعروف بابن السوداء- في المؤامرة على عثمان بن عفان وقتله، حيث يعد المحرك والعقل الحقيقي للفتنة التي اشتعلت ضد الصحابي الجليل عثمان بن عفان ، في معظم الأمصار (مصر والشام والعراق)، واعتبر أنها شخصية وهمية لا وجود لها في كتب التاريخ المهمة ، متجاهلاً بذلك ما أثبتته كتب التاريخ حول هذه الشخصية فقد اطرّد ذكره في معظم كتب التاريخ الأساسية ، حيث ذكره الطبري والشهرستاني في (الملل والنحل)، وابن حزم في (الفصل)، وعبد القادر البغدادي في (الفرق بين الفرق) ، والإسفرائيني في (التبصير في الدين) وابن قتيبة في (تأويل مختلف الحديث)، وابن عبد ربه في (العقد الفريد) (٢) .

(٤) المصدر السابق : ص ١٣٨ - ١٣٩ . انظر: محاكمة فكر طه حسين ص ١٧٠-١٧١-١٧٥ .

(١) انظر: محاكمة فكر طه حسين ص ٢٠٠ .

(٢) انظر: أصالة الفكر الإسلامي في مواجهة التغريب ، ص ٢٩٢ .

وقد رد المفكر أنور الجندي تطلع طه حسين من إثارة هذه الشبهات حول الفتنة الكبرى إلى تفسير التاريخ الإسلامي تفسيراً مادياً ، في محاولة منه لتسفيه الرعيل الأول من الصحابة ، ووصف هذه الفتنة بأنها عربية ؛ ليسقط دور اليهود في هذه الفتنة ، ويضفي طابع التخلف على العرب ، ويبرز دور اليهود في تحضير العرب ، نقل أنور الجندي عن طه حسين قوله الذي يكشف بغيته : "إن الفتنة عربية ، نشأت من تراحم الأغنياء على الغنى والسلطان ، ومن

حسد العامة لهؤلاء الأغنياء" كما نقل عنه في موضع آخر من كتابه (الفتنة الكبرى) ما يؤكد رغبة طه حسين في تبرئة اليهود من هذه الفتنة : "إن كثيراً من الناس يضيف إليه كل ما ظهر من الفساد والاختلاف في البلاد الإسلامية أيام عثمان - رضى الله عنه - ... فنظم في الأمصار جماعات خفية ، تتستر بالكيد وتتداعى فيما بينها إلى الفتنة ... فكان ما كان من الخروج والحصار وقتل الإمام" (١) .

ولا يخفى ما في ذلك من صيغ التمريض للأخبار ليوردها على أنها أكاذيب لا تقوى على الحجاج ، ولا شك أن طه حسين خالف بهذا سير العلماء ومناهجهم في تكذيبه الأخبار بلا حجة ، على غير طريقة أهل الدراية والتمحيص والنظر ، حين ضرب بمصادر التاريخ الأساسية عرض الحائط بلا دليل ، ومن جملة ما يذكر الأستاذ الجندي كتاب أنساب الأشراف للبلاذني ، وهو كتاب ملفق ، تم طبعة بإشراف مستشرق يهودي ، وقدم لها بالعبرية ، وما يدرينا ماذا كتب في النسخة القديمة قبل طبعة في أورشليم؟ ، فإذا لم تكن المصادر الرئيسية في التاريخ السالف ذكرها ، فهل يعتبر البلاذني أو ابن سعد في طبقاته وفيهما من النقص والتلفيق مصدراً مهماً للتاريخ؟! ، علاوة على أن ابن سعد له طريقتة في تراجم الرجال ، تختلف عما إذا كتب في التاريخ ، إضافة إلى أن الطبري ذكر ابن سبأ وعرف به وقد كان معاصراً للبلاذني ، فقد ولد سنة ٢٢٥هـ ومات ٣١٠هـ ، وهو من نفس طبقة تلاميذ ابن سعد ، ومما يكشف الزيف أكثر أن الطبري نقل ما جاء عن ابن سبأ عن سيف بن عمر وهو من أكبر المؤرخين القدماء ، إذ يعد في مرتبة شيوخ ابن سعد فهو شيخ شيوخ الطبري والبلاذني ، وعليه فلا يقال أن الطبري من الرواة المتأخرين ، وهذه كانت طريقة طه حسين حيث تسفيه مصادر التاريخ المخالفة لطرحة على غرار منهج المستشرقين . (٢)

(١) الفتنة الكبرى : (عثمان) طه حسين ، ص ١٣١ ، دار المعارف بمصر .

(٢) انظر : محاكمة فكر طه حسين ، ص ٢١٢-٢١٧ .

وبذلك يثبت أنور الجندي الخطأ في منهج طه حسين العلمي ، إذ سار في مسلك وعر يخالف فيه أسلوب العلماء ، في جرح الأخبار، والطعن في الروايات بغير بينة، وبهذا تتأكد صلة طه حسين بالصهيونية، في كل ما دعا إليه أو في المنهج الذي سلكه أو في الثقافة التي يحملها مما يخدم الصهيونية العالمية وحركة الاستشراق التي بلورت هذا الفكر العدائي للإسلام والمسلمين .

٢- في مجال نظام الحكم في الإسلام:

دأب طه حسين على إثارة الشكوك والشبهات ، التي اختارها له الاستشراق ولاسيما في أخطر القضايا التي تمس جوهر الإسلام ؛ لتقويضه وتوهينه ، انسجاما مع تطلعات أعداء الإسلام ، وقد كانت قضية نظام الحكم في الإسلام في سلم أولويات طه حسين فاتجه إلى إثارة الشبهات حول نظام الحكم في الإسلام .

كشف المفكر أنور الجندي عن تلك الشبهات ، وهو يقف عند عباراته وأطروحاته

محللا لأبعادها وخفياها، ويمكن إجمال ذلك في التالي :

١- اتهام نظام الحكم في الإسلام بالإخفاق ، ووصفه بأنه كان تجربة أو مغامرة ، لم تنته إلى الغاية المطلوبة ، نقل أنور الجندي النص الذي يعبر عن خبث طوية طه حسين في قوله: " حاولت الخلافة الإسلامية لعهد أبي بكر وعمر وعثمان أن تنشئ هذا النظام القديم ، فمات أبو بكر -رحمه الله- ! ولم يكدي بيدي التجربة ، وقتل عمر - رحمه الله- ! وقد خطا بالتجربة ولكنه لم يرض عنها " (١) ونقل في غير موضع عنه رغبته في إثبات بشرية نظام الحكم في الإسلام ،ومن ذلك: "إن الناس كانوا يعارضون حكم عمر ولكنهم يخشون سلطانه ويخافون منه والثورة على عثمان دليل على فشل التجربة الإسلامية ، وأن الوقت لم يعد في مصلحة الحكم والخلافة الإسلامية " (٢).

٢- اتهام الحكومة الإسلامية بأنها حكومة أرستقراطية (٣) ، قامت على القرب من الرسول - ﷺ - فهو يرى أن إسناد الحكم إلى قريش دون الأئصار، واستئثارها بالخلافة ، تسبب بنشوء الفتن والملاحم بين المسلمين .

(١) الفتنة الكبرى، طه حسين ، ص ٨ .

(٢) انظر: أصالة الفكر الإسلامي في مواجهة التغريب ٣١١ - ٨ ص ٣١٢ .

(٣) أرستقراطية: " باليونانية تعني سلطة خواص الناس ، وكفكرة سياسية تعود في تكوينها لأفلاطون في الجمهورية إذ كان يكره الحكم الديمقراطي ، ويرغب أن يحكم البلاد طبقة الأرستقراطيين ، أو ما يسميهم الطبقة الذهبية ، لكن مفهوم أفلاطون للروح الأرستقراطية مفهوم قيمي لا طبقي ، وقد صنف أرسطو الأرستقراطية بين النظم السياسية وحددها ، بأنها سلطة الحكماء أو حكم بعض الأسر التي تستأثر بالحكم بالرغم من عدم أهليتها " . الموسوعة السياسية ١ / ١٤٧ - ١٤٨ .

٣- ادعاء تبعية نظام الحكم الإسلامي لأنظمة الحكم السابقة له نحو (الحكم الروماني أيام الجمهورية)، ولاسيما بعد إخفاق التجربة الإسلامية في وضع نظام الخلافة والحكم ، وإضفاء صفة الاستبدادية والاستعلاء عليه، فهو يرى أن النظام الذي قامت عليه الحكومة الإسلامية يقوم على الطبقية ، التي يستندل فيها الكم الأكبر من الناس لفئة قليلة من الناس (٤) .

٣- رد أنور الجندي في مجالات الأدب والتاريخ والحكم الإسلامي:

أكد المفكر أنور الجندي وجود المغالطات التاريخية في هذه الشبهات والدسائس التي فيها مجانية للحق هذه الشبهات والدسائس فيها مغالطة تاريخية ، و مجانية للحق ، ورأى أن طه حسين أراد بهذا التجني التاريخي على الإسلام ونظامه إقناع المسلمين بعدم وجود حياة إسلامية بعد وفاة الرسول - ﷺ - ويضفي صفة المحدودية والنسبية في ظل حكم عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - الذي انطلق من جهود محدودة - من وجهة نظره - لم ترتبط بالسماء ؛ ليصرف أنظار الناس عن الخلافة، وبذلك يكون نظام الحكم في الإسلام بشريا ، لم يتجاوز مدة محددة من التاريخ ثم باء بالفشل ، إنما يريد طه حسين بهذا الدعوة إلى العلمانية ، فهي المنهج الصحيح لإقامة الحياة الكريمة - من وجهة نظره-، يقول أنور الجندي كاشفا عما يرمي إليه طه حسين : "إن طه حسين يريد أن يقول للمسلمين : إن النظام الإسلامي قد عجز ، وأن الطريق الصحيح الذي تحقق وما زال مفتوحاً، هو النظام العلماني ، الذي يحل مشكلات الدنيا بالدنيا ، وهو يدعو مسلمي عصره إلى صرف النظر عن التفكير في النظام الإسلامي وفي الخلافة وأن يبطلوا السعي إليها ، وأن يرضوا بحكم الديمقراطية الغربية" (١) .

إن هدف طه حسين من حملته على نظام الحكم في الإسلام، هو تسفيه نظام الحكم الإسلامي من غير بيئة علمية أو تاريخية ، كما اعتاد في منهجه ، والواقع أن مصدره كان هواه، حين اعتمد على الروايات الضعيفة المدسوسة التي لا تقوى على المعارضة ، وعلى كتب الأدب دون أن يعتمد على الروايات من كتب الحديث والسير الصحيحة ، التي أجمعت عليها الأمة، وبذلك يكون الأستاذ أنور الجندي في طليعة الذين عروا شخصية ومنهج طه حسين ، وفق قواعد أصول الحجاج الذي يعتمد على المنهج العلمي الصحيح، بعيدا عن الأهواء وصدق الله إذ يقول : (هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (٢) .

(٤) انظر: الفتنة الكبرى، ص ٣١-٣٧.

(١) انظر: أصالة الفكر الإسلامي في مواجهة التغريب ص ٣١٤.

(٢) سورة آل عمران الآية (٦٦) .

ب - طه حسين في مجال السيرة النبوية :

لقد كان كتاب الفتنة الكبرى لطفه حسين ، ترجمة للأهداف الكبرى التي انطلق منها الاستشراق ، فهو العمل الخطير الذي استغرق جميع مؤلفاته ، وتوج آراءه في أهم وأخطر القضايا في السيرة ، وتتمثل في التالي :

— انتقاص الصحابة والتشنيع عليهم:

حشد المفكر أنور الجندي الشبهات التي أثارها طه حسين حول الصحابة — رضوان الله عليهم — وكشف عن الهدف من انتقاصه للصحابة، ويمكن تلخيص ذلك فيما يلي :

— الصحابة والجاهلية :

تصوير الصحابة بأنهم قد عادوا إلى جاهليتهم، ولم ينتزع منهم الإسلام تلك الجاهلية، مسلطا الأضواء على ما حدث في معركة الجمل، ووصفاً إياها بمعركة جاهلية بين بني هاشم وبني أمية، وينحامل على بني أمية، ويتهمهم بالمارقين على الإسلام وبأنهم لم ينفصلوا عن جاهليتهم ، ذلك لأن دخولهم في الإسلام كان رغما عنهم ، وقضى بهذا الوصف على غير واحد من الصحابة منهم : مروان بن الحكم ، والوليد بن عقبة ، وعبد الله بن أبي السرح.

— عمرو بن العاص وخراج مصر:

اتهام عمرو بن العاص، بأنه بدد خراج مصر، وأنه كان يحمل على علي - رضي الله عنه - ولا يرغب في بيعته، وقد رد طه حسين ذلك إلى البعد المادي من قبل عمرو بن العاص، حيث إن هذه البيعة لا ينتظر منها مشاركة في الحكم، ولهذا انضم عمرو بن العاص لمعاوية.

— معاوية وموقفه من أبي ذر :

اتهام معاوية بأنه جاهلي ، ومثل لذلك بموقفه من أبي ذر ، حيث يدعي بأن معاوية حاول أن يبطش بأبي ذر، ولولا مكانته من النبي — ﷺ — لفعل ذلك، وجاهد على أن يفتته بالمال ليصده عن دينه.

— الصحابة والفتنة :

الافتراء على الصحابة (أصحاب بيعة الرضوان)، وفي طليعتهم (الزبير بن عوام وطلحة بن عبيد الله) -رضى الله عنهما- ، واصفا ما كان بينهم من تنافس محمول على الشقاق والبغض، ومضى إلى ما هو أنكى حين نعت طلحة بما لا يليق ، حين صورّه

بالإنسان المنافق ، وبأنه كان يبحث عن المال والثراء بكل الوسائل ، وفسر مبايعته لعثمان بن عفان في ضوء هذه الرغبة الميكافيلية. (١).

— ابن عباس وأموال المسلمين :

اتهام ابن عباس بالسرقة ، وذكر أن ابن عباس نهب أموال المسلمين في البصرة، وهربها إلى مكة، كما حاول أن يثبت تطلع ابن عباس إلى الانضمام لمعاوية ضد ابن عمه علي بن أبي طالب رضي الله عنه - ليصفه بالخيانة ، والرغبة في الدنيا والمادة ونزع المكانة العظيمة التي نالها ابن عباس ، وكعادة طه حسين في منهجه المتخبط يحاول أن يثبت رواياته؛ بتسفيه مصادر التاريخ الأساسية، وتفسير ما لم يذكر بالتحرج أو الخوف أو المذهبية ونحوها دون أن يقيم بينة على كلامه ، أو يلتزم بأصول البحث التاريخي.

٢- رد أنور الجندي على افتراءات طه حسين في مجال السيرة :

أجاب المفكر أنور الجندي عن هذه الأخبار التي ساقها طه حسين ، بأن هذه الروايات لم يرد منها شيء في كتب الحديث ، ولا سيما رجال الحديث الذين يوثق بمناهجهم ، إضافة إلى أن كتب التراجم للمؤرخين الثقات ، لم تعرض هذه الروايات ، ويتساءل أنور الجندي من أين جاء بهذه الأخبار؟! ويبين أنور الجندي بأن طه حسين يسلك هذا المنهج في كل دسائسه حتى يصل إلى هدفه ، ثم ينتقل لبيان الهدف الذي يطمح إليه طه حسين فيما نسبه ، فيقول : " كان الهدف واضحا من انتقاص طه حسين للصحابة الكرام ، وهو هدم الصرح الإسلامي الذي تقوم عليه السنة والتاريخ وسير الغزوات والحياة الإسلامية، في عصر الخلفاء الراشدين وما بعدهم ،... وكشف الكرامة التي أمدهم بها الإسلام ، والقرآن والرسول ﷺ - " (١) وقد ساق أنور الجندي أدلة الشرع من القرآن الكريم والسنة الصحيحة على مكانة الصحابة، والكرامة التي أمدهم بها الإسلام، والتي حاول طه حسين إفسادها بالبدس والفتنة، من ذلك قول الله تعالى: (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْهُمُ الْمُتَّقُونَ وَالَّذِينَ تَبِعُوا مِنْهُمْ فِيهَا يُبَدِّلُ اللَّهُ ذَمَّهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (٢) ومن السنة قول ﷺ - : " لا تسبوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي، فالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك

(١) انظر: محاكمة فكر طه حسين ، ص ٢٢٤-٢٢٥ ، الطريق إلى الأصالة ، ص ٢٧ .

(١) محاكمة فكر طه حسين ، ص ٢٢٣ .

(٢) سورة التوبة ، الآية ١٠٠ .

مد أحدهم ولا نصيفه" (٣) ويرى الباحث بأن أنور الجندي قد التزم المنهجية العلمية في تحقيق الأخبار، وتجريح كل الروايات التي يحاول خصوم الإسلام أن يجعلوها في ثبوت المصادر التاريخية للمسلمين، ويقدم الدلائل من مظانها، دون تصحيف أو تجبير، ويكشف عن الخلفية الفكرية وراء كل دخيل على مصادر التاريخ الأساسية، بموضوعية الباحث المتجرد، وترك المجال للقارئ أن يحكم، وهذا هو منهج التحقيق العلمي من رجال النظر والفكر، كابن حجر العسقلاني، والإمام الغزالي .

ج - في مجال الفكر الإسلامي:

١- فرية التناقض بين العلم والدين :

يحاول طه حسين في كل ما كتب أن يسقط دور الدين في تشكيل التركيبة الحضارية للمجتمع الإسلامي، في سبيل ترسيخ فكرة التناقض بين الدين والعلم، وإسقاط قدسية النص أو سلطة النص الشرعي، تحت نظرية الشك الديكارتية، التي عمل من خلالها على إخضاع الغيبيات (كالإيمان بالله، والنبوات، والسمعيات) لهذا المنهج؛ بغية إظهار التناقض بين نصوص الكتب الدينية، وما وصل إليه العلم من النظريات والقوانين، ومن ثم إنكار مصدر الدين.

وقد نقل أنور الجندي من قول طه حسين نفسه، عن مقال له في (السياسة الأسبوعية في يوليو سنة ١٩٢٦م)؛ لتسقط أدلة براءة طه حسين في كل ما ذكر: "ظهر تناقض كبير بين نصوص الكتب الدينية، وما وصل إليه العلم من النظريات والقوانين، فالدين يثبت وجود الله ونبوة الأنبياء، بأمرين لم يعترف بهما العلم، فالعالم الحقيقي ينظر إلى الدين كما ينظر إلى اللغة، كما ينظر إلى اللباس والأشياء كلها كظواهر اجتماعية، يحدثها وجود الجماعة ويتبع الجماعة في تطورها وتتأثر بما تتأثر به الجماعة،... فالدين ظاهرة كغيره من الظواهر) "فما الغرض الذي يهدف إليه طه حسين من ذلك؟! أجاب أنور الجندي من لازم قول طه حسين الذي لم يخف وجهته بقوله: "وكلام طه حسين عن الدين والعلم واضح في إنكار طه حسين لمصدر الدين وللوحي وللنبوة وإيمانه بالفلسفة المادية التي تعتمد المادة أساس لتفسير حركة الحياة، والتتكّر لكل ما هو غيبي، تحت اسم العلم خداعاً وتضليلاً" (١).

(٣) صحيح البخاري كتاب المناقب "باب قول النبي - عليه السلام - لو كنت متخذاً خليلاً"، انظر: متن فتح الباري، للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، رقم (٣٦٧٣) ٧/ ٢٥ ط ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦ - دار الريان للتراث - القاهرة .

(١) محاكمة فكر طه حسين / ص ٢٣٣ .

ويمضى الأستاذ أنور الجندي في نهجه التحليلي للمنطقيات المدعاة من قبل طه حسين ومن خلفه، في خطوة لإدراك العلاقة بين فكر طه حسين، والفكر الصهيوني الشيوعي، فقد كانت أفكار طه حسين ترمي إلى تفسير الظواهر الاجتماعية بناء على المقاييس المادية، ومن ذلك اعتبار الدين ظاهرة اجتماعية تخضع للتطور أو النشوء والارتقاء، وتتأثر الظاهرة الدينية بالمتغيرات الجغرافية والبيئية وهذا التفسير يهدف إلى هدم كل مقدرات الأديان والعقائد، باعتبار أن الدين لم يثبت بالعلم فهو نتاج بشري، لا يتصل بالوحي والسماء، فهنا ربط أنور الجندي بين فكرة النشوء والارتقاء والتي هي فكرة يهودية من (دوركايم) اليهودي، وغيره من أصحاب هذه المدرسة التي تطلق على نفسها مدرسة العلوم الاجتماعية، وفكر طه حسين في هذا الصدد، يقول أنور الجندي وهو يكشف خلفية هذا الفكر الإلحادي: "ذلك أن هذا الذي يعنيه طه حسين إنما هي الفلسفة، والفلسفة المادية... التي شكلها دعاة التنوير في الغرب من اليهود... أساتذته أصحاب مدرسة العلوم الاجتماعية: دوركايم، وليفي بريل، وكازنونا، أتباع نظرية التفسير المادي للتاريخ وتلامذة ماركس، وخدام أهداف بروتوكولات حكماء صهيون⁽²⁾، ودعاة هرتزل، والممهدون لسيطرة الفكر الصهيوني الشيوعي على العالم الإسلامي"⁽¹⁾ وعليه فإن طه حسين وإن لم يكن يهوديا في الهوية فهو يهودي بالفكرة، وما سبق من أدلة الإدانة كاف في إثبات هذه التهمة في حق طه حسين، وما استقر أنه في منهجية طه حسين يكشف حقيقته، ووجهه الحقيقي الذي لطالما حاول أتباعه أن يخفوه.

ويرى الباحث أن اعتقاد طه حسين بأن الدين يخضع لنظرية النشوء والارتقاء فيه مغالطة علمية ظاهرة البطلان، ذلك لأن المذهب نفسه لم يثبت علميا، ومعلوم بأن التطبيق العلمي لأي نظرية منوط بتجاوز هذه النظرية (طور الوهم والشك)، وعليه فإن إخضاع الدين لتطبيق علم الاجتماع جنائية على العلم نفسه، وتخريب وتدليس على الناس، إضافة إلى أن لفظ العلم الذي تمسك به طه حسين ليخدع به الناس، لا يعطي قرارا ثابتا، فالعلوم الطبيعية غير قادرة على إعطاء رأيا نهائيا في مقدراتها العلمية، فكيف يقرر طه حسين في

(2) هي وثائق ماسونية صهيونية، صدرت عن اجتماعات هدفت للسيطرة على شعوب الأرض، وإفساد كل القيم والمبادئ الإنسانية، وقد سرقتها سيدة فرنسية من أحد الأكابر ذوي النفوذ والرياسة السامية من زعماء الماسونية الحرة في نهاية اجتماع سري في فرنسا حيث وكر المؤتمر الماسوني اليهودي، انظر: بروتوكولات حكماء صهيون، بدون مؤلف، ص ١٦ - وما بعدها، دار الإيمان - القاهرة المنصورة.

(1) محاكمة فكر طه حسين، ص ٢٣٣ - ٢٣٤

هذه المسألة أن العلم يقرر ويؤكد؟! فكيف يجمع طه حسين بين الشك في منهجه والعلم في إثباته؟! إن هذه الازدواجية في منهج طه حسين تفسر لنا خطأه في كل ما ذهب إليه!!

٢- رد أنور الجندي على فرية التناقض:

يرى الأستاذ أنور الجندي بأنه لا تتافر بين العلم والدين مطلقا، والواقع أن الإسلام دعا إلى حرية البحث وصراحة التفكير، بل إن العلم والدين متكاملان، فمنهجية التفكير على النمط الفلسفي، هي التي ساهمت في تدعيم العلاقة بين العلم والدين، وبتغيير القواعد العلمية في عصرنا الحاضر أصبح اليقين بقوة خفية تعمل في الأشياء، إضافة إلى أن الدين لا يقع في دائرة البحث العلمي والتجربة، فليس من مباحثه الاستدلال على وجود الله، والأنبياء ونحوها، فوظيفة العلم الطبيعي لم تجعل لبحث هذه المسائل التي تثبت بطريق آخر هو الوحي، ومن العلوم ما يكون مصدره العقل ومنه ما يكون مصدره الحس، فكيف يمكننا أن نثبت الدين بالحس وطريقة معرفته الوحي؟! (١)، وبناء على ما تقدم فإنّ القارئ لا يجد جهداً في الوصول إلى حقيقة طه حسين.

والذي يراه الباحث هنا أن أنور الجندي كان صادقا فيما ذكر في حق طه حسين حين رد أفكاره إلى مدرسة المستشرقين، الذين اتخذوا من طه حسين وأمثلة أداة للطعن في الإسلام، وذلك حين تأمل في كتابات المستشرقين وتطلعاتهم، والدسائس التي سوق لها طه حسين، مما لا يجعل مجالاً للشك في خلفيتها، وأهدافها، وبذلك يكون أنور الجندي قد وضع طه حسين وأمثاله في محكمة التاريخ والفكر، وجلى المناهج التي تنطلق منها أرتال التبعية الغربية، لذلك يتوجب على الشباب المسلم المثقف أن يحذر من إنتاج الأقلام المسمومة التي تروج للفكر الغرب العدائي للإسلام، تلك الكتب التي تزوج بين الحق والباطل لخداع أنصاف المثقفين، وحملهم على تبني الطرح الغربي المعاصر.

د - دعوى تراجع طه حسين عن أخطر آرائه :

بعد إخضاع كتابات طه حسين للنقد والتحليل وكشف عوارها، وبيان الخطأ العلمي والمنهجي الذي اعتور طريقة البحث، حاول بعض مريدي طه حسين ومن كان له فضل عليهم أن يدافعوا عنه، حتى بادروا إلى القول: لقد غير طه حسين آراءه في آخر حياته وتراجع عن أخطر آرائه، وكان من أبرز من يقول بتراجع طه حسين عن آرائه الدكتور (عبد الحليم عويس)، ويرجع عدم إعلان طه حسين عن تراجع طه حسين عن آرائه عن آرائه وخارجية تحول بينه وبين التوبة المعلنة، وأورد أدلة على ذلك منها:

(١) انظر: محاكمة فكر طه حسين، ص ٢٣٨-٢٣٩.

١- إن طه حسين حج وقبل الحجر الأسود لمدة ربع ساعة ، وكان يردد عبارات التوبة ويعلن خطأه في حق دينه .

٢- شهادة اثنين من تلامذته على توبة طه حسين، وتراجع عما كتب وهما الدكتور (محمد عبد المنعم خفاجي) كاتب ومفكر مصري معروف ، والدكتور (علي صبح) عميد كلية اللغة العربية بالأزهر سابقا - فقد ذكرا بأنهما ذهبا إلى طه حسين وهو محمول على الأيدي بعد جلسة مجمع اللغة العربية في أواخر حياته وقال له : بحق الله أكتبت في الشعر الجاهلي عن علم أم كتبتة للدنيا والشهرة؟! فأجاب طه حسين : بل كتبتة للدنيا والشهرة ، وأضاف بأن طه حسين قد استخلفهما أن يكتب هذه الشهادة ويوقعا عليها ؛ ليظهرا توبة طه حسين للعالمين ، ويعلنا أن طه حسين أساء وأخطأ ولكنه تاب ورجع .

٣ -تعمد العلمانيون إخفاء هذه الصفحة من حياة طه حسين ، إذ تشكل ضربة للفكر العلماني، ودليلا حاسماً على إخفاق التوجه الإلحادي^(١).

يرى أنور الجندي بأن القول بتراجع طه حسين عما كتب ظاهر البطلان وساق مجموعة من الأدلة تبين فساد هذا الزعم نجملها في النقاط التالية :

أولاً : إن طه حسين لم يوقف على الفور ماله من مؤلفات في هذا السياق، ولم يعلن تراجع عما ذكر جهاراً للناس، فهذا هو أسلوب التراجع المعروف .

ثانياً : إن طه حسين لم يعلن أنه اتخذ أسلوبه، كوسيلة للعمل ، ثم ظهر له أنه فاسد وباطل فتحول عنه ، مثلما فعل الإمام الأشعري عندما أعلن في كتابه (الإبانة عن أصول الديانة) عن تراجع عن منهجه وتبنيه عقيدة السلف^(٢).

يمكننا القول بأن ظاهرة تراجع باطل كما ذكر الأستاذ أنور الجندي ، ولكن يمكن أن يجمع بين أقوال من نقلوه عنه هو عدم صدقه فيما قال أو في توبته ، لأن الذين نقلوا عنه أعتقد أنهم صادقين ، والله أعلم ، إضافة إلى أن التراجع عن الباطل أمر لا يستحيا منه ، فكيف يجروء طه حسين على شتم الصحابة والطعن فيهم وإخضاع القرآن للنقد الأدبي ، وتبني فرية فصل الدين عن العلم ونحوها من الدسائس الرخيصة التي استغرقت جميع أعماله؟! ولا يجروء أن يقول كلمة الحق ، إن هذا لظاهر الفساد والبطلان ، إن المسؤولية الأخلاقية أمام الأجيال تفرض على جميع العاملين في حقل الدعوة الإسلامية، أن يكشفوا زيف وفساد

(١) انظر : المنار الجديد ، ص ١٣٠ ، ص ١٣١ ، محرم ١٤٢٣هـ ، أبريل ومايو ٢٠٠١ م .

(٢) انظر : طه حسين حياته وفكره في ضوء الإسلام ، ص ٢٤٧ - ٢٤٨ .

هذه الآراء بعيدا عن الأهواء والمطامع الشخصية ، لاسيما وأنها تتعلق بالقيم الثابتة
الربانية، عدا أن الأمر لا يرتبط بالشخصية بقدر ما يرتبط بالمسئولية التاريخية.

ولست ضد توبته ، فتوبته منفعة للمسلمين ، غير أن الأمر هنا يتعلق بتحقيق تاريخي
يتعلق بشخصية هامة وفاعلة في المجتمع ، لذا كان من حق الأجيال أن تقف على تراجع
منطوق أو منصوص أو مفهوم يقضي ببراءة طه حسين كما فعل الأمام الأشعري وغيره ،
وهذه وجهة نظري فيما ذكرت ، وأمل أن يكون من التائبين فعلم ذلك عند الله تعالى .

في الواقع لقد خلف طه حسين مؤسسة تغريبية ، تمثلت في تلاميذه الذين أخذوا
بتطلعاته ومنهجه ، وهم ، (سلامة موسى ، وتوفيق الحكيم، ولويس عوض) وكلهم قد
التمس في محيط طه حسين القدوة والمثل ، فكانوا امتدادا لطه حسين في فكره
ومنهجه. وكشف عن أغراضهم ، وتتبع الخلفية التي تنطلق منها أفكارهم. قام الأستاذ أنور
الجندي ببيان ضلالات هذه المؤسسة التغريبية ، فعزى أقلامهم.

ثانياً : سلامة موسى وأهم أفكاره التغريبية والرد عليها :

أعاد أنور الجندي النظر في آراء سلامة موسى ، فكشف عن أفكاره ونظرياته في
أفق الفكر الإسلامي ، والتي انصبت في مجملها في الاتجاه المطلق إلى الغرب، ومهاجمة
اللغة والدين والقومية العربية ، وهذه مجمل آرائه ونظرياته:

أ- الدعوة إلى العامية:

١ - يقول سلامة موسى : "لنا من العرب ألفاظهم ولا أقول لغتهم، بل لا أقول كل ألفاظهم
، فإننا ورثنا عنهم هذه اللغة العربية، وهي لغة بدوية لا تكاد تكمل الأداء إذا تعرضت
لحالة مدنية راقية كنتك التي تعيش ظهرانينا الآن" ^(١) فما الهدف من الدعوة إلى العامية؟!
يرجع أنور الجندي اهتمام وجنود التغريب بنشر العامية لأسباب منها: أ- للتأثير في البيان
العربي، بتقليل دراسة التراث بحيث لا يستطيع الباحث أن ينظر في كتب السلف
الكبرى، وبذلك يتم القضاء على القدرة الذهنية في التمييز بين الصواب والخطأ في
المناظرة، فالناظر في كتاب الأمدي يجد انه يجعل الفكرة في متن لا يجاوز سطر ثم
يناقشها في أربعين صفحة، هذا العطاء الفكري الذي يخاف المستشرقون منه، هذه القدرة
الجدالية التي تستطيع أن تدافع عن الإسلام، لذلك كان التوجه لقطع بين المعاهد الإسلامية
الكبرى وبين كتب التراث الأصيلة التي تنمي القدرة العلمية ^(٢) .

^(١) تاريخ الغزو الفكري والتغريب خلال مرحلة ما بين الحربين العالميتين، ص ١٧٦ .

^(٢) انظر: الطريق أمام الدعوة الإسلامية، ص ١٣ .

٢- اللغة العربية لغة القرآن الكريم ، ولا يفهم القرآن إلا بهذه اللغة ، فزوال اللغة زوال للشخصية العربية والإسلامية، عندما تفقد القوام الذي يميزها عن سائر الأقوام، وهذا ما يتطلع إليه سلامة موسى ومن خلفه من المستشرقين (٣).

كما اتهم اللغة العربية بأنها وليدة مجتمع أرستقراطي حربي ديني، واعتبارها بأنها غير صالحة للحياة ، ونادى إلى إلغاء كلمات العرض والمحرم من اللغة العربية ، وإدخال الكلمات الأعجمية دون قيد ، والواقع ان التاريخ يثبت خلاف ما حاول سلامة موسى أن يثبتته بلاد ليل ، فبأي لغة ألف المسلمون في الفلسفة والجغرافيا والفلك والرياضيات والمنطق والأخلاق والكيمياء والبلاغة ، وبأي لغة ترجم المسلمون تراث اليونان والفرس وغيرهم ، وبأي لغة شرحت فلسفة ابن خلدون وعلق عليها ، فكيف تتهم اللغة بأنها أرستقراطية وليدة الحرب الدينية؟! وقد اتسعت لتشمل كل هذه المناحي المتنوعة ، والتي ما زالت مصدرا أساسيا للثقافة والمعرفة (٤).

ويحلل الأستاذ أنور أنور الجندي تلك الدعوى، حيث يرى أنها ارتبطت بفكر الغرب الإستعماري ، الذي يهدف إلى عزل الأمة عن تاريخها وعن حضارتها ، في محاولة للعودة بالأمة الإسلامية إلى عصور التخلف والضياع ، فيذكر ذلك بقوله : "إني لا أكاد أومن أن دعوته لهدم اللغة وتقويض (النقض) الأخلاق وازدراء (احتقار) الماضي المجيد إلا دعوة استعمارية ؛ لتبديد شمل الأمة الإسلامية أو هي دعوة تبشيرية لقطع ما بين المسلمين ودينهم من صلة لغوية وخلقية " (١).

ب - دعوته إلى إلغاء الشخصية الإسلامية وصهرها في الفكر الغربي :

١- رفض الحقيقة القائلة بأن الغرب قد اخذ من الشرق الثقافة في القديم ، فهو يكفر بالشرق ويؤمن بالغرب ، ويدعو إلى تبني كل ما أنتجه الغرب مطلقا ، أورد الأستاذ أنور الجندي اعترافات سلامة موسى في كراهيته للشرق وعبوديته للغرب يقول سلامة موسى عن نفسه ويعرف بهويته: "كلما زادت معرفتي بالشرق زادت كراهيتي له وشعوري بأنه غريب عني وكلما زادت معرفتي بأوروبا زاد حبي لها وتعلقني بها، وزاد شعوري بأنها مني وأنا منها، هذا هو مذهبي أعمل له طول حياتي سرا وجهرة، فأنا كافر بالشرق مؤمن بالغرب" (٢).

(٣) انظر: ترشيد الفكر الإسلامي، أنور الجندي، ص ٥٥

(٤) انظر: أصالة الفكر الإسلامي في مواجهة التغريب، ص ٦٣

(١) انظر: المصدر السابق ص ٦٤

(٢) تاريخ الغزو الفكري والتغريب خلال مرحلة ما بين الحربين العالميتين ١٩٢٠ ص ١٧٧

٢- إنكار الحقائق الصحيحة لتطور الفكر المسيحي، ونفي دور الشرق وفضلهم أو لميراث الإبراهيمية الحنيفية، الذي سبق رسالة موسى وعيسى، يقول سلامة موسى معبرا عن ذلك: "ولا يمكن القول بان أوروبا استفادت ديانتها الراهنة من الشرق،... أما من حيث الآداب المسيحية فالفضل فيها يرجع إلى الإغريق ، فإن من يقرأ لمجادلات الرسل يشعر بالروح الإغريقية" (٣).

٣- الدعوة إلى تفرغ التعليم والثقافة من مفهوم الإسلام، وصرح الثقافة العربية في إطار الثقافة الغربية، لم يتورع سلامة موسى عن ولائه للغرب وهو يقول: "أرى أن مصلحتنا ومصلحة العالم كله أن نغرس في أذهان جميع العرب في مصر والعراق وسوريا وشمال أفريقيا ، أنهم أوروبيون سلالة وثقافة ، وأنهم يجب عليهم أن يسيروا سير الشعوب الأوروبية ، ينتفقون بثقافتهم ن ويتعودون بعباداتهم ... ونجعل أدبنا يجري وفق أدبها ، بعيدا عن منهج العرب ونجعل فلسفتنا وفق فلسفتها، كان يجب عن هنري فورد اوكارل ماركس" (٤) ومن هنا فقد كان سلامة موسى أول من روج لدارون وفرويد والفكر الماركسي الإلحادي، فقد أورد أنور الجندي مجموعة من العناوين التغريبية التي اعتمدها سلامة موسى في برنامج التغريبي التي تعبر قطعا بانحراف سلامة موسى في اتجاهه الفكري، والخروج عن المألوف باسم مضلل ساقه سلفه طه حسين ب(العلمية) تلك المنهجية المطربة التي تجاوزتها متغيرات الفكر والحضارة ،: العلم وحده ، المجددون يقولون بالتطور، دارون ، الفرعونية ، الإغريق، الصراحة في المسائل الجنسية ، الوطن والعالمية ، التجديد في تركيا ، الأزمة الدينية في العالم ، المادية ، العقل وحده ، السفور في العالم الإسلامي ، البشرية دين جديد، السلفيون والمجددون (١).

يرى الباحث إن سلامة موسى بذلك يخدم الصهيونية والفكر الماسوني ، حين يعلن عن أهدافه والتي بلورتها كتاباته ، والتي تلتقي مع الفكر الماسوني الرامي إلى تحطيم الأنظمة الروحية والأحكام الخلقية في العالم الإسلامي، هذا ما رصده المفكر أنور الجندي وهو يراجع كتابات سلامة موسى ، وإظهار مدى علاقتها الأفكار المعادية للإسلام ، وتأثيرات هذه الأفكار على واقع المجتمع الإسلامي .

(٣) إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام ، أنور الجندي، ص ١٨٨

(٤) تاريخ الغزو الفكري والتغريب خلال مرحلة ما بين الحربين العالميتين ١٩٢٠ ص ١٧٧

(١) انظر: إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام، ص ١٨٩

وإن أخطر ما يدعوا إليه (التغريب) : هو التبعية ، وإن أهم ركائز الفكر الإسلامي هو الأصالة والتميز واستحالة الإندماج أو الاحتواء في الفكر الغربي الذي يتسم بالتجزئة والانقطاع، ذلك أن الإسلام يجمع بين العقيدة والفكر في وحدة لا تقبل التجزئة أو الانفصال في القيم، فمصدره الذي يعتمد عليه الوحي والنبوة، والعقل وسيلة من وسائله والعلم منها يجري في مجراه .

ومن هنا تبدو خلافات عميقة، ومباينات واضحة بين عقيدة لها جذورها الممتدة والراسخة ومن العسير اقتلاعها، وبين فكر وافر أتاحت له الظروف أن يكون صاحب نفوذ وسلطان مسيطر حتى حين، ولقد جاءت محاولات طه حسين وسلامة موسى وغيرهم من دعاة التغريب عبر كتاباتهم للقضاء على مقومات الوحدة في المنهج الإسلامي، لإخراج البشرية من إطار الإيمان والتوحيد والمسئولية الفردية والالتزام الخلقى، وهذا الإطار الذي يمثل درعا واقيا للأمة من الوثنية والمادية والإلحاد، ومن ثم أصبح الأمة مفرغة من الانتماء فيسهل القضاء عليها .

واعتمد المفكر أنور الجندي في مناقشاته لدعاة التغريب على الجذور التاريخية والفكرية التي انطلق منها طه حسين وسلامة موسى ، ثم على الخلفية الثقافية ومصادرها ، والطبيعة النفسية التي يتمتع بها رجالات التغريب وأعمدته في العالم الإسلامي ، ولاشك بأن النفوذ الأجنبي استطاع أن يصنع عقولا غربية ، من أمثال طه حسين الذين رغبوا في الشهرة وساقطهم الأهواء لذلك الغرض ، فدراسة الشخصيات وتشخيص النفسيات عامل مهم في معرفة القابلية للاحتواء أو عدمها ، فكانت شخصية دعاة التغريب مهياة لذلك .

واستطاع المفكر أنور الجندي أن يكشف عن خلفية المنطلقات المنهجية العدائية لدعاة التغريب ، فعمل على إسقاطها وبيان إطباقها ، وإجلاء محاذيرها ولوازمها الخطيرة على القيم والعقائد ، يقول المفكر أنور الجندي في إطار تحذيره من مغبة التبعية والافتتان : "إن هناك حربا تشن على العقائد ، وعلى المسلمات التي تتصل بالوحي والبعث ، وهناك فلسفات مطروحة ترمي إلى إلغاء القيم الثوابت وإقامة التطور المطلق ، وتجاوز الروح وإقامة المادة وحدها ، وإلغاء الضوابط الأخلاقية والمسئولية الفردية ، ودعوة إلى رفع الوصاية عن الشباب، بل هناك دعوة صريحة أعلنت خطتها بإخراج العرب والمسلمين من إطارات الدين ،... ومن وراء هذه الدعوات : الاستعمار والتغريب والصهيونية" (1) .

(1) شبهات التغريب ، أنور الجندي ، ص ٤٧ .

وعليه فيمكننا تحسس سبب الهزيمة التي مني بها العالم العربي والعالم الإسلامي والعرب عموماً في واقعنا المعاصر، هو أنهم تركوا أسلوبهم ومنهجهم الأمثل الذي كان سبب انتصاراتهم عبر التاريخ كله، وتشبثوا بالتبعية وأساليب الفكر الوافد، فالتمسوا فيه الحل وتجاهلهم التحذير السماوي من الأوهام والشبهات التي حفل بها التاريخ القديم، والزيغ الذي اعتورها، ووجه الحق في مختلف القيم التي طرحت، وبيان تصادمها مع الفطرة والعقل،

وقد ساق القرآن في غير موضع عن محاذير الإحتواء ومنها قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ) (٢). وقال سبحانه: (وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (٣) ويقول في معرض آخر (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ) (٤).

وقد أولت السنة النبوية اهتماماً بهذا التحذير؛ لمنع المسلمين من الوقوع في خطر التبعية والاحتواء، فأخطرت من شأن البحث فيما يتصل بالعقائد والقيم الفكرية، حتى لا يحدث الخط بين الحقائق، فينتج عنه مذهباً أو فكراً يجانب الصواب، لاسيما وأن العقائد والثقافات قبل البعثة كانت مطربة يمازجها اللغظ والانحراف، ومن هذه التحذيرات فيما رواه جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا فإنكم إما أن تصدقوا بباطل أو تكذبوا بحق فإنه لو كان موسى حياً بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعني" (١).

مثلت تلك النصوص ركيزة أساسية وضعها القرآن مصدراً للفكر والثقافة والعلم كله، وعمل على تتميتها النبي صلى الله عليه وسلم - وتركها عبرة واضحة للأجيال المتعاقبة.

لقد كانت مواجهة أنور الجندي للدعوات الهدامة بناء على شعوره ووعيه بطبيعة المؤامرة التي تعمل على إحياء المذاهب الهدامة التي طوى الزمان صفحاتها، وإدراكه

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٠٠.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٠٩.

(٤) سورة النساء: الآية ٤٤.

(١) رواه الدارمي في المقدمة حديث رقم ٤٣٦، رواه الإمام أحمد في باقي مسند المكثرين من مسند جابر بن عبد الله رقم

١٤١٠٤.

للأسلوب التي تعرض فيه والوسائل العصرية التي تعبر عنها ،لخداع من قصرت ثقافتهم عن الوعي العام بمرجعيات هذه الثقافة يقول أنور الجندي في هذا الصدد : " ولاريب أن ما يواجه البشرية اليوم من مذاهب ودعوات، إنما هي عصابات ما طرح من قبل ، واستمداد منه، والجديد فيها أنها صيغت في أسلوب عصري، ووضعت في قالب براق حتى يغري بها البسطاء" (٢).

وإن أخطر ما كشف عنه المفكر أنور الجندي محاولة دعاة التغريب في ومدرسة الاستشراق خلفهم ،حمل تلك الشبهات التي شغلت مساحات واسعة في تراثنا وتاريخنا الإسلامي على أنها فلسفات ومذاهب ، بل ربما يتعدى الأمر فيظن بها إنها حقائق ومسلمات ، وهذا الأخطر في سلم التبعية.

وعليه فإن مواجهة هذه المؤامرة من أوجب الواجبات وتحذير الأجيال من هذا الخطر من أهم العوامل في بناء المجتمع الإسلامي، وإعادة الدور الحضاري للامة من جديد. وما كانت جهود أنور الجندي في هذا الاتجاه إلا امتدادا لسير علماء المسلمين الذين واجهوا هذه الأزمة ، ودحضوا الشبهات ، وصححوا المفاهيم، من أمثال الإمام الشافعي والأشعري والغزالي وابن تيمية وغيرهم .

وبعد استشراف الباحث لموقف أنور الجندي من دعاة التغريب ، وتناوله بالتحليل والوصف ، فقد أخذ على المفكر أنور الجندي بعض الأمور ، يرى الباحث أن يضعها بين يدي القارئ ، ليس انتقاصا أو تقليلا من قيمة المادة العلمية ، إنما من باب الأمانة العلمية ،ويمكن إجمالها في النقاط التالية :

١- ومما يؤخذ عليه هنا وهو في صدد التنقيب عن آراء طه حسين وسلامة موسى ، وبيان الضلالات التي اعتورتها ، أنه قد افتقد إلي التوثيق العلمي من كتابات طه حسين وسلامة موسى أو النقول عن الغرب في اعترافاتهم والتي حاول الباحث أن يرصدها من مظانها ، إلا أن الأمر كان عسيرا .

٢-بالإضافة إلى أن التكرار كان يغلب على كتاباته ومناقشاته لدعاة التغريب ، بحيث فتجد عباراته نفسها متفرقة في جميع كتاباته ، وأظن أن التكرار مأخذ علمي ومنهجي لاسيما أن لم يعرض بسياق وبأسلوب مختلف ، أو لا يراد به تدعيم قضية معينة ، وهذا بذاته أجهدني كثيرا أثناء طرحي لمناقشاته مع دعاة التغريب .

(٢) شبهات التغريب، ص ٥١ .

٣- عدا أن رأي أنور الجندي في مواقفه والتي هي مجال البحث يكاد لا يظهر بين مناقشات العلماء الذين يعتمد عليهم أنور الجندي لتدعيم موقفه.

المبحث الثالث

التبشير

المطلب الأول : تعريفه وأهدافه
المطلب الثاني: موقف أنور الجندي من التبشير

المطلب الأول

التبشير (تعريفه وأهدافه)

أولاً : التبشير لغة واصطلاحاً :

١ - التبشير لغة :

التبشير من بشرّ وأبشر ، يقال: بشره، وأبشره تبشيراً ، وكلمة بشرّ من البشرى، ومنه أبشرت الرجل وبشّرتّه : يعني أخبرته بخبر سارّ بسط بشرة وجهه. وهو مصدر لفعل: بشرّ وأبشر، أي أخبر خبراً بخبر سار يؤثر في البشرة، والتبشير يكون بالخير إذا أطلق ومثاله قول الله تعالى (وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ)^(١) وفي بشارة الملائكة لمريم البتول بحمل الطفل المعجزة عيسى عليه السلام ، وإعلامها بمكانته في الدنيا والآخرة (إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ)^(٢) .
ويكون بالبشر إذا قيّد به كأن يأتي في معرض التبكيت كما في قوله تعالى: (فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)^(٣) (٤) .

يظهر من التعريف اللغوي أن التبشير مراده الخير والشر، فمع الخير إذا أطلق ومع الشر إذا قيّد ، والظاهر أن البشارة تصرف في اغلب ورودها على محمل السرور والخير ، فالأصل فيها الخير إلا ما خصه السياق واللاحق الصارف من الخير إلى اقتضاء التبكيت والتقريع .

ومن الغريب أن يصرف معنى التبشير على فكرة ينادى بها ، كما عرف في نسبته إلى النصارى ، في المسمّى الذي عهد في قاموس الفكر النصراني ، البشارة والتي يراد بها الإنجيل ، والواقع أن هذا النسبة تحتاج إلى تحقيق ، لاسيما وأن المراد اللغوي الذي دعمته المعاجم اللغوية يمنع إطلاق التبشير أو البشارة على الفكرة لمجرد الفكرة ، إذ لا يلزم منه البشارة فقد يراد بها غير ذلك ، عدا أن التخصيص مشكل إذا تعين اقتران التبشير بالدعوة الدينية ، كما هو الحال في الكنائس النصرانية ، وما تمخض عنها من قرارات

(١) سورة الزمر : الآية ١٧ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ٤٥ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ٢١ .

(٤) انظر: ولسان العرب-ص ٧٠/٤ مادة بشر مختار الصحاح: ص ٥٣ وتاج العروس ٤٥/٣ ، ومفردات ألفاظ القرآن:

للراغب الأصفهاني ص ١٢٥، دار القلم - دمشق - الطبعة الثالثة - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م .

ومخططات يقطع بمنع هذا التسمية على البعثات التبشيرية، والتعريف الاصطلاحي للتبشير ودلالاته سيحدد مصداقية هذا الإطلاق أو عدمه.

٢ - التبشير اصطلاحاً:

" يطلق لفظ التبشير على تلك الحملة التي تولتها الصليبية فيما أسمى " بتعليم الدين المسيحي ونشره"^(١) وفي تعريف آخر " هو حركة دينية سياسية استعمارية، بدأت بالظهور إثر فشل الحروب الصليبية، بغية نشر النصرانية في الأمم المختلفة في دول العالم الثالث بعامة، وبين المسلمين خاصة؛ بهدف إحكام السيطرة على هذه الشعوب"^(٢).

عرّف المفكر أنور الجندي التبشير بأنه " أحد الحركات الكبرى للغزو الثقافي والتغريب، والسيطرة على العالم العربي ، وقد سبق الاستعمار ومهد له وفق خطة ضخمة"^(٣).

أو هو " مؤسسة تنصيرية تعتمد على منهجية متكاملة ذات شعب متعددة : اجتماعية ، وسياسية ، واقتصادية ، وفكرية ، وتعليمية ، وإعلامية ، هدفه هو نشر العقيدة المسيحية في الأوساط الإسلامية وغيرها ، أو تغريب الإنسان المسلم ، وحمله على التشكك في عقيدته"^(٤).

أورد المنصرون تعريفاً يحاولون به تأليف المراد اللغوي مع منطلقاتهم التنصيرية، أو ما يطلق عليها التبشير وفيه " التنصير هو إعلام البشر بما يسرهم ، بغية إقناعهم بربوبية المسيح المخلص"^(٥).

والذي يظهر من خلال التعريفات السابقة وجود انقسام جلي بين المراد اللغوي للتبشير، ورتابة ما يقتضيه من خير ، وبين ما دلت عليه التعريفات الاصطلاحية للتبشير إذ

(١) الاتجاهات الفكرية المعاصرة ، للمستشار الدكتور علي جريشة ، ص ٢٣ ، دار النشر دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة - المنصورة، الطبعة الثالثة ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

(٢) التنصير التحدي والمواجهة، د. أحمد عبد العزيز السايح - مجلة منار الإسلام - ص ٨٠ من السنة السابعة عشرة من عددها السابع - رمضان - ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م - تصدر عن دولة الإمارات العربية المتحدة ، وانظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ص ١٥٩.

(٣) تاريخ الغزو الفكري والتغريب ، ص ١٥٩.

(٤) التبشير والمسلمون في أفريقيا السوداء، السيد عبد الله باه - الدورة العاشرة لمؤتمر المجمع تحت عنوان : المسلمون وحوار الحضارات في العالم المعاصر - ص ٢٤٢ ، صفر ١٤١٦هـ - تموز ١٩٩٥م - المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية - مؤسسة آل البيت - عمان ط - ١٩٩٦م.

(٥) انظر: التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي - الترجمة الكاملة لأعمال المؤتمر التبشيري المنعقد في مدينة جلين آيري بولاية كولورادو في الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٩٧٨م - ص: ٨٨٩، منشورات مركز دراسات العالم الإسلامي - بيروت.

ارتبطت بقضية واحدة هي العداة للإسلام، عدا أن إطلاق مصطلح التبشير لم يكن مراداً في التعريفات المتقدمة ، إذ أطلق على ما عرف بحركة التبشير (التنصير)، ولا يمكن الجمع بين المتناقضات ، فالتبشير مراده السرور والإعلام بما هو خير ، فكيف نجمع بين ما يقوم به المنصرون في حملاتهم على الإسلام ، وحرف الأمة عن دينها ، أو تجريدهم منه، وبين الخير والبطارة ، إضافة إلى محاولة النصارى توصيف أعمالهم بالتبشير، وقد افتقدت إلى الواقعية فيما تقوله ، عن ألوهية المسيح، وتخليصه للبشر ، مع ما فيه من تصحيف لحقائق الدين واعتداء على ألوهية ووحداية الحق — سبحانه وتعالى — فهل يحمل هذا التجني الديني والتاريخي على البطارة؟! ، وفيه من العداة والكيد والدس ما فيه؟! وتأمل قول الله تعالى حكاية عن عيسى وهو يرسم الطريق القويم لأتباعه : (إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) ^(١) وبرائة عيسى مما نسب إليه من التآليه (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ^(٢) .

إن ما يقوم به المنصرون ينفصل عن المعني الذي يراد من التبشير ، وعليه فإطلاق اصطلاح التبشير على حملاتهم ودعوتهم يجانب الصواب، ويفقد القيمة الأساسية لمقتضيات المصطلح ، وأدق وصف يمكن أن يوصف به هؤلاء أنهم منصرون، وعن الإطار الذي يتحركون فيه تنصير، ويجب أن نفرق بين المصطلح القرآني في وصف أتباع عيسى في (الحق الذي لم يخالطه التزييف)، بأنهم نصارى ، وبين التنصير ، الذي مزجه الأهواء ، وصاحبه التحريف والتبديل الذي ما أنزل الله به من سلطان، ساق القرآن هذا الوصف في قوله تعالى : (فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) ^(٣) فالنصارى على ما جاء به عيسى من حق يحمل الخير والبركة للناس، يمكن أن نطلق عليه تبشير ، ذلك بأن دعوة عيسى — عليه السلام — جاءت ببطارة للناس في أمرين :

الأمر الأول : ما تقتضيه دعوته من الحق ، وإصلاح وبناء للنفس، وحملها على التناغم مع القيم والمبادئ السماوية القائمة على العدل ، وهذا إطلاق عام يراد به دعوة عيسى التي

(١) سورة آل عمران : الآية ٥١ .

(٢) سورة المائدة : الآية ١٧ .

(٣) سورة آل عمران: الآية ٥٢ .

هي جزء لا يتجزأ من دعوة الإسلام ودعوة الرسل جميعاً ! لما فيها من التبشير بالخير من خلال دعوة الناس إلى ما يكون سبباً في إسعادهم ،ويمكننا أن نؤصل لذلك بما ساقه القرآن ؛لندعيم رأينا يقول تعالى – واصفاً ما جاء به عيسى من البشارة – (وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ)^(١) فحمل التبشير هنا على أمر سار هو الإعلام بنبوة رسول من الله يهدي إلى الحق الذي سبق إليه عيسى وإتمام للرسالة التي تواتر الرسل على حملها والدعوة إليها، وهذا أمر سائغ عقلاً وشرعاً ،فالنصرانية على هذا عبّرت عن فترة انقضت في تاريخ البشرية ، بشرت بالخير وبيعت خاتم الأنبياء ، والتنصير المعاصر ينطلق بدعوى العالمية لدعوة المسيح عيسى عليه السلام ، على غير ما جاء به عيسى كما أسلفت ، فالدعوة بالعالمية قول مغلوط يتناقض والحقائق التي أثبتتها القرآن والتاريخ ، فدعوة النبي – عليه السلام – كانت بمثابة نسخ لما سبق ومع المحافظة على العقيدة العامة التي ساقها القرآن الكريم بقوله : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ)^(٢) فتصحيح بولس في الأصل العام للعقيدة يخالف ما جاء به عيسى وما جاء الأنبياء من أجله ،ودعوته بالمسيحية القائمة على مجموعة من التعاليم خرجت من نسيج أحفاده على دعوة المسيح عيسى – عليه السلام – وقد قامت على خلاصات العقائد الهندية والفارسية والوثنية ، والدعوة إلى التثليث وألوهية عيسى^(٣) ، وبالتالي فبشارة عيسى ناسبت الزمن الذي جاء فقط ، ولم يرتبط بالعداء والحقد الذي عرف في دعاوى التنصير المحرفة والمبتذلة .

الأمر الثاني : ورود البشارة والتبشير وصفا لدعوة النبي – صلى الله عليه وسلم – في القرآن الكريم في غير موضع، لتتأكد صلة هذا المصطلح بكل ما يحمل الخير والبشارة ، وعدم انحصارها في عقيدة أو فكر يقول تعالى واصفاً وظيفته – عليه السلام – : (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ)^(٤) وقوله تعالى : (وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ

(١) سورة الصف : الآية ٦ .

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٢٥ .

(٣) انظر: التنصير مفهومه، وأهدافه ، ووسائله وسبل مواجهته ، د. علي إبراهيم النملة ، ص ١٧ ، دار الصحوة للنشر والتوزيع –

القاهرة – ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م .

(٤) سورة البقرة: الآية ١١٩ .

وَيَا حَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا^(٥) وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا)^(٦) .

يمائته قوله تعالى: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا)^(١) .

بناء على ما تقدم ومن خلال استقراء النصوص الشرعية ، والتعريفات اللغوية والاصطلاحية لمعنى التبشير ، يتبين لنا بأن التبشير لفظ عام يصح أن يطلق على كل ما يدل على السرور ، وفي إطار هذه العمومية يمكننا أن نصف ما جاء به عيسى من الحق (ليبشر به الناس) بأنه تبشير ، وما جاء على لسان محمد - صلى الله عليه وسلم - من الوعد بالثواب والأجر من التبشير ، وعليه يمتنع إطلاق وصف التبشير على ما يقوم به النصارى اليوم ، لانسلاخهم عن دلالة العموم الذي أفادته التعريفات والنصوص ، فيمكن تسميتهم منصرين أو مسيحيين على رأي من فرق بين التصير والمسيحية ، وإن كان الأولى أن نصفهم بما وصفهم به القرآن (النصارى) ، مع ما شابهم من التحريف بدين الله وصدق الله إذ يقول: (وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَنْ أُتْبِعَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ)^(٢) وفي الآية بيان انحرافهم عن قواعد الدين ومحاربتهم للحق وترفعهم عن الخضوع لمسلمات الدين .

وبهذا يتبين خطأ المنصرين فيما نسبوه إلى (عيسى عليه السلام) والتوفيق بين مراد التبشير إن كان فكرة أو عقيدة أو أمر عام ، وإمكانية التوصيف في إطار الضوابط اللغوية ودلالاتها .

ثانياً : أهداف التبشير

يعد فشل الحروب الصليبية إعلاناً وإيداناً بمشروع التبشير ، وبداية للمخطط الجديد للغزو الفكري والثقافي ، وذلك لأن السيف قد عجز عن النيل من الأمة ، وأن السبيل إلى النيل من وحدة المسلمين وقوتهم - هو دحر فكرهم وعقيدتهم ، وتعتبر وصية لويس التاسع - قائد الحملة الثامنة- أخطر وثيقة في هذا السياق ، فقد نبه إلى سر قوة المسلمين ،

(٥) سورة الإسراء: الآية ١٠٥ .

(٦) سورة الأحزاب: الآية ٤٥ .

(١) سورة الإسراء: الآية ٩ .

(٢) سورة البقرة: الآية ١٢٠ .

وتوحدهم ، فأخطر من شأن العقيدة الإسلامية ، وبين أنها الدافع والمحرك لجميع تصرفاتهم ، فقد انتصر المسلمون بما يحملون من فكر وعقيدة ، في كل مواجهة مع الصليبيين ، ولمّا كانت العقيدة والفكر هما الركيزتين الرئيسيتين في خلق روح الدفاع والردع لكل عدو متربص ، ومنع قابلية الاحتواء ، فاتجه إلى حرب الكلمة ، بتشويه معالم الدين ، وإبطال تأثيرها بتصحيف وتشويه المفاهيم المتعلقة بالجهاد في سبيل الله ، ومحاربة مبادئ الإسلام وتعاليمه ، ومحاصرته خشية التمدد والانتشار ، ولا يكون هذا إلا بتجنيد جملة الباحثين والمنتبعين لمناهج المسلمين العقائدية والفكرية ، وجعلهم أداة لهم ؛ لقتل الروح العالية والطبيعة النفسية التي تمثل القوة الحقيقية لانتصاراتهم ، ومن ثم إحكام السيطرة على المسلمين بالطرق السلمية بعد إخفاق السيف في تحصيل المراد .^(١)

ومن هنا اتجهت حركة التبشير في العالم الإسلامي منطلقاً من الهدف العام — السالف ذكره — إلى أهداف تفصيلية يمكن إيراد أهمها فيما يلي :

١- توهين الوحدة الإسلامية :

يقول (لورانس براون) مصرحاً بهذا الهدف : " إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطراً ، وأمكن أن يصبحوا نعمة له أيضاً ، أما إذا بقوا متفرقين فإنهم يظلون حينئذ بلا قوة ولا تأثير " ^(٢) فخطر التوحد الإسلامي هو العائق أمام تطلعات المبشرين ، ورغباتهم الاستعمارية ، من هنا كان العمل يستهدف العقيدة التي هي سر النقاء كلمة المسلمين وتوحدهم أمام عدوهم ، فالقضاء على الوحدة هو السبيل للسيطرة على العالم الإسلامي ، وإفناء مقوماته الذاتية ، وسلب إرادته يشير المفكر أنور الجندي إلى هذه النقطة وهو يرصد أعراض المبشرين من استهداف الوحدة فيرى أن الطريق الخطير الذي سلكه المبشرون هو تحسسهم لعوامل الاجتماع بين الشعوب ، وإدراك تأثيرها في محيط التوجه والسلوك ، وعليه فإنه يحدد العوامل التي رصدها التبشير بغية توهينها حيث حصرها في اللغات والأديان والتاريخ القومي من هذه

^(١) انظر: الخنجر المسموم الذي طعن به المسلمون ، أنور الجندي ، ص ١٦ دار الاعتصام — القاهرة انظر: الاتجاهات الفكرية

المعاصرة ، ص ٢٤ انظر: واقعنا المعاصر ، ص ٣٧ انظر : أجنحة المكر الثلاثة ، التبشير والاستشراق والاستعمار ص ١٠ .

^(٢) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، د. محمد البهي ، ص ٢٢٢ ، ط التاسعة ، الناشر مكتبة وهبة القاهرة .

القاعدة اتجه التبشير للقضاء على وحدة المسلمين ، فالإسلام هو القوة التي تخيف الأوروبيين ، فلا سلطان للأوروبيين إلا بنزع هذه القوة (٣) .

ويتضح من ذلك أن هدف التبشير استعماري يعبر عن العداء الصليبي للإسلام ، والرغبة في الثأر من الإسلام ، بعد هزيمتهم في حروبهم الصليبية ، ولم تتحقق لهم السيطرة على بيت المقدس ، والدور الذي لعبه المسلمون في القرون الوسطى بإسقاط السلطة الكنسية عن أوروبا لما رأى الأوروبيون نهضة المسلمين في المجالات المتنوعة ، مما دفع بهم للخروج على الكنيسة ، وحصر مهمتها في الكنيسة ، بحيث لا تتجاوز الإطار الكهنوتي من العبادة (٢) .

٢ - حمل المسلمين على تبني العقيدة النصرانية:

أعلن المبشرون بصريح العبارة عن هذا الهدف ، بأن مهمتهم هو نقل المسلم من دين محمد إلى المسيح ، منطلقين من عدائهم لدعوة الإسلام ، باعتبارها العقبة أمام دعوة المسيحية أو التصير ، ذلك بما يضيفه الإسلام من مبادئ وحقائق تكشف زيف الفكر المسيحي وانحرافه عن المسلمات الفكرية التي ساققتها الكتب السماوية مجتمعة يقول المبشر (ويليم جيفورد) واصفاً تلك الخطورة في كلمات قليلة المبنى كبيرة المعنى : " إن جزيرة العرب التي هي مهد الإسلام لم تزل نذير خطر للمسيحية " (٣) .

إن مهمة التبشير لم ينحصر دورها في تصير المسلمين ، بل الأمر يتعدى إلى أبعد من ذلك ، إنهم يريدون هدم الإسلام ، كما يريدون تشييد الفكر النصراني ، أو بعبارة أخرى تحليل وتركيب ، وقد بذلت في سبيل ذلك الأموال الطائلة ، وتسخير العملاء من الحكام والمرتزة لتدعيم هذا الهدف ، ولا يتم للنصارى هدفهم إلا بتثويبه صورة الإسلام ، وبث الأفكار المسمومة في وسط المجتمعات من خلال وسائط كثيرة منها : المدرسة والجامعة والإعلام ، والمؤسسات الخاصة ، ونحوها ، الأمر الذي ساهم في نجاح التبشير في أكثر من موقع في العالم الإسلامي ولاسيما إندونيسيا ، وأفريقيا وباقي الدول التي تكابد الجوع والعطش ، وتعيش حياة البؤس ، ويسيطر عليها الجهل والتخلف ، والاعتراف بهذا لا يحتاج إلى إحصائيات المبشرين في بيان عدد الذين تنصروا من المسلمين ، بل الحقائق تشير إلى

(٣) انظر: تاريخ الغزو الفكري والتغريب ، ص ١٦١ وانظر: الفكر الإسلامي والثقافة العربية المعاصرة في مواجهة تحديات

الإستشراق والتبشير والغزو الثقافي ، أنور الجندي ، ص ٦٧ ، دار الإعتصام.

(٢) انظر: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، ص ٤٢٤

(٣) انظر : الاتجاهات الفكرية المعاصرة ، ص ٢٤

ذلك، فهناك من نزع الإسلام من قلبه واعتنق النصرانية في خفاء، ويعملون أجراء لمؤسسة التبشير العالمية^(١).

ولاشك أن التصير هنا لم يتوقف على رغبات تلك الشعوب والأشخاص باعتناق المسيحية بقدر ما يقوم على الخلاص من الفقر والبؤس، مما يجعلهم يعتقدون أي دين ما دام يمنحهم الحياة الكريمة ، يؤكد قولنا هذا اعتراف المبشرين أنفسهم بعجزهم عن تصير المسلم الحقيقي ، يقول (زويمر) - زعيم المبشرين - " أفرم على أن الذين دخلوا حظيرة المسيحية لم يكونوا مسلمين حقيقيين " وقوله : " لقد كانوا أحد ثلاثة : إما صغير أو رجل مستخف بالأديان أو رجل نفعي " ^(٢) والواقع أن هذا التجاذب ينذر بالخطر ، فلا نعم المصير الذي تخبؤه الأقدار ، والعالم الإسلامي هدفا لحمات التسويق والإغراء التي تظهر في عمق التواجد العربي ، محاطا بهالة من التحديث والتتوير المخطط ، لهدم الإسلام في عقائده ، ونظمه ، وقيمه ، والجنوح نحو متطلبات الشهوة والأهواء والغرائز، التي تصرف العقل والقلب عن لباب الحق، فيكونوا تبعاء، أو بلا دين على الأقل، وكلا الغايتين هدفا للتبشير^(٣).

يقول جب راسما خطة المستقبل التصيري : " لقد استطاع نشاطنا التعليمي والثقافي عن طريق المدارس العصرية والصحافة أن يترك في المسلمين ولو من غير وعي منهم أثرا يجعلهم في مظهرهم العام لا دينيين إلى حد بعيد ولا ريب أن ذلك خاصة هو اللب المثمر في كل ما تركت محاولات الغرب لحمل العالم الإسلامي على حضارته، يحدد الأستاذ أنور الجندي دور المؤسسة الثقافية والإعلامية في خدمة التبشير ، ويقرن علاقته بالتغريب الذي تركز أعماله في إسقاط الشخصية الإسلامية ، وافرغها من المنطلقات الدينية ، وتأهيلها للتعاطي مع الحضارة المعاصرة بكل متطلباتها ، ومن هنا تتبدى علاقة التبشير بالاستعمار بما لا يدع مجالاً للشك ، في خطوة الغزو التبشيري لبلاد المسلمين ، وفي الأمة من توفرت فيه القابلية التي مبعثها الجهل أو النفعية ممن نعتمهم الناس بالوطنية او نحو ذلك من النوع الوهمية ، التي خدع بها الكم الأعظم من بسطاء الفهم والفقهاء لأبعاد الدور الذي يقوم به هؤلاء تحت قناع الوصف^(١).

^(١) انظر : الغارة على العالم الإسلامي ، تأليف ا. شاتليه A.Le chateler لخصها ونقلها إلى العربية ، محب الدين الخطيب ، مساعد اليافي ، ص ٨ نشرت في جريدة المؤيد سنة ١٣٣٠ وفي صحيفة الفتح سنة ١٣٤٩ - ١٣٥٠ ، مكتبة أسامة بن زيد ، بيروت

^(٢) الاتجاهات الفكرية المعاصرة ص ٢٨

^(٣) انظر : أجنحة المكر الثلاثة ، التبشير والاستشراق والاستعمار ص ١٧ - ١٨ ، وانظر : حاضر العالم الإسلامي ، ص ٣٨ انظر الاتجاهات الفكرية

المعاصرة ص ٢٧

^(١) انظر : الخنجر المسموم الذي طعن به المسلمون ، ص ٢٨

٣- تشويه صورة الإسلام وإضعاف قيمه:

المقوم الأساسي الذي يعتمد عليه المبشرون ؛ لتقويض الإسلام هو تصحيف صورة الأمة الإسلامية عبر منهجها وتاريخها ، بكل وسائل الدس والافتراء ، بغية خلق جيل يكره الإسلام ، ويحارب الاجتماع حوله ، وخلق شعور بالنقص والتخلف ، أمام ما يصوره المبشرون من مدنية وحضارة في تطبيقاتهم ومشروعاتهم وأفكارهم ، وطريقتهم في ذلك تتمثل في السخرية والتشكيك بمختلف الجوانب التي يعتز بها العرب والمسلمون من تاريخ وتراث وقرآن وبطولات وأمجاد ، والازدراء بالعالم الإسلامي وأمه في المجالات المختلفة ووصفه بالضعف والتأخر وتسميته بالأمة المتخلفة ، ليظهروا أمام العالم الآخر بالصورة والطريقة التي يريدونها التبشير ، لينعدم الوصف الحضاري عن الإسلام ، فنقنى مقومات تماسكه ، ويفقد أثره التاريخي والفكري على شعوب الأرض ، أسس على القوة ، يؤكد المبشر هنري جيسب Henry jesups -مبشر أمريكي - على هذه الغاية فيقول : " المسلمون لا يفهمون الأديان ولا يقدرونها قدرها ، ... إنهم لصوص ، وقتلة ومتأخرون ، وان التبشير سيعمل على تمدينهم " (٢).

إن الهدف من ذلك هو بيان منطق مشوه عن حقائق الدين ، بوصف الإسلام بأنه دين سيف وقوة ، دين مادي لاسماوي ، يقوم على الفجور وسفك الدماء والتعدي على الآخرين ، فيسهل عليهم بعدها أن يثيروا صراعا ويؤججوا فتيله ، بين طوائف المسلمين ، حتى تنقسم الأمة إلى أمم وجماعات متناحرة ، يضع الحق بينها ، وبالفعل فقد قام المبشرون بإثارة العصبية والشعوبية ، والفرعونية ، والفينيقية والآشورية وغيرها ، مما أوجد صراعات مذهبية ، تزول معها مقومات الاجتماع والالتقاء ، وإيجاد الثغرات التي يمكن من خلالها توهين الصف الداخلي للأمة (٣).

٤- تحسين صورة الغرب الصليبي :

يبين المفكر أنور الجندي منهج المبشرين في الوصول إلى أهدافهم ، ويقف على أبعادها فيصفه بأنه يقوم على : "إظهار الأوروبيين في ثوب الأبرار حماة الحضارة ، أنصار الحياة والعلم ، ذلك حتى يتمكنوا من الوصول إلى قلوب العرب والمسلمين ، وتحقيق أهدافهم التي ترمي إلى سلب القيم العربية : العقلية ، والخلقية ، والروحية ، عناصر قوتها ، وتمييع

(١) انظر: أجنحة المكر الثلاثة ، التبشير ، الاستشراق ، الاستعمار ، ص ١٨ انظر: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار ص ٤٢٦ انظر: الفكر

الإسلامي والثقافة الغربية المعاصرة ص ٦٧

(٢) انظر: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار ص ٤٢٦

هذه القيم والتشكيك فيها" (١) هذا المنهج يقوم على الخداع، في محاولة منهم لربط مسمى التخلف بالإسلام، فأى تخلف حضاري سببه الإسلام، مما يصنع عداء للإسلام، فتجند كل الطاقات لمحاربة الإسلام، للتخلص من ربة الجهل والتخلف.

تلك النظرة المغلوطة، التي وصم بها الإسلام، الذي أخرج أوروبا من ظلمات الجهل والجمود الفكري إلى التنوير والنهضة، إنما تأتي في إطار ردة الفعل على ما تسببت به الحضارة الإسلامية من عزل الكنيسة عن الحياة، وهي التي أفرزت مرحلة من التسلط والإستبداد الكنسي، فالتخلف اقترن تاريخيا بالكنيسة التي أتبعنا ديننا محرفا، وعطلت دور العقل في التفكير والإبداع، فمحاولة إسقاطه على الإسلام يجانب الصواب، ويتجاوز حقائق التاريخ، التي أظهرت تخلف أوروبا بسبب الكنيسة، فالتعبير بهذه الطريقة يكشف عن العداء المستكن في نفوسهم ضد الإسلام، عبر تاريخ صراعهم مع المسلمين، والخسائر التي تكبدها بعد هزيمتهم على يد المسلمين قرونا.

وبذلك يكون الباحث قد ألقى الضوء على أهداف المبشرين، بعد أن رصدها من مظانها، وكشف عن منطلقاتها التاريخية والنفسية، وحلل مضامينها، ومن الحق أن يقال بأن الخطر التبشيري يتهدد المسلمين أكثر من محاولات التغريب، والاستشراق، يؤكد ذلك النشاط التبشيري الممتد في العالم، وما يحمل من تطلعات كلها تجتمع في قضية واحدة هي القضاء على الإسلام، بينما يقوم الاستشراق والتغريب في دور تكميلي نظري، يعتمد كل الاعتماد على الإنجازات التي يقدمها التبشير للحضارة والفكر الغربي، وعليه فإن الإخطار من شأن التبشير أمر واجب، يناط بالعلماء الذين عليهم حماية قلاع وحصون الإسلام من الهدم، لاسيما وأنها معركة مع الصليبيين ولكن بسلاح أكثر نكاية من ذي قبل انه سلاح الكلمة، فدرء مفسدتهم مقدم على جلب المنافع.

(١) تاريخ الغزو الفكري والتغريب، ص ١٦١

المطلب الثاني

(موقف أنور الجندي من التبشير)

لقد استوعبت مؤسسة التبشير بكل أهدافها مخططات التغريب الإلحادي ، ولهذه الخطورة اتجه المفكر أنور الجندي؛ لتعريف حركة التبشير بالكشف عن منطلقاتها ، ومخططاتها، والوسائل التي تتخذها ، وإظهار خطرهما على منظومة الفكر والثقافة في عالمنا الإسلامي ، وتحذير المسلمين من التعاطي معها ، لاسيما النخبة المتقفة من الشباب ، الذين يناط بهم قيادة المجتمع الإسلامي، ويتمثل موقفه في المناقشات التالية :

أولا : أثر التبشير في بناء الفكر والثقافة :

يعد التعليم أكبر هدف للمبشرين ، ذلك لما يتركه من أثر في تشكيل ثقافة الأجيال من المسلمين والعرب عموما ، وصوغ الشخصية العربية والإسلامية بالقدر الذي يسمح باستسلامهم لقدرته ونفوذه ، وتبنيهم لمفاهيمه وأفكاره وقيمه ، وعليه فميدان الثقافة والتأليف واللغة والتعليم وهو الذي يحتل المكانة الأولى عند المبشرين ، من هنا اهتم المبشرون بهذا الميدان ، وجعلوا خطتهم في ذلك تقوم على اتجاهات :

١ - التبشير والاهتمام بالأطفال:

يهتم المبشرون بالنشء الصغير، فالطفولة هي المرحلة الأساسية في حياة النشء ، حيث تتشكل عقليته وثقافته وشخصيته ، فالفترة الخصبة في صوغ طريقة التفكير هي الطفولة ، لاسيما وأن الطفل يكون أسير المناخ الفكري والثقافي الذي يعيش فيه ، فالعمل على صوغه وتوجيهه في هذه البدايات سهل المنال ، قبل أن يستقر ويصبح جزءا من تكوينه وشخصيته ، واستهدف المرأة العربية بنوع خاص. وقد عبر المبشرون أنفسهم عن هذه الحقيقة في إعلاناتهم وتصريحاتهم ، ومساجلاتهم ، يذكر المفكر أنور الجندي بعضا من تصريحاتهم التي رصدها كدليل يكشف هويتهم الاستعمارية، فقد سجل محاضرة منشورة ألقى في المؤتمر التبشيري الذي انعقد في ١٩٢٤م، ما يجلى اهتمام التبشير بالأطفال وضرورة تعليمهم في أحضان التبشير جاء فيه : " في كل من حقول العمل يجب أن يكون العمل موجها نحو النشء الصغير من المسلمين ، وموزعا فيما بين المسلمين باعتبارهم البذرة الجديدة الدانية القطوف ؛ ليحيط بهم وليكونوا منه على صلة مباشرة ، ويجب أن يقدم هذا على كل عمل سواء في الأقطار الإسلامية ، فإن تنور روح الإسلام في الناشئ الحديث تبثت باكرا من عمره، فيجب والحالة هذه أن يؤتى بالنشء الصغير إلى الإرساليات قبل أن يتكامل نموهم العقلي وأخلاقهم

... فتستعصي على المبشر " (١) ، تصرح المبشرة أنا مليحان بضرورة العمل على قاعدة العمل في النشء الصغير ، وتعتبره الطريق الأفضل والأسلوب المثمر ، فتقول : " ليس ثمة طريق إلى حصن الإسلام أقصر مسافة من هذه المدرسة فإن المدرسة أقوى قوة لجعل الناشئين تحت تأثير الغرب والمسيحية وهذا التأثير يشمل أولئك الذين سيصبحون يوماً قادة لأوطانهم " (٢) .

وقف أنور الجندي على هدف هذا النشاط التبشيري ، الذي يعتمد الأطفال المسلمين الهدف الأول له ، واتخاذ المدرسة والإرساليات الطريقة المثلى لتحقيق الأهداف ، فيرى أن الهدف من وراء ذلك هو السيطرة على الجيل الناشئ في بداية نموه الفكري وتكونه العقلي ؛ لإعداده على الطريقة التي تجعله صاحب ولاء فكري وثقافي وفطري ، عندما يكون قائداً سياسياً أو خبيراً اجتماعياً ، أو علماً من أعلام الثقافة ، هذا الحب مبعثه التقدير والإعجاب بمن تلقى تعليمه على يديهم ، ويفسر سر اهتمام المبشرين في فترة ما بين الحربين (الأولى والثانية) بتعليم وتنقيف أبناء الطبقة العالية من الأمراء والعظماء الكبار من رجال السياسة ، حيث يتم ابتعاثهم وإرسالهم للتعليم في المعاهد الأجنبية؛ لإعداد وتأهيل هذه الطبقة ؛ لتكون أداة للتبشير أجراء وعملاء لهم ومؤازرين في قلب العالم الإسلامي ، ويشير إلى خطورة نزوع هذه الطبقة الراقية إلى المدارس الأجنبية ، بما لزم من النتائج التي حققها الإبتعاث التبشيري في تضيق الهوية بين الاستعمار والمجتمعات الإسلامية ، لتمكين المصالحة السياسية والفكرية مع المستعمر ، وقد أدى ذلك بالفعل إلى الترفع عن الخلاف في المسألة الشرقية وقيام دولة إسرائيل في قلب العالم الإسلامي ، ويقدم دليلاً آخر يؤكد فيه أهداف التعليم التبشيري ، فيبين أن ما من حمل لواء التبشير بالدولة العثمانية وعملوا على توهين الرابطة بين العرب والترك وساهم في تمكين النفوذ الأجنبي فيها ، كانوا من خريجي معاهد الإرساليات التبشيرية ، ومن أمثالهم ممن خدم النفوذ الأجنبي في مصر ، ممن كان لهم تأثير إعلامي في مجال الصحافة ، ورؤساء لتحرير أشهر الصحف المصرية نحو (المقطم والهلال والأهرام) وحملوا أفكار كرومر الإصلاحية (كما يدعون) ، ومنهم من عاد وقد نادى بالإقليمية والتجزئة بين حدود الوطن الواحد ، وتمزيق الوحدة الفكرية للمسلمين ، وإيقاع الصدام بين العروبة والإسلام كما تحقق في الدولة العثمانية من الخلاف بين العرب والترك .

(١) موسوعة مقدمات العلوم والمناهج ، ٨٥/ ٥

(٢) المصدر السابق ، ٨٥/ ٥

ويرجع ذلك إلى منهج تلك الإرساليات الثقافي والفكري الرامي إلى خلق هذا النمط من التفكير، فأهميتها في ذلك أنها تهتم بدراسة اللغات الأجنبية بتنوعها، وتعليم الثقافة المسيحية من التوراة والإنجيل فيما يخص الأخلاق، ومنها علماني يحتقر فيها الأديان والتاريخ والقيم والأخلاق ويخضعها للنقد والشك^(١).

بالإضافة إلى ما سبق فإن المعاهد الفرنسية والتي أشرفت على إعداد هذا النمط من التفكير يقوم على فرض العزلة الثقافية، ولا سيما وأن تاريخ الإسلام وقيمه مستبعدة من المنهج الثقافي والتعبئة الفكرية، فينفضل العربي عن تاريخه وتراثه وقيمة، ومن ثم يخضع الثقافة والتاريخ الإسلامي لمقاييس المنهج الفلسفي الفرنسي، ولا أدل على ذلك مما قدمه طه حسين في مؤلفاته من الطعن والتشكيك في مصادر الدين الأساسية، وحملته على التاريخ الإسلامي بما ينسجم وتطلعات المستعمرين ممثلة بالتبشير الذي هو بوابة ومقدمة للنفوذ الغربي والاستعمار الفكري لبلاد المسلمين، ومما يرسخ هذا التحليل استهداف المبشرين للأقطار الإسلامية على التحديد، فيما سبق وروده من قرارات وتصريحات المبشرين، إنما يراد به القضاء على نور الإسلام، مرجع ذلك بذور الصراع ونتائجها، سواء أكان صراعا حضاريا أو عسكريا، فالأول ما كان في قضية الصراع بين العلم والكنيسة في القرون الوسطى، وتعاضم المسلمين في حضارتهم، ووقوفهم في وجه التخلف الذي أفرزته الكنيسة على واقع أوروبا، وإسقاط دور الكنيسة في الحياة السياسية، والثاني ما جنته الحروب الصليبية من ويلات لحقت بهم على يد المسلمين، كل ذلك يؤكد طبيعة وخلفية هذه المخططات في عالمنا الإسلامي على التحديد، وإلا فلماذا لا يتجه التبشير إلى الديانات الأخرى ليحملهم على اعتناق النصرانية؟.

٢- التبشير والاهتمام بالمرأة :

لقد تركز التبشير في الاتجاه الأول إلى الأطفال عن طريق المدرسة ومن ثم الجامعة، وقد ظهر نفوذه في مصر ولبنان على التغليب، إلا أن التبشير قد أولى الفتاة أو المرأة عناية كبيرة، باعتبارها فيما ستكون الأم والمؤسسة الرئيسة في المجتمع العربي والإسلامي، فاستهدفت خطة التبشير في أساسها استغلال المدارس المسيحية، في إلقاء بذور الشك في نفوس النشء المسلم وإفساد عقائدهم، ويرجع المفكر أنور الجندي اهتمام التبشير بالمرأة إلى عاملين هما : ١- تحطيم الأسرة العربية ٢- القضاء على الجيل الجديد الذي تنتسبه الفتاة العربية التي تعلمت في مدارس التبشير، وبما أن النساء هن

(١) انظر : موسوعة مقدمات العلوم والمناهج ، ص ٨٦ / ٥

العنصر المحافظ في الدفاع عن العقيدة ، فإن الاتجاه للعمل التبشيري نحو المرأة يعمل على تعجيل الوصول للهدف وهو استعمار البلاد^(١).

تلك النظرية النفسية التي تقوم عليها خطة التبشير ، حيث تدل الدراسات بأن هناك اثر فاعل تحدثه الأم في أطفالها ، حتى السنة العاشرة من عمرهم .

يكشف أنور الجندي عن منهجيات أولويات التنظير التبشيري ، عندما رصد البواعث النفسية للطبيعة الإنسانية العربية ، وإسقاط هذه البواعث على عوامل التخطيط واستراتيجياته ، فهم ينطلقون من دائرة مرنة ، بحيث يقدمون الأولويات على الثانويات في مخططاتهم ، بحيث يمكن اختزال الوسائل وتقريب المسافات ، لذلك كان تحديد الاهتمام بالمرأة المعول عليه في الغزو التبشيري ، جاء هذا الاهتمام صريحا على لسان أحد أبرز المبشرين (أتين لامي) في مجلة العالمين الفرنسية قوله : " إن تربية البنات في مدارس الراهبات أدعى لحصولنا على حقيقة القصد ، ووصولنا إلى نفس الغاية التي وراءها نسعى ، بل أقول إن تربية البنات في مدارسنا هي الطريقة الوحيدة للقضاء على الإسلام بيد أهله ، إن التربية المسيحية أو تربية الراهبات لبنات المسلمين أوجد للإسلام في داخل حصنه المنيع عدوه ، لداء لا يمكن للرجل قهرها ؛ لأنه سهل على المرأة والحالة هذه تؤثر على إحساس زوجها وعقيدته ، فتبعده عن الإسلام ، وتربي أولادها على غير دين أبيهم " ^(٢).

ويوقفنا المفكر أنور الجندي في هذا الصدد على السر في اللفة العجيبة التي يبديها الاستعمار ، وكتابه وأعوانه من كتاب التغريب على قضية تحرير المرأة ، وتعليمها والدفاع عن دعائها ، في حين أن هذا لا يتفق مع خطط الاستعمار الرامي إلى تجهيل الأجيال ، بينما يقف أمام تعليم الرجل وتنقيفه ^(٣).

إن الهدف هنا كما يظهر من تحليل المفكر أنور الجندي هو إخراج الفتاة عن رسالتها الأصلية ، وتعبئتها بالثقافة المسمومة التي بدورها ستعمل على توريثها لأولادها ، فتختصر الطريق إلى الاستعمار .

٣- التبشير والتغريب الثقافي :

ساق المفكر أنور الجندي أدلة العلاقة بين التغريب والتبشير معتمدا على الوثائق القولية والثبوتيات النقلية من المبشرين ؛ منطلقا من المنهج العلمي الذي يعتمد على الدليل

(١) انظر: تاريخ الغزو الفكري والتغريب ، ص ١٦٢

(٢) تاريخ الغزو الفكري والتغريب ، ص ١٦٢ ، موسوعة مقدمات العلوم والمناهج ص ٩٢/٥

(٣) انظر: موسوعة مقدمات العلوم والمناهج ، ٩٢/٥ ، تاريخ الغزو الفكري والتغريب ، ص ١٦٢

والحجة بعيدا عن الأهواء، فقام بعرض الوقائع والنتائج مقارنا بها ما تمخض عن مؤتمرات وتصريحات المبشرين، ففي هذه القضية أورد اعترافات المبشرين أنفسهم بما يقطع الشك في هذا الهدف، حيث كشف المبشر (هاملتون جب) ^(١) بصريح العبارة عن ضرورة أن يكون التعليم في إطار خطة التغريب للعرب والمسلمين بقوله: "التعليم أكبر العوامل الصحيحة التي تعمل على الاستغراب، والحق أنه العامل الوحيد إن فهمنا من كلمة التعليم ما تدل عليه، ولا نستطيع الحكم على مدى الاستغراب في العالم الإسلامي إلا بمقدار دراسته للفكر الغربي وللمبادئ والنظم الغربية، إن انتشار التعليم (الغربي) سيبعث بازدياد في الظروف الحاضرة على توسيع تيار الاستغراب وتعميقه ولاسيما لاقتراحه بالعوامل التعليمية الأخرى التي تدفع الشعوب الإسلامية في نفس الطريق" ^(٢).

كما استخدم التعليم كسلاح قوي لتغيير الشخصية المسلمة، وصياغة العقلية العربية بما يتلاءم والثقافة الغربية، وبذلك تستعبد المجتمعات المسلمة لسلطان الغرب، وقد كان من توجيهات (جون موت) - أحد المبشرين - جعل الشعوب كلها تابعة للغرب وأوروبا والكنيسة، ومن أبرز الأدلة الواقعية اعترافات خريجي معاهد الإرساليات بالدور الذي تلعبه هذه المعاهد في محاربة الإسلام، والرغبة في إسقاط المنظومة الخلقية والفكرية لدى المسلمين، من خلال عرض المادة العلمية المشوهة عن تاريخ الإسلام على طلاب هذه المعاهد، ويمكننا هنا أن نعرض لواحد من هؤلاء الخريجين وهو يكشف الحقيقة، فقد وقف عبد القادر الحسيني - أحد خريجي المعاهد التبشيرية - معلنا في حفل التخرج، بأن هذه الجامعة تخدع الناس باسم العلم، وفي الحقيقة هي معقل للفساد وهدم للعقائد الدينية،

^(١) هاملتون جب. Sir Hamilton R. A. Gibb ولد هاملتون جب في الإسكندرية في ١٨٩٥/١/٢، التحق بجامعة أد نيرة لدراسة اللغات السامية. عمل محاضراً في مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن عام ١٩٢١ وتدرج في المناصب الأكاديمية حتى أصبح أستاذاً للغة العربية عام ١٩٣٧ انتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية ليعمل مديراً لمركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة هارفارد بعد أن عمل أستاذاً للغة العربية في الجامعة. بالإضافة إلى اهتمامه اللغوي فقد أضاف إلى ذلك الاهتمام بتاريخ الإسلام وانتشاره وقد تأثر بمسشرقين كبار من أمثال تومارس آرنولد وغيره. من أبرز إنتاج جب: (الفتوحات الإسلامية في آسيا الوسطى) (١٩٣٣) ودراسات في الأدب العربي المعاصر وكتاب (الاتجاهات الحديثة في الإسلام) وشارك في تأليف (إلى أين يتجه الإسلام). وقد انتقل جب من دراسة اللغة والآداب والتاريخ إلى دراسة العالم الإسلامي المعاصر وهو ما التفت إليه الاستشراق الأمريكي حينما أنشأ الدراسات الإقليمية أو دراسات المناطق. وله كتاب بعنوان (المحمدية) ثم أعاد نشره بعنوان (الإسلام) وله كتاب عن الرسول صلى الله عليه وسلم، انظر: **المدينة المنورة لدراسات وبحوث الاستشراق "الموسوعة مناهج المستشرقين والدراسات الإسلامية لكتاباتهم"** عن موقع www.mrs.8k.com.

^(٢) موسوعة مقدمات العلوم والمناهج: ٥/ ٨٨، انظر: التغريب أخطر التحديات في وجه الإسلام، أنور الجندي، ١٩ - ٢٠، من مطبوعات مجلس اتحاد الطلبة - جامعة الخليل.

وساق نماذج من ذلك منها : الطعن في الإسلام ، والدعوة إلى الخروج من الإسلام ، وعرض لمجموعة من المقررات التي تهدف إلى تجريح الإسلام في منهجه والتعدي على نبوة النبي -عليه الصلاة والسلام- وما يعزز هذا الإعلان تعليقا للدكتور (واسطون) - أحد كبار المبشرين - وهو يعرض تجربته في محاربة الإسلام والمسلمين، بعد تنبئه للأثر الذي يتركه القرآن والتاريخ في نفوس الأجيال المسلمة. واعتبرهما الخطران العظيمان اللذان تخشاهما سياسة التبشير (1) .

وبذلك تتبدى صورة التبشير ومخططاته ، وابعاد المؤامرة مع قوتي الاستعمار والتغريب المعلنة ، والذي تحدد الاتجاه فيها لمصر ولبنان ، إلا أن التبشير أخذ في اتجاه آخر في المرحلة الثانية والتي تطور فيها النشاط التبشيري ليكون هدفه العالم الإسلامي كله ، وهو التبشير السري ، ويرجع المفكر أنور الجندي بداية هذه الحملات السرية على الكيان العربي في الربيع الأول من القرن التاسع عشر في صورة المرسلين الأمريكيين ، الذين اتخذوا بيروت مكانا لهم ، بزعامة غالي سميث عام ١٨٢٧ م، ومن ثم كان الاتجاه لمصر حيث أنشأ الإنجلييون كلية أسيوط ثم الكلية الأمريكية بالقاهرة ، واستمرار الإبتعاث والإرساليات لدول عربية مختلفة ، في إطار الخطة السرية ، وقد اهتمت هذه الجامعات والمدارس بتأويل فروع العلم كالتاريخ وعلم النبات على الطريقة المسيحية ، وفرضت على طلاب هذه المدارس والمعاهد الطقوس المسيحية ، وكانت هذه المعاهد تتخفي وراء أهدافها الحقيقية وفي أهمها كما يرصد المفكر أنور الجندي الغايات الاستعمارية عن طريق التعلم ، بإنشاء جيل يدين بالولاء للدولة التي تتبعها المدرسة أو الجامعة فضلا عن الانصهار في الثقافة الغربية ، والازدراء بالقومية والدين واللغة (2) .

ثانيا : شبهات التبشير في مجالات الفكر والثقافة والرد عليها:

لقد سجلت خطط المبشرين خطوطا عامة؛ لتقويض الإسلام واللغة العربية والحضارة والتاريخ، وقد عبرت وسائلهم عن هذا الهدف ، الذي يلتقي في كل منطلقاته مع النظريات التي وضع بذرتها عمالقة الاستعمار من أمثال كر ومرو وليوتي وعمداء التبشير من بعدهم مثل زويمر ، راجع المفكر أنور الجندي التقارير السنوية التي سجلها (كرومر) والتي تعد كرسالة إلى الطليعة الجديدة من الشباب الذين اتجهوا إلى ميادين الثقافة ، ليعدهم خلفاء للاحتلال

(1) انظر: موسوعة مقدمات العلوم والمناهج ٩٠/ ٥

(2) انظر: تاريخ الغزو الفكري والتغريب ، ص ١٦٠

البريطاني ، أو بعبارة أخرى استعمار آخر ، يكون يدا للنفوذ الأجنبي في بلاد المسلمين ، بعد إجلاء التواجد المسلح لهم .

أثبتت التقارير العلاقة بين قوى العداة للمسلمين ، التبشير والاستشراق ، والتغريب ، حيث تجتمع على ضرب الفكر الإسلامي والثقافة العربية في صميمها بإثارة الشبهات حول مفهوم الإسلام وما يتعلق به والحضارة والتاريخ الإسلامي ، ويؤكد المفكر أنور الجندي على هذه العلاقة ، بما يردده حملة لواء العداة في مختلف تسمياتهم ، طه حسين وعلى عبد الرزاق ولطفي السيد وسلامة موسى ، حول حقائق الإسلام والشبهات التي تتردد على ألسنتهم ، والتي نقلت حرفيا من رسائل كر ومر ، مما لا يدع مجالاً للشك في مصدر هذه العلاقة ، وهو العداة للإسلام والمسلمين ، المنطلق من دائرة الاستعمار الغربي^(١).

رصد أنور الجندي أهم القضايا التي كانت هدفاً للمبشرين ليحاربوا بها الإسلام، بالطعن والتجني والتزييف ، فناقشها ببيان عوارها مردفاً بالرد عليها ، وتتمثل في الآتي :

١- التبشير والتجزئة :

يحاول المبشرون إحداث عنصر التجزئة والفصل بين المسلمين ، بتقسيمهم إلى عرب وغير عرب ، مع محاولتهم طمس الوصف العربي والإسلامي عن الحضارة بادعائهم بان من نبغ من العلماء عبر تاريخ الإسلام ليسوا عربا ، إضافة إلى سلب الدور الحضاري للمسلمين بنفي أصلاته الفكرية واستقلال شخصيتهم وهويتهم الحضارية ، حيث قاموا بإنكار حقيقة ان المسلمين هم الذين أسسوا الحضارة ، مكتفين بوصفهم انهم نقلة لثراث من سبقهم من أصحاب الحضارات السابقة ، كما يرمون إلى تمزيق وحدة الأمة ، بإثارة تساؤلات مفادها هل الحضارة الإسلامية عربية أم إسلامية ، ولا يخفى ما وراء ذلك من رغبة في تمزيق الروابط^(٢).

يجيب أنور الجندي على هذه الشبهات ببيان القاعدة الأساسية التي يقوم عليها الفكر والثقافة فيشير إلى أن مفهوم الفكر والثقافة يقوم على وحدة الفكر ، مسقطا وحدة الجنس أو الدم ، مبينا إن الإسلام هو البيئة الفكرية التي تجمع المسلمين على وحدة الفكر المستمد أساسا من القرآن الكريم ، وعليه فانه لا يرى اعتبارا بالتقسيم فارسي وعربي وهندي ، فهي ليست مقومات للتوحد فالتوحد أساسه وحدة مصدر الفكر ، وقد اعتبر اللسان العربي والفكر

(١) انظر : موسوعة مقدمات العلوم والمناهج ٩٦/٥

(٢) انظر : المصدر السابق ٩٧/٥

الإسلامي الجامع الأكبر لكل المسلمين مهما اختلفت أعراقهم وقومياتهم فإن ما يجمعهم هو الإسلام ، وبذلك تزول كل الشبهات التي تحاول فرض هذه التجزئة بالإقليمية والعرقية ، وتكون بذلك العرب وغير العرب في إطار وحدة الفكر مسلمون ، فيكون نتاج الحضارة إسلاميا جمع فيه الترك والفرس وكل عربي اللسان إسلامي الفكر^(١).

يضيف بأن نفوذ الفكر الإسلامي حمل طابع الأصالة في مختلف مراحل التاريخ الإنساني ، هذا ما اعترف به أحد كتاب الغرب وغيره كثير ، ينقل هنا اعتراف "سيدو - أحد كتاب الغرب - " الذي يقول : " إن نفوذ الفكر الإسلامي ، كان باديا في مختلف أدوار تاريخنا ، لا فرق في ذلك بين زمن الغزوات الأولى وزمن الحروب الصليبية ، نحن مدينون للمسلمين والعرب في الحقل العلمي ، ويظهر أنه قصد نسيان فضل المسلمين وإنكار مالهم من تأثير في الحضارة الحديثة ، فلقد حل الوقت الذي توجه فيه الأنظار إلى تصحيح ذلك ، أن العرب والمسلمين كانوا أساتذة أوروبا كلها في جميع فروع المعرفة " كما سجل اعتراف الكاتب الغربي " مسيو أوليري " بقوله : " لو أزيل المسلمون والعرب من التاريخ لتأخرت النهضة الأوروبية في أوروبا بضعة قرون ، وأنه حتى أواخر القرن الثامن عشر كانت مؤلفات ابن سينا لا تزال تناقش في جامعة مونبوليه بفرنسا " ^(٢).

رد أنور الجندي خلفية تلك الشبه التي أوردها المبشرون إلى جذورها الفكرية كما اعتاد في منهجه ، ويكشف عن النظرية التي تنطلق منها ، فيرى بأنها شبيهة شعوبية تعتمد الشبه وسيلة لتشكيك السلمين بدينهم والحط من قدر العرب والمسلمين وإعلاء الأجناس الأخرى ويمضي في الكشف عن ظروف هذه النظرية فيبين بأنها نظرية لغوية ، في أصلها ، خرجت عندما ترادفت بعض المتشابهات بين اللغات الهندية واللغات الأوروبية ، استثمر التغريب وجنود الغزو الفكري هذه النظرية ، فالتقوا بها في المعركة اسمها الفواصل ، فعلى أساسها يكون الفصل بين الألوان والأعراف ، الأمراء والعبيد ، وعلى هذا التأصيل التاريخي بدأت إثارة الشبهات حوا أجناس العلماء ، هل هم عرب أم فرس ^(٣) ، كما فرق بين اللسان والجنس أو الدم أو العرق ، فهو يرى بان العربية هي اللسان ، ويورد أدلة ذلك بأن الفنون والعلوم التي تناولها المسلمون الأعلام عبر عنها أصحابها باللغة العربية ، وتحرك هؤلاء فيما صاغوه وسجلوه في دائرة الفكر الإسلامي المستمد من القرآن الكريم ، وعليه ينتهي إلى

(١) انظر : موسوعة مقدمات العلوم والمناهج ٩٦/٥

(٢) شبهات في الفكر الإسلامي ن أنور الجندي ، ص ١٢ ، دار الاعتصام

(٣) انظر : المصدر السابق ، ص ١٤

أن جميع المفكرين المسلمين الذي كتبوا علومهم باللغة العربية هم مفكرون مسلمون، والعربية إنما هي اللسان، وبذلك ينتفي مفهوم العرق والدم والجنس، ذلك انه غير وارد في منظومة الفكر الإسلامي (١).

يؤكد الباحث كل ما ذهب إليه المفكر أنور الجندي، فقد أثبتت النصوص الشرعية واقعية وصدق هذا الفهم، فتأمل قول الله تعالى: (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةً أُولَئِكَ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ) (٢) فلا أدل على صحة المصطلح من أن يسمي الحق تعالى أتباع الرسالة بأنهم مسلمون، فلماذا لا يطلق عليهم عربا أو هنديا أو غير ذلك، غير ما تؤكد من تحقيق الترابط التاريخي والفكري بين أجيال المسلمين الذين يجمعهم وحدة الفكر لا وحدة اللغة، كما ساق القرآن في موضع آخر ما يثبت هذه الوحدة ويسقط العوامل الأخرى يقول تعالى: (إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ) (٣).

كما حفلت السنة النبوية بما يعزز قاعدة التوحد الفكري بين المسلمين وفيه ما رواه البخاري بقوله عن جرير بن عبد الله يقول يوم مات المغيرة بن شعبه قام فحمد الله وأثنى عليه وقال عليكم باتقاء الله وحده لا شريك له والوقار والسكينة حتى يأتيكم أمير فإنما يأتيكم الآن ثم قال استعفوا لأميركم فإنه كان يحب العفو ثم قال أما بعد فإنني أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت أبايعك على الإسلام فشرط علي والنصح لكل مسلم فبايعته على هذا ورب هذا المسجد إني لناصح لكم ثم استغفر ونزل" (٤).

وما رواه البخاري بقوله: حدثنا إسماعيل حدثنا سعيد الجريري عن أبي نضرة حدثني من سمع خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في وسط أيام التشريق فقال يا أيها الناس أأنا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد أنا لا فضل لعربي على أعجمي وأنا لعجمي على عربي وأنا لأحمر على أسود وأنا أسود على أحمر إنا بالتقوى أبلغت قالوا بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال أي يوم هذا قالوا يوم حرام ثم قال أي شهر هذا قالوا شهر

(١) انظر: المصدر السابق، ص ١٥

(٢) سورة الحج: الآية: ٧٨

(٣) سورة الأنبياء: الآية: ٩٢

(٤) صحيح البخاري:، كتاب الإيمان، باب "الدين النصيحة لله ورسوله ولأئمة المسلمين"، انظر: متن فتح الباري لابن حجر العسقلاني، ط دار مصر، ١٤ عام ٢٠٠١، ٢٠٠٤/١ - وفي كتاب العلم باب الفهم في الفهم رقم ٧٠، كتاب العلم باب كتابة العلم رقم ١٠٨، باب طرح المسألة على أصحابه لتمييز ما عندهم رقم ٦٠.

حَرَامٌ قَالَ ثُمَّ قَالَ أَيُّ بَلَدٍ هَذَا قَالُوا بَلَدٌ حَرَامٌ قَالَ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ بَيْنَكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ قَالَ
وَلَا أَدْرِي قَالَ أَوْ أَعْرَاضَكُمْ أَمْ لَا كَحَرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا أَبْلَغْتُ
قَالُوا بَلَّغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ " (١)

فماذا يفهم من دلالة التغليب لكل مسلم؟ عربي أو أعجمي أو أبيض أو أسود أن العموم الفظي إلى تضمنه الحديث يقطع بفساد نظرية السامية والآرية ، حيث خاطب الحديث بما يمنع الاختلاط ومرجعياته ، فلا قيمة لها في تصور الإسلام ، حيث إن النظرة العالمية في إطار الفكر الإسلامي تسمح بالإخاء الإنساني ، وتأسل لمنهجية التوحد التي تنبثق عن قاعدة إيمانية ثابتة .

بذلك يكون المفكر أنور الجندي قد دعم موقفه تاريخيا وشرعيا ، بما لا يدع مجالاً للاعتراض ، لاسيما وأن الأدلة المقدمة مثلت طابعي الموضوعية ، والواقعية التاريخية .

٢- التبشير والسنة النبوية :

دأب المبشرون على ترديد ما قررته الدراسات الاستشراقية ، ومن ذلك إنكار السنة وعدم الاعتراف بحجيتها في التشريع الإسلامي ، من خلال إثارة الشبه حول السنة ، بغية الوصول إلى فصل السنة عن دورها التشريعي والاكتفاء بالقرآن ، وقد حذر أنور الجندي من خطورة هذه الدعوى وأخطر من أبعادها ، واعتبر في ذلك هدم للإسلام ، ويعلل ذلك بأن السنة هي التطبيق العملي للإسلام ، وعليه فإن الفصل بين النص والتطبيق ، بحيث ينقطع دور الأنبياء عن دورهم المناط بهم ، وحصر التشريع على قواعد عامة ، دون تفصيلها ، وبيان الأسلوب في تطبيقها يعد من أخطر ما يتهدد الإسلام ، ذلك أن التطبيق في الإسلام هو الجانب الأخطر والمهم . وعليه يرى أن القرآن لا يكفي للمسلمين اليوم ؛ إذ تأتي السنة الدور التكميلي والتفصيلي والعملي للإسلام ، ولا أدل على موقفه من نصوص القرآن قطعية الثبوت والدلالة على حجية السنة في التشريع الإسلامي بل القرآن والسنة مصدر تشريعي واحد ،

(١) صحيح البخاري ، كتاب العلم " باب ليلغ الشاهد الغائب " انظر متن فتح الباري ١ / ٢٨٩ ، وانظر : كتاب الشهادات ، باب (تعديل النساء بعضهن بعضا) رقم الحديث ٢٤٦٧ ، كتاب المغازي ، باب (حديث الإفك) رقم الحديث ٣٨٢٦ ، كتاب تفسير القرآن ، باب (لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم) رقم الحديث ٤٣٨١ ، كتاب المناقب ، باب (قصة البيعة والإنفاق على عثمان) رقم الحديث ٣٤٢٤ ، صحيح مسلم ، كتاب الحج باب (حجة النبي عليه السلام) رقم الحديث ٢١٣٧ ، كتاب التوبة باب (في حديث الإفك وقبول توبة القاذف) رقم الحديث ٤٩٧٤ . (كتاب اللجنة وصفة نعيمها وأهلها) باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة رقم الحديث ٥١٠٩ ، سنن الترمذي ، (كتاب تفسير القرآن الكريم) باب من سورة النساء رقم الحديث ٢٩٦٢ ، سنن ابن ماجه ، (كتاب الطهارة وسننها) باب في البول قاعدا) رقم الحديث ٣٠٥ ، (كتاب الزهد) باب مجالسة الفقراء رقم الحديث ٤١١٧

ولنتأمل النصوص التالية يقول سبحانه: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (٢)

يفسر أنور الجندي قوله تعالى لتبين للناس بأن المراد بها بالسنة الشارحة والموضحة والمفصلة لمجمل القرآن الكريم (١) والمطبقة لما فيه من أحكام ، وجاء في موضع آخر من القرآن ما يرسخ هذا الحق في قوله تعالى : (مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (٢) فدللت الآية على ان تطبيق السنة مطلب قرآني ، وهذا يكفي في الحجية ، بل يتعدى الأمر إلى استقلال السنة بالتشريع في جملة من الأحكام .
إن محاولة أعداء الإسلام من إنكار حجية السنة تأتي في محاولة هدم نصف الدين بل تقويض الدين كله، يبين الدكتور / محمد بن محمد أبو شهبه - أستاذ علوم القرآن والحديث بجامعة الأزهر رحمه الله - في كتابه دفاع عن السنة ، محاذير إهمال السنة ، وذكر بان هذا الإهمال سيؤدي إلى استعجاب كثير من القرآن على الأمة وعدم معرفة المراد (٣) .

والأمر الخفي الكامن وراء رد السنة من وجهة- نظر الباحث -هو تسفيه الرعيل الأول من الصحابة والتابعين من حملة هذا العلم ، ببيان ضعفهم وعجزهم عن مسايرة العصر والموائمة بين القرآن والواقع ، ومن هنا يظهر خطر أكثر أهمية من ذي قبل ، وهو أن يترك القرآن محل للاجتهادات الساذجة ، فيحمل ما ورد في القرآن على تأويلات وأهواء باطلة ، كما حدث في بعث حركة الخوارج ، والمعتزلة وغيرهم من الفرق التي تأولت على غير مراد الله فانحرفت عن جادة الصواب ، وبناء عليه كان موقف أنور الجندي الرافض والمحذر والناقد لهذه الدعوة الاستعمارية الخبيثة التي لا يدرك أبعادها إلا من آتاه الله الحكمة وحسن البيان (ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (٤) .

(٢) سورة: (النحل: ٤٤)

(١) انظر: موسوعة مقدمات العلوم والمناهج ، ص ٩٧ / ٥

(٢) سورة: الحشر: الآية ٧

(٣) انظر : دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين وبيان الشبه الواردة على السنة قديما وحديثا وردها ردا علميا صحيحا د. محمد أبو

شهبه ص ١٥ ، ط الأولى جمادى الآخرة ١٤٠٩ هـ - يناير ١٩٨٩م الدار السلفية لشعر العلم - مكتبة السنة.

(٤) سورة المائدة الآية: ٥٤

٣- التبشير والفكر الإسلامي :

اعتد الميشررون على ما ذكره المستشرقون حول أصالة الفكر الإسلامي ، فيرددون شبهة أن الفكر الإسلامي التمس منطق أرسطو ، فأصبح أساسا له، تلك شبهة واهية أفتقدت إلى الدليل التاريخي ،يجيب أنور الجندي على هذه الشبهة بتفسير توجه علماء المسلمين لقراءة علوم المنطق والكلام ، فهو يرى أن ذلك ماكان إلا وسيلة أو سلاح في مواجهة أعداء الإسلام من أصحاب الضلالات والبدع والانحراف الفكري ، لاسيما وأن الهجمة من قبل اليهود والمسيحيين والمجوس الذين اتخذوا المنطق منهجا لهم في مواجهة الإسلام ،وعليه فلا يمكن أن يكون منهج أرسطو أساسا لفكر الإسلامي ، ذلك أن المسلمين استمدوا أسلوبهم وطريقتهم من القرآن (١) .

لقد تصدى علماء المسلمين لعلوم المنطق والكلام عبر كتاباتهم ، من أمثال الإمام الغزالي - رحمه الله - والإمام ابن تيمية ، ولا يمكننا أن ننكر تأثر بعض العلماء بهذه العلوم ، فقد أولع الغزالي بدراسة المنطق حتى كتب كتابه المشهور (محك النظر) وكتاب (معيار العلم) التي كانت تعبر عن أصول هذا العلم وغايته وفوائده وضرورته لكل باب من أبواب العلم ، ومن جملة ما يؤيد ذلك ما ذكره في مقدمة كتابه المستصفى إذ يقول : " وليست هذه المقدمة من جملة علم الأصول ولا من مقدماته الخاصة به ؛بل هي مقدمة العلوم كلها ومن لا يحيط بها فلا ثقة له بعلمه" (٢) .

ولكن ما الباعث على دراسة الغزالي للفلسفة والمنطق ، لقد كان الغزالي ينشد الحق ، فخاص في علم الفلسفة والمنطق ،في وقت كان يعج بالمذاهب الفلسفية الهدامة ،في محاولة لمعالجة هؤلاء المناطق في إطار منطقتهم ، ولكن ما النتيجة التي آل إليها ؟ آل إلى الحيرة والشك ، فتلك التجربة كانت قاسية في حياة الغزالي ، وقد سجل تلك التجربة في كتابه (المنقذ من الضلال) حيث عبر عن تجربة الشك التي أحاطت به في كل ما هو معقول او محسوس ،حتى التبس عليه وجه الحق فجعل يحكم بغير ما تقتضيه قواعد المنطق ، التي أخرجته عن دائرة اليقين (٣) .

هذا الذي جعله يمزج الشريعة بالفلسفة في جل آرائه وان لم يقصد، ذلك لان سلطان هذه المنطقيات استولى على طريقة تفكير، مع أن الحاصل كان طلب الحق ،وعليه

(١) انظر: موسوعة مقدمات العلوم والمناهج ، ص ٩٧ / ٥

(٢) المستصفى: أبو حامد الغزالي ، ١٠/١ ، المطبعة الأميرية - القاهرة بولاق - سنة ١٣٢٢هـ -

(٣) انظر: المنقذ من الضلال ، أبو حامد الغزالي ص ٧٩ ، دار النصر للطباعة - القاهرة

يمكن القول بأن الغزالي لم يبد تعلقه بمنطق اليونان على التعيين ، إنما تطلع إلى ما ينسجم مع وعيه وشعوره ، فتدافع الرغبة في تحري مظنيات الحقائق جعله يتعلق بكل ما يرتبط بالعقليات وطرق الاستدلال ، وما سبق وان أوردناه في تأثر الغزالي بالمنطق إنما يحمل على هذا ، أورد دليلا على ذلك يبين موقفه من المناطقة وطرق استدلالهم ، فيبين خطأهم وآفاتهم في جملة من القضايا ، ذكر ذلك في كتابه المنقذ من الضلال بقوله : " نعم لهم نوع من الظلم في هذا العلم ، هو أنهم يجمعون للبرهان شروطا يعلم أنها تورث اليقين ، لا محالة ، لكنهم عند الانتهاء إلى المقاصد الدينية ما أمكنهم الوفاء بتلك الشروط بل تساهلوا غاية التساهل " (١) .

فلا أصرح بالدلالة على مخالفته لمطلقيات علم المنطق ، إنما يمثل في أسلوبه القاسم المشترك في الأقيسة العقلية ، ننظر مثلا موازنته بين أدلة القرآن في المناقشة والاستدلال ، وطريقة أهل الكلام ، ليتجلى لنا التباين بين منطق القرآن ومنطق أرسطو يقول في هذا : " أدلة القرآن مثل الغذاء ينتفع به كل إنسان ، وأدلة المنكلمين مثل الدواء ينتفع به آحاد الناس ويستضر به الأكثرون ، بل إن أدلة القرآن كالماء الذي ينتفع به الصبي الرضيع والرجل القوي ، وسائر الأدلة كالأطعمة التي ينتفع الأقوياء مرة ويمرضون بها أخرى ولا ينتفع بها الصبيان أصلا " (٢) .

٤- محاولة التبشير بوصف واقع المسلمين بالتخلف ، بالمقارنة مع واقع المسيحيين ، ويقولون حضارة المسلمين لم تستمر كثيرا ، وأن ما عليه أوروبا المسيحية يفوق تاريخيا حضارة المسلمين ، لاسيما وان دعوة المسيح قد استجمعت فيهم قوة العطاء والمد ، نافش أنور الجندي تلك الأكذوبة التاريخية ، وأشار إلى فساد مظانها ، حيث يرى أن الأمم الأوروبية تاريخيا دخلت المسيحية بين القرنين الثالث والسادس من ميلاد المسيح - عليه السلام - و بقيت في غفلتها طوال عشرة قرون ، ولم تستيقظ من كبوتها إلا من نحو أربعة قرون وبذلك يثبت أن التغيير في حركة أوروبا المسيحية خارجيا ولم يكن داخليا ، ، وإلا لماذا لم تنهض أوروبا في عصر المسيح ، في حين تفرض المقارنة بين تاريخ نهضة المسلمين وتاريخ أوروبا الحكم على المسيحية بالتخلف عن مقومات الحضارة ، وذكر أن نهضة المسلمين كانت بالإسلام ، الذي أخرجهم من أتون التخلف والجاهلية إلى العمران الإنساني والبناء والتشييد الحضاري ، فقد كان القرن الأول للهجرة بداية النهضة والعمران ، ثم يضيف بعدا أكثر دقة وأهمية ، مفاده نفي تأثير المسيحية على النهضة فيسوق مثلا بالإغريق والرومان انهم كانوا أكثر رقيًا

(١) انظر : المنقذ من الضلال ص ١٠٢ - ١٠٣

(٢) تاريخ الجدل ، للشيخ محمد أبو زهرة ص ٧٢ ، مطبعة العلوم - القاهرة

وتحضرا قبل اعتناقهم المسيحية ، حيث نبغ في تلك الفترة عددا من العلماء والفلاسفة ، فالسؤال الذي يريد أن يصل إليه أنور الجندي - ما سبب تخلف تأخر وتخلف أوروبا في عصر الكنيسة ؟ ولماذا لم تحفل العصور الوسطى بالعلماء والمفكرين من المسيحيين ؟ يصدر أنور الجندي الإجابة على هذه التساؤلات بما كتبه العلامة مسمر الفرنسي حيث ساق قوله الذي يقف على الحقيقية التي لا يخالجها شك أو يعترئها النقص التاريخي حيث يقول : "إن الغربي إذا صار عالما ترك دينه بخلاف المسلم ، فإنه لا يترك دينه إلا إذا صار جاهلا ، وبأي وجه يمكن نسبة التمدن الحالي إلى الدين النصراني والحال أنه ما جاء إلا بعد خمسة عشر قرنا من ظهوره ، وبأي وجه يمكن نسبة انحطاط المسلمين الحالي إلى دينهم وفي عام ٧٤٣ م أي بعد مائة وأحد عشر عاما بعد وفاة (محمد) صلى الله عليه وسلم - كانت دولة الإسلام أكبر من دولة الإسكندر المقدوني ، وفي عام ٥٦٦هـ عند وفاة السلطان سليم كانت أكبر من مملكة الرومانيين" (١).

وبذلك يثبت أن سبب تقدم المسلمين هو الدين الذي أمدهم بالشحنة والجدوة والقوة ، ويثبت أن حضارة الإسلام وعظمتها مكثت ألف سنة وما زال عطاؤها ممتد ، ذلك أن النهضة التي رافقت حياة المسلمين فترة طويلة من الزمن ، من تطور في السياسة والحرب ، إنما يرجع إلى العلوم والتمدن الذي حظي به المسلمون ، وعليه فالإسلام هو الباعث على الحضارة بما يحمل من قيم وثوابت ، واحترام للعقل بتوجيهه للبحث والنظر ، لتحقيق عمارة الأرض ، التي هي من متطلبات الخلافة والسيادة على الأرض ، وبهذا يبطل أنور الجندي هذه الفرية التي طالما تمسك بها المسيحيون ، رغبة في إضفاء طابع التخلف على الدين الإسلامي ، منتزعين هذا الوصف الذي لازمهم قرونا من الزمن ، ليضعوه على المسلمين ، ويرى الباحث بأن الباعث على تلك الفرية هو التعبير عن الحقد الضارب في الأعماق على المسلمين، منذ إسقاط دور الكنيسة في القرون الوسطى على أيديهم وبسببهم .

٥- تتجه أهداف التبشير لإدخال مفاهيم غامضة على الفكر الإسلامي وقيمه المستمدة من وحي القرآن ، ومن هذه المفاهيم : الخطيئة ، الخلاص ، التكريس ، تلك المفاهيم التي ارتبط مدلولها بتاريخ الفكر المسيحي في قضية الصلب ، فأمر الخطيئة والخلاص أساس للدين وفق الموروث الفكري والعقائدي للمسيحيين ، إلا أن هذا الاعتقاد من وجهة نظر المفكر أنور الجندي لا يتعدى الخصوصية الزمانية لهذا الفكر ، ولا يمكن أن ينسحب هذا الاعتقاد الفاسد على عقيدة وفكر المسلمين ، ويورد أدلة المفارقة بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي في أمر

(١) انظر: موسوعة مقدمات العلوم والمناهج ، ص ٩٩/ ٥

الخطيئة التي يستدل عليها المسيحيون بما حدث لنبي الله آدم -عليه السلام- اعتقادهم أن ما فعله آدم كان بمثابة خطيئة ورثها عنه البشر ، ومن ثم رأت المسيحية أن تكفر عنها ، بما يعرف بتضحية المسيح بنفسه ، تلك القضية التي أنتجت صراعا وخلافا بين الأوروبيين أنفسهم ، ولاسيما في الأدب الغربي والفلسفة الغربية ، حتى انسحب إلى النظريات السياسية الأوروبية ، فكيف يحدث التعارض مع الذهنية الأوروبية في شأن هذا الاعتقاد ولا يحدث خلاف بينها والفكر الإسلامي ، من هذا المنطلق التاريخي وهذه المقدمة ، يوجد أنور الجندي انقسام وتباعد بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي ، فأول ما قام به أن حرر مفهوم الخطيئة عند المسلمين من تصورات المسيحيين ، ليسقط مفهومها في الفكر المسيحي ، فيبطل الدليل الذي يعتمدون عليه في قضية الخطيئة على ما حدث من آدم ، ومن ثم يسقط الاستدلال فينتفي الاعتقاد ، يقول أنور الجندي مستدلا على فساد عقيدة الخلاص : " القرآن يثبت أن آدم عصا ربه فعوى ولكنه يثبت بعد ذلك أن الله تقبل توبته ، وساق النص الشرعي قوله تعالى : (ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ)^(١) والإسلام يقرر بمقتضى هذا عدم وراثه الخطيئة ، ثم ينتقل في الاستدلال إلى بيان مخالفة هذا الاعتقاد لمسلمات وبديهيات العقل والمنطق والدين والعدل ، حيث يرى أن توريث الخطيئة ظلم ، فكيف يمكن أن يحمل الإنسان خطيئة غيره ؟!، إن العقل يرفض هذا الظلم

من السائغ عقلا أن يحاسب كال إنسان بما اجترح ؛ لتقوم العدالة التي جاءت الرسائل السماوية لإرسائها في حياة المجتمعات، وتأمل قول الله تعالى بما يؤكد هذا الحق : (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ)^(٢) من خلال هذه النصوص ودلالاتها العميقة استطاع أنور الجندي أن يثبت أمرين :

الأمر الأول : بيان أن الفكر الإسلامي يحافظ على أصالته فلا يتأثر بما هو خارج عن عقيدته .

الأمر الثاني : إبطال دعوى المسيحيين ببيان فساد قولهم في خطيئة آدم ، فطالما أن الخطيئة غير مقررة ، فالاعتقاد المستند على باطل باطل .

(٢) سورة طه: الآية ١٢٢

(٢) سورة الطور: الآية ٢١

(٣) انظر: موسوعة مقدمات العلوم والمناهج ، ٥ / ١٠٠ أنظر : خصائص الأدب العربي ، أنور الجندي ، ص ٣٦ ، دار الاعصام

لذلك لا يمكن للتبشير أن ينال من الفكر الإسلامي بهذه الدخائل ، لما يفرضه الانسلاخ والانقسام بين طبيعة الفكر الغربي الأوروبي المسيحي والفكر الإسلامي الأصل ، فعقيدتنا بالمسيح تختلف في مضامينها عن الفكر المسيحي المحرف ، فعیسی لم یصلب ، بل أكرمه الله بالحماية والنجاة من أعدائه ، ويؤيد ذلك آيات في غير موضع من القرآن تؤكد هذه الأخبار منها قوله تعالى : (وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا)^(٤) كما نفى القرآن عقيدة الصلب في قوله تعالى : (وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا)^(١) .

ثم تذكر الآيات نجاته عيسى ورفعته حيا وأنه لم يؤذى: (إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِي مَتُوفِكْ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلِ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ)^(٢) وما يفسد هذه العقيدة أدلة العقل القاضية بتجريم كل من تصور ما يناقض العقل ، فإن القول بها مفضي إلى أبطال دور الأنبياء ، الذين استقرت مهمتهم في بيان ما يجوز وما لا يجوز من الأقوال والأفعال والرتابة الشرعية على ذلك ، كما يفسد الاعتقاد بالآخرة والجنة والنار ، فما قيمة هذا كله ، إذا جاء نبي ليكفر عن البشر أخطاءهم ، عدا ما يلزم من ذلك من فتنة وفساد في الأرض كبير ، إذ تنطلق شهوات الناس في المعاصي ولا يتعرضون للمسائلة الإلهية فيكون بهذا تشريع للجريمة وتأكيدا عليها ، وصدق الله إذ يقول : (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ)^(٣) .

٦- يثير التبشير فكرة علمانية الدولة ، بمعنى دولة لا دينية ، بعزل الفكر الإسلامي عن مجال المجتمع والاقتصاد والسياسة والتربية، يكشف المفكر أنورالجندي عن المخطط ويبين الغاية من ورائه ، فيرى أن ذلك يراد به هدم القيم الإسلامية ، ويؤكد طبيعة هذا الهدف فيصفه بأنه هدف استعماري صهيوني ، يفسح المجال أمام النفوذ الغربي؛ ليبسط هيمنته على العالم الإسلامي وحتى لا يقف الإسلام حائلا يمنعهم من تحقيق مصالحهم ورغباتهم ، ومن هنا يأتي تحقيق الترابط الجذري بين التبشير والاستعمار تحت رعاية الصهيونية العالمية ، بل تنظر إلى أبعد من ذلك وهو محاولتهم تجزئة الفكر الإسلامي وقتل وحدة الترابط فيه ،يجيب

(٤) سورة مريم: الآية ٣٣

(١) سورة النساء: الآية ١٥٧

(٢) سورة آل عمران: الآية ٥٥

(٣) سورة المؤمنون: الآية ١١٥

عن ذلك ، من خلال تفرقته بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي ، فيرى أن هناك فارقا جذريا بينهما ، حيث إن الفكر الغربي يقوم على الفصل بين القيم ، ليتم الفصل بين المجتمع والدين وبين السياسة والأخلاق ، وبين قطاعات مختلفة من الحياة ، انطلاقا من الفلسفة الخاصة بهم والتي يقوم على الفصل بين الروح والمادة ، والعقل والقلب ، وبين الدنيا والآخرة، وإنكار ما لا يقع تحت الحس ، في حين أن الفكر الإسلامي تتكامل قطاعات الفكر فيه ، إضافة إلى أن منهج المعرفة في الفكر الإسلامي يقوم على أمرين هما العقل والقلب ومصدر هذه المعرفة هو القرآن الكريم ، فمن هنا تأتي صيغة التكامل بين الأجزاء في مواءمة وموازنة شاملة ، ينسجم مع جوانب الفرد النفسية والروحية والمادية والعقلية ، وبذلك يفصل أنور الجندي بين معطيات الفكر الغربي والفكر الإسلامي ويصل إلى استحالة التوافق بين العلمانية الغربية والإسلام لما تفرضه طبيعة الانقسام الجذري بينهما ^(١) يحاول الغرب من خلال إحياء فكرة العلمانية عزل الفكر الإسلامي عن قيمه الأساسية ، تنبه أنور الجندي لهذه المحاولة ، فبين أن الغرض الذي يسعى إليه التبشير يقوم على تفعيل الاتجاه إلى العلوم العصرية ، ليكون عامل النهضة والتقدم والمدنية ، ولا يخفى ما وراء ذلك وهو فصل الثقافة والتخصص عن الدين كمقدمة للعزل الثقافي ، وتعطيل قاعدة التكامل في الفكر الإسلامي ، بحيث لا يخضع المسلم لوحدة القيم ، فيسقط دور الدين في تقدم الأمة ^(٢) ، اعتمد أنور الجندي في تدعيم مواقفه وتحليلاته بأقوال وتحليلات واعترافات الغرب أنفسهم ، ليجمع بين مصداقية التحليل ، والواقعية ، فقد نقل قول خبير غربي هو (جوستاف لو بون) وهو ينصح الشباب المسلم من عدم التلهف نحو العلوم العصرية بعيدا عن عقيدتهم وفكرهم ، محذرا من لوازمها وتبعاتها وخطرها على دينهم فيقول : " إن العلوم العصرية لا تفيد المسلمين إلا إذا اقترنت بتربيتهم الدينية ، وسارت جنبا إلى جنب مع أوضاعهم وعقلياتهم ، وإن تهذيب المسلمين بالمعارف العصرية الأوروبية خارجا عن دائرة تقاليدهم وعقائدهم ، يزيدهم انحطاطا وفسادا أخلاقيا ، ولن تنفعهم هذه العلوم إلا إذا كانت ضمن دائرة عقيدتهم وقوميتهم " ^(٣) بذلك تتضح صورة العلمانية التي ترمي إلى حصر الدين في الدائرة الكهنوتية ، بعيدا عن التفريق بين الإسلام وغيره ، وجعله دينا قاصرا غير قادر على معالجة جوانب الحياة المختلفة ، بقطع الصلة بين الدين والمجتمع ، يرجع أنور الجندي هذا الخطأ إلى النظرة العامة للدين من منطلق أوروبا

(١) انظر : شبهات في الفكر الإسلامي ، ص ٢٥ - ٢٦

(٢) انظر : موسوعة مقدمات العلوم والمناهج ، ١٠١/٥

(٣) موسوعة مقدمات العلوم والمناهج ، ١٠٤/٥

وظروفها الخاصة بها، فقد كان الدين المسيحي في أوروبا سبب التخلف عن المدنية، في حين يختلف الإسلام في ذلك اختلافا جذريا، فالدين الإسلامي دين ونظام مجتمع، منهج حياة متكامل يجمع بين الدنيا والدين، ويوفق بين المادة والروح والعقل، ويستدل أنور الجندي على هذا الترابط من التاريخ، وخص تاريخ الجزائر، فقد كشف جهادهم عن إسلامية هويتهم، وقد تبدى ذلك للفرنسيين، حيث اتجهت فرنسا في حربها للقضاء على الإسلام، ولقد كان العامل الإسلامي هو الأساس في النصر، منه تستمد القوة تلهب جذوة الصراع، وساق اعترافات الغرب بما يؤكد هذا الترابط التي تفيد بأن كل الحركات الوطنية والتحريرية كانت روحها إسلامية، والتالي فإن الإسلام يكرس مبدأ المانعية للاستعمار وليس القابلية، ولذلك فلا يمكن علمنة الشخصية العربية، لأنها تستمد ثقافتها من الإسلام الذي يقوم على الجهاد، فقد أكدت الثورات المقاومة ذلك، فمن الأزهر كانت ثورة ١٩١٩ م، وثورات المغرب في باحات الزيتون والقزوين، فأى تحرر لابد أن يقوم على أساس ديني جهادي، ففضية فلسطين تقوم على أسس عقائدية، وهذا البعد في قضيتها يعطيها طابع العالمية، فتحويل هذه القضية من الدائرة الدينية الى القومية يفقدها القوة، ولا يمكن أن تستمد قوتها إلا بتعميق البعد الديني، فالبعد الديني هو الذي يقف أمام سلطان الغرب المستعمر، ويمنعه من بسط سلطانه على بلاد المسلمين، أو السيطرة على تفكيرهم، ومن هنا فلا سبيل غير الجهاد لتحرير فلسطين على قاعدة التوحد الديني، ولما كان الإسلام هو الخطر الأعظم فإن الفكر العلماني سيعمل على توهين أخطر مبدأ في الإسلام وهو الجهاد^(١).

ويحذر أنور الجندي من التعاطي مع الثقافة الأوروبية التي تعمل على التبادل الثقافي بين الشرق والغرب، فهو ينظر إليه بأنه إمداد ثقافي، يراد به إيجاد حوار بين الثقافات يزول مع الصراعات العقائدية، في مقدمة لتطبيع العلاقة بين الإسلام وغيره من الديانات المحرفة فيتعطل المبدأ والقوام الذي يقوم عليه الإسلام وهو الجهاد، ومن ثم يمكن تغيير خارطة العالم السياسية والفكرية والثقافية بناء على مقاييسهم، فالتبشير يهدف إلى كسر شوكة الإسلام بالعلمانية والحاق عالمه وأمتة بالمركز الغربي، وتفريغ القرآن من المحتوى الإسلامي الشمولي، لوضع المحتوى النصراني في قوالبه ومصطلحاته، بإيجاد ما يخدم تصوراتهم بتأويل القرآن وحمله على تصديق عقيدة المسيحية المعاصرة المحرفة، والسؤال الواجب طرحه هنا هل استطاع التبشيريون أن يفرضوا العلمانية على المسلمين؟ بناء على

(١) انظر: موسوعة مقدمات العلوم والمناهج ١٠١/٥-١٣٣

المفارقة المنهجية بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي، فإنه لا يمكن تمرير الفكر العلماني على أدمغة المسلمين الحقيقيين ، نقل أنور الجندي دليلاً يثبت إخفاق النصارى في بعث الفكر التنصيري لاسيما وأنه أصبح مذموماً ، بما يحمله من محالات العقل في التثليث والصلب وألوهية عيسى -عليه السلام - ، وقد بلغ الغرب إلى الكمال البشري في التصور خاصة في عصر التجربة والبحث ، ولم يعد هناك قيود دينية تمنع من التفكير والتعقل، وصورة هذا الدليل هي أبحاث مؤتمر كولورادو ، حصل عليها أنور الجندي لتكون سنداً دامغاً على خبث التوجه التبشيري في العالم الإسلامي ، فينقل عنهم خوفهم من الصحوة الإسلامية التي تتزايد في العالم ، وعن اعترافهم بالفشل في اختراق الشخصية العربية ، ويرجع ذلك لأسباب منها : أ - رفض المجتمع الإسلامي لمن يخرج عن الإسلام ويتحول إلى النصرانية ، وتعرض منه للعزلة والإهانة الاجتماعية والعائلية .

ب- ارتباط النصرانية بالحملات الصليبية ، واقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ، هذا الارتباط في ذهن المسلم تاريخياً يمنع الالتقاء مع تفكيرهم ومورثاتهم الثقافية .

ج- احتواء اليهودية للمسيحيين في خدمة هدفهم ، وحملات الاستعمار المؤيدة من المسيحيين ، ساهمت في إيجاد تنافر وصراع بين الإسلام والمسيحيين ، ويعترفون بعجزهم في وضع مفاهيمهم في مضامين الإسلام .

د- سقوط الأيديولوجيات الغربية وفشلها ، حال بينهم والتأثير في المسلمين ، وصمودهم أكثر من سبعين سنة تحت قهر هذه الفلسفات ، يثبت عدم قابلية المسلمين للاحتواء والإذابة في فكر الغير^(١) .

وبذلك يثبت قصور المدنية الغربية في أداء مهمتها ، ويرجع ذلك للإخفاق لأسباب أيديولوجية، حيث تقوم في فكرها على المادة ، فذهبت الفضيلة وفسدت الأخلاق ، مما جعلها تتراجع القهقري أشار هاملتون جب إلى مستقبل الحضارة الغربية في ظل انفصالها عن المبادئ الأخلاقية بقوله : "إن ثورة المسلمين على مبادئ الحضارة الغربية التي تعارض قواعد الأخلاق ، سيدفع المثقفين حتماً أن يزدادوا إصراراً على الدعوة إلى الأخلاق الإسلامية، وأن يصروا خاصة على مبادئ الأخلاق الإنسانية ، الذي هو أساس الأخلاق الاجتماعية في الإسلام ، بل إن أماننا المثل الواضح في تحويل الكثيرين ممن وثقوا أول الأمر بكلمات الحضارة الغربية البراقة : ثم بين انهم خدعوا"^(٢) .

(١) انظر: أصالة الفكر الإسلامي في مواجهة التغريب ، ص ٨٦ - ٨٧ - ٨٨ موسوعة مقدمات العلوم والمناهج ١٠٦/٥ - ١٠٧

(٢) وانظر: موسوعة مقدمات العلوم والمناهج ١٠٧/ ٥

وبهذا يقرر أنور الجندي معالم القوة في حضارتنا وفكرنا ، مستندا إلى اعترافات الغرب أنفسهم لتكون أكبر دليلا على عالمية الإسلام ، وأكبر دليل على فشل المقارنة بين الإسلام وغيره من الديانات المادية ، فأى مقارنة مع الإسلام باطلة ، فالإسلام يتعالى على ذلك بما يتضمنه من عالمية وتكاملية ، مصدرهما الوحي الرباني ممثلا في مصدرى التشريع القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وما يؤكد موقفه هذا قوله : " ومن هنا فقد أقام الإسلام منهجا متكاملا للخطوط العامة التي يقوم عليها سلوك الإنسان في الحياة، إزاء نفسه وإزاء باقي الجماعة ، وهو منهج مرن واسع سمح يقبل الاضطرار والاحتمال ، ويعفوا عن الخطأ ، وهدفه من ضوابطه وحدوده حماية الإنسان نفسه ، واحتفاظا بقواه وشخصيته ، وهو منهج متكامل جامع بينه الروح والمادة والعقل والقلب ، يعترف بغرائز الإنسان وحاجاته الطبيعية، و يسمح له بممارستها في حدود المحافظة على كيانه ودون عدوان على حقوق الآخرين ، وليس مفهوم الإسلام في الترابط بين الدين والمجتمع كمفهوم العقائد التي تفصل بينهما" (١) .

إن دعوى التقريب بين الأديان دعوة تبشيرية استعمارية ، يراد بها تضليل الشعوب بندية المسيحية للإسلام ، وهذه الندية ممتعة كما أوضح المفكر أنور الجندي .

والذي يظهر في منهج المبشرين انهم يسبروا طرقا ملتوية مستمدة من المستشرقين ، بأسلوب ذكي وهادئ ؛حتى لا تتحرك دوافع الحقد عليهم من قبل المسلمين ، فيتحركوا ويتيقظوا ويتنبهوا لخطرهم ، فتراهم يتعاملون بود ومحبة ظاهرة ، ومشاركة المسلمين في أفراحهم وأتراحهم ، ليتمكنوا من التأثير في المسلمين وإقناعهم بحمل الفكر النصراني ، وهذا التطور في منهجية التبشير ليس كلاما نخط به صفحات هذا البحث لزيادة الحشو والتطويل ، بل لبيان خطورة التطبيع مع المسيحيين ، ومعرفة الهدف من سلوكياتهم المصطنعة ، ونورد دليلا في غاية الأهمية والخطورة ، ممثلا في خطبة عن التبشير ألقاها وأعداها البابا شنودة ، في اجتماع سري بالكنيسة المرقسية الكبرى بالإسكندرية - وهي إحدى الكنائس القبطية في مصر - نعرض مقتطفات منها : " كذلك فإنه يجب مضاعفة الجهود التبشيرية الحالية ، إذ أن الخطة التبشيرية التي وضعت بنيت على أساس هدف اتفق عليه للمرحلة القادمة ، وهو زحزحة أكبر عدد ممكن من المسلمين عن دينهم " ثم انتقل في الحديث إلى توضيح الأسلوب الذي ينبغي توظيفه في التعامل مع المسلمين ، فقال : " غير أنه ينبغي أن يراعى في تنفيذ هذا المخطط التبشيري ، أنه يتم بطريقة هادئة لبقة وذكية حتى لا يكون ذلك سببا في إثارة حفيظة المسلمين أو يقظتهم ، ... ولذلك فقد أصدرت التعليمات الخاصة بهذا الأمر ،

(١) مقدمات العلوم والمناهج ٤٩٩ / ٥

وسننشرها ... لكي يتصرف جميع شعبنا مع المسلمين بطريقة ودية ، تمتص غضبهم ، وتقتنعهم بكذب هذه الآراء ،... وعلى شعب الكنيسة في المصالح والوزارات والمؤسسات إظهار هذه الروح لمن يخالطوهم من المسلمين " (٢) .

ويمثل هذا التحرك التبشيري والأسلوب المنظم ما يقوم به البابا يوحنا بولس الثاني بابا الفاتيكان قبل وفاته، وهو الطاعن في السن ، الأسير للضعف والمرض ،فقد نشط في هذا الاتجاه ، من خلال زيارته الودية للقارة الإفريقية التي زارها ثلاث مرات في غضون خمسة أعوام ،والرحلات التي طالت شرق البلاد وغربها ،لاسيما زيارته التاريخية لفلسطين ؛ليظهر أمام العالم الإسلامي بأنه مصلح ورجل التنوير والبناء ، حتى تظهر صورة المسيحية بما يخدم حركة التبشير في العالم الإسلامي ، ولكن ما الهدف ؟ انه الإسلام ، انهم يريدون وقف المد الإسلامي الذي يمثل الخطر الأعظم عند المسيحيين والمبشرين ،كشفت الصحف الأمريكية عن هذا المخطط وعن هدف البابا من تلك الزيارات للعالم ،ولاسيما القارة الخضراء إفريقيا ، وأفادت بأنه يريد حث رجال الكنيسة في تلك القارة على تعزيز الجهود في نشاطاتهم لتفعيل المد الكاثوليكي ، في مقابل وقف المد الإسلامي والصحة الإيمانية في أفريقيا والعالم بأسره،لاسيما وأن الإسلام قد خالط بشاشة قلوب الأفارقة ،لما وجدوه من مبادئ الإسلام وحيويته (١) .

إن كل هذه المؤيدات تعزز موقف أنور الجندي من التبشير والاستعمار والتغريب ،وتجلى خلفية التحالف بين هذه القوي ، وتؤكد الترابط الأيديولوجي في جميع قطاعات الفكر الإلحادي ،فلمة الكفر واحدة ، والهدف الذي تنتشوف إليه هو القضاء على الإسلام ومن ثم الاستعمار ولكن أنا لهم ذلك فإن نور الإسلام جذوره متأصلة ثابتة وصدق الله إذ يقول : (يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) (٢) كما قضت سنة الله الشرعية بنهاية الظالمين المكذبين للحق ، سنة لا تتبدل ولا تتحول ، لا تزال عاملة على مقتضى نظامها المقرر لها ، يقول تعالى في هذا : (وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا) (٣) تلك نهاية الحضارات البائدة التي شاء الله لها بالفناء .

(١) انظر: قوى الشر المتحالفة الاستشراق . التبشير . الاستعمار ، محمد محمد الدهان ، ص ١٣٢ - ١٣٣ ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع -

المنصورة ش.م.م ط الثانية ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

(١) انظر : قوى الشر المتحالفة الاستشراق ص ١٣٤ .

(٢) سورة الصف: الآية ٨

(٣) سورة الكهف: الآية ٥٩

ولاريب أن يقظة المسلمين عاملا مهما في تجاوز مراحل ونقاط الضعف في حياة المسلمين ، وعليه وبعد ان ألقينا الضوء على التبشير في دائرة المفكر أنور الجندي ، وفي ظل تحليلاته لأبعادها بما توافق من الواقعية ،علينا أن نتنبه ونحذر من أبعاد الدور التبشيري وتطلعاته المستقبلية نحو الصحوة الإسلامية ، وأن نعمل في سبيل حماية حصون الإسلام من الانهيار، ولا يتأتى ذلك إلا بقيام حركة نشطة من العلماء والمفكرين تعمل على تبصرة المجتمعات الإسلامية بمحاذير هذا النشاط التبشيري الاستعماري وترابطه بالاستشراق المادة الأساسية للتبشير ، ووضع التدابير والخطط والمناهج التي تحفظ الشخصية الإسلامية من عوامل الإسقاط والتبعية .

المبحث الرابع

الاستشراق

المطلب الأول : تعريفه - أهدافه

المطلب الثاني : موقف أنور الجندي من العلمانية ودعاتها

المطلب الأول

(الاستشراق تعريفه وأهدافه)

أولاً : معنى الاستشراق **orientalism** : " هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي (١) وكلمة "مستشرق" لها معنى عام ومعني خاص ، ففي المعنى العام يصرف إلى ما يقوم به الباحثون الغربيون من دراسة لتاريخ العرب والمسلمين ولغاتهم وآدابهم وحضارتهم ، وهذا المفهوم على إطلاقه وعموميته غير مراد في دراستنا ، إنما يعيننا المفهوم الخاص الذي درج في استعمال المستشرقين أنفسهم الذي يعني : "الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه عام" (٢).

أو بعبارة أخرى : تلك الدراسات التي تهتم بعلم الشرق في كافة المجالات اللغوية والتاريخية والعقائدية والاجتماعية والسياسية ونحوها وصياغة نتائجها وفق التصور الغربي ؛ بغية التشكيك والطعن فيها ، في إطار الخلفية الفكرية للصراع الحضاري (٣).

يتضح من خلال التعريفات السابقة وجود اتجاهين لحركة الاستشراق ، اتجاه مجرد لوجه العلم ، واتجاه استعماري هادف ، وبالتالي لا يمكن أن يتخذ الاستشراق طريقاً واحداً ومخططاً مشتركاً ، لعل ذلك يرجع إلي الباعث النفسي خلف هذه الدراسات ، فالدراسات المجردة كان الباعث عليها الكشف والمعرفة الموضوعية ، بعيداً عن التعلقات الأيديولوجية ، أما الدراسات التي ارتبطت بالاستعمار فباعثها الصراع الحضاري والنديّة ، وطبيعة هذا العمل تقوم على الطعن والتصحيف والهدم لكل الموروثات الفكرية والتاريخية والدينية والحضارية للمسلمين ، والشرق عامة ، وما يؤيد ذلك ظهور كثير من الدراسات الموضوعية والمنصفة عن تاريخ الإسلام وعن حضارته ، بإنتاج مستشرقين منصفين بعيداً عن الارتباط الزمني لظهور الاستشراق (٤).

(١) الدراسات الإسلامية والعربية في الجامعات الألمانية ، تأليف (رودي بارت) ، ص ١١ ترجمة الدكتور مصطفى ماهر - القاهرة

١٩٦٧م عن الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، ص ١٨

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٨

(٣) انظر : أجنحة المكر الثلاثة ، (التبشير ، الاستشراق ، الاستعمار) ص ٨٣ ، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ،

ص ٣٣ ، قوى الشر المتحالفة (الاستشراق ، التبشير ، الاستعمار) ، وموقفها من الإسلام والمسلمين ، ص ٤٧ ، الفكر الإسلامي

الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، ص ٤٣١

(٤) من أشهر المستشرقين الذين عرفوا بإيمانهم وغيرهم على الإسلام (الفونس ايتين دينيه) : كاتب فرنسي درس الأديان دراسة

مقارنة ، قادته في النهاية إلى معرفة حقائق الإسلام وجوانبه المشرفة مما دعاه لإعلان إسلامه ، وقدم كثيراً من المؤلفات القيمة

المنصفة ، راجع ذلك بتوسع في كتاب " تاريخنا بين تزوير الأعداء وغفلة الأبناء ، يوسف العظم ، ص ٤٤ وما بعدها ، ط الأولى

١٩٤١هـ - ١٩٩٨م دار القلم دمشق ، الدار الشامية بيروت

وبعضها اهتم بتلمس نقاط الضعف في الإسلام بغية التشكيك في صحتها، والطمع في مصادرها، فالأولى تمثل طبقة الموضوعيين، والثانية تمثل طبقة الناقدین الذين ارتبطت دراساتهم بأهداف استعمارية، ولسنا نعني المنصفين، وإن كان بعض التحفظ على دراساتهم إنما نرصد الاستشراق الذي لبس لباس العلم تحت خلفية عدائية صليبية.

ثانياً : أهدافه :

المنتبع لدراسات المستشرقين وأبحاثهم ومؤتمراتهم وتصريحاتهم ووثائقهم، يدرك خطورتها، ويتعين لديه معرفة أبعادها في الصراع الحضاري بين الغرب والإسلام، ومن خلال الاستقراء الدقيق للعلاقة بين الاستشراق وقوى العداء الأخرى للإسلام مثل التبشير، والتغريب، والاستعمار تبين مدى التعاون بينها، وقد انطلقت الدراسات الاستشراقية لتحقيق جملة من الأهداف نجملها في التالي :

١- الهدف ديني :

إن أخطر ما يهدد المستشرقين هو الإسلام، متمثلاً في نظامه وحيويته، وقدرته على التمدد والعطاء، فقواعده ومبادئه تجمع المسلمين وتوحدهم، وتعطيهم الدافعية والقوة التي تحميهم من محاولات الاحتواء، لذلك انصب جهد المستشرقين على هدم مقومات الدين، لصرف المسلمين وتحويلهم عن دينهم^(١) وتمزيق وحدتهم ببعث الفرق التي تجعل من الأمة أمماً وجماعات متصارعة ومتنافرة ومتدابرة، وإحياء دعوات الشعوبية القديمة^(٢)، والتركيز على جوانب الضعف فيها، وإعادة النظر فيها، وصنع إقليميات يذهب معها الاجتماع على قواعد دينية، أو اعتبارات دينية موحدة، وهو نفس الهدف الذي حملته التبشير كما أسلفنا عند حديثنا عن أهداف التبشير، ومن أبرز ما يقوم به المستشرقون لتحقيق هذا الهدف :

أ - التشكيك بنبوّة النبي محمد -صلى الله عليه وسلم : بوصف متعلقات الوحي بأنها وهم أو حملها على أنها حالة صرع، أو حالة نفسية تطرأ عليه، مع كونهم لا ينكرون الوحي كظاهرة إنسانية، وإلا فكيف اعترفوا بأنبيائهم في التوراة؟، فتفريقهم بين أمرين متطابقين، أحدهما يحمل على التصديق، والآخر يحمل على الوهم والتكذيب، مما يحتم

(١) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ص ٩٤.

(٢) الشعوبية: هي " حركة فكرية اجتماعية، قامت بها جماعات غير عربية، بهدف ضرب الكيان العربي من خلال ثقافته وراثته الحضاري، وذلك بالتقليل من شأن اللغة العربية، ومهاجمة التراث العربي الإسلامي، والتشكيك بدور العرب التاريخي، والاستهزاء بالقيم والمثل العربية، مقابل الاعتزاز بالإرث الحضاري الأعجمي، والتمجيد بالقيم والسحايا غير العربية، وإحياء الثقافات الأعجمية " الشعوبية ودورها التخريبي في مجال العقيدة الإسلامية، تأليف /حسن حميد عبيد الغرابوي، ص ١٨، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة، العراق ١٩٩٣ م.

القول بأن هذا الإنكار مبعثه العنصرية الدينية المنطلقة من خلفية العداء للنبي صلى الله عليه وسلم - ودعوته (١).

ب- إنكار نسبة القرآن إلى الله تعالى : بإرجاع مصدره إلى أصول يهودية ونصرانية ، أو جمعه من ثقافات متعددة يونانية ، ورومانية ، وهندية ، وفارسية ، بل يتعدى الأمر إلى اتهام النبي صلى الله عليه وسلم - بأنه قد جاء به من عند نفسه ، فيضفون عليه صفة العبقرية ، ليظمسوا بهذا الإصطلاح البراق وصف النبوة عنه ، وتقرير بشرية القرآن الكريم (٢).

ج- دعوى اختلاق الصحابة والتابعين للحديث النبوي : قولهم بأن الحديث النبوي من عمل الصحابة والتابعين ، وأئمة المذاهب الأربعة ، فيدعون بأن أصحاب المذاهب كل يخلق الحديث ؛ليؤيد مذهبه الفقهي ، ثم ينسب ذلك الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - (٣) ، فالعقدة النفسية عندهم هي عدم التصديق برسالة النبي ونبوته ، ومن هذه الخلفية انبعثت حملاتهم التشكيكية في كل ما يتصل بالنبي ودعوته ، التي استطاعت أن تتال منهم قرونا من الزمن (٤).

يقول المستشرق (الموتور) معبرا عن عدائه للنبي - صلى الله عليه وسلم - ودعوته ومعززا الهدف الصليبي : "أعتقد أن من الواجب إبادة خمس المسلمين ، والحكم على الباقين بالأشغال الشاقة ، وتدمير الكعبة ، ووضع قبر محمد صلى الله عليه وسلم - وجنته في متحف اللوفر" (٥) وصدق الله إذ يقول : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ) (٦) .

د - التقليل من قيمة الفقه الإسلامي في التشريع : زعمهم بأن الفقه الإسلامي مستمد من الفقه اليوناني ، وقد أثبت علماء المسلمين تساقط وبطلان هذه الدعوى ، وذلك ضمن القرارات التي صدرت عن مؤتمر الفقه المقارن (بلاهاي) ، والذي اعتنى بهذه القضية ، وأثبت بأن الفقه

(١) الاتجاهات الفكرية المعاصرة ، ص ١٩ .

(٢) انظر: أجنحة المكر الثلاثة ، ص ٩٤ - انظر: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، ص ٧٢

(٣) انظر: قوى الشر المتحالفة ، ص ٥١ .

(٤) انظر: أجنحة المكر الثلاثة ، ص ٩٦ .

(٥) قوى الشر المتحالفة ، ص ٥٢ - ٥٣ - انظر: الاتجاهات الوطنية ، ٣٢١/١ - انظر: الفكر الإسلامي الحديث وصلته

بالاستعمار ص ٥٣ .

(٦) سورة آل عمران : الآية ١١٨ .

الإسلامي مستقل ، ولم يرتبط بفقهِ آخر ، فهو أصيل المنابع عميق الجذور ، بأدلة ووثائق ونصوص بما يقنع أولي الألباب (١) .

هـ - اتهام اللغة العربية بالعقم والجمود : وذلك بالتشكيك في قدرتها على مواكبة التطور الإنساني ومهاجمة قواعدها ، والدعوة إلى الكتابة بالعامية بعيدا عن الفصحى ، والكتابة بالحروف اللاتينية ، محاولين عزو أي تخلف إلى التمسك بهذه اللغة ، يقولون " إن أمل التقدم ضعيف في مصر طالما أن العامة تتعلم اللغة العربية الفصيحة " باعتبارها لغة القرآن أو الإسلام (٢) .

و - إنكار أثر الحضارة الإسلامية على أوروبا : وذلك بإنكار الدور الحضاري الذي لعبه المسلمون عبر تاريخهم ، بإثارة الشبهة القائلة : بأن التراث الفكري والعلمي الذي تركه علماء المسلمين هو مزيج من الثقافات اليونانية والهندية والفارسية ، الرومانية ، وأن المسلمين لم يتجاوزوا حدود النقل لتلك الفلسفات والمقومات الفكرية ، وبذلك تنتفي أصالة الفكر الإسلامي وهويته الحضارية وأثرها تاريخيا على أوروبا في القرون الوسطى (٣) .

ز - إثارة الشكوك حول فكر المسلمين وتاريخهم : بإغفال القيم والمثل العليا التي حملها الفكر الإسلامي وتاريخه ، بالتشكيك فيها ، لإيجاد الشعور بالنقص أمام قوة الغرب مما يفقدهم روح المقاومة التي تحول بين الاستعمار وأهدافه الرامية إلى إخضاع المسلمين للتوجيهات الغربية (٤) .

ح - تشويه صورة الإسلام في نظر النصارى : ، بتغيب صورته الحقيقية عنهم ، وإبراز نقاط الضعف المزعومة في عقائده وتاريخه ، والعمل على إسقاطه وهدم أسسه ، من خلال تنصير المسلمين ، أو تجريدهم من الدين ، فيكونوا ملاحدة ، وكلا الأمرين فيه توهين للإسلام حماية النصارى من خطر الإسلام (٥) .

(١) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ، ص ٣٧ .

(٢) أجنحة المكر الثلاثة ، ص ٩٧ - الاتجاهات الفكرية المعاصرة ، ص ٢٠ .

(٣) انظر : التبشير والاستعمار في البلاد الإسلامية : د. عمر فروخ . د. مصطفى الخالدي ص ٣٧ ، الطبعة الرابعة ١٣٩٠ - ١٩٧٠ م .

(٤) وانظر: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، ص ٤٣١ .

(٥) انظر: الاستشراق والحلفية الفكرية للصراع الحضاري ص ٧٢ - انظر: حاضر العالم الإسلامي ، ص ٤٨ .

٢- الهدف التجاري:

انصب اهتمام الغرب بتوسيع تجارتهم ومواردهم الاقتصادية، وتحصيل المواد الخام التي تحصل بها الصناعات من بلاد المسلمين، وذلك قبل عصر الاستعمار الغربي للعالم الإسلامي، لذا كان لابد من دراسة عميقة لتاريخ هذه البلاد وجغرافيتها والطبيعة الزراعية والبشرية لها، وكتابة التقارير عنها مما يمكن للغرب التعامل والتصرف مع هذه البلاد، واستغلال المنافع والفوائد التي تعود على تجارتهم واقتصادهم عامة بالخير، لذلك لجأ الغرب إلى السفر إلى بلاد المسلمين في بعثات منظمة وهادفة على نفقة أصحاب المؤسسات والشركات التجارية، وبدعم من الحكومات نفسها، حتى تتحقق النهضة الصناعية والاقتصادية في بلادهم، وبذلك تتأكد صلة الاستشراق بالاستعمار الغربي، وعليه فالاستشراق هو الذي مهد للاستعمار وهو أداة من أدواته التي استطاع من خلالها النفوذ إلى بلاد المسلمين^(١).

٣- الهدف السياسي:

عندما نفذ الاستعمار الغربي إلى بلاد المسلمين، واتسع مداه جغرافيا، في القرنين التاسع عشر والعشرين، كانت الضرورة لدراسة ثقافة وتاريخ وآداب وعقائد وأعراف هذه المجتمعات، حتى يسهل عليهم سياستها وحكمها، لذا فرضت الدول الاستعمارية على جميع موظفيها في تلك البلاد التطلع من العلوم والمعارف المتعلقة بالمجتمعات التي يحكمونها، فبدراسة هذه المجتمعات يمكنهم اختيار الأساليب والطرق التي ينفذون من خلالها إلى تلك المجتمعات، لاسيما وأن هدف هذه الدراسات هو تنمية جوانب الضعف وترسيخ روح الاستسلام والانهازم بحيث تتوفر لديهم القابلية للاستعمار^(٢).

٤- الهدف العلمي:

عكف بعض المستشرقين بدافع الفضول العلمي على دراسة تاريخ الشرق الإسلامي، وعقائده وفكره وثقافته وآدابه؛ بغية الوقوف على الحقيقة التاريخية والدينية ونحوها، لاسيما في عصر النهضة التي تسبب بها المسلمون من خلال موروثاتهم الحضارية، التي عمت أوروبا وأحدثت لديها انقلابا فكريا وثقافيا، فكان من ثمار هذه الدراسات دخول عدد من هؤلاء المستشرقين في الإسلام، لما رأوا من صدق وواقعية في المنهج والطرح الإسلامي للكون

(١) انظر: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ص ٧٤، وانظر: حاضر العالم الإسلامي، ص ٤٨ انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ص ٣٧ - انظر: تاريخنا بين تزوير الأعداء وغفلة الأبناء، ص ٢٤ .
(٢) انظر: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ص ٧٤ - وانظر: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص ٣٠٤ - وانظر: واقعنا المعاصر، ص ٤٩ .

والإنسان والحياة، كما صنع المستشرق الفرنسي الفنان " دينيه " الذي أعلن إسلامه بعد أن أحب الإسلام ، وسمى نفسه (ناصر الدين دينيه) ، وساهم في كشف حقيقة العداء الذي يحملة الغرب على الإسلام والمسلمين ، وكتب مؤلفا عن حياة النبي -صلى الله عليه وسلم - عارضين للنماذج الرائعة من سيرته ، بما يدل على عظمته وصدق دعوته ، ومن الحق أن يقال بان هذه الدراسات اعترافا بالنقص العلمي ، فكثير من الأخطاء يقع بها هؤلاء بدون قصد ، في الاستنتاجات والتحليلات التاريخية والنصية ، وأغلب الظن أن ذلك مرجعه لجهل الغالبية العظمى منهم بعلوم اللغة العربية ، فلا يستطيعون كشف مدلولات الألفاظ ومغاليقها ، ولا يدركون الغاية في فهم أساليبها البيانية ، إضافة إلى الفروق النفسية والفلسفية بينهم وبين العرب في تاريخهم وثقافتهم ، فقد يكيل (الباحث المستشرق) الأمور بمقياس البيئة التي يعيش فيها ، ويخضع لتأثيراتها النفسية والفكرية والثقافية (١).

ويلاحظ بعد تسليط الأضواء على أهداف المستشرقين ، وجود علاقة تكاملية لا تقبل التجزئة بين التبشير والاستشراق والتغريب والاستعمار ، فلم نجد خلافا يذكر في المنطلقات والخلفيات الفكرية ، فإن الهدف الذي تسعى إليه هذه القوى هو هدم الإسلام ، وما تلك التفاصيل التي شغلت صفحات من البحث إلا فروعاً تطبيقية تنتهي إلى الغاية المنشودة ، وهي: هدم الإسلام والقضاء على أهله ، ولاشك بأن البعد في الصراع بين الغرب والإسلام ينطلق من دافع الثأر وردة الفعل ، التي امتدت عقوداً من الزمن ، ولم تفارق شعورهم ، فالإسلام هو الذي أبطل عقائدهم المضللة ، وكشف عن وجه الحق الذي ضرب في أعماق الفكر الصحيح مسلمات لا تقبل الشك ، تخالف الإسفاف الغربي في طرحة العقائدي والفكري .

فكيف ينسلخ هؤلاء عن هذا الشعور والإسلام هو العقبة أمامهم؟! ، فكانت حملتهم على هذا الدين بما عبرت عنه أعمالهم وما أنتجت أفعالهم . ويرى الباحث ضرورة أن يتجه الشباب النخبة إلى الاستغراب -دراسة ثقافة الغرب وتاريخهم وآدابهم - ، بغية الوقوف على الأزمة الفكرية والمنهجية التي تعتور الفكر الغربي ، وكشف نقاط الضعف عندهم ؛ ليكون دليلاً على إخفاق نظرياتهم وسقوطها ، الأمر الذي يعلو فيه صوت الحقيقة ، لاسيما وأن الحملات الصليبية اليوم بدأت تكشف عن وجهها الحقيقي في العراق وأفغانستان ، وحملات التشويه والتضليل للشعوب بوصم الإسلام بالإرهاب والرجعية والجمود ، كل هذه المظاهر

(١) انظر: انظر: تاريخنا بين تزوير الأعداء وغفلة الأبناء ص ٢١ - انظر: أجنحة المكر الثلاثة ، ص ٩٨- انظر: الاستشراق والحلفية

الفكرية للصراع الحضاري ص ٧٦

تستدعي المقاومة الفكرية من قبل المسلمين لهذا التيار الصليبي الحاقد ، وإن من أهم وسائل الدفاع التحصن الفكري والعائدي لأجيال المسلمين حتى لا يقعوا في شرك هذه المحاولات وصدق الحق إذ يقول : (وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) ^(١) فقتالهم للمسلمين لا ينحصر في الجانب العسكري، فصراع الكلمة أنكى وأكثر تأثيرا .

(١) سورة البقرة : الآية ٢١٧

المطلب الثاني

موقف أنور الجندي من الاستشراق

ارتبط الاستشراق بحركة التبشير ارتباطاً جذرياً ، قوامه الأيديولوجية المشتركة في موقفها من الإسلام ، فقد أثبتت الوقائع التاريخية الدور الذي لعبه الاستشراق في خدمة التبشير ، وكان للمفكر أنور الجندي مساهمة تاريخية تأصل لطبيعة العلاقة بين هاتين القوتين في مواجهة الإسلام ، ويمكن إجمالها فيما يلي :

١ - **علاقة الاستشراق بالتبشير** : وضع أنور الجندي تصوراً مبسطاً ومختصراً للاستشراق بقوله : "استخدام العلم في خدمة السياسة ومن هنا فقد كانت مادته مصدراً مؤثراً وهاماً لمؤسسات التبشير تستعملها في دعم خططها ، فقد عمد رجال الاستشراق في خدمة هئئتين أساسيتين هما : وزارة المستعمرات والكنيسة الغربية ، وعليه يكون الاستشراق المقوم الأساسي للتبشير فهو مصدره ومادته ، التي تغذي حركته وتدعم مخططاته"^(١).

ويعزز الجندي هذا الترابط بالتحول الذي طرأ على خطة الاستشراق ، فيشير إلى أن المستشرقين هم في الحقيقة مبشرون ، تخفوا في لباس الاستشراق ، خلعوا لباس الكنيسة وارتدوا لباس العلم ، ليتمكنوا من خداع المجتمعات عن هويتهم الأصلية ، وكانت تركز دعوتهم على بشرية الإسلام ، والقول بأنه دين ملقّق من الديانتين (اليهودية والمسيحية) ، وتعمل قوى التبشير في مجالات إنسانية وعلمية حتى تصل إلى مرادها وهي المدرسة والمستشفى والملجأ ، وتعمل على اهتمامها بالمرضى والضعفاء والفقراء من المسلمين ، لاسيما في أفريقيا وآسيا ، فيضطروا تحت تأثير الكنيسة إلى ترك الإسلام ، باعتبار أن الإسلام عجز عن تحقيق حمايتهم ومصالحهم ، فتدفعهم الحاجة والمرض تحت إغراء المال للتخلي عن الإسلام ، ويبين أنور الجندي دور الاستشراق هنا ، حيث يقوم على وضع المادة العلمية المنقحة على ضوء المقاييس الغربية ، في سبيل تثبيت وجودهم في تلك البلاد ، وإخضاعهم هذه المجتمعات للفكر الوافد نحو القومية والاشتراكية ؛ ليتعمق الصراع بينهم ويستمر^(٢).

٢ - **اتجاهات التبشير والاستشراق** : يؤكد أنور الجندي مدى التناقص بين قوى التبشير والاستشراق ، فيذكر أوجه التركيز والاختصاص لكل ، فقد اتجهت مؤسسة التبشير إلى

(١) أصالة الفكر الإسلامي في مواجهة التعريب ، ص ٧٤.

(٢) انظر: المصدر السابق ، ص ٢٣٧ - انظر : مقدمات العلوم والمناهج ٢١٥/٥.

المدرسة والجامعة عن طريق الإرساليات، والسيطرة على المفاهيم الدراسية العامة، بينما اتجه الاستشراق إلى الصحافة والثقافة عن طريق الكتاب والصحيفة وكانت مؤسسة الاستشراق مصدرا للشبهات والأكاذيب ودور التبشير هو حمل هذه الشبهات إلى عقل الشباب عن طريق مناهج الدراسة^(١) يقول أنور الجندي في هذا الصدد: "قالاستشراق في شطريه: -عاملا مع الكنيسة أو عامل مع وزارات الاستعمار - لا يستطيع أن يخلص إلى الحق، إنما هو يؤدي دوره في إثارة الشبهات، وتقديم الزاد الكافي لدراسات التبشير^(٢) وهكذا يشترك التبشير والاستشراق في العمل من خلال أهم الجوانب التوجيهية الهامة في التعليم والثقافة بوسائلها المختلفة .

من هنا يرى أنور الجندي ضرورة التنبه والالتفات إلى الفوارق التي يجب أن تكون واضحة في ذهن الباحثين المسلمين لكتابات المستشرقين والمنصفين منهم مع قلتهم، وبين المبشرين الذين لبسوا لباس الاستشراق، وأورد في هذا الصدد رجوع المستشرق (ماسينون) الذي كان تابعا في عمله لوزارات الاستعمار، فقد عاد في السنوات الأخيرة من عمره، فعمل جهده في معسكر المبشرين معتمدا على اسمه اللامع المحاط بقدر كبير من سمت العلماء^(٣).

٣- ارتباط الاستشراق والتبشير بالكنيسة :

يؤمن أنور الجندي من خلال الترابط الزمني بين الاستشراق والتبشير في ظروف النشأة بوحدة المضمون واختلاف المسمى، ويؤكد ذلك بأن هاتين القوتين نشأتا بعد الحروب الصليبية في حضانة الكنيسة، فيستدل من هنا على باعث الاستشراق في استهداف الدراسات المشبوهة التي تعنى بالإسلام عقيدة وفكرا وتاريخا، وتطلعات التبشير في إطارها، مما يؤكد نظرية المضمون الواحد مع اختلاف المسمى، وعلى ضوءه يمكن أن نصوص فهمنا لحقيقة التبشير وطبيعة الاستشراق^(٤).

بهذا، قد كشف عن الوجه الحذقي للاستشراق والتبشير فهما مؤسسة واحدة اقترانه بالاستشراق في الأهداف والتطلعات، والبواعث، والشبهات والأفكار، مع تلازم هاتين القوتين مع التغريب الذي يمثل القاعدة العامة لهما، وكل من هذه القوى يمثل دعامة

(١) انظر: شبهات التغريب، ص ٩١.

(٢) انظر: المصدر السابق، ٩١.

(٣) انظر: مقدمات العلوم والمناهج ٢١٥ / ٥.

(٤) انظر: المصدر السابق ٧٦ / ٥.

أساسية وهامة للاستعمار الغربي ، ويثبت وجوده فكريا أو عسكريا ، وقد تأكد لنا في سياق العرض لشبهات التغريب والاستشراق دعم الدول الاستعمارية لهذه الاتجاهات بما تحمل من غايات ومقاصد .

٤ - منهج المستشرقين في البحث :

يحاول المستشرقون عبر دراساتهم أن يزيلوا الهوة بين الإسلام والمسيحية ، ببيان أثر المسيحية على الإسلام ، وإسقاط العلاقة بين دين -محمد صلى الله عليه وسلم - والسماء ، حتى يظهر الإسلام وكأنه دين بشري مستمد من الفلسفات والعقائد السابقة له تلك الخطة التي دأب كتاب المستشرقين عليها ، وداروا في فلکها ، فطن المفكر أنور الجندي لهذا التطلع الصليبي ، فأخذ ينتبع آثارهم في كتاباتهم عن الشرق بصفة عامة والإسلام بصفة خاصة ، ويعرض نماذج من طريقتهم في البحث ، ويكشف عن تلاعبهم وتصحيفهم للحقائق التي منها:

أ : إثبات بشرية القرآن :

يدعي المستشرقون بأن النبي -صلى الله عليه وسلم - منذ ساعاته الأولى -قبل نزول الوحي - كان نافرا من الوثنية التي نشأ فيها ، محبا للمعاني الروحية التي يتحدث عنها النصارى واليهود في أنحاء شبه جزيرة العرب ، ممن كان يتصل بهم أثناء ذهابه إلى الشام وإلى اليمن في القوافل قبل أن يعمل في تجارة خديجة ، تلك المعاني المتوثبة فيه منذ صباه إلى الكمال الروحي ، هي التي دفعته إلى (التحنّث) في كل عام بغار حراء شهرا ، أو أكثر ، فيبرز لنا في هذا السوق طريقة المستشرقين في الاستنتاج ، فهي تقوم على تجيير الوقائع وتفسيرها بناء على أفكارهم ، بدافع المذهبية والعصبية ، في منأى عن المصادقية التاريخية ، يقول أنور الجندي معلقا على هذا التعسف : فهم في هذه القضية يستنتجون بأن مصادر القرآن كانت من الكتب التي استفاد منها النبي -صلى الله عليه وسلم - عبر رحلاته وسياحاته ، يوم أن كان يطلب الكمال الروحي فلم يجده إلا عند اليهود والنصارى^(١).

-كما حاول المستشرق (مرجليوث) أن يصور الهجرة إلى الحبشة ؛ بأنها مسيحية ؛ وبأن النجاشي العادل كان مصدر عدل المسيحية ، ويستدل على ذلك باستدلال يرى واقعيته إذ يعتقد بأن النبي -صلى الله عليه وسلم - عندما اتصل بأهل الكتاب وكتبهم ، رأى أن يهاجر المسلمون إلى الحبشة المسيحية ، بعد أو هزم العذاب في قريش ، لأن بها ملكا

(١) انظر: مقدمات العلوم والمناهج ١٩٨/٥ .

عادلا لا يظلم عنده أحد، وأن عفو النجاشي عن المسلمين، وعطفه عليهم كان بسبب تقواه وورعه، ولطبيعة العلاقة بين الإسلام والنصرانية، التي لا تجاوز الخط الذي رسمه النجاشي، يرد أنور الجندي على هذا التسويغ التاريخي، فيرفض ارتباط العدالة التي يتمتع بها النجاشي بالدافع الديني، باعتبارها مصدرا للمسيحية، ويعتبر أن في ذلك مغالطة تاريخية^(١).

ويرى بأن الحبشة لم تتمتع بالمدنية والحضارة التي منها عطف النجاشي على المسلمين، ذلك أن تاريخ الحبشة في تلك الفترة كان غامضا، بل هو أغمض تاريخ في العالم، فكيف يمكن جعل هذه الرواية أساسا لمسألة هامة كهذه؟! وعليه فالرجوع إلى التاريخ الإسلامي نفسه، وتتبع آثار المهاجرين من مظانها، ومعرفة جذور تلك الأحداث بعيدا عن التعصب والهوى - هو الذي يجلي الحقيقة، ويكشف عن طبيعتها، ويؤكد بأن الهجرة إلى الحبشة لم يكن دافعها دينيا، بنسبة العدل للديانة المسيحية، بل لكون العدل صفة خاصة في النجاشي، ويسرد حقيقة مصدر عدالة النجاشي وسببه بما روتته السيدة عائشة أم المؤمنين: أن أباه كان ملكا على قومه ولم يكن له ولد إلا هذا النجاشي، وكان للنجاشي عم له من صلبه اثنا عشر رجلا، فتآمر القوم على والد النجاشي وقتلوه، وولد عمه؛ ليوطد الملك له باثني عشر وليا للعهد، وقام هذا العم ملكا، فباع النجاشي في سوق النخاسة؛ خوفا منه لحزمه وعزمه، وشاء ريك أن يصعق هذا العم بصاعقة من السحاب يوم باعه، وابنتي أولاده فلم يجدوا بينهم من يصلح للملك فارجعوا هذا النجاشي ثانية وولوه أمرهم، فاشتهر بالعدل والعطف على الضعيف وحماية من استجاره^(٢).

من هنا يستدل أنور الجندي على نفي صلة العدالة بالدافع الديني الذي يحتم عليه المستشرقون؛ ليفسروا الهجرة بناء عليه، حيث لم يكن للعاطفة الدينية أي أثر في تصرفات النجاشي، وبذلك يظهر أسلوب المستشرقين في تغييب الحقائق وتأويلها، بما ينسجم وطبيعة العداء للإسلام والمسلمين، وتشويه صورة التاريخ، باعتماد الآراء التي لا تقوى على المعارضة والمحااجة، دون فهم ودراية بحقائق الدين والتاريخ^(٣).

(١) مقدمات العلوم والمناهج ١٩٩/٥.

(٢) انظر: السيرة النبوية، لابن هشام، "قصة قتل النجاشي على الحبشة" ٣٢٩/٢ - ٣٣٠ ط المركز العربي لخدمة الكتاب، بدون تاريخ الطبع.

(٣) انظر: مقدمات العلوم والمناهج ١٩٩/٥.

ب: التشكيك في أمية النبي صلى الله عليه وسلم :

ادّعى (مرجليوث) بأن النبي صلى الله عليه وسلم - كان يعرف القراءة والكتابة ، مستدلاً بقوله تعالى : (اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ) ^(١) يحلل أنور استدلاله بهذه الآية على مراده، بأنه انعكاس نفسي وفكري ، عن مطلق العداء لرسالة الإسلام ، ويصف منهجهم في تحقيق ذلك، فيذكر بأنهم يحاولون لي أعناق النصوص حتى توافق مبتغاهم، تحت اسم الموضوعية والعلمية، وقد انصرفوا في الواقع عن المنهج العلمي في التحقيق والاستدلال ؛لأنهم لا يتعاملون مع المسلمات التاريخية إلا بقدر ما يخدم أغراضهم، ويبترون الحقائق ويستجزئون سياقاتها حتى تفقد تكامل الرؤية الصحيحة ، والذي يخلص إليه هنا هو أن المستشرقين يريدون بهذا الاستدلال إثبات صلة النبي -صلى الله عليه وسلم بأصحاب الديانات السابقة من اليهود والنصارى ، ذلك بأنه يكتب ويقرأ ، وعلى ذلك حملوا ادعاءهم بأنه سمع و تعلم عن هذه الديانات ، فتنقضي أصالة الرسالة السماوية ، وينقطع اتصالها الروحي بالسماء ، وبذلك تتأكد الصلة بين الإسلام والعقائد التي اعتمد عليها النبي صلى الله عليه وسلم -، فتنقضي سمة الربانية في دعوة النبي ، وتدمغ شبهة بشرية التشريع ، دون أن يقام دليل تاريخي علمي وموضوعي على ذلك، غير إثارة الشبهات في أذهان المسلمين حول هذه المسلمات ^(٢) .

- موازين البحث لدى المستشرقين :

هدف الأستاذ أنور بعد ذكر نماذج من طريقتهم في البحث ابراز الموازين التي يحكم من خلالها على الإسلام وهي على النحو التالي :

١- وضع أهداف علمية، ثم تصيد الأدلة، ولا يعينهم أن تكون تلك الأدلة صحيحة، أو مستمدة من مصادر معتبرة ، لذلك تراهم يجمعون المعلومات من كل رطب ويابس، سواء من كتب الأدب والشعر أو من كتب القصص والمجون والفكاهة، ثم يقدمونها (بعد التمويه) بكل جرأة ويبنون عليها أحكاماً عن الإسلام لا وجود لها إلا في نفوسهم وأذهانهم، وكثير من هؤلاء يدسون في كتاباتهم مقداراً من السم، كما جرت عادة المستشرقين أنهم يعينون لهم غاية وهدفاً علمياً مشبوهاً، ويقررون في أنفسهم تحقيقه بكل ذلك فلا يزيدون على نسبة

(١) سورة العلق : الآية ٣ .

(٢) انظر: مقدمات العلوم والمناهج ٢٠٠/٥، انظر : كيف يحطم المسلمون قيد التبعية والحصار ، أنور الجندي ، ص ٧٦ - ٧٧ ، ط ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م - مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت - لبنان .

مقدرة حتى لا يستوحش القارئ المسلم، ولا يثير ذلك عنده الحذر، ولا يضعف ثقته بالمؤلف، ويظهر من ذلك أنهم يجافون المنهج العلمي، وصورة ذلك أنهم ينطلقون من مزاعم باطلة في دراسة الإسلام، مثل بشرية القرآن، وعدم صدقه - ﷺ -

٢- اعتماد مصادر غير علمية، وتجاهل المصادر الصحيحة، والاستدلال بالروايات الواهية الساقطة، وإغفال الروايات القوية الصحيحة، والذي نجم عنه خلط في المفاهيم والحقائق،
٣- وقيا س الأمور بمقياس الغرب، دون مراعاة الظروف البيئية والفكرية والثقافية لكل ما يقع تحت أيديهم من متعلقات الشرق الإسلامي، فوقعوا في جهل مركب متعمد، وتحليل مراوغ يخدم المخططات العامة لهم^(١).

إن أكبر خطأ وقع به الشرق والمسلمون عامة، أنهم اعتمدوا على تلك الدراسات الاستشراقية، والتي كان يغلب على أسلوبها الموضوعية الزائفة في أهم ما يختص بمباحثه وتاريخه ودينه، ولم نر أدلة موضوعية تظهر في كتابات المستشرقين على أبناء جلدتهم، وعلى ذلك فلا يرى أنور الجندي أي ارتباط بين هذه الدراسات والموضوعية العلمية، ويوجه المسلمين إلى أن يلتمسوا ثقافتهم وتاريخهم في محيط الموروث الفكري والعقائدي والحضاري، الذي حفلت به أمهات الكتب وآلاف الدراسات التي توجت بأقلام رجال الفكر والثقافة في الشرق، لا نلبس أنفسنا لباسا لا يتناسب والطبيعة الفكرية والثقافية لنا، ويشير إلى محاذير التعلق والاعتماد على دراسات المستشرقين، فيرى أنها أفقدت الكثير من الباحثين ثقته بنفسه في البحث والنظر، فيفقد الهوية الثقافية المستقلة ومن ثم يكون عبدا لكل ما يصدر عن كتابات المستشرقين من الغث والسمين، فلا يكاد يتبين الحق، فيقع في حمل وتبني تلك الأفكار، التي في ظاهرها الموضوعية وفي حقيقتها مصادرة لمقومات الفكر الإسلامي الصحيح^(١).

والواقع يؤكد ما ذهب إليه المفكر أنور الجندي، فقد سارت أعمال المستشرقين في دائرة الانحراف في منهج العمل التاريخي، وقادهم ذلك إلى مغالطات علمية وتاريخية أثناء عرضهم للأحداث التاريخية وغيرها، ومعلوم بأن (اختلاف شكل المرئي باختلاف زاوية الرؤية)، والباحث الأوروبي ينطلق من مواقف متعددة، مما يجعل نتائج هذه الدراسات منصرفة عن قاعدة المنهج العلمي الصحيح، وإن احتمل بعضها حسن النية إلا أن الأمر

(١) مقدمات العلوم والمناهج ٢٠١/٥

(١) انظر: المصدر السابق ٢٠١/٥

يلزم منه مخاطر كبيرة على تاريخنا وفكرنا ولغتنا كما أشار أنور الجندي سالفاً ،ويمكن أن نعرض أدلة ذلك :

المثال الأول : حرّف المستشرقون نصاً أورده محمد بن شهاب الزهري -أول من دون الحديث- " أن الخلفاء قد أمروا العلماء بتدوين الأحاديث " نقل المستشرقون كلمة الأحاديث مجردة من التعريف (أحاديث) ، وهذا تحريف يغيّر المراد، فهناك فرق بين تدوين أحاديث موضوعة مختلفة ، وبين الأحاديث التي ثبت ورودها أو بعبارة أخرى (قطعياً الثبوت) وتستدعي الجمع والتحقيق والتدوين ، فانظر إلى خطورة هذا التلاعب في اللفظ بما دل عليه ، بما يقطع بخطورة النقل والترجمة عن كتابات المستشرقين والمنصفين منهم^(١) .

المثال الثاني : أفرد كتاب بالحديث عن قائد عربي مسلم اسمه (الكعكة)، وهو كتاب تاريخي نشر في لبنان ، غرابة الاسم استرعت بعض المحققين للنظر في هذا الاسم ،لمعرفة حقيقته ، فتبين بأن من كتب هذا الكتاب هو مؤلف أجنبي ،كتب فصلاً عن القائد المسلم (القعقاع بن عمرو) وقد كتب الاسم باللاتينية فحذف العين والقاف ،والمترجم العربي لم يدرك هذا الخطأ فنقل الاسم ككعكة كما هو بدل القعقاع^(٢) .

فتأمل خطورة النقل عن هذه الدراسات على فكرنا وعلى باحثينا الذين استسلموا لكل ما تنتجه تلك الدراسات دون نظر وتمحيص ،فالواجب هنا أن نتطرق لدراساتنا من المنابع الأصيلة، ثم تدرس مؤلفات المستشرقين وتحاكم بناء على مقاييس الفكر الإسلامي القويم .

٥ - دراسات المستشرقين والاستدراكات عليها :

لا ينكر أنور الجندي الإيجابيات التي قدمها المستشرقون للفكر الإسلامي ، لاسيما في مجال التبويب والفهرسة لكتب الحديث والتراجم ،إلا أنه يأخذ على إيجابياتهم أمرين :
الأمر الأول : سرقة التراث الإسلامي بأساليب متنوعة ،وانتقاله إلى دائرة المستشرقين يعد من أخطر التحديات ، ذلك أنه أصبح حجة على المسلمين ، لا لهم ، وأصبح بعثه على النحو الذي يختاره الاستشراق ، بعيداً عن تصور المسلمين وإرادتهم ، مما يهدد وحدة الفكر الإسلامي بما يضم من عقيدة وتاريخ ولغة ،لذلك يرى أنور الجندي بأن نظرتهم لكثير من القضايا تعبر عنهم فقط ،وهي تخضع لثلاثة اعتبارات :

(١) تاريخنا بين تزوير الأعداء وغفلة الأبناء ص ٢١ بتصرف .

(٢) انظر : المرجع السابق ٢٢ .

١- نظرتهم للإسلام على أنه دين لاهوتي محض كالمسيحية، في حين أنّ الإسلام دين ودستور حياة .

٢- تأثرهم بوجهة نظر السياسة الاستعمارية وخضوعهم لها .

٣- قصور أفهامهم عن إدراك حقيقة الفكر الإسلامي وطبيعته، التي تربط بين الثابت والمتغير، والروحي والمادي ، والديني والأخروي، تلك الاعتبارات تجعل آراء المستشرقين وتحليلاتهم مختلفة باختلاف التصور الفكري .^(١)

الأمر الثاني: إحيائهم لنوع معين من التراث ، وذلك نحو التصوف الفلسفي، علم الكلام والمعتزلة والباطنية، ومعلوم أن هذا النوع من الأبحاث ضد المسلمين، والمراد به بعث الخلافات السياسية التي طوى التاريخ صفحاتها ، وكانت سبب الضلال الفكري الذي أصاب المسلمين في تلك الفترات من التاريخ، وأدت إلى فرقتهم بعد أن جعلتهم فرقا وجماعات متصارعة، حتى جاء العلماء المحققون من المسلمين بمنهجهم العلمي الرصين فزالوا بظهورهم بواعث الخلاف، وردت الأمور إلى ما يستقيم مع فكرنا الإسلامي الصحيح، تحت اسم " أهل السنة والجماعة " ^(٢).

إن ما يثار باهتمام حول الاعتزال ومحاولة تصويره على أنه منهج إسلامي للفكر ويمكن فصله عن قضية احتواء الإسلام ، وطرحه على أنه منهج عقلاني يتفق وروح العصر، ويصلح لأن يكون منطلقاً لتبرير الحضارة الحديثة وأوضاع المجتمعات البشرية اليوم ، نوع من التدليس يرفضه أنور الجندي ويعلل ذلك بأن الإسلام ينطلق من النظرية الجامعة المتكاملة التي تجمع بين العقل والوجدان ، ويضيف بأن الاعتزال ما كان إلا خطأ من خيوط كثيرة ومتشابكة، مرت في مرحلة من مراحل التاريخ ثم انتهت، ولم تكن تعبيراً صادقا عن الإسلام، بل تشكل خطراً على الرأي الصحيح والميل إلى الخطأ ، ويمكننا أن نطلق على منهج المعتزلة ردة الفكر ^(٣).

وبناء على الاعتبارات التي وضعها أنور الجندي في تفسير التاريخ وتحليل التراث ، فإن الفكر الغربي باسم الاستشراق ينظر إلى الاعتزال على أنه الطريق إلى التحرر من القيود الدينية ، تحت عنوان العقلانية بمفهوم الغرب ونظرتهم للدين ، من هنا

(١) انظر: شبهات التغريب، ص ٨٧- انظر: مقدمات العلوم والمناهج ص ٢٠٦/٥ .

(٢) انظر: شبهات التغريب، ص ٨٨ .

(٣) انظر: الموازنة على الإسلام ، ص ١٩

كان هذا الاتجاه لتبرير مفاهيم جديدة تطرح في أفق الفكر الإسلامي نحو العلمانية والمادية ، وإغفال الفوارق العميقة بين التفسيرات الغربية للمسيحية التي حالت بين الغرب والتفكير واقتحام مجالات العلم ، والانغلاق في دائرة النصوص الجامدة والرهبانية والتقليد الأعمى ، بينما حمل الإسلام منهج المعرفة القائم على قواعد منهجية متكاملة مستمدة من العقل والروح وفي ترابط لا يمكن فصله ، وإلا فما سبب تخلف أوروبا في القرون الوسطى ؟ وما سر تحضر المسلمين؟ ، وفي سبيل من يكون بعث الفلسفات الهدامة ، لقد كان الاستشراق يولى اهتمامه بهذا الفكر ، ذلك لأن فكرة الاعتزال ارتبطت تاريخياً بفلسفات هندية ويونانية ووثنية ، من هنا أدرك أنور الجندي هدف الاستشراق ، فيرى بأن إحياء الفكر المعتزلي والتصوف الفلسفي يهدف إلى هدم فكرة التوحيد الأساسية ، عقيدة المسلمين الجامعة ، وفرض الآراء حوله ، وبالتالي تعود الأمة إلى صراع الفرق من جديد ، صراعا يقضي على وحدة فكرهم (١) .

ويدلل الجندي على عدم قابلية الإسلام لهذه التجزئة الفلسفية ، بالمواجهة الضخمة لكل هذه الأفكار والوثنيات ، لانفصالها عن مبادئ التوحيد ، فقد أثبت موقف الشافعي والأشعري وابن تيمية والغزالي زيف هذه الأفكار ، ونفوا صلة هذه الأفكار بمنهاج السنة ، حيث إن الإسلام بناء متكامل له طابعه الخاص ومفاهيمه الواضحة ، التي لا يمكن أن تختلط بمفاهيم الوثنيات الإغريقية ، وعليه يرى بأن الواجب المحتم اليوم هو تخليص مفاهيم الإسلام من الوثنيات المتجددة (٢) .

لقد برز اهتمامهم أيضا بإحياء التصوف الفلسفي ، وإعلاء النزعة الإشرافية الحدسية ، أو إذاعتها رغبة في أن تكون أفكارها عاملا في تشويه الأفكار وإدخال مفاهيم وافدة عن الإسلام ، لذلك عني الاستشراق بابن عربي والسهرودي والحلاج الذين يقولون بوحدة الوجود والطلول والاتحاد ، وإحياء جانب التأليف في تلك الدراسات ، (٣) ولأسيما مؤلفات الحلاج وابن الفارض وابن عربي ، وقد تخصص في هذا النوع من الفكر : (ماسينون ، وجولديزير ، وجب وبرون ، وماكدونالدومار مرجليوث ، ونيكلسون وفون

(١) انظر: المؤامرة على الإسلام ، ص ١٩-٢٠ - انظر: مقدمات العلوم والمناهج ص ٢٠٧/ج ٥:

(٢) انظر: المؤامرة على الإسلام ، ص ١٣

(٣) انظر: مقدمات العلوم والمناهج ، ص ١١٧/٥٠

كرير) وأبدوا إعجابهم بالإنحرافات التي تشوه مفهوم الإسلام الأصيل، ووصمهم الفقه الإسلامي بأنه جاف وأن مفهوم التصوف هو الذي منح الإسلام الليونة والحيوية^(٤).

تصدى أنور الجندي لتلك الدراسات، وبين عوارها، ذلك أنه اعتبر تلك التأويلات والتصورات الغربية دخيلة على الإسلام، معتمدا على فهمه لطريقة المستشرقين في البحث، والتي من أبرز أخطائها، تفسير الإسلام بمقاييس الغرب، ويذكر مستمدة من آثار الرهبانية المسيحية، وأقواها كسموم ضاربة في أفق الفكر الإسلامي ليخدعوا بها بسطاء الفهم والسذج، يراد بها هدم النفس المسلمة، بهدم مفهوم التوحيد الخالص، ويؤمن الجندي بأن سر اهتمام الاستشراق بهذه الفلسفات يرجع إلى أنها مرتبطة بمفاهيم إحادية، يظهر معها الاختلاف والاضطراب في مصدر ديننا الإسلامي، ويعرض لجذور التصوف الفلسفي؛ ليعزز رأيه، فيشير إلى أنها مستمدة من الفلسفة الإغريقية والديانات الهندية، والفلسفة الفارسية والبوذية واللاهوت المسيحي، ففكرة وحدة الوجود التي لا تفرق بين الله تعالى وبين خلقه، تحت نظرية (الوجود كله الله) تسربت من الفلسفة اليونانية، وما طرأ على التصوف من عقيدة التناسخ، التي تقول بمجيء النفس الواحدة إلى الحياة مرات متعددة، فيتاح لها ذلك حتى تنهذب النفس مستمدة من مفهوم الفلسفة الهندية والهندوكية في التناسخ، كما تسرب إلى التصوف الفلسفي من المسيحية تعذيب النفس وقهر الجسد بالتقشف، والانقطاع عن التنازل، وترك العمل في الحياة أي الرهبانية^(١) ومما يؤكد خطورتها، محاولة ربط هذه الفلسفات بالإسلام ليظهر بأنه دين بشري ملفق من شتات الفلسفات والمذاهب، وهذا أخطر ما يتهدد أصالة الفكر الإسلامي.

إن محاولة تمرير هذه الفلسفات ودمغها بالإسلام من المجالات؛ لأن الفكر الإسلامي لا يقر مذهب القول بحلول الله في جسد إنسان، أو فناء الذات الإنسانية في الذات الإلهية، بالإضافة إلى محاربة الرهينة والاعتكاف عن الحياة، فهو يدعو إلى العمل وعماراة الأرض، فالإسلام يفرق بين الله والعالم، فالفطر السليمة تأبى أن تجعل الله هو العالم، إذ تتنافر مع الأخلاق ويحول دون المسؤولية والجزاء، ليندفع الإنسان بشهوته إلى غير غاية فيتخبط في ظلاميات الكفر والإلحاد، فلا يليق بالله المنزه عن الاتحاد بمخلوقاته أو الحلول فيها، فالله واحد في ذاته، وما عدا ذلك باطل يراد به تعميق الجانب المادي، وإنكار ما وراءه، فالله

(٤) انظر: المؤامرة على الإسلام، ص ٥٠.

(١) انظر: ،المؤامرة على الإسلام ص ٥٢-٥٣.

تعالى له ذات منفصلة عن الكون ومستقلة عن الكون المادي^(٢) والكون ملكه وقبضته، وهو المتصرف فيه وصدق الحق اذ يقول : (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ)^(٣) وعليه فإن تلك المذاهب دخيلة على الإسلام ، تعارض جوهر الفكر الإسلامي ، فالإسلام منهج متكامل متوازن ، لا يسمح بتلك التراصات الفاسدة المستمدة من أصول إلحادية كافرة وإلا بم نفس مقاومة العلماء من أمثال : الغزالي وابن تيمية والأئمة الأربعة لها ، وفضحهم لأهدافها ؟ !^(١).

كما جرت دراسات المستشرقين على إعلاء شخصيات هاجمت الإسلام ووقفت منه موقف الخصومة والعداء ، كابن الراوندي، ومسيلمة الكذاب ، والانتقاص من قدر كثير من الشخصيات الهامة في التاريخ والثقافة من أمثال المعري، وابن خلدون والغزالي والمتنبي تناولتها المؤلفات والمعاجم اللغوية والتي كتبت بأقلام غربية ، وقد تتبع أنور الجندي ذلك ونبه إلى مظانها، حتى نحذر منها ، فيحذر من السموم التي طفحت بها مصادرنا ذكراً تحفظاته عليها ومن أبرزها:

أ- دائرة المعارف الإسلامية (فنسنك)^(٢) :

فقد وضعت هذه الدائرة باللغات الأوروبية في دوائر الاستعمار والاستشراق والتبشير، لتكون مادة في أيدي الخبراء والمبعوثين، الذين يبتعثوا إلى وزارات الاستعمار في العالم الإسلامي، ويقرن أنور الجندي بينها وبين الأهداف التلمودية أو المطامع الماسونية وتعاليمها المبتوثة خلف الكلمات البراقة ، التي تعج بالأحقاد على الإسلام وتاريخه، ونقل تعليقا للأستاذ (فريد وجدي) حول هذه الموسوعة : فقد أشار إلى أن هذه الموسوعة تطفح

(٢) انظر: المصدر السابق، ص ٥٩ .

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٥٥ .

(١) انظر: المؤامرة على الإسلام ص ٦٠ .

(٢) يعد فنسنك من أبرز المستشرقين ، وقد ولي تحرير القسم الأكبر من دائرة المعارف ، وهو تلميذ "سنوك هيغرونه" سافر قبل الحرب الأولى إلى (جاوه) واعتنق الإسلام ، وما كاد يعود إلى بلاده بعد الحرب الأولى حتى ارتد عن الإسلام ومضى يهاجمه في عنف وأخذ طريق مرجليوث ونيكلسون ، وكلهم متعصبون في عدائهم للإسلام ، انظر : الفكر الإسلامي والثقافة العربية المعاصرة ص ١٥٠

بالبدع الدخيلة في الدين، أسلوب براق، يأخذ القارئ ويحمله على الظن بأنها من أصول الإسلام، وتصدر على أنها معارف إسلامية (٣).

يضيف أنور الجندي إلى أن المصادر التي اعتمدها دائرة المعارف : كتابات مستشرقين يعرفون بعنائهم للإسلام، فقد كان كتاب (شمائل المصريين) أحد مصادر هذه الموسوعة، والذي كتبه المستشرق (إدوارد وليم) ١٨٣٥ م عن المصريين، وقد طُفح بالأباطيل والتزييف لحقائق التاريخ، وقد أخذ على هذه الموسوعة أنها تمثل نظرة خاصة تختلف عن طريقة المسلمين، فكتاب المستشرقين لهم آراء مستمدة من خلفيات واتجاهات مختلفة، عدا ما ينقصها من ترابط في أجزاء مادتها العلمية، مما يجعل القارئ لا يطمئن إلى مادتها، ويعلق محمد رشيد رضا^(١) على تلك الموسوعة : فيؤكد على خطورتها ، ويشير إلى ما تحتويه من عيوب علمية وتاريخية ودينية ، وينبه إلى أنها كتبت بأفكار غير إسلامية تعبر عن فكر دخيل ، ويضيف بأنها مجردة من التعليق على الحواشي ، لاسيما وأن فيها أغلاطاً تاريخية وعلمية ودينية ، مما يجعلها دستوراً مسموماً للأمة ، ويعتقد الجندي بأن هذه الموسوعة تمثل خطراً أعظم من دعاة المبشرين ، ويرى ضرورة التعليق على حواشيتها وبيان ما اعترأها من دس وأكاذيب (٢).

وأشار أنور الجندي إلى أخطر آراء فنسك في الموسوعة ، ببيان طريقة الموسوعة في العرض التاريخي بما يجلى انتظامها مع منهج المستشرقين ومخططاتهم ، فقد أنكر نسب إبراهيم - عليه السلام بإسماعيل - كمقدمة لإنكار الصلة بالنبي - ﷺ - فيقول : لا يعرف شيئاً عن شعور محمد نحو الكعبة في شبابه وبعد الرسالة ، إلا بعد أن هاجر بعام ونصف وأن ما لديه من تاريخ حياته لا يصح أن يؤخذ أساساً تاريخياً كما ثبت علاقة النبي - ﷺ - بالوثنية قبل البعثة ؛ لتدعيم هدفهم الذي يرمي إلى إثبات وثنية النبي - عليه الصلاة والسلام قبل

(٣) انظر : سموم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية ، أنور الجندي ، ص ١٧-١٨ ، الطبعة الثانية - ١٤٠٥هـ -

١٩٨٥ م ، دار الجيل بيروت - انظر : الفكر الإسلامي والثقافة العربية المعاصرة ص ١٥٠-١٥١ .

(١) ولد محمد رشيد رضا في قرية من قرى لبنان تسمى (القلمون) في ٢٧/جمادى الأولى/١٢٨٢هـ ، ١٨٦٥م ، التحق محمد رشيد بكتاب القرية ، وتعلم فيها القرآن الكريم والخط وقواعد الحساب ، ثم التحق بالمدرسة الوطنية الإسلامية التي أنشأها أحد علماء الشام الشيخ محمد حسين الجسرنال محمد رشيد الإجازة في دراسة العلوم العربية والشرعية والعقلية عام ١٨٩٧ ، على يدي أساتذة كبار منهم : الشيخ محمود نشابة من كبار علماء طرابلس ، الذي وراءه تراثاً كبيراً من الأعمال العلمية نذكر منها : مؤلفه الأول الذي دوّنه أثناء طلبه للعلم في الشام "الحكمة الشرعية في محاكمة القادرية والرفاعية" والوحي الحمدي .

النار والأزهر . حقوق النساء في الإسلام . انظر : www.nahdha.net/click_thru.asp?LienID=185

(٢) انظر : سموم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية ، ص ٢٠-١٩ .

البعثة ، ويلاحظ من طريقتهم أنهم يضعون الفرضية، ثم يتصيدون من الآيات ما يتناسب
ظاهرها معها ، فإن خالفت تنكروا لها ، أو بيعت الشك فيها ، تلك هي الطريقة المعهودة التي
يتبعها المستشرقون في جل مباحثهم عن الإسلام وتاريخه ، وقد رد أنور الجندي على تلك
الشبهة بقوله : " إن عبادة محمد ﷺ — كما وردت في كتب السيرة معروفة تماما ، فقد
كان يتحنث في الغار شهرا ، ثم يطوف بالكعبة ويوزع الصدقات ، وكان يحترم الكعبة
ويتجنب الأصنام ، وكانت عبادته بالغريزة والوراثة تتصل بعبادة جدّه إبراهيم (٣) .

ويكشف الجندي عن غرض الفرضية التي حاول فنسك أن يفرضها على التاريخ
،بقوله : " إنما أراد أن يثبت أن النبي ﷺ — أراد بإثبات نسبه لإبراهيم أن يتصل بيهوديته"
وقد ردّ عليهم بصريح القرآن ما ينفي صلة إبراهيم باليهودية، بما لا يحتمل الشك (١)
قوله تعالى: (مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ) (٢) .

ب- قاموس المنجد :

يشتمل هذا القاموس على قاموسين : قاموس للألفاظ اللغوية ، وقاموس معجم الآداب
من إعداد مستشرق يدعى (فردنيان توتل) ، وقد أخذ أنور الجندي عليه مأخذ كثيرة وحذّر
منه فيرى أنه حافل بالأخطاء والشبهات ، ويعرض نتائج جهود العلماء في ذلك : فقد أحصى
العلامة (عبد الله كنون) أكثر من أربعمئة خطأ شائع في التاريخ والعلم ، في دراسة استغرقت
عشرة فصول ، والأستاذ (عبد الستار فراج) الذي اكتشف مئة خطأ في فروع مختلفة
ومتنوعة من العلم ، وأضاف بأن هذا القاموس يعنى بالألفاظ والمصطلحات الكنسية والطائفية
واللاهوتية، وهي في الأصل غير عربية ، ويتم تفسيرها بناء على الخلفية المسيحية وبما لا
يتفق مع مفاهيم الإسلام ، ويورد أمثلة على ذلك : من ذلك عبارة (جَدَف) ، فهذا المصطلح
كهنوتي لم يرد عند أهل اللغة، فهو وافد يراد فرضه على ثقافة العرب ، وكلمة (قدس)
وقدّاس مما درج عليه الكهان النصارى ، ومن المآخذ الهامة على المنجد سكوته عن جملة من
حقائق التاريخ وصورة ذلك موقفه من مسيلمة الكذاب وجاء فيه : مسيلمة من بني حنيفة في
اليمامة عاصر محمداً ﷺ — وعرض عليه أن يشاركه النبوة ، فقتل في موقعة عقرباء

(٣) الفكر الإسلامي والثقافة العربية المعاصرة ص ١٥٠ .

(١) الفكر الإسلامي والثقافة العربية المعاصرة ص ١٥١ .

(٢) سورة آل عمران: الآية ٦٧ .

وتغافل التنبيه إلى نبوة مسلمة الكاذبة ،على درج التمويه المبطن بأن نبوته كانت صادقة ومن الأكاذيب أيضا ماورد عن (جعفر بن يحيى البرمكي) بأنه زوج العباسة أخت الرشيد مع أن هذا لا حقيقة له ، إنما هي أكذوبة انبعثت بعد مقتل البرامكة بعشرات السنين^(٣) .

يرجع أنور الجندي تلك الأخطاء التي ملأت صفحات قاموس المنجد لأسباب في غاية الأهمية ويذكر منها :

١- اعتماده على مصادر غير موثوق بها ، ليست مصادر رئيسة ، بعضها أجنبي وبعضها حديث معاصر ، من إنتاج تلامذة الغرب ،ومن هذه المصادر المنزوعة الثقة :دائرة المعارف الإسلامية التي أشار الباحث إلى جملة من المآخذ عليها ، ومجاني الأدب للأب شيخو وتاريخ التمدن الإسلامي (لجرجي زيدان) ، وتاريخ الآداب العربية (لبروكلمان)^(١) .

٢- تعمد إغفال المصادر القديمة في جل المواد التي يوردها المعجم ،فالترجمة من المصادر غير العربية يصحف المعنى ،لاسيما ما يتعلق بالبلدان والشخصيات العربية ، فإن الرجوع إلى المصادر القديمة والأصيلة يكشف عن الوجه الصحيح التي ترد فيه وتتنظم معه^(٢) .

وعليه فلا يصح أن يكون هذا القاموس مصدرا علميا للمسلمين ،وفيه من الأغاليط والأكاذيب ما لا يخفى ، ومن الخطأ كذلك أن نكتفي بالدراسات النقدية النظرية التجريدية دون العمل على إعادة الدور الحضاري للمسلمين في شتى المعارف ، فلماذا نركن إلى مصادر دخيلة كتبت بتصورات وافدة علينا ؟ ولا نجد في وضع المعاجم البديلة المحققة ، المستمدة من المصادر القديمة الموثوق بها ؟ وإعادة صياغة المعاجم القديمة وترتيبها وتبويبها وتحقيقها ، وإعادة النظر في الدراسات الحديثة ؟ لاسيما إن كانت بأقلام يسارية تحمل أفكارا دخيلة وافدة ، ومخرجة بأسلوب أدبي سهل ، يفهمه الخاصة والعامة ، منطلقين من المناخ الفكري والثقافي للمسلمين والشرق عامة ، وأعتقد بأن العقل العربي ما زال قادرا على العطاء والإبداع في هذا المضمار، كما ينبغي على العلماء والمفكرين والمحققين أن يعيدوا النظر في كل ما يقع تحت أيدي الجيل المعاصر من الدراسات الحديثة، لاسيما إن كانت بأقلام يسارية تؤمن بالأفكار الدخيلة الوافدة، كالعلمانية، والقومية، والبعثية، والماركسية ونحوها ، فخطر هؤلاء أشد .

(٣) الفكر الإسلامي والثقافة العربية ص ٢٢ بتصرف يسير .

(١) انظر : سموم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية ص ٢٢ .

(٢) انظر : المصدر السابق ص ٢٢-٢٣ .

ومن هنا فلا بد من العمل على مشروع الترشيد الثقافي ، فالأجيال في ظل عولمة الثقافة عبر شبكة الإنترنت، لا تميّز بين ما هو صحيح وبين ما هو خطأ ، فيقبل كل ما يقع تحت ناظريه من معلومات، دون اعتبار لدقتها العلمية، فتكون بشكل غير مباشر محورا لشخصيتهم ومشكلة لمادتها وقوامها ، عندئذ نفقد ذاتيتنا وهويتنا الثقافية والحضارية

ت: الموسوعة العربية الميسرة:

وهي دائرة معارف أجنبية أو كولومبيا ، قدم لها الأستاذ شفيق غربال ،ترجمت إلى اللغة العربية دون مراعاة للتاريخ العربي والإسلامي ولا للباحث العربي ، تمثل وجهة النظر الغربية وتعرض مادتها بناء على مفاهيم الغرب⁽³⁾

وجّه أنور الجندي إلى الموسوعة العربية الميسرة مجموعة من الانتقادات والمآخذ ،ويمكن إجمالها فيما يلي :

١-إغفال الحقائق التاريخية للعرب والمسلمين ، والانتقاص من قدرها ، فكانت الترجمة بالعربية لهذه الموسوعة أكبر برهان على ذلك .

٢- عدم مراعاتها حاجة الباحث العربي ، فمادتها العلمية لاسيما في العلوم الإسلامية ضعيفة جداً وسطحية التناول ليس فيها عمق ، مما يجعل الباحث العربي يزهد بتلك المعلومات ،ولا يجد بغيته بها ، ويعرض مقارنة بين مادة (مسجد) ومادة (مسرح) في الموسوعة ،فالقارئ المنتبه يجد أن كلمة مسجد قد كتب عنها خمسة عشر سطرا ، في حين يكتب عن المسرح " مئة وسبعون سطرا " وفي عرضها (مادة شريعة وصلاة وصوم) لا يتعدى الجانب اللغوي السطحي ، من خلال هذه المقارنة يستنتج الجندي أبعاد تلك الموسوعة ، ويحذر من سمومها ، وينبهننا إلى خطرها على الثقافة والفكر .

٣ - إنها عبّرت عن وجهة النظر الغربية في كل ما تناولته من موضوعات ،وفسرت بناء على مقاييسهم ، دون النظر للفوارق العميقة بين النفسية الغربية، والنفسية العربية ، مما يجعل تلك الموسوعة في قفص الاتهام .

٤-تكرها للسنة النبوية والتاريخ الهجري في جميع ما تعرضه من معلومات وقضايا ، لاسيما المتعلق بعصر النبي -صلى الله عليه وسلم- والخلفاء الراشدين .

(3) سحوم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية ص ٢٣

٥- اتصال تلك الموسوعة بالفكر الصهيوني الاستعماري ، حيث تحسس الجندي هذا الاتصال من خلال وجهة النظر المقدمة، كأنها مسلمت في قضية فلسطين ،فقد ساقّت الموسوعة وجهة النظر الصهيونية فيما يتعلق بفلسطين ،بما يتصادم مع الحقائق التاريخية والدينية ،ويؤكد ذلك ورود الروايات الإسرائيلية بكثرة، واعتماد الموسوعة عليها، باعتبارها مصدرا علميا وزادا تاريخيا لها ، تلك الأدلة تقطع بصللة الدراسات الاستشراقية بالصهيونية العالمية ،هذه الحقيقة التي أراد المفكر أنور الجندي أن يصل إليها ، لاسيما وأنه يعتبر هذه النقطة أسوأ ما في تلك الموسوعة (١).

ث - كتاب يقظة العرب (جورج انطونيوس) :

عدّ أنور الجندي هذا الكتاب من أخطر الكتب على ثقافة المسلمين ، ويحذر من اعتمادها مصدرا للتاريخ العربي والإسلامي ، ويعتبره مصدرا رئيسا مهما للمستشرقين ودعاة التغريب ، وقد اخذ على هذا الكتاب جملة من الأخطاء التاريخية ، في إطار مناقشته لآراء مؤلفه (جورج انطونيوس) ، ومن أبرز أخطائه :

- أنه غالى في تصوير الدور الذي لعبته الجمعية العلمية السورية ، واعتباره بأن دور الجمعية كان دعامة أساسية في نشوء القومية العربية ، ويرى الجندي بأن هذه الجمعية من صنع النفوذ الاستعماري ، حيث قام بتكوين هذه الجمعية السرية في أهدافها داخل الكلية السورية الإنجيلية ، ويرتب على ذلك رغبة هذه الجمعية في دفع اللبنانيين إلى الانقضاء على الدولة العثمانية ، ويشير إلى أن رفع لواء العروبة المزيف لم يكن من أجل الوحدة العربية ، إنما للانفصال عن دولة الخلافة ، الذي يمثل قاعدة التوحيد الإسلامي .

ويرجع أنور الجندي مبعث تلك الأخطاء إلى تعصب (جورج انطونيوس) ضد السلطان (عبد الحميد) واتهامه بأبشع التهم وهو منها براء ،كما كان تنكره لموقفه من الصهيونية ومن (هرتزل) ،سببا في تطويع طاقته للدفاع عن الصهيونية التي عملت على هدم الخلافة العثمانية ، وهذا يخرج المؤلف من دائرة الموضوعية والتجرد العلمي ولذلك لا يمكن لباحث (مثل هذا) أن يتجرّد من ثقافته وعقيدته وفكره أثناء عرضه لقضايا

(١) انظر: المصدر السابق - ٢٤ .

التاريخ المتعلقة بالعرب والمسلمين ،فعداؤه الموثوث بين جوانحه للدين وللخلافة يجعله يقف هذا الموقف من الدولة العثمانية، أو السلطان عبد الحميد^(٢).

ج-شمانل المصريين المحدثين (إدوار وليم لين):

هدف هذا الكتاب الطعن في أخلاق الإسلام، والخط من قدر حضارتهم من خلال التقاط بعض الصور والنماذج السيئة في المجتمع العربي والإسلامي، وتكيفها على أنها أخلاق عامة ومبادئ دينية، ومسلمات ثقافية عند المسلمين .

يكشف أنور الجندي عن هوية مؤلف الكتاب، ويتتبع اهتماماته التي في هذا المؤلف، ويرصد أغراضها، فأما هويته: فهو (إدوار وليم لين)، قدم إلى مصر عام ١٩٢٥ بحجة العلاج، ولدراسة آثار المصريين القدماء، وسكن في مصر في إحدى الأحياء الشعبية، وتخفى بالإسلام، وسمى نفسه (سيد أفندي)، حتى يحيط نفسه بالنقطة التي تمكنه من خداع الوطنيين، وتحصيل هدفه في تشويه صورة الإسلام، وأما اهتماماته: فكانت التقاط الخرافات والأباطيل والعادات، وإخراجها بصورة مشوهة لتكون انعكاساً عاماً عن المجتمع المصري، وقد أخذ بتكوين علاقة بشيوخ الطرق الصوفية، وحضور الموالد، وإرصاداً ما يردده العوام، مما يتعلق بالخوارق والخرافات والبدع، فكانت هذه المعلومات مادة علمية لدراسته، فقد ضمنها في جزءين كبيرين ويرجع الجندي خطورة هذه الدراسة في أنها كانت مبلغ اهتمام المستشرقين في أوروبا ومن مظاهر ذلك: أنها ترجمت لأكثر من لغة، واعتمده مصدرها أساسياً للمستشرقين والمبشرين على حد سواء، للطعن في أخلاق المسلمين وعقائدهم وثقافتهم، وصورة ذلك اهتمام دائرة المعارف الإسلامية والتي أنشأها ثلثة من المستشرقين المتعصبين بهذا الكتاب وحكمت على ما ورد من الخرافات والبدع بأنها حقائق^(١).

وكان من دراسات المستشرقين العناية بدراسة الأدب العربي، وكانت جهودهم متجهة إلى إثارة الشبهات والشكوك حول نوع معين من الأدب العربي، وإهمال أنواع أخرى من الفن الأدبي، مسترعين فيه ما يخدم مخططاتهم، وكان في طليعة الكتب التي عمل المستشرقون على دراستها وإحياء ما فيها من الأحداث التاريخية على ضوء مقاييسهم، كتاب الأغاني، وألف ليلة وليلة، وقد وضع هذان الكتابان في مكانهما

(٢) انظر: المصدر السابق، ص ٢٥.

(١) انظر: سحر الاستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية، ص ٢٦.

المعزول عن الثقافة العربية والإسلامية ، إلا أن الغربيين قاموا ببعث هذا الركام المضطرب من الثقافة من خلال نشرها و إعادة طبعهما بكميات كبيرة، وإحياء ما فيها من أساطير وخرافات ،لتكون انعكاسا عن تاريخ العرب والمسلمين ، ولم يكن للمسلمين قدرة على منع ما يبتعث من تلك التراجم الأدبية ،في وقت كانت يقظة المسلمين تتألق غير أن الاستعمار وسيطرته على معظم أجزاء العالم العربي حال بينهم وما يريدون ، فكان ذلك من ضروب الهيمنة الثقافية التي فرضها الاستعمار على أبناء المسلمين (١) ، وفيما يلي بيان ما طفح به هذان الكتابان ومجمل الردود عليها :

ح- كتاب الأغاني للراغب الأصفهاني :

حرص المستشرقون على أن يكون هذا الكتاب مصدرا أساسيا لدراسة الأدب العربي والحياة العربية في القرنين الأول والثاني، وصور المستشرقون بأن العصر الثاني الإسلامي كان عصر مجون وشك وفساد، وقد ردّ أنور الجندي تلك المحاولة التي يراد بها تشويه صورة التاريخ الإسلامي ، فأشار إلى خطأ هذا التصوير ، حيث بين أن هذا الكتاب لا يصلح كمرجع تاريخي وأدبي، ويعلل ذلك بأنه اقتصر على جانب واحد من الأدب في عصر الأصفهاني هو أدب الأغاني ، في حين حفل عصره بفنون شتى ، ثم ينتقل في الرد إلى نقطة أهم، وهي هوية الراغب الأصفهاني صاحب المؤلف ومدى صلاحيته الخلقية والعلمية ، حتى يكون أهلا للنقل والإسناد على ما عرف عند المسلمين في منهجهم العلمي " الجرح والتعديل "الذي رسمته الثقافة العربية كقاعدة منهجية ، (٢) فإن معرفة حياته الأدبية سيكون له عظيم الأثر في دعم موقف المؤيدين لصلاحيته كمرجع، أو الاحتياط منه لعدم الوثوق بشخصه ، ثم يكون النظر في كتابه من الناحية النقدية والتحليلية .

وذكر أنور الجندي بأن الراغب الأصفهاني كان من الشعوبيين، مسرفاً في الملذات والشهوات ، اشتهر في معاقرة الخمر، وحب الغلمان ، ووصف النساء ، لا يأبه بنظافته الشخصية ، فذراً لم يغسل ثوبه منذ فصله إلى أن قطعّه ، يرتاد تجمعات اليهود والنصارى والمجوس ، وقد اهتم بسرد الجوانب الضعيفة من أخلاق الشعراء والأدباء ويغض الطرف عن الجوانب الجدية والهامة فيها ، ولم تكن له عناية بما هو أهل للدراسة

(١) مقدمات العلوم والمناهج ٥ / ١١٨ .

(٢) انظر: المصدر السابق ٥ / ١١٨ .

والتأريخ ، ويفسر أنور الجندي سر فساد آراء الكتاب الذين انحرفوا عن جادة الصواب وتبنوا أفكار المستشرقين ومن هنا نحوهم ،اعتمادهم على هذا الكتاب مصدرا لأفكارهم التي تناسبت والطبيعة النفسية التي يتمتع بها هؤلاء الكتاب، من أمثال طه حسين وجرجي زيدان في كتابه تاريخ التمدن ، ذلك في موقفهما من العصر العباسي واتهامه بأنه كان عصر مجون وفساد وخلاعة^(١) .

أخذ أنور الجندي عليه في النظم والطرح ، حيث ساق في مقدمته عبارات تصرح بان مراد هذا الكتاب " الأغاني " هو تسلية وامتاع نفوس القراء، وإشباع رغباتهم وشهواتهم المكبوتة ، وبذلك يسقط الجندي الوصف المتعلق به بأنه كتاب تاريخ ، بل لا يتعدى وصفه كتاب أدب ،ويسوّغ لفكرة المؤلف أنه أراد أن يقدم لأهل عصره مجموعة كبيرة من الطرافات والأساطير التي تغذي مجالس السمر واللهو ، وذكر في مقدمته بأنه استرعى الانتقال من فائدة إلى فائدة ،يمازج فيها بين الجد والهزل ، وأن حديثه عن الغناء إنما اقترن بقصة له يستفاد منها ، بل صرّح بما يقطع بأن الغناء لم يكن مراداً عندما نفى معرفته بالغناء ،وقطع بانتفاء الأخبار عن هذا اللون ، وبالتالي فلا يصح أن يعتمد هذا الكتاب مصدرا تاريخيا ،ولا مرجعا علميا ،فقد كان المؤلف مسرفا في الفساد والغواية ،إضافة إلى أنه لا يعطي صورة عن المجتمع ككل إنما عبر عن صورة تمثل جانبا قليلا مترفا مضطربا ،ويضيف بأن الأمانة العلمية وقواعد البحث العلمي وقواعد النقد تربط بين علم الباحث وشخصيته ،فساد الباحث وانحرافه يمنع إجازة أخباره ورواياته وتحليلاته ،وعلى هذه القاعدة يسقط كتاب الأغاني ومؤلفه ، إذ تبين لنا ونحن في صدد الحديث عن شخصه بلوغه في الانحراف بما يمنع شهادته ،كما تؤكد بأن الكتاب هو عبارة عن كتاب من جملة كتب التسالي والسمر^(٢) .

خ - كتاب ألف ليلة وليلة :

لا يقل هذا الكتاب خطورة عن سابقه ،فقد كان رديفا له عند المستشرقين ، فقد تمركزت اهتمامات المستشرقين حولهما ،واعتبروهما وثيقة تاريخية يستدل بها على صورة المجتمع الإسلامي ، وقد ملئ هذا الكتاب بالصور الإباحية والفسق والمجون ،لإضفاء صورة من الشك على سلامة الفكر العربي ، إلا أن هذا الكتاب يختص عن

(١) انظر: أصالة الفكر الإسلامي في مواجهة التغريب ، ص ٤١١-٤١٢ .

(٢) مقدمات العلوم والمناهج ٥ / ١٢١ - انظر: أصالة الفكر الإسلامي في مواجهة التغريب ، ص ٤١٢ .

سابقه وهو الأغاني بأنه أعطى صورة لمختلف طبقات المجتمع ، ويمزج بينها بطريق تجعل القارئ يحكم على الحياة العربية بأنها استجمعت كل مظاهر الغواية والفساد ، وهذا الطرح أخطر من سابقه ، يعلل أنور الجندي تلك الخطورة بأن هذا الكتاب ليس له مؤلف إنما صيغت رواياته من الخيال، والتي جمعت في مرحلة من مراحل الضعف والاضطراب التي مر بها المجتمع الإسلامي، وعبر عن ذلك حين اعتبر بأن هذا الكتاب لقيط ليس له مؤلف ، في حين كان كتاب الأغاني منسوباً إلى مؤلفه الذي جمع بين فساد الخلق وفساد الفكر ، غير أن ما أورده كان فيه شيء من الصدق في توصيف طبقة قليلة من المجتمع لا تعبر عن أخلاقه عموماً (١) .

ينفي أنور صلة هذا الكتاب بتاريخ المسلمين الذي عرفته مصادر التاريخ الرئيسية ، ويؤكد بأنه كان سابقاً للإسلام ، وأن المصادر التي اعتمد عليها في نسج ضلالاته هي الأساطير الهندية والفارسية ، نقله العرب بعد ترجمته كوسيلة للترف ، ففي عصور مختلفة أضيفت إليه حكايات جديدة ، كان آخرها عهد دولة المماليك، حيث أضيفت المسامرات التي كانت بين أهل بغداد والقاهرة، ولم يكن الأمر أكثر من خرافات وحكايات ، تلك الإضافات كانت من صنيع الغرب ، ليزيدوا على فساد هذا (٢) .

ينفي أنور الجندي ما حاول الكتاب أن يوصم به تاريخ المسلمين وأخلاقهم ، فيشير إلى أن الصورة التي كونها الغرب عن الشرق صورة مغلوبة ينقصها الدليل التاريخي مؤكداً على حيوية وقوة المفاهيم وأصالتها في نفوس العرب ، مفسراً ما كان من فساد بأنه خص الطبقة المترفة في مراحل الضعف التي عصفت بالمسلمين ، ولم يتسلل الفساد إلى الطبقات الوسطى والدنيا ، ويؤكد نظرتة إلى تلك الأخبار بأنها كانت من نسيج الأوهام والخرافات التي تعيش في خيالات القصاص (٣) .

وعليه فإن أنور الجندي يخطر من الاستعانة بتلك الكتب، واعتبارها مصدراً للتاريخ ، فمصادر التاريخ مألوفة معروفة ، فهي لا تؤخذ عن الفساق وأهل البدع والمجون ، إنما تستقى من المنابع الأصيلة ، التي أجمع على صدقها أهل التحقيق والتمحيص والنظر .

(١) مقدمات العلوم والمناهج ٥ / ١٢٠ .

(٢) انظر: أصالة الفكر الإسلامي في مواجهة التغريب ، ص ٤١٥

(٣) مقدمات العلوم والمناهج ٥ / ١١٩ بتصرف

ومن الحق أن يقال بأن حركة الاستشراق تمثل العدو الأكبر للعرب والمسلمين ذلك بما حملت من أهداف خطيرة ، وما كانت دراساتهم وأبحاثهم إلا تعميقاً لروح العداة الصليبي للإسلام وأهله ، ومن هنا فإن موجة الإلحاد التي يقودها حملة الفكر الاستشراقي تستهدف غايتها بكل الوسائل التي لا يظهر فيها وجه العداة الحقيقي للمسلمين ، لذلك فقد كانت جهود المفكر أنور الجندي بمثابة ناقوس صحوة للأجيال المخدرة ببريق تلك الدراسات التي تستهوي العقل ببريق ألفاظها ، ولعل الكثير من الدارسين حتى من حملة الشهادات العالية ينقصهم هذا الفهم التحليلي لتلك الأبحاث والدراسات ، لذلك كان من الضرورة أن نعتد في دراساتنا التاريخية والدينية على المصادر العربية الأصلية ونخضع كل الدراسات الغربية لمنهج التحقيق العلمي ، حتى تشمل دراسات المنصفين منهم ، فإن هناك مزجاً لا يتم الفصل فيه إلا بالنظر والكشف بناء على المقاييس الإسلامية.

الفصل الثالث

موقفه من المذاهب الفكرية المعاصرة

المبحث الأول : العلمانية.

المبحث الثاني : الديمقراطية.

المبحث الثالث : القومية.

المبحث الأول

العلمانية

المطلب الأول : تعريفها - أهدافها.

المطلب الثاني : موقف أنور الجندي من العلمانية ودعاتها.

المطلب الأول

العلمانية: تعريفها - أهدافها

يعدّ مصطلح "العلمانية" من أهم المصطلحات في الخطاب التحليلي الاجتماعي والسياسي والفلسفي الحديث ، لكنه ما زال مصطلحا غير محدد المعاني والأبعاد ، ورغم ولادة هذا المصطلح من رحم التجربة الغربية إلا أنه لا يزال محلاً للجدل تثار حوله الآراء في دلالاته وأبعاده ، خاصة وأن المعاجم العربية لم تعرفه ، فهو من الاصطلاحات الوافدة التي تحتاج إلى نظر وتحقيق ، ولن نتضح لنا صورة هذا المصطلح إلا بتتبع التعريفات والآراء حوله وتحديد وإيضاح المفاهيم والمصطلحات التي نتناولها والمتعلقة به ، وتحديد دلالاتها حتى يتعين الإطار الذي نتحدث فيه حسب المنهجية العلمية في الدراسة والتحليل .

أولاً : العلمانية لغة واصطلاحاً :

أ - تعريفها لغة :

جاء في المعجم الوسيط - معجم حديث صادر عن مجمع اللغة العربية سنة ١٩٦١م - ورود كلمة العلمانية بمعنى العالم (بفتح العين) ، نسبة إلى العالم أي (الدنيا) خلاف الديني أي (ما ليس ديني أو كهنوتي) هذا غير صحيح ولو صح لقليل : " العلمانية " (١) .

وهناك من ينطقونها بكسر العين "العلمانية" نسبة إلى "العلم" ، فسكون ، وهذا ما شاع استعماله ، والكلمة على كل الأوجه مترجمة عن اللغات الأوروبية ، كما سنرى ، فهو لفظ دخيل على معاجمنا العربية (٢) .

ترجمت هذه الكلمة عن الإنجليزية من كلمة "سيكولاريزم" secularism وعن الكلمتين اللتين وردتا بالفرنسية "secularite" و "laigue" وهذه الترجمة غير صحيحة ، وبعيدة عن الدقة ، لا صلة لها بلفظ " العلم " ومشتقاته في اللغتين مطلقاً ، فالإتصال بمعنى العلم اتصال وهمي لا تؤيده حقيقة اللفظ ، ذلك أن لفظ العلم في اللغتين الإنجليزية والفرنسية

(١) انظر: جذور العلمانية. السيد أحمد فراج ص ١٣٢-١٣٣ ، الطبعة الرابعة ١٤١١هـ - ١٩٩٠م ، دار الوفاء للنشر والتوزيع - المنصورة

(٢) انظر: الإسلام والعلمانية وجهها لوجه ، د. يوسف القرضاوي ، ص ٥١ ، الطبعة الأولى ١٩٨٧م - ١٤٠٨هـ دار الصحوّة للنشر .

، يعبر عنه بكلمة "science" ، ويصطلح على المنهج العلمي أو المذهب العلمي بكلمة "scientism" وبالفرنسية إذا نسب إلى العلم يعبر عنه بكلمة "scientific" أو "scientifique" ، كما أن زيادة الألف والنون غير قياسية في لغة العرب ، إنما وردت سماعاً على نحو "رباني" ، فهي نسبة إلى "رب" ويقاس عليها : روحاني ، ونفساني ، ونوراني ، ... وهذا درج في استعمال المتأخرين بكثرة وعليه شاع استعمال عبارات على نسقها ، مثل : "شخصاني ، وعقلاني ، وعلماني" (١) .

من المرجح بعد هذا العرض - أن خطأ الترجمة لكلمة العلمانية هو السبب في اختلاف مدلولها ، فالذين قاموا بترجمتها غفلوا المناخ الذي خرج من رحمه هذا المصطلح ، فترجموه على ضوء المفهوم الغربي المسيحي في نظرتهم إلى العلم والدين ، فالعلم والدين في قاموس الفكر المسيحي لا يمكن أن يلتقيا ، فهما متصارعان متعارضان قسيما مختلفان فالدين يقع في مقابل العلم والعقل (٢) .

بناء على ما تقدم فإن الترجمة الصحيحة لكلمة العلمانية هي "اللاينية" أو "الديوية" ، أي (ما ليس بديني مطلقاً) ، إذ تبين لنا وجود انقسام جلي بين العلمانية والعلم أثناء مناقشة الترجمة الحرفية للكلمة ومدلولها ، وما يؤكد ذلك خروج المصطلح من دائرة الغرب وفي ظل نظرتهم الخاصة للدين ، فتلك المؤيدات تمنع الإشكال المدلولي لهذا الإطلاق اللفظي .

وعليه فالنطق الصحيح لهذه الكلمة يكون "العلمانية" بفتح العين ، وهذا ما أكده الدكتور عبد الحليم محمود -شيخ الجامع الأزهر- بقوله : "فالعلمانية هنا ترجمة عليها بصمات أداة النسب السريانية لكلمة "laigue" بالفرنسية ، ويقصدون بها "لاينية منسوبة إلى العلم بفتح العين لا بكسرهما كما يخطئ الأكثرون ، متوهمين أنها من العلم بكسر العين وليست به ، وهي بهذا منسوبة إلى العلم بفتح العين وهو العالم بفتح اللام أو الدنيا التي هي مقابل الآخرة ، وهذا التفسير دهري علماني نشره اليهود في أوروبا وفي فرنسا بالذات فيما بين القرنين الثالث عشر والتاسع عشر الميلادي حيث تمكن دعاة العلمانية من الاستيلاء

(١) انظر: الإسلام والعلمانية وجهها لوجه ص ٤٨ ، المذاهب والأفكار المعاصرة في التصور الإسلامي ، تأليف : محمد الحسن ، ص ٢٥٣ ، الطبعة الأولى ١٩٨٦ م ، نشر وتوزيع دار الثقافة - الدوحة - قطر ، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ، ص ٣٦٧ ، العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة ، سفر الحوالي ص ٢١ ، الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م ، مكة المكرمة .

(٢) الإسلام والعلمانية وجهها لوجه ، ص ٤٨ - ٤٩ .

على الحكم في فرنسا " (٣) ورأى ذلك الدكتور عبد الصبور شاهين -خبير بمجمع اللغة العربية بالقاهرة- حيث أكد على إطلاق كلمة العلمانية بفتح العين، مبينا أنه الأصوب في الضبط والدلالة ، كما مال إلى الرأي نفسه الدكتور عدنان الخطيب - عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة - ، حيث أشار إلى أن كسر العين خطأ لا يؤيده دليل أو سند تاريخي أو لغوي ، (١) ويعرفها أنور الجندي بقوله : " العلمانية : مصطلح غربي يحمل في طياته اللادينية : في الإنجليزية : " seenlarism وفي الفرنسية : lalque ، ومترجم هذا المصطلح الغربي الذي يعني اللادينية إنما أراد أن يقدم ترجمة مضللة خادعة، إذ جعلها يمكن أن تتسب إلى (العلم أو إلى (العالم) ولكن معناها في المفهوم الغربي : عزل الدين عن الحياة والأحكام إلى نظريات ونظم وضعية وهو من خداع العلمانية في أنه يوحي بالعلم والبحث عن المعرفة " . (٢) وهذا ما يميل إليه الباحث .

ب - تعريفها اصطلاحاً :

نظراً لحدثة مصطلح " العلمانية " على اللسان العربي ، وارتباطه بلغات أوروبا وثقافتها كان لابد من التعرف على المعنى الاصطلاحي لهذا المصطلح من مظانه الغربية؛ لتتضح الترجمة الصحيحة، ويزول الإشكال المتعلق بأبعاده ومنطلقاته وفلسفته .

١- تعرفها دائرة المعارف البريطانية في إطار الحديث عن مفهوم العلمانية من مادتها الاشتقاقية " secularism " : " بأنها حركة اجتماعية ، تهدف إلى صرف الناس ، وتوجيههم من الاهتمام بالآخرة ، إلى الاهتمام بهذه الدنيا وحدها ؛ وذلك أنه كان لدى الناس في العصور الوسطى ، رغبة شديدة في العزوف عن الدنيا ، والتأمل في الله واليوم الآخر ، وفي مقاومة هذه الرغبة طفقت الـ " secularism " تعرض نفسها ، من خلال تنمية النزعة الإنسانية ، حيث بدا الناس في عصر النهضة يظهرون تعلقهم الشديد بالإنجازات الثقافية والبشرية ، وبإمكانية تحقيق مطامحهم في هذه الدنيا القريبة ، وظل الاتجاه إلى " eularism " يتطور باستمرار خلال التاريخ الحديث كله ، باعتبارها حركة مضادة للدين ، ومضادة للمسيحية " (٣) .

(٣) دلائل النبوة ومعجزات الرسول ، د. عبد الحليم محمود ، في مقدمة الكتاب دار الإنسان للطباعة والنشر بالقاهرة سنة ١٣٩٤ هـ

(١) انظر: جذور العلمانية.ص ١٢٤-١٦٦، حاضر العالم الإسلامي ، ٦٧ .

(٢) موسوعة العلوم الإسلامية ، في مواجهة الحملة على الإسلام ، أنور الجندي ، ص ٦٩، دار الاعتصام.

(٣) انظر : لإسلام والعلمانية وجه لوجه ، ص ٤٩ .

٢- جاء في قاموس " العالم الجديد " ويبستر شرح لنفس المادة في شقين :
الشق الأول : الروح الدنيوية ، أو الاتجاهات الدنيوية ، ونحو ذلك على الخصوص :
نظام من المبادئ والتطبيقات " practices " يرفض أي شكل من أشكال الإيمان
والعبادة. وهذا اتجاه إلحادي.

الشق الثاني : اتجاه يفصل بين الكنيسة والسياسة ، وفيه الاعتقاد بأن الدين والشئون
الكنيسة لا دخل لها في شئون الدولة ، وخاصة التربية العامة (٤) .

٣- جاء في دائرة المعارف الأمريكية في سياق الحديث عن العلمانية الدنيوية : "
الدنيوية هي : نظام أخلاقي أسس على مبادئ الأخلاق الطبيعية ، ومستقل عن الديانات
السماوية ، أو القوى الخارقة للطبيعة ، وأن المبدأ الأول هو حرية الفكر... هناك نور
وهداية في الحقيقة الدنيوية التي توجد ظروفها وفروضها بذاتها ، ولتعمل بحرية إلى الأبد
" (١) . وهذا اتجاه ينفي صلة الدين بالدنيا ، ولا يعتبر الدين مصدر القيم والأخلاق ، ولا
أساساً للتجربة السياسية .

٤- جاء في القاموس الإنجليزي secularism تعني : The view that morality and
education should not be based on religion وترجمته العلمانية هي : وجهة
النظر القائلة بعدم تأسيس الأخلاق والتعليم على العقيدة " (٢) وهذه الترجمة تسير في
الاتجاه الذي أكدته دائرة المعارف الأمريكية السالفة الذكر .

٥- شرح " معجم أكسفورد " كلمة " secular " : تعني :

١- دنيوي ، أو مادي ، ليس دينياً ولا روحياً ، مثل التربية اللادينية ، الفن أو الموسيقى
اللاينية ، السلطة اللادينية ، الحكومة المناقضة للكنيسة .

٢- الرأي الذي يقول : إنه لا ينبغي أن يكون الدين أساساً للأخلاق والتربية (٣) .

يتضح لنا بعد بيان التعريفات لكلمة علماني من المصادر الأجنبية ، بأنه لا يوجد
ارتباط مطلق بين العلمانية والعلم من جهة ، فالعلماني ما ليس بديني أي (مقابل - ضد
للدن) ومن جهة أخرى لا ترابط بين الدين والحياة ، وهذا الفهم مستفاد من تعريفاتهم
سالفة الذكر ، ومن النظرة المسيحية للدين إجمالاً ، القاضية بإسقاط دور الكنيسة في

(٤) حاضر العالم الإسلامي ، ص ٦٨ ، الإسلام والعلمانية وجه لوجه ، ص ٤٩ .

(١) الاتجاهات الفكرية المعاصرة ، ص ٧٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٧٤ .

(٣) الإسلام والعلمانية ، ص ٤٩ .

التأثير السياسي والاجتماعي وعلى مسرح الحياة بكل جوانبها ، فالدين لا يتعدى الجانب التعبدى المنحصر في الطقوس والشعائر ، بحيث تنقطع سلطة الدين عن المجتمع والحكومة ، فتفصل السلطات ، السلطة الدينية عن السلطة السياسية .

والواقع إن تلك النظرة لا تتفق والإسلام ، ذلك أن الإسلام منهج كامل وشامل للحياة بكافة جوانبها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، لا يمكن فصله وعزله عن دائرة التأثير في حياة المجتمعات ، فالنظرة الشرعية للكون والإنسان والحياة تمنح الشريعة الإسلامية الحيوية والتجدد في إطارها الثابت ، ولم يتعارض الإسلام في منهجه مع العلم كما حدث في أوروبا في القرون الوسطى ، فالإسلام هو الذي أرسى دعائم المنهج العلمي القائم على التأمل والنظر ، وإقامة الدليل ، وتحري الحقيقة ، بعيدا عن الأهواء والعواطف والنزوات ، فتأمل في الآيات التالية يكفيك شأن العناء في فهم مرادها قال تعالى : (أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ) ^(١) وقوله تعالى : (فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) ^(٢) وقوله جل شاناه : (وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا) ^(٣) وقوله تعالى : (وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رُجُومًا ثَمِينًا يُعْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) ^(٤) وقوله تعالى : (يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) ^(٥) وقوله تعالى : (ثُمَّ كَلِمَةٌ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) ^(٦) .

تجمع الآيات السابقة على احترام الإسلام للعقل ، من خلال الدعوة إلى التفكير الذي يحرر الإنسان من الجهل والتخلف، وإلا بم نفس سبب التقدم الحضاري الذي شهدته

(١) سورة الأعراف : الآية ١٨٥ .

(٢) سورة القصص : الآية ٥٠ .

(٣) سورة النجم : الآية ٢٨ .

(٤) سورة الرعد : الآية ٣ .

(٥) سورة النحل : الآية ١١ .

(٦) سورة النحل : الآية ٦٩ .

المجتمعات الإسلامية في كافة الجوانب ؟ إنه بلا شك الإسلام ، بينما تخلفت أوروبا وعاشت أسيرة للفقر والتخلف بسبب نظرة الكنيسة للعلم ، وبالكاد لا يتناسى الغرب دور الإسلام في نهضتهم التي استمدوها من حضارة المسلمين ، وعليه فمن الخطأ أن ينظر إلى الإسلام من الزاوية التي ينظر فيها إلى الدين في أوروبا ، لاختلافهما في المنطلقات والمنهجيات ، ولذلك فالعلمانية نبتة خبيثة لا تنبت في أرض الإسلام ، ولا تستقيم مع فكرنا نحن المسلمين ، وما نراه اليوم من تبني جملة من المتقنين لهذه الفكرة إنما هو ضرب من الجهل فرضته الضباية الفكرية الناتجة عن الجهل المركب بحقيقة الإسلام ، وعن خلط في المفاهيم والمعايير ، ولذلك لا بد من العمل على تصحيح المفاهيم ، فتصحيح المفاهيم هو السبيل لبناء الشخصية الإسلامية المؤمنة بربها ، المتمسكة بحبل عقيدتها ، التي لا تقبل الاحتواء والإفناء .

ثانيا : أهدافها :

اشتد نفوذ العلمانية في عالم الغرب ، ومن ثم أخذت تضرب في أعماق بقاع أخرى من العالم، فلاغرابة في هذا ، فتلك الشعوب كانت في جملها تنتسب إلى النصرانية أو اليهودية ، ومنظومة الفكر العلماني تبلورت أساسا في ضوء تلك المعتقدات ، وعلى نظرية الفصل بين السلطات الدينية والسياسية والاجتماعية ، التي انبعثت من أزمة الفكر الديني في أوروبا وما اعتراه من عجز في إشباع جوانب الحياة المختلفة ، ولكن الظاهرة الأخطر هي أن تنفذ العلمانية بأثوابها المختلفة إلى عمق العالم الإسلامي ، فهذه الفرضية ينبغي أن تكون مستبعدة ، فالمجتمع الإسلامي له فكره وعطاؤه الحضاري ، الذي يحميه ويحفظه من الإسقاط والتبعية والانصهار في الآخر ، إلا أن العلمانيين أحكموا خططهم ومكرهم ، من خلال الخطوط والإستراتيجيات التي تمكنهم من ضرب الأمة في مكن قوتها ، ودعائم وحدتها ، وقد انطلق هذا الكيد في عدة محاور للنيل من الإسلام كمنهج ومن المسلمين كأتباع ويرى الباحث ضرورة الكشف عن تلك المخططات والأهداف، حتى تكون مادة تصحيحية وترشيدية لفكر من غفل حقيقة هذا الفكر الوافد ، ويمكن إجمال تلك الأهداف في النقاط التالية :

أ- **علمنة التشريع** : دأبت العلمانية على إقصاء الشريعة عن كافة مجالات الحياة والاستعاضة عن الوحي الإلهي المُنزَّل على سيد البشر محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم - بالقوانين الوضعية التي اقتبسوها من قوانين بشرية أرضية ، وكان أول مظهر لهذه العلمنة في تركيا عام ١٨٥٧م ، وأردف في مصر سنة ١٨٧٥م ، حيث انبثق قانون جديد

مستمد من الفكر البشري ، ومن ثم إنشاء المحاكم الأهلية التي تعتمد على القانون الوضعي وذلك سنة ١٨٨٣م ، ولناخذ أدلة تاريخية على ذلك : عندما تم إلغاء الخلافة في تركيا سنة ١٩٢٤م ، قام العلمانيون بتصدير القوانين الأوروبية لتكون بديلا عن الشريعة الإسلامية فكان القانون المدني مستفاد من القانون السويسري ، والقانون الجنائي استمد من القانون الإيطالي أما القانون التجاري فاستمد من القانون الألماني^(١) -أما في مصر : فكانت الطامة الكبرى في معاهدة إلغاء الامتيازات الأجنبية سنة ١٩٣٧م ، حيث وضع المؤتمر شرطاً على مصر يقضي بأن يكون القانون الغربي مصدر التشريعات ، وبالفعل تم إقرار هذا الشرط ونص عليه سنة ١٩٤٨م ، حيث أقرت مصادر التشريع على النحو التالي : المصدر الأول هو التشريع الوضعي ، ثم العرف الوضعي ، وأصبح هذا القانون سابقة تشريعية ، ومادة أساسية للقوانين التي يحكم بها في العالم العربي^(١) .

ب- علمنة الإعلام :

فالإعلام من أخطر المنابر التوجيهية التي تؤثر في المجتمع ، ذلك لأنه يخاطب جميع فئات المجتمع بمختلف أنماطهم وخصائصهم العقلية والثقافية ، ونظرا لتعدد وسائل الإعلام واختلاف مناهجها وأساليبها فهي الأكثر وجودا وشهودا في عمق المجتمع ، لذلك سلك العلمانيون طريقهم في هذا الاتجاه لتدمير المجتمع بكافة الوسائل ، معتمدا على المادة المسمومة التي تعرض عن طريق وسائل الإعلام ، وقد أشرف على الإعلام ثلة من الذين أخذهم يريق الغرب ، فكانوا طوعا ويدا لهم في بلاد المسلمين ، فوضعوا مواهبهم وأقلامهم لخدمة هذا الهدف ، فكتبوا في كل ما يمجه الذوق وتعارضه الفطر ، وترفضه القيم ، ويفسد العقول والأفكار ، ونرى أثر ذلك من خلال : المجالات التي تعنى بالنساء ، وما يتعلق بأمر الحب والغرام ، لإثارة الشهوة في الشباب ، عرضت أخبار الفنانين والفنانات وتصويرهم بالنجوم ، وعن طريق التلفاز عرض الأفلام والمسلسلات الهابطة والتي تخدش الحياء ، وتذهب بالكرامة الإنسانية ، حتى العرض التاريخي فقد شابه التحريف والتنشويه بحيث يصور تاريخ الإسلام بأنه كان يعجّ بالمجون والسفور والضلال ، على طريقة المستشرقين والمبشرين الذين لا غاية لهم إلا هدم الدين ، وتقويض أركانه ، وعزله عن محيط الحراك الاجتماعي والسياسي في الحياة ، وعن طريق البرامج الثقافية يتم تسفيه صورة الحجاب وتمجيد الموضة وإعلاء

(١) انظر : الاتجاهات الفكرية المعاصرة ، ص ١١٣-١١٤ .

(١) انظر : الاتجاهات الفكرية المعاصرة ، ص ١١٣-١١٤ .

فكرة الاختلاط ووصفها بالتقدم والتنوير، والدعوة إلي تحرير المرأة، وربط كل مظاهر التخلف المدني والعلمي بالدين^(٢).

ج- علمنة التعليم :

المؤسسة التعليمية هي الحاضنة للجيل ، والركيزة الأولى في بناء شخصيتهم فهي التي تمدهم بالقوة الروحية ، المستمدة من فلسفة المجتمع وعقيدته وقيمه العليا ، كي يحفظوا ذاتهم وهويتهم وشخصيتهم الحضارية ، ولمّا كانت هذه الأهمية ، اتجه الفكر العلماني إليها لتسخيرها في خدمتهم ، ويلخص هذا الاهتمام المستشرق البريطاني " جب " بقوله : "التعليم أكبر العوامل الصحيحة التي تعمل للاستغراب ، والحق أنه العامل الوحيد إن فهمنا من كلمة التعليم ما تدل عليه ، ولا نستطيع الحكم على مدى الاستغراب في العالم الإسلامي إلا بمقدار دراسة الفكر الغربي والمبادئ والنظم الغربية، إن إدخال طرائق جديدة في الفكر في البلاد الإسلامية كان يتطلب نظاماً جديداً في التربية من عهد الطفولة في المدارس الابتدائية والثانوية ، قبل الانتقال إلى الدراسات العليا " .^(١)

ومن هنا تجلت فكرة علمنة التعليم ، لاسيما في فترة الطفولة التي تعتبر الأخص في حياة الطفل ، فيها تتكون عقليته ، وتتسكّل ثقافته ، فإذا كبر معه هذا النمط من التفكير بحيث يصبح متقبلاً للاتصال والانقياد للفكر العلماني الوافد ، ومهيئاً للاحتواء وبهذا تقوى فكرة النقاء التبشير والاستشراق والتغريب ومن خلفهما الاستعمار مع العلمانية والتي هي إحدى الطرق لتطويق العالم الإسلامي من الداخل .

وقد سارت خطة علمنة التعليم في اتجاهين لتحقيق مرادها :

الاتجاه الأول : اتجاه يقضي بتطويق العالم الإسلامي من الخارج ، وتطويره من الداخل .
أما الأول : فطريقه هو تسفيه التعليم الديني والخط من قدره ومن قدر معلميه ، واتخذوا لذلك أساليب منها : حرمان خريجي العلوم الشرعية من الوظائف الهامة والمؤثرة في المجتمع وخفض رواتب علماء الدين ، وإظهارهم بما يبعث على السخرية عن طريق المسلسلات والرسوم الكاريكاتيرية .

^(٢) انظر حاضر العالم الإسلامي ، ص ٨٤-٨٥ ، الاتجاهات الفكرية المعاصرة ، ١١٢-١١٣ ، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ، ص ٣٧٠-٣٧١ ، المسلمون بين العلمانية وحقوق الإنسان الوضعية ، د. عدنان النحوي ، ص ٩٨-٩٩ ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م ، دار النحوي للنشر والتوزيع .

^(١) الاتجاهات الفكرية المعاصرة ، ص ١٠٥-١٠٦ .

أما الثاني : وكانت فكرة تطوير الأزهر التي نصح بها كرومر عام ١٩٠٦م للقضاء على العقلية العلمية والاجتهادية التي كان يفرزها نظام التعليم في الأزهر من خلال الاعتناء بالمصادر القديمة ، التي تنمي القدرة العقلية على المناقشة والحجاج ، لذلك انصب الهدف على عزل تلك العلوم والاستعاضة بمناهج سطحية تقليدية تعنى بالجزئيات والفرعيات بعيدا عن الأصول والكليات ، التي تكون العقلية المتخصصة المحيطة بجوانب المسائل والمدركة لمقاصدها ، وبذلك يتخرج طالب الشريعة والأصول غير قادر على العطاء الفكري منحصرا في الوعظ العام ، غير قادر على الاختيار والرد، والمقاومة الفكرية

الاتجاه الثاني : علمنة التعليم في كل تخصصاته ومراحلها ، من خلال :

١- إلغاء وحدة التعليم ، أو بعبارة أخرى ثنائية التعليم ، بحيث يطوع جميع العلوم لخدمة الفكر العلماني ، فتسير وفق مبادئها ، بتطوير كل ما يتعلق بمناهج الدين والأدب والتاريخ والفلسفة والعلوم ، لإعلاء الفكر اللاديني ووسائلهم في ذلك : بث السموم الفكرية فيها دون التعليق عليها أو مناقشتها ، كنظرية دارون وفرويد في علم النفس، وأميل دوركايم في علم الاجتماع ، وآدم سميث في الاقتصاد ، وقد أخذت هذه المناهج طريقها بشكل خاص عن طريق المدارس الأجنبية والجامعات في الداخل والخارج التي أسسها العلمانيون؛ لتحقيق مرادهم وتخصيصها للطبقة العليا والراقية في المجتمع ، فيتعلمون فيها اللغة الأوروبية ، والمناهج التي تخدم أغراضها ، مما سبق ذكره (١).

٢- تحريف التاريخ الإسلامي وتشويه صورته ، ووصف العصور الذهبية لحركة الفتوح الإسلامية بأنها عصور همجية سادتها الفوضى ، والمطامع الشخصية.

٣- الدعوة إلى القومية أو الوطنية ، وهي دعوة تعمل على جمع الناس تحت جامع وهمي من الجنس أو اللغة أو المكان أو المصالح ، شريطة ألا يكون الدين عاملاً من عوامل التجميع ، إنما الدين من منظار هذه الدعوة يُعد عاملاً من أكبر عوامل التفرق والشقاق والنزاع (٢).

٤- بث الشبهات حول المعتقدات الدينية ، مثل : التشكيك في حقيقة الإسلام والقرآن والنبوة ومحاربة الشريعة الإسلامية بنفي أصلاتها ، ومحاولة ترويج الشبهة القائلة : بأن التشريع الإسلامي استمد من القانون الروماني ، لتدعيم هدفهم الرامي إلى تقرير بشرية التشريع الإسلامي.

(١) انظر: الاتجاهات الفكرية المعاصرة ، ص ١٠٨ ، واقعنا المعاصر ص ٨١-٨٢.

(٢) انظر: شبكة المعلومات العالمية ، مقال بعنوان : العلمانية وثمارها الحبيثة ، جمعه وأعداه : الكاتب/محمد عبد الهادي المصري

..http://saaid.net/mktarat/almani/22.htm/

٥- إعطاء صورة مضللة عن الحضارة الإسلامية، بإعلاء شأن الحركات الهدامة في تاريخ الإسلام ووصفها بأنها حركات إصلاح وبناء مثل : القرامطة. وإخوان الصفا والحلاج، وحركة الزنج^(٣) .

٦- محاربة اللغة العربية (لغة القرآن) وصرف المسلمين عنها ؛ لإدراكهم بأن فهم القرآن والسنة منوط بالإحاطة بقواعد اللغة ، فهي مفتاح التدبر ، ومعرفتهم بأنها إحدى أهم الروابط التي تحفظ وحدة الأمة ، فاللغة العربية لغة الرسالة الربانية ، من هذه الأهمية قام العلمانيون بوضع غاية جهدهم؛ لصرف المسلم عن لغة كتابه ومنهجه وإضعاف صلته بها ، فعملوا على نشر اللهجات العامية ، ونشروا اللغات الأجنبية وآدابها وتاريخها ، حتى أصبح العرب لا يحسنون لغتهم بقدر ما يحسنون لغة عدوهم ، وعليه فإنّ عزل المسلم عن لغته عزل عن منهج الله ، فإن تحقق هان ما بعده من مخططات^(٤) . بذلك نكون قد ألقينا الضوء على أهداف العلمانية في العالم الإسلامي ، ورأينا مدى الخطر الذي يتهدد الأمة الإسلامية من تلك الأهداف ومن هنا يتعين على علماء الأمة أن يقوموا بمسئولياتهم تجاه دينهم ومجتمعهم ، وأن يعملوا على درء الخطر الذي يتهدد مجتمعهم ودينهم ، بإحياء الدراسات الشرعية من مصادرها القديمة التي لم يشوبها التبديل والتصحيف ، ومحاكمة كل الدراسات التي تصدر عن المؤسسات العلمانية ، وبيان عوارها ، وأن يقوموا بحملة ضخمة لتصحيح المفاهيم الإسلامية ، التي يعمل العلمانيون على تشويهها وإخراجها من مضامينها ، حتى تبقى الأمة على جادة الحق .

(٣) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ، ص ٣٧٠-٣٧١ .

(٤) انظر: المسلمون بين العلمانية وحقوق الإنسان الوضعية ، ص ٨٩ - ٩٠ - ٩١ .

المطلب الثاني

موقف أنور الجندي من العلمانية ودعاتها

إن تحديد المفهوم في الدراسات العلمية التحليلية يعدّ القضية الأهم في البحث العلمي والتاريخي ، لاسيما إذا تعلق بمحل نزاع في مدلوله ، فإنّ التعريف يزيل محل التنازع ويكشف عن ماهية ،ولمّا كان مفهوم العلمانية له أكثر من مدلول، فإنّ القضية الأهم هي تحديده ومعرفة حقيقته، وقد كان للمفكر أنور الجندي إسهامات واضحة في الكشف عن هذا المفهوم ، ومناقشة أبعاده ،وبيان المفاهيم المتعلقة به ومحاكمتها في ضوء الفكر الإسلامي نورد ذلك في النقاط التالية :

أولا : العلمانية المنبت والجذور :

يعتمد أنور الجندي في تفسيره لفكرة العلمانية على عامل الزمن، أو ما يصح أن يعبر عنه بالبعد التاريخي للمفهوم ،فيذكر أن الغرب قد نشأ في ظروف تاريخية خاصة بهم، وبيئة معينة وزمان معين مع أقوام معينين ،تتعلق بالكنيسة وما أحدثته من ظلم ، يبرز في محاكم التفتيش وخطرها على حرية الفكر والعلم،مما أنتج : سيطرة الكنيسة على الملل والأمراء وسيطرتها على العلم ، ويصف الجندي بروز الفكر العلماني بأنه كان ردة فعل قد نشأت عن قصور الدين المسيحي البولييسي الصهبوني في أوروبا عن استيعاب شؤون الحياة ،وتحجر الكنيسة في موقفها من المعارف والعلوم ، وتحالفها مع السلطة المستبدة ضد الطبقات الضعيفة والفقيرة والمقهورة ، فكانت تلك الفترة عبارة عن صراع بين العلم والتطور من ناحية وبين اللاهوت الكنيسي في أوروبا ، بهذا التحليل التاريخي استطاع الجندي أن يكشف عن إشكالية التعميم التي وقع بها الغرب في نظرتهم إلى الدين ،فلا يصح أن يلبس الإسلام لباس المسيحية ، فثمة فروق جوهرية لا يمكن معها أن تتحد النظرة أو تعمم ، ويدلل على ذلك : بأن الإسلام لم يشهد وصفا مشابها لما جرى في الغرب ،بل العلم نشأ وترعرع وازدهر في أحضان الدين الإسلامي ، الذي دعا إليه وشجع عليه واعتبره من أعظم العبادات وعليه فالظروف المرتبطة بمفهوم العلمانية ،تحدد ماهيته وحقيقته ،وإن ما حدث من خلاف حوله إنما يرجع إلى الترجمة ، حيث يرى بأن هذا المفهوم قد ترجم إلى العربية وإلى العالم الإسلامي مع حلول النفوذ الأجنبي ،وما صاحبه من أنظمة وقوانين في التربية والتعليم ويشير

إلى أن تلك الترجمة المضللة كانت تهدف إلى إخفاء الوجه الحقيقي للعلمانية؛ حتى لا تصطدم مع الفكر العربي، وتظهر على أنها تدور في نطاق العلم والعقلانية^(١). وبناءً عليه لا يمكن أن تفهم العلمانية إلا في إطارها، الذي حكم على الدين وفق نظرهم وتجربتهم التي لا تتجاوز إلى غيرهم ، لاسيما العالم الإسلامي ، والمنطق العلمي يقضي بآلاً يقاس الجزء على الكل ، لا سيما إن كانت تختلف في الأصول والمنابع والثقافة .

١- المراحل التي مرت بها العلمانية في الغرب :

يرى أنور الجندي إن الصدام بين الكنيسة والعلم في أوروبا ، قد مر بمرحلتين: الأولى : انهيار التطور في الكنيسة يعبر عنه (بالعلمنة الجزئية)، وهي خاصة بشئون الحياة. الثانية : ومن ثم اتجه الأمر إلى الدين ككل ؛ ليهدم في ذاته (العلمنة الكلية) ، وصهره في الاشتراكية، وتجريد المجتمعات من الدين لحساب الشيوعية^(١) .

يريد بذلك أن يبرهن على التغيير الذي طرأ على خطة العلمنة ، ففي البداية كان الاتجاه علمي ، ثم انتقل إلى الدين ذاته ، فلم يعد الأمر هو فصل الدين عن الدولة أو فصل الدين عن السياسة أو الاجتماع ، إنما تعدى الأمر إلى العلمنة النهائية أو الكلية ، وغاية ما تنتهي إليه العلمانية في تضاربها وتناقضها هو السعي نحو تخليص الفرد من الأفكار والنزعات الدينية وتخليص المجتمع من المؤسسات الدينية الفاعلة في مجال البناء والإصلاح، تلك هي الصورة الحقيقية للعلمانية الملحدة في أطوارها وخلفياتها المعادية للدين ، والتي يصورها لنا المفكر أنور الجندي ، في إطار تحليله للتغيرات والمراحل التي مرت بها العلمانية^(٢) .

٢- اتجاهات العلمانية في العالم الإسلامي :

يرى الجندي بأن العلمانية سارت في اتجاهين في العالم الإسلامي هما : الأول : ضرورة إلغاء تطبيق الشريعة الإسلامية في الحياة الدنيا . الثاني : العمل للقضاء على الدين الإسلامي ذاته، والزعم بأن الإسلام عقيدة وشريعة تتغير بتغير الظروف، والادعاء بأن الثوابت الإسلامية المتعلقة بالشريعة أو العقيدة عرضة للتغيير من وقت لآخر .

(١) انظر : سقوط العلمانية، ص ٨/ ٢ ، موسوعة العلوم الإسلامية ، في مواجهة الحملة على الإسلام ص ٦٩ .

(١) سقوط العلمانية ص ٩ .

(٢) انظر : أصالة الفكر الإسلامي في مواجهة التغريب ، ص ١٨٠ .

ويرفض الجندي تلك المحاولات ، ويعتبرها من باب التضليل لحقائق الإسلام ، ويجب عن تلك الادعاءات ، فيبين بأن الدين الإسلامي يجمع بين العقيدة والمعاملات والأخلاق ويقرر لها قواعد أساسية وجوانب تتغير مع تغير الأزمنة والبيئات وهي المتغيرات .
ويقرر بعض الحقائق عن الإسلام لبيان سقوط تلك الدعوات وفساد مدلولها منها :

١- رفض الإسلام لمبدأ الفصل والتجزئة ، القائم على الفصل بين الدين والحياة بما فيها من نظام وقانون ؛ فالإسلام دين ودولة ، ولا يتحرك المجتمع إلا في إطار القواعد والمقاصد الشرعية في مجالات الحياة المختلفة .

٢- نفي صلة الإسلام بنظرية التطور المطلق الذي ينادي به الفكر الغربي ، فالإسلام يقرر وجود قيم ثابتة وقيم متغيرة ، وتعد الأخلاق من الثوابت التي لا تقبل التطور حسب نظرية النسبية التي يتبناها الغرب ، ذلك أنها تستمد من مصدر واحد ، فوحدة المصدر تعني وحدة القيم على غير ما يراه الغرب في فلسفاتهم وأفكارهم ونظرتهم إلى القيم على أنها تنفصل عن الدين وتخضع للتغير والتطور .

٣- إن الإسلام يجمع بين عاملي الروح والمادة ، والعقل والقلب ، ولا يقوم على المادة على النحو الذي تقوم عليه الشيوعية والماركسية والعلمانية ، وبناءً عليه؛ فإن الإسلام يقيم منهجا يربط بين الدين والحياة في التربية، وفي توجيه شؤون الحياة الاجتماعية والاقتصادية، ولا يفصل بينها ، إضافة إلى وضع الإسلام ضابطا للعلاقة بين الفرد والمجتمع ، ولا يمكن بحال أن تكون الأخلاق معيقة للتقدم، بل الأمر على خلاف هذا ، فالأخلاق هي الدرع الواقى للتقدم^(١) .

بهذه الحقائق تتبدى الفوارق العميقة بين الطرح الغربي في تصوره للحياة والمنهج الإسلامي الذي لا يمكن أن يقاس بمقياس تلك النظريات ، فالإسلام منهج وليس نظرية فهو يستمد أصلاته من مصدره الرباني، ويتجاوز في نفس الوقت مع الفطرة والعقل والعلم، ولا يتعارض مطلقا مع الطبيعة البشرية أو سنة التطور في الحياه ولكن في إطار الثوابت التي تحمي ذلك التطور من الانحراف والسقوط^(٢) .

يقول أربري - مستشرق - في إطار حديثه عن مفهوم العلمانية وفق النظرية الغربية : " إن المادية العلمانية والإنسانية والمذهب الطبيعي ، والوضعية كلها أشكال لا دينية

(١) انظر : أصالة الفكر الإسلامي في مواجهة التغريب ، ص ١٨١ .

(٢) انظر: حقائق مضيئة في وجه شبهات مثارة ، ص ٣ .

واللادينية صفة مميزة لأوروبا وأمريكا ومع أن مظاهرها موجودة في الشرق الأوسط فإنها لم تجد أي صيغة فلسفية أو أدبية محددة" (٣).

يسجل ذلك القول اعتراف ضمني بانسلاخ العلمانية عن وحدة التكامل في النظرية ،ذلك لعدم خروجها عن قاعدة ثابتة لها أصول ،إنما نتيجة ظروف تاريخية معينة ، نتجت عنها تلك التجربة التي فقدت مقومات صمودها أمام مجتمعات تمتعت بمنهج وقيم ثابتة لا تقبل التجزئة أو الانهيار ،وتتعين تلك الحقيقة بما يعرضه المفكر أنور الجندي عن المعالم الأساسية للعلمانية : فهي تقوم أساسا على نفي الخالقية عن الله – سبحانه وتعالى – بمعنى إنكار وجود قوة خارجية تؤثر فيه ،وتلك المرحلة الأولى من الإلحاد أزلية الطبيعة وأبديتها فالعلمانية تعتقد بقدم الطبيعة وأنها موجودة منذ الأزل ،ويقيمون مبدأ العلة والحركة على القوة الداخلة فيه ،والتي تحدث جميع الصور الموجودة في الطبيعة ،كما تقيم فكرها على قانون تطور الأجناس لاسيما في قضية الإنسان ، حيث تلقفوا نظرية دارون القائلة بأن الإنسان مر بمراحل حيوانية متعددة منتقلا من طور إلى طور حتى خرج بالصورة الإنسانية التي هو عليها الآن ، إضافة إلى تنكرهم لمعجزات الرسل والأنبياء ، بناءً على أيديولوجيتهم المادية التي تنكر الخالقية، ونفي الحاكمية عن الله – تبارك وتعالى – واعتمادهم على نظرية العقد الاجتماعي التي قال بها روسوا (١) .

كل ذلك يرسخ الحقيقة التي تبناها الجندي والقائلة بالحادية الفكر العلماني ، الذي لا يخرج عن دائرة الشعبوية والماركسية والتغريب والاستشراق الذي وفدت على المسلمين للنيل من دينهم، والقضاء على ذاتيتهم العربية والإسلامية ، يقول في هذا الصدد : " ومن هنا يتبين لنا أن العلمانية لم تكن قاصرة على أنها دعوة إلى فصل الدين عن الدولة ،إنما هي المرحلة الأولى التي تهيب الفكر والمجتمع جميعا لخطوة حاسمة هي علمنة الذات العربية نفسها على أساس أن تسقط نهائيا وإلى الأبد،وكل ما يتصل بفكرها وتراثها ودينها وقيمها (القديمة كلها) وأن تعتنق المنهج العلمي ،أو وجهة النظر العلمية ، وهو المنهج الذي يقوم على أساس قياس النظر إلى المجتمع والنفس والأخلاق والإنسان على النحو الذي تقاس به العلوم الطبيعية على أساس الملاحظة والتجربة" (٢).

(٣) موسوعة العلوم الإسلامية ، في مواجهة الحملة على الإسلام ص ٧٠ .

(١) انظر: في مواجهة الحملة على الإسلام ص ٧١ .

(٢) سقوط العلمانية ص ١٠ .

ولا ريب أن مادية الفكر العلماني تقطع أي محاولة للتقريب أو التثائية مع العقلية العربية والإسلامية، ذلك أن العلمانية تستمد تصوراتها من الفكر المادي، بينما العقلية العربية تستمد مفاهيمها من الإسلام، ولا ينبغي أن توصف العقلية العربية بأنها غيبية، فهذا خطأ كبير يجيب عليه المفكر أنور الجندي، ويعتبره تجاوزاً للحقائق، ويعلل ذلك بأن الإسلام أقام منهجه في المعرفة على قاعدتي العقل والوحي، والإيمان بالله ورسالاته وكتبه واليوم الآخر، ودور العقل كان مرشداً وموجهاً.

كما دعا إلى عمارة الأرض والعمل في الدنيا، وبناء الحضارة الإنسانية بالعمل والكد، بهذا الاستدلال المنطقي يقف الجندي على سقوط تلك الشبهة، إذ يلزم من الدعوة إلى العمل والحركة والتكامل بين العقل والوحي نفي تلك الصفة عن المنهج الإسلامي، فخاصية التكامل في المنهج لم تقف عند حدود المحسوس، أو في إطار المادة وحدها، ولم يقف من المادة موقف التآليه والتقدس، وكذا العقل والإنسان والتاريخ، كما يضيف بأن الإسلام ليس شبيهاً للبيئات الأخرى في مفاهيمها الدينية، فاختلف البيئات مدعاة لاختلاف المناهج والأفكار، فالعقلية العربية لها مناخها وفكرها الخاص بها، لا يمكن أن يقاس بغيرها، فالغيب جزء من مفهوم الإسلام والعقلية الغربية، لأنه حقيقة واقعة، بينما يرفض أن توصف العقلية العربية بها مطلقاً، ويرى فيها مغالطة ومجانبة للحق، ويعلل فساد هذه النظرة بأن المفهوم المتعلق في أذهان البيئات الغربية حول الغيب هو الخرافات والأباطيل والسحر ونحوها مما لا يقوم عليه دليل الحس، وهذا تعلق بعقلية أخرى غير العرب، أما العقلية العربية فهي التي يقوم على الحجة والبرهان، ذلك المنهج الذي حث على النظر والتفكير وقاية للامة من التبعية والتقليد بغير بينة أو حجة قائمة^(١).

بهذا الاستدلال الموضوعي يسقط الجندي نظرية التعميم الفلسفي التي كانت سبباً في اضطراب النظرة الغربية، ويؤصل لمناهج الحكم على الأفكار والمبادئ، وحسبي أنه أراد أن يبرز المبررات النفسية المصحوبة بالأهواء التي رافقت سير الفكر الغربي، والتي لا يمكن أن توصف في كل مراحلها ومناهجها بالموضوعية، وما تلك المغالطات التي كشف الجندي النقاب عنها إلا تطبيق لفكرة العداة التي لم تفارق أوروبا منذ سقوطها في الحملات الصليبية ولا أظن أن هناك مبرراً آخر يمكن أن يدعمه دليل لتلك الحملات الفكرية المسمومة الموجهة للمسلمين.

(١) انظر: سقوط العلمانية ص ١١.

بناء على تلك الاعتبارات والفوارق والبواعث والمنهجيات بين المنهج الإسلامي والفكر الغربي العلماني ، لا يرى أنور الجندي إمكانية نجاح تلك التجربة العلمانية في بلاد المسلمين، فليس للعلمانية مكان في المجتمعات الإسلامية، ويرجع ذلك لأسباب منها :

١- اختلاف الكنيسة عن الإسلام في النظرة للعالم والحياة ، فالكنيسة ترى ازدواجية أحيانا في السلطات ، وأحيانا أخرى الانفصال التام عن كل شؤون الحياة ، وتلك كما أسلفت مراحل مرت بها فكرة العلمنة ، بينما يرفض الإسلام ازدواجية السلطة ، فالإسلام منهج جامع يراعى فيه جوانب الإنسان والحياة المختلفة ، ولم ينكر المادة ، بل أقرها في إطار من الثوابت والضوابط .

٢- إضافة إلى أن الإسلام يرفض أن تكون الحكومة إلهية أو ما يعبر عنه الثيوقراطية فالإسلام وضع منهجا سياسيا يقوم على الشورى ، وتحكم الحاكم والمحكوم بها في دائرة الثوابت ، وعلى ذلك فالعزلة بين الدين والمجتمع مناقضة تماما لطبيعة الإسلام ، ولا تمثل تلك الفكرة موقفا حياديا بين الديانات ، فهي من وجهة نظر خاصة ، لا يصح تمريرها (١) ، وهكذا كان للبعد التاريخي ودراسة النفسية الغربية غاية الأهمية في تحديد ماهية العلمانية ، والتي رأينا تضاربها مع الإسلام في الأصول ، وبعد تتبع المفكر أنور الجندي للمراحل التي مرت بها العلمانية وفق منهج التحليل التاريخي الذي يسير عليه ، يتأكد لنا قصور الطرح الغربي واخفاقه في إخراج العقلية المسلمة من ذاتيتها وقيمها ومزاجها النفسي ، ولا يضيرنا بعض الذين لبسوا لباس العلمانية فقد اختلط عليهم وجه الحق ، أو قصرت أفهامهم عن تصور حقيقة الإسلام؛ لأنهم عاشوا في بيئة تفوح فيها رائحة العداة للإسلام والمسلمين ، وسيكون لنا حديث عنهم عند بيان موقف أنور الجندي من دعاة العلمانية .

٣- الماسونية الصهيونية والفكر العلماني :

يرى أنور الجندي بأن المسيحية في الغرب كانت تستطيع أن تخرج من أزمتها وتصح موقفها من العلم ، غير أنه يفرق بين المسيحية الأوروبية ، والمسيحية الصهيونية المرتبطة ببولس ، والتي كانت الطعنة في قلب المسيحية في أوروبا ، حيث لا يخفى العداة التاريخي بين المسيحية واليهودية ، فيؤكد أن القوى التلمودية الصهيونية كانت أسبق وأجراً على تكريس تلك الأزمة ، حتى لا تخرج الكنيسة من أزمتها ، حيث استغلت ظروف الصراع لتحقيق هدفها الرامي إلى إسقاط الحكومات المسيحية الأوروبية التي تسيطر عليها الكنيسة ، ومن ثم إنشاء حكومات غيرها تكون متحررة من هذا النفوذ، ويكشف الجندي عن

(١) انظر : في مواجهة الحملة على الإسلام ص ٧٢ .

الخطة التي اتبعتها اليهود في ذلك : فيشير إلى صلب اهتمام اليهود حيث كان ينصب في عزل الكنيسة عن الحكم ، ومن ثم فصلها عن العلم ، ثم تسقط القيود التي تفرضها الكنيسة على اليهود ، وتمنعهم من التحرك والتحرر، لاسيما بما يتعلق بالزواج والعبادات ، فدعم اليهود هنا للصراع لم يكن إلا لإزالة وإسقاط الوصايا الدينية التي تقيد الحركة الصهيونية في أوروبا^(٢) . من هنا اهتم اليهود بخلق ثورة على الكنيسة حتى يتم الفصل بين الكنيسة والحكم ، والإفراج عن الإنسان؛ حتى يتحرر من القيود الدينية ومن ثم يدخل اليهود في المجتمع المسيحي بعد أن منعوا من التداخل فيه فترة الحظر الكنيسي على اليهود ، ولذلك فإن عصر التنوير كان فاتحة الفكر الصهيوني ، أو ميلاداً للصهيونية في أوروبا ، حيث هياً لهم الفرصة بأن يكرسوا وجودهم فيها ، ولقد عمل اليهود على إيجاد نظير لتلك الثورات في أوروبا ، حتى تتحقق الأهداف التلمودية ، ويقدم أنور الجندي سندا تاريخيا يؤكد الترابط بين الصهيونية والعلمانية : فذكر بأن أول قرار لأول حكومة علمانية في أوروبا ، وهي الجمعية الوطنية الفرنسية (١٧٧١/٩/١٧م) - كان بإعطاء اليهود الحق في المواطنة والإقامة في فرنسا واعتبارهم مواطنين يتمتعون بجميع الحقوق المدنية ، وبهذا الاستدلال استطاع الجندي أن يكشف عن خلفية الفكر العلماني ، حيث تأكد أن اليهود وراء مخطط تكريس العلمانية في العالم ، ولا غرابة في هذا فالتلمودية والبروتوكولات تعمل على هدم الأديان ؛ لأنها تحول بينها وبين ما تريد بما تحمله من ضوابط وقيود ، ويرى بأن اليهود استطاعوا أن يحققوا تلك التجربة ، أو يوجدوا ثورات شبيهة في محيط العالم الإسلامي مع الفارق الكبير (أي بين أوروبا والمسلمين) ، لدعم الفكر العلماني في العالم الإسلامي ، وإزالة دعائم التمييز للذاتية العربية ، والخصائص التي تتمتع بها ، حتى يتسنى له السيطرة على العالم بنفس الطريقة التي نفذوا بها إلى أوروبا ، وهذا هو الهدف الحقيقي للصهيونية القائم على الأيديولوجية التلمودية على العالم، والسيطرة على المقدرات الفكرية والمادية للشعوب الأخرى ، وإقامة إمبراطورية تحكم العالم بقيادة اليهود^(١) .

ويخرج الجندي بحقائق حول الظروف التاريخية لنشأة العلمانية ، فيذكر منها :

١- إن فكرة الفصل بين السلطة المدنية ، والسلطة الروحية كانت قبل الثورة الفرنسية ، ويسوغ لذلك بان الثورة الفرنسية والتي كانت من صنع الماسونية والتلمودية ، والتي كانت تنادي بتحرير الإنسان من السلطة الدينية ، أو من عقدة الالتزام الديني ، وصورة ذلك

(٢) انظر : سقوط العلمانية ص ٢٢ .

(١) انظر : سقوط العلمانية ص ٢٢-٢٣

المناداة بحقوق الإنسان أو إعلان حقوق الإنسان : والذي قضى بالمساواة والحرية بين كل الناس بصرف النظر عن معتقداتهم ، وإغلاق المعاهد الدينية ، والجامعات ، وإنشاء كليات أخرى علمانية ، ففي عام ١٩٠٥م أقرت فرنسا قانوناً بهذا الصدد : يقضي بفصل العلاقات بين الدين والدولة ، على قاعدة التفريق بينهما ^(٢) ، وتبنى مبدأ الحيادية تجاه الأديان ، ويرتكز في تلك الحقيقة على ما تثبته مصادر التاريخ ، والتي أفادت بأن تلك القرارات كانت في إطار المواجهة للمسيحية التي ترى أولوية السلطة الدينية على السلطة المدنية ، بحيث تخضع السلطة المدنية للسلطة الدينية.

٢- ما يتعلق بما بعد الثورة الفرنسية ، فيفيد بأن المذهب اللاديني قد ساد وانتشر ، فكان بمثابة الخطوة العملية والتطبيقية لمحاربة الكنيسة ورجالها ، وإقصائهم عن السلطة والحياة المدنية والسياسية ونحوها ، وتولية غير رجال الدين زمام الحكم ^(١) .

ويستنتج من تلك الحقائق أن العلمانية اتجه يرمي لإقصاء الدين عن كل ميادين الحياة ، ومنطلقه في ذلك الأنظمة السياسية في مجال القوانين والتعليم والاقتصاد ، ويستدل على أن دور الأيديولوجية التلمودية كان الأهم في بلورة الفكر العلماني وإخراجه على الصورة التي تتسجم والمخططات المطروحة ، وبهذا استطاعت الصهيونية أن تقيد الفكر الغربي الليبرالي بمنطقاتها ، حيث تتجه في مذهبها المادي إلى كل مجالات الحياة الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتربوية ، وبذلك يجمل القول في حقيقة الدور الصهيوني في بعث وإحياء كل ما يهدم المجتمعات ^(٢) ، بما يجعلنا نعلن وبصراحة أن اليهود هم أعداء للإنسانية جمعاء ، أكد ذلك المفكر أنور الجندي وهو يتلمس دورهم وتحركانهم لهدم الديانة المسيحية وعزلها عن مواضع التأثير كمقدمة لتعميم هذا الاتجاه على الأديان قاطبة ، مما يقطع بفساد القول بأن العلمانية هي فصل الدين عن الدولة في التعريف التقليدي ، لإلغاء الدين من قاموس الحياة ، وإحلال الوثنية والإلحاد بديلاً عنه ، وهذا هو جماع القول فيها .

ويعزز هذا التحليل التاريخي ما جاء على لسان موسى مندلسن المفكر اليهودي الأول وهو يكشف عن الخطة الصهيونية في السيطرة على العالم ، حيث جاء فيه : " ضرورة الاتجاه إلى القومية ، بغض النظر عن الدين ، ودعوة المواطن الأوروبي إلى أن يتجاهل الدين ، عند ذلك تتدمر قيود الكنيسة في أوروبا ومن ثم تقوم القوميات المتصارعة

^(٢) انظر : المصدر السابق ص ٢٤ .

^(١) انظر : سقوط العلمانية ص ٢٤-٢٥ .

^(٢) انظر : المصدر السابق : ص ٢٥ .

لتكون بديلا عن الوحدة الدينية ، فالقوميات هي الطريق للسيطرة على الشعوب ، فخطتهم تقوم على تجريد الشعوب من الدين ، وهم يتمسكون بجزئيات دينهم ، ويقيمون دولتهم العالمية بناء على ذلك ، ويجلي ذلك الدور الذي لعبه اليهود في هدم الأديان ما عبرت عنه مؤتمراتهم ، من تصريحات ضد الأديان ، منها ما ورد في جريدة أكاسيا عام ١٩٠٣ م وجاء فيها : بأن النضال ضد الأديان لا يبلغ نهايته إلا بعد فصل الدين عن الدولة (٣).

ومن الحقائق التي لم ينبه إليها المفكر أنور الجندي الترابط بين حقوق الإنسان والعلمانية ، ففكرة حقوق الإنسان فكرة صهيونية ، وحتى لا نجازف في هذا الطرح التحليلي ونطلق الأحكام جزافا ، نتأمل في الشعار الذي رفعه اليهود للثورة الفرنسية وهو : " الحرية - الإخاء - المساواة ، ولننظر فيما يرمي إليه في إطار النظرة التاريخية لموقف اليهود من الكنيسة في أوروبا ، حيث رأينا فيما سلف بأن الكنيسة قد مثلت حائلا أمام الزحف اليهودي في أوروبا بما وضعت من قوانين يمنع اليهود من ممارسة الحياة بحرية مطلقة ، ومن ثم الإعلان عن حقوق اليهود في المواطنة بعد الثورة الفرنسية والتي عقبها بعث الفكر العلماني ، والإعلان عن حقوق الإنسان القاضية بالحرية والمساواة الصادر عن الثورة الفرنسية ، فمن المستفيد من الحرية والمساواة والإخاء في مجتمعات أوروبا؟! ، خاصة أن اليهود لا يتحركون في هدفهم إلا بتطبيق هذا الشعار الذي يسمح لهم بالتغلغل في عمق التواجد البشري تحت تلك المسميات البراقة اللامعة ، وتحت تلك الشعارات انبرى جملة من الكتاب العرب ونحوهم ينادون بتلك الشعارات ، ولم يتبينوا الظروف التاريخية لها ، ولم يقفوا على أبعادها الميكافيلية ، ومدى خطورتها على العقلية الإسلامية والعربية ، لارتباطها بالفكر الصهيوني ، الذي صاغها في إطار التجرد والتحرر من القيود الدينية ، ونشر الفكر الإلحادي ، وإلغاء مقومات التوحد الديني ، وإبطال الصراع العقائدي بحيث يتساوى الجميع في دين الإنسانية ، وإلا بم يفسر ارتباط حقوق الإنسان بالمؤسسة الديمقراطية في غزة والعالم ككل؟! إن التفسير الحقيقي لذلك هو: أن الديمقراطية التي تعتمد نظرية العقد الاجتماعي القائم على اعتماد الأمة مصدر للتشريعات (١) هي من نتاج الفكر العلماني ، والفكر العلماني من نتاج الصهيونية التلمودية كما أسلفت ، وبناء على هذا المركب التزامني يمكن حمل ما تتبناه جمعيات حقوق الإنسان في عمومياته بناء على فلسفة الفكر العلماني القائمة على الفكر الصهيوني ، ومن هذه المنطلقات يوضح الباحث حقيقة تلك الشعارات بناء على تحليله الجوانب التاريخية التي

(٣) انظر : المذاهب والأفكار المعاصرة في التصور الإسلامي ، ص ٢٥٥-٢٥٦ .

(١) انظر : الاتجاهات الفكرية المعاصرة ، ص ١٢٠ .

سبقت الإشارة إليها في إطار الحديث عن دور اليهود في الفكر العلماني وتأييدا لفلسفة التحليل التاريخي التي عمل من خلالها الأستاذ أنور الجندي وهو يشخص أدواء الفكر المسيحي في أوروبا وفي الغرب بعامة .

٤ - العلاقة بين العلمانية والعلم :

سبق الحديث عن مدى ارتباط مفهوم العلمانية بالعلم عند مناقشة التعريف اللغوي والاصطلاحي ، ووقفنا على رأي المفكر أنور الجندي منها ، حيث كان موقفه الرافض لهذا الترابط ، ولكن الحديث هنا يدور في تفصيل الخطأ المنهجي الذي اعتور طريقة العلمانيين في فرض وجهات نظرهم ، واجمال الردود العلمية عليه وفق قواعد التحكيم العلمي .

يبدو فارق عميق بين المنظور المادي للعلم ، والمنظور الإسلامي ، فالأول ينطلق في دائرة المحسوسات ، أو ما يقع تحت الحس ، مع التحرر من العقائد والغيبيات التي لا تثبت بالحس ، بالكاد تكون أوهاما أو أساطير ، في حين يدور الثاني في محاور ومصادر متعددة للمعرفة ، فيؤمن بما يقع تحت الحس ، وما يثبت بالوحي عن طريق العقل ، من هذه المفارقة تتحدد ماهية الفكر العلماني ، وتتكشف نظريته العلمية المحدودة ، بينما ينعم الثاني بشموله وتعدد مناحي المعرفة ، ولعلنا لا نستغرب من هذا ، فظروف الفكر العلماني التاريخية وموقف الكنيسة من البحث في الكونيات والعقليات يوضح طبيعة هذه النظرة القاصرة .

يقول أنور الجندي معرضا بقصور الطرح العلماني في المنهج العلمي : " يبدو هذا المفهوم واضحا في ظل الظروف والبيئة والعصر الذي ظهر فيه ، ولكنه لا يستطيع أن يقوم بنفسه منهجا عالميا ، أو إنسانيا ، أو مذهبيا صالحا للتطبيق في مختلف البيئات والثقافات ، وأكثر ما يكون هذا المفهوم اضطرابا وخطأ حينما يعرض على مفاهيم الفكر العربي الإسلامي ، ذلك أن الإسلام في بيئته الفكرية الواسعة ، قد حدد منهجا للمعرفة تختلف كل الاختلاف ، ويبدو مفهوم العلمانية غريبا وقاصرا وبعيدا عن الحاجة والضرورة " (١) .

نجد أن المفكر أنور الجندي يعتمد في مناقشاته للأفكار على المناخ التاريخي التي ظهرت فيه ، فيحيط بالظروف النفسية والفكرية والفلسفية المرتبطة بها ، معطيا للاعتبار الأيدلوجي قيمة كبرى ، فتلك القضية - والتي نحن بصددنا - ، تناقش طرحا تختلف فيه

(١) سقوط العلمانية ص ٣٩ - ٤٠ .

المرجعيات والتصورات في إطار ذلك التمايز التاريخي والفكري والنفسي ، ففضية المنهج المعرفي ارتبط ببيئات معينة كما ذكر الأستاذ أنور الجندي ، فالإسلام له منهج معرفي مختلف لا يقوم على الأهواء والعواطف ، يستقيم على الحق في ضوء البرهان والدليل العلمي ، ويذكر سمات منهج المعرفة في الإسلام في محاولة لبيان قصور النظرية المعرفية عند الغرب وهي على النحو التالي :

-منهج المعرفة في الإسلام منهج متكامل ، لا يمكن حمله على أنه عقلي خالص، ولا روحي خالص ، يسمح للعقل بأن ينطلق في الآفاق بما قدر له من قوة على التحرك في داخلها لاسيما في مجال العلم والتجربة .

- لا يقر الإسلام الاعتماد على ما يدركه الحس وحده ، ذلك لتجاهل عالم وحقائق أخرى لا تعرف بالحس ، أو ضعف الاستعداد الحسي للوصول إليها ، ولا يمكن إدراكها بالعقل أو التجربة ، وهو عالم الغيب .

من هنا فقد أخذ في الحكم على منهج المعرفة في الغرب على الاعتبار التالية :

- حكم عليه بالقصور والمحدودية، ويعلل ذلك بأنه وقف عند المحسوس وحده ، إضافة إلى أنه لم يوف بحاجة البشرية كلها ، فالعلم والإدراك للمحسوسات قصر على فئة قليلة من البشر ، في حين هناك جوانب أخرى تجعل الإنسان عاجزا أمامها ، فلا يستطيع أن يحقق ذاته أو يحيط بسبب وغاية وجوده ، حتى يقوم بمسئوليته الفردية والأخلاقية .

-خطأ منهج المعرفة أنه اعتمد على المنهج التجريبي ، الذي اتصل بالدراسات الطبيعية ، ويعين علة ذلك بأن المنهج العلمي التجريبي مرتبط بمجالات محدودة ، وعليه فلا يصلح أن يكون منهجا كاملا للمعرفة ، فهناك مجالات أخرى للمعرفة لا تثبت بالعقل ولا بالتجربة فحسب ، فهناك وسائل وأدوات للمعرفة غير الحس والمشاهدة التي تقوم عليها المعرفة منها : الوحي والقلب، والبصيرة، والوجدان، والإرادة ، وكل ذلك لا يندرج في دائرة التجريب .

- بطلان اشتقاق العلمانية من العلم ، لأن العلم لا يقرر منهجا ناقصا يقوم على التجربة ويعتمد على المحسوس ، وينكر عالم الغيب الذي لا يعرف بالحس ، فكلمة العلم في معناها الحقيقي هي جماع العلم ، والذي يعتمد كل الوسائل والأدوات والطرق التي تتحصل بها المعرفة ، ويبين أن العلم في الاصطلاح عجز عن كشف حقائق الأشياء ، فلم يستطع أن يفسر علم ما وراء الطبيعة وهي حقيقة واقعة ، يعرفها الإنسان من طريق آخر ، هو منهج المعرفة الذي جاء به الوحي⁽¹⁾ .

(1) انظر: سقوط العلمانية ، ٤١-٤٢-٤٣-٤٥ .

ومن هنا فقد فرق الجندي بين مصطلحين لا بد من تمييزهما ، هما : منهج المعرفة وهو إطلاق أكثر منه في مناقشاته ، والعلم التجريبي أو المنهج التجريبي ، حيث يقرر بأن المفهوم الأوسع نطاقا وأكثر شمولاً هو منهج المعرفة ، ووجهة هذا الإطلاق تكمن في عموميته ، حيث يدخل فيه ما ليس علماً تجريبياً بحتاً ، على نحو ما يتصل بعوالم أخرى فوق الطبيعة ، وما يتعلق بالإنسان من الأخلاق أو النفس والمجتمع يقول أنور الجندي في هذا : " فالعلم علاقة واحدة من مجموع علاقات جاء الإسلام لينظمها ، ضمن نظام قوامه تصور كامل لوضع الإنسان في الكون" (١).

يبني أنور الجندي آراءه على تصور المفهوم ودلالته ، فإذا تحدد المفهوم أمكن حمله على ما يستلزم من أحكام إيجاباً أو سلباً ، فالعلم له تعريف يحدد ماهيته ، يذكر الجندي تعريف الغرب أنفسهم للعلم ، ليبيّن عليه ، يقول برتراندرسل : " إن العلم يقرر أحكاماً على سبيل التقريب ، لا على سبيل اليقين . ويجلي في هذا التعريف النظرة السطحية للأشياء التي لا تقطع بماهية المنظور أو حقيقته ، يقول مارتين ستانلي كونجون : إن نتائج العلوم تبدأ بالاحتمالات ، وتنتهي بالاحتمالات وليس باليقين ، ونتائج العلوم بذلك تقريبية ، عرضة للأخطاء في القياس والمقارنات ونتائجها اجتهادية ، وقابلة للتعديل" (٢).

بذلك يسقط المفهوم القائل بأن العلمانية من نتائج العلم ، ذلك لارتباطها بما هو مادي صرف ، وتكرها لما هو غيبي ، فالمنهجية العلمية تقضي بشمول وتنوع مصادر المعرفة ، التي تقر بما هو خارج عن عالم الحس ، وطالما أن الاتجاه العلماني يغفل تلك الحقائق فهو ليس من نتائج العلم ، تلك الحقيقة التي برهن الأستاذ أنور الجندي عليها ، من خلال عرضها على منهج المعرفة .

٥ - العلاقة بين العلمانية والفلسفة :

يرى بأن العلمانية انتهجت نهج الفلسفة ، وليس نهج المنهج العلمي التجريبي ، ويفسر هذا الاتجاه بتحليل تلك العلاقة من خلال الكشف عن تلك الفوارق العميقة بين العلم والفلسفة ويجمل تلك الفروق في التالي :

١ - العلم يختص بما يقع داخل المعمل ، أما الفلسفة فهي نظرة عقل ناقد ، وفرضية رأي يصيب ويخطئ.

(١) سقوط العلمانية ، ص ٤٤ ، انظر : تاريخ الغزو الفكري والغريب ، ص ١٦٩ - ١٧٠ .

(٢) سقوط العلمانية : ص ٤٧ .

٢- العلم حقائقه تقبل النقص والتغيير ، أما الفلسفات فهي تخضع لظروف ومواصفات وتحديات في العصر والبيئة ، فهي على هذا معرضة للصواب والخطأ ، ومناسبة لعصر دون عصر ، وبيئة دون بيئة.

٣- العلم تراث إنساني مشترك بين سائر البشر ، بينما الفلسفات تختلف عن ذلك كثيرا فكل فكر فلاسفة ، ولكل أمة نظريتها المنبثقة من قيمها الأساسية ، ودينها وتاريخها وذاتيتها الخاصة بها ، فلا تقبل التصدير^(٣).

٤- الفلسفة تتصل بالإنسانية ، فهي بذلك لا تخضع للمنهج الذي تخضع له المحسوسات والجمادات ، أو الحيوانات ، فهي تتصل بما يتعلق بالاجتماع والأخلاق والعلاقات الإنسانية ، إذ تتبع من منابع الأمة ، فالعرب لهم منابعهم ومفاهيمهم التي تترجم نظرتهم إلى الحياة^(١).

بناء على تلك الفوارق بين العلم والفلسفة نجد اختلافا واضحا في التصورات والمنهجيات ، ذلك أن المنهج التجريبي اختص بما هو محسوس ، فلا يمكن قياس تلك المنهجية على الدراسات المتعلقة بالإنسان من نظريات النفس والاجتماع ، فتلك الدراسات لها طابعها الخاص بها ، بل هي تمثل منهجا من مناهج المعرفة ، ومن ثم تعبر عن وجهة نظر فلسفية قامت على تلك الفرضية .

يقول أنور الجندي : " فالإنسان أساسا لا يخضع لقوانين المادة ؛ لأنه مقام من روح وجسد ، فليس مادة خالصة ، كذلك فإن المقررات التي تسمى بالعلوم الاجتماعية هي ليست قوانين حقيقية ولكنها بمثابة فروض ووجهات نظر " ^(٢) وبذلك يبين تعذر المنهج التجريبي في مجال المفاهيم الإنسانية ، فالمنهج التجريبي المرتبط بالعلوم التجريبية له مقاييس وموازن مضبوطة ، بخلاف المفاهيم الإنسانية التي لا يمكن أن تتجرد من الأهواء والعواطف^(٣).

إن ما توصل إليه المفكر أنور الجندي في هذه القضية كان من الأهمية بمكان ، إذ كشف عن أخطر تصور في الفكر العلماني وهو تجاوزه للنظرة الدينية ، واعتماده على النظرية المادية الإلحادية التي لا تقيم وزنا للقيم والأخلاق ، أو لما هو غيبي من أمور الآخرة نتيجة صراع امتد عبر الزمن بين المادة والروح ، والعقل والقلب ، أدى ذلك إلى الاتجاه

(٣) انظر : المصدر السابق : ص ٦٣ .

(١) انظر : سقوط العلمانية ص ٦٣ - ٦٤ .

(٢) حقائق مضيئة في وجه شبهات ماثرة ، ص ٢٨ .

(٣) انظر المصدر نفسه ، ص ٢٩ .

التحرري من الأخلاق والقيم والقيود الدينية ، انتهى غايته إلى المادية الفلسفية ، والتي هي حقيقة العلمانية ، وبذلك تتجرد العلمانية من ذلك الترابط الوهمي بينها وبين العلم ، لتخرج بالحقيقة في ضوء البرهان ، وهي أنها فلسفة مادية الحادية بكل المقاييس التي سلف ذكرها .

سابعاً :موقفه من شبهات العلمانية وادعاءاتهم :

اتجه العلمانيون لمواجهة الإسلام بإثارة جملة من الشبهات الخطيرة وتميرير جملة من النظريات والفرضيات ، للحيلولة دون فهم الإسلام على حقيقته وعرضه على النحو الذي يريده الغرب ، ومن ثم إسقاط قداسته وأصالته المستمدة من الوحي وقد تتبع الأستاذ أنور الجندي تلك الشبهات وتصدى لها .

ومن أبرز وأهم وأخطر الشبهات ما يلي:

أ-المقولة القائلة بأن الدولة في الإسلام دولة ثيوقراطية:

يعتقد العلمانيون بأن الإسلام أراد إقامة حكومة على أسس ثيوقراطية ،على النحو الذي قامت عليه الحكومات في أوروبا في ظل الكنيسة ، وتعني عند الغرب الحكومة الدينية وهذه الشبهة هي الأخطر في دراسات الغربيين للتاريخ الإسلامي ، ويرى الأستاذ أنور في ذلك خطأ تاريخياً وظلم لتاريخ الإسلام ، ويفند تلك الشبهة بجملة من الحقائق لا يقوى أحد على معارضتها أو الطعن فيها :

- إن الإسلام لم يقم الدولة الثيوقراطية على الطرح والطريقة التي عهدتها وفهمها وطبقها الباباوات في حكوماتهم ،ذلك أن الدولة في الإسلام تقوم على المساواة في القانون ، فكل الناس مهما تمايزت أحوالهم ومكانتهم تحت القانون سواء في الحقوق والواجبات ، بما يكفل الحق لكل مواطن بأن يتقلد المناصب السياسية الحساسة في الدولة دون أي تفرقة ،كما أتاح الإسلام الحق في العبادة أو حرية العبادة للجميع على حد سواء ،حتى المبادئ الاجتماعية في الدستور الرئيس للدولة توافق جميع الديانات ، وإن كان الاهتمام بتعزيز العقيدة الإسلامية في بعض البنود إلا انه لم يميز المسلمين عن غيرهم بمنافع ومصالح خاصة بهم ،إن الإسلام يختلف في منهجه ونظمه عن النظرة الغربية للدين ،فالإسلام كدين لم يقتصر على العبادة والتدين ،فهو منهج حياة منهج حركي للحياة يدور في فلك العبادة ، وهو أسلوب صالح ونافع للحياة الكريمة ، ويتعاضم فيه الجوهر على المظهر المادي ،لذلك لم يعرف الإسلام وشريعته ما يسمى برجل الدين ، بل عرف ما يطلق عليه عالم الدين ، وعليه فلا وجود لهذا الطرح في الإسلام قط ، فالعلمانية والثيوقراطية فهم غريب لا ينظم ومفهوم الإسلام الجامع والمتكامل ، ويكشف الأستاذ أنور عن هدف تلك الشبهة ، فيبين أن العلمانيين أرادوا أن

يرهبوا المجتمعات من حكم الإسلام ، والحيلولة دون تطبيق نظام الحكم الإسلامي على المجتمعات العربية والإسلامية، خاصة وشعوب الأرض عامة (١).

-أن الحكومة في الإسلام تطبق مبادئ الإسلام ، ليست إلهية ، بل هي بشرية تخضع للنقد وتأخذ بالشورى (٢)،

ومن هنا فقد أثبت انقسام النظرة الغربية الكهنوتية عن نظرة الإسلام في نظام الحكم والسياسة ، وأكد بأن علماء الدين في الإسلام لا يتجاوز دورهم التوجيه للحكام والقادة ، فليست لهم سلطة إلهية كما عرف في الفكر الباطني (أي أفكار الشيعة) ، أو الفيض الإلهي ، ويمكن حمل تلك النظرة على النظرية الفكرية القائلة بأن المعرفة تعتمد على الحواس والعقل ، حيث بنى العلمانيون نظرتهم عليها ، في حين يتغايير منظور الإسلام للمعرفة إذ يعتمد على العقل والوحي معا ، فلا يمكن أن يتجاوز العقل دور الوحي كمصدر من مصادر المعرفة ولا الوحي العقل ، فكل يدور في المسار الذي خطط له ، وحدد من أجله ، وعليه فإن ما ذكره المفكر أنور الجندي قد أصاب كبد الحقيقة ، ذلك أنه اعتمد على الحقائق التاريخية في إبطال دعوى الخصم ، وفسر تلك النظرة في إطار مناخها الزمني الخاص بما يتفق والمنهج التاريخي في البحث والتحليل .

ب- نظرية نسبية الأخلاق :

أخذ العلمانيون بالقول بأن الأخلاق تتغير باختلاف الزمان والمكان ، وهي قابلة للتطور ، وليس هناك قيم ثابتة ، وهذا المنطلق كما يشير الأستاذ أنور الجندي يرمي ويهدف إلى التحرر والتجرد من الضوابط الأخلاقية ، والمثل والقيم العليا ، ويرى أن هذه النظرية تمثل الاتجاه الفلسفي المادي ، الذي يعتقد أن الحياة نهاية كل شيء كما تصورت (الدهرية) ، في تنكرها للغيب وما يتعلق بالبعث والجزاء وجملة ما يقع تحت الحس أو التجربة (١) .

وأجاب على ذلك بأن الأخلاق في مفهوم الإسلام ثابتة لا تقبل التطور ، ويعلل ذلك الترابط بارتباطها بالإنسان نفسه ، حيث شكلت قواه على النحو الذي يجعله قادرا على تبين طريقه في أي عصر وفي أي بيئة ، وقوام الأخلاق في الإسلام: الحرية والاختيار ، فالحرية مقيدة بالأخلاق ، والاختيار مقيد بالتكليف ، والإرادة حركة داخلية صرفة ، وعلى هذه القاعدة

(١) انظر : سموم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية ، ص ٥٨-٥٩ ، انظر : آفاق جديدة للدعوة الإسلامية في عالم

الغرب ، أنور الجندي ، ص ١٩٩ ، ط الثانية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م مؤسسة الرسالة - بيروت .

(٢) أصالة الفكر الإسلامي في مواجهة التغريب ، ص ١٨٣ .

(٣) انظر : سقوط العلمانية ، ص ٨٩ ، انظر : في مواجهة الحملة على الإسلام ، ص ١٨٣-١٨٥ .

رفع الإسلام العذر عن المكره ، لانتفاء الاختيار المبعث من الرغبة ، ويمثل لحرية الاختيار بالعمل الخلفي ، حيث يشير إلى ارتباطه بالرغبة والإرادة المتأصلة في أعماق النفس من هنا فقد وازن بين التكليف الرباني واعتبارات الواقع ، وهذه هي الواقعية في الطرح الإسلامي .

وقد استنتج الجندي من تلك الاعتبارات الشرعية ، ارتباط الخلق بالمسئولية الفردية ، لذلك فهو يكشف عن رغبة العلمانيين في إنكار الغيب والبعث والآخرة والجزاء ، حيث يرى أنهم يريدون القضاء على فكرة الإلزام التي هي في واقعها أساس تطبيق الأخلاق ، فرتب على عدم الإلزام انعدام المسئولية وإذا انعدمت المسئولية يضيع الحق ويتمكن الظلم ، ويضيف بأن الأخلاق في الإسلام مضبوطة ، حتى تمنع صاحبها من الوقوع في الشر والظلم ، تلك الضوابط التي أعطت للناس في مختلف عصورهم ومنحتهم الحرية والقدرة على الحركة والتناغم مع متطلبات الحياة ، واختيار بما يحقق السعادة في جو من الحرية الفكرية في حدود الثوابت الشرعية ، ويرجح الجندي ذلك الثبات ارتباطه بالعقيدة الإسلامية ، وهذا هو سر قوتها وديمومتها ، لذلك حرص الفكر العلماني بعرض نظرية النسبية على النحو الذي عرفته الفلسفة المادية المنكرة للغيب ، فإذا أنكر البعث والجزاء زال التكليف فإذا زال التكليف ، أصبح بمقدور الإنسان أن يتصرف بحرية صرفة دون ظابط من خلق أو وازع من دين ، وهذا ما حرص عليه اليهود والفكر التلمودي والصهيونية العالمية على ترسيخه فكرا في المجتمعات الإسلامية (١) .

ويفرق الأستاذ أنور بين الأخلاق والتقاليد ، ليفصل بين ما هو نسبي وما هو ثابت ، فالأخلاق ثابتة ، لا تقبل التطور أو النسبية ، ولا تتعرض للتحويل والتغير ، لارتباطها ببناء الإنسان نفسه ، وليس ببناء المجتمعات ، ومصدرها العقيدة الثابتة ، مبعث الحق الواحد والخير الواحد على اختلاف الأزمنة والأمكنة ، أما التقاليد فهي متغيرة ، لارتباطها بعبادات تختلف من بيئة لبيئة ومن زمان لزمان ، وهي مرتبطة بالمجتمعات (٢) .

وجماع القول : إن تلك النظرية قائمة على التحرر من الدين ، وهذا مكمّن فسادها فالعقل والفطرة السليمة تقر بالحساب والجزاء والعقوبة ، وتقرن بين الحرية والجزاء والمخالفة والعقاب ، ولا يمكن أن تعيش البشرية حياة كريمة إلا إذا التزمت بقواعد خلقية ثابتة ، تحفظها من الاندثار .

(١) أصالة الفكر الإسلامي في مواجهة التغريب ، ص ١٨٣ ، عالمية الإسلام ، ص ٩١ .

(٢) انظر : عالمية الإسلام ، ص ٩٣ - ٩٤ ، انظر : خصائص الأدب العربي ، ص ٣٧ .

ولا يمكن لإنسان تجاوز الرذيلة إلا في إطار التكليف والحساب ، وقد أكد القرآن هذه الحقيقة ، ففي القرآن اقتران الذنب بالعقوبة في إطار المسؤولية الفردية قوله تعالى : "أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ" (٣) في الآية يتقرر أمران : أولها انعدام مطلق المساواة بين الملتمزم بالضوابط الخلفية في إطار التكليف وبين المتحرر منها، وثانيها اقتران العقيدة بالخلق في عمومياته على دائرة الثبات ، فالعقيدة الإيمانية مصدر الخلق ، والمرجع في التقبيل والتحسين ، ونظير ذلك قوله تعالى : (وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا) (٤)

وقوله تعالى : (فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ) (١) وقوله جل شأنه : (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ) (٢) وما ذلك الدافع الذي يحرك الناس في سلوكهم وتطبيقاتهم العملية لمنهج الخلق إلا من خلال الضمير الإنساني المحكوم بالرقابة الدينية ، ومن هنا كان الخطأ في مسيرة العمل الفكري والاجتماعي والسياسي والعلمي في الفكر العلماني وفكر الغرب عموماً ، إذ سار في طريق الفلسفة التي ليس لها ضابط عام يحكمها ، فاضطربت في زحمة المذاهب والآراء والأهواء ، فأصابها التصدع والانهيال والتمزق في جميع القطاعات ، في حين كان ولازال المنهج الإسلامي عصياً على الانهيال ، ذلك لانطلاقه من قاعدة الثبات والمواظبة.

ومما يحسب للمفكر أنور الجندي هنا، قدرته على تحليل المذاهب والأفكار، كما يحلل الكيميائي العناصر إلى مادتها الأولى ،ففي نظرية النسبية وجدناه يناقش تاريخها وجذورها وارتباطاتها التشعبية بعين رجل التاريخ ، وفي مخاطبة منهجياتها كرجل الاجتماع ، وفي طرح الردود عليها كفيلسوف ، ومن ثم فهو يحاكمها في ضوء الدليل الساطع ،الذي يجمع فيه بين العقل والشرع والواقع التاريخي ، لذلك كان من العسير على الباحث أو أي باحث أن يأخذ عليه في موافقه وأفكاره ؛لأنها مستمدة من المنابع الأصيلة ، وتعبّر عن العقلية الإسلامية المتبصرة بمقاصد الدين ولا يعني ذلك العصمة.

ت - تطور الشريعة الإسلامية وخروجها عن قاعدة الثبات:

(٣) سورة الجاثية : الآية ٢١ .

(٤) سورة طه : الآية ١١٢ .

(١) سورة الأنبياء: الآية ٩٤ .

(٢) سورة الزلزلة: الآية ٧ .

يؤمن العلمانيون بأن كل شيء يتطور ولا يوجد ثبات مطلق، ويريدون إسقاط هذه النظرية على الشريعة الإسلامية، بل كل الأيديولوجيات والمناهج التي تدخل في قاعدة التطور، متغافلين الحقائق والفوارق التي بينها .

رفض الفكر أنور الجندي هذه النظرية، واعتبرها نظرية مضللة، ووصفها بأنها قلب الهجوم على الدين بعامة والإسلام خاصة، ويرى بأن الشريعة الإسلامية على النقيض من فلسفة التطوير، ويفسر هذا التناقض بأن الشريعة دائمة، ثابتة وصالحة لجميع البيئات والأزمنة، في حين تقوم هذه النظرية على نبذ كل ما هو ماضي وإلغاء كل ما هو ثابت ويمكن أن يطلق عليه الحداثة^(٣)

والإسلام قسيم مختلف عن الفلسفات التي تتطور وتتجدد لتباين الآراء فيها، وليس معنى هذا أن الإسلام يرفض التغيير، لكنه فرق بين الثابت والمتغير ووضع الضوابط لذلك، فالتطور في الإسلام منضبط يتحرك في إطار المتغيرات، في حين هنالك ثوابت لا تقبل أي تطور مطلقا وهي ثوابت العقيدة، وينسحب هذا على نظرية الأخلاق لأنها مرتبطة بها^(١).

ث - البرهان العقلي على فساد نظرية التطور :

يتساءل أنور الجندي عن جريان الحركة والتطور، هل تجري في الفراغ المطلق؟ أم تجري داخل إطار ثابت؟ على طريقة السبر والتقسيم^(٢) وبناء عليه لا يمكن أن يقر العقل بالتطور من فراغ، إذ لا بد لكل متحرك من إطار أو فلك معلوم، ومن هنا يرى استحالة أن تجري حركة التطور عشوائيا من غير نظام ثابت^(٢).

ج - سقوط نظرية التطور المطلق في ضوء الحقيقة العلمية :

يقضي المفهوم العلمي بضرورة وجود عناصر ثابتة وعناصر متغيرة، ينسحب عليها التطور، في علاقة تكاملية وتوازنية بين عناصر الثبات وعناصر

^(٣) الحداثة : هي مصطلح مراوغ يضم تحت رداؤه نخبة من أصحاب الفكر ومحدثي الأدب الذين يتفقون فيما بينهم على قطع العربي بماضيه تماما، سواء كان هذا الماضي (العقيدة الإسلامية أو التاريخ أو التراث) اللهم إلا ما اتفق من هذا التراث =مناهجهم سواء تمثل في التزعات الشعبوية أو الباطنية أو الإلحادية (الزنادقة). أصالة الفكر الإسلامي في مواجهة التغريب،

ص ١٩٩

^(١) انظر : المصدر السابق : ص ٤٩ - ١٨٣ .

^(٢) السبر والتقسيم : هو اختبار أوصاف المحل، بإبطال أن يكون واحدة منها علة للحكم، وهذا الأسلوب استخدمه القرآن الكريم في مواضع كثيرة لإبطال دعوى الخصم / انظر : مباحث في علوم القرآن، د. مناع القطان، ص ٣٠٣، ط ٣٥ ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، مؤسسة الرسالة، لبنان .

^(٢) انظر: سقوط العلمانية، ص ٨٢-٨٣ وانظر: سقوط نظرية دارون، أنور الجندي، ص ١٠، دار الاعتصام .

التطور ،فالقاعدة العلمية تقول : "الحركة حول محور ثابت " من هذه الحقيقة العلمية يتبدى سقوط هذا الاتجاه الفلسفي^(٣).

ح - الثوابت والمتغيرات في الشريعة في ضوء نظرية التطور :

لقد استمدت الشريعة الإسلامية مفهومها في التطور والثبات من الوجود في القانون الذي يحكم الموجودات ، والتوازن بين ما هو ثابت فيها وما هو متغير في تناسق غريب ،بحيث تدور المتغيرات في إطار قواعدها الثابتة ، يقيم أنور الجندي الأدلة على تلك الحقيقة ، فيقسم ما ورد في القرآن إلى قسمين:

١ - الثابت :

فالثبات في الإسلام يكون في الأهداف والغايات العليا ،ويعني بذلك الأصول والمنطلقات العقائد ما يتعلق بتوحيد الله ، وحقيقة الإنسان ، ووحدة الجنس البشري ، وحدود الله في النصوص القطعية الثبوت والدلالة في الزواج والطلاق والميراث ، وفي المحرمات الثابتة كالسحر والقتل والزنا وأكل الربا وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات والتولي يوم الزحف والغضب والسرقه والغيبه والنميمة ،وفي الأركان العملية الخمسة : الشهادة واقامة الصلاة والزكاة ، وصوم رمضان ،والحج وما يتعلق بالآخرة البعث والجزاء والرسائل السماوية والسنن الإلهية وحتميتها في القوانين الطبيعية والكونية ، والثبات إلى ثبات الجوهر الذي تنطلق منه ،فهذه كليات الدين وقواعده الأساسية ، أبدية لا يمكن لنظرية التطور أن تغير فيها^(١) ، ويذكر أدلة الشرع التي تمثل لجانب الثبات ويذكر منه قوله تعالى : (وَأْمُرْهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ)^(٢) وقوله : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا)^(٣) وقوله : (لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ)^(٤) وقوله : (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالِدَمُّ)^(٥) قد عبرت تلك النصوص القطعية

(٣) انظر : سقوط العلمانية ، ٨٢-٨٣.

(١) انظر : حقائق مضيئة في وجه شبهات مثارة ، ص ٥٧ - ٨٥ ، سقوط العلمانية ن ص ٨٤ ، قضايا مثارة تحت ضوء الإسلام

، أنور الجندي ، ص ٤٤ - ٤٥ ، دار الاعتصام .

(٢) سورة الشورى: الآية ٣٨ .

(٣) سورة النساء: الآية ٥٨ .

(٤) سورة آل عمران: الآية ٢٨ .

(٥) سورة المائدة : الآية ٣ .

الثبوت والدلالة عن جانب الثبات في الشريعة ، الذي لا يمكن أن يتطور أو يخضع للاجتهد، وهذا التأصيل قاطع في بيان حقيقة المنهج الإسلامي ويتجلى فيها العموم

٢- المتغير : يبرز جانب المتغير في المصادر الاجتهادية ، التي يختلف الفقهاء في حجيتها وتمثل في جزئيات الأحكام وفروعها العملية ، وخصوصا ما يتعلق بالكيفيات والإجراءات المتصلة بالنصوص ظنية الثبوت ظنية الدلالة ، أو التي لم يرد بها نص ظاهر. ، ويستدل بأدلة الشرع التي يمثل جانب الليونة منها :

قوله تعالى : (إِنَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ) (٦) وقوله : (إِنَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْأَيْمَانِ) (٧) وقوله : (لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِنَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا) (٨) وقوله : (فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (٩) يستنتج الجندي من تلك الاستثناءات مرونة التشريع الإسلامي ، ومدى واقعيته ، ومراعاته لظروف وأحوال الحياة المختلفة ، ويحذر من جعلها قواعد أصيلة في الفكر والسلوك ، فهي منطلقة من قاعدة الثبات التي تترابط مع قاعدة التغير ، وليس التغير بمعنى الخروج عن الأصول، إنما في الوسائل والأساليب ، ولذلك فقد أرجع فساد فكرة التطور في الشريعة إلى قصور الفهم في الفرق بين الشريعة والفقہ ، فيذكر أن الشريعة عبارة عن تلك النصوص الشرعية من مصدريها القرآن والسنة ، قطعية الثبوت والدلالة ، وبلغت درجة الكمال منذ انتقل الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى الرفيق الأعلى ، فالتطور الذي معناه : الانتقال من طور إلى طور فهذا لا يحمل على تلك النصوص مطلقا ، فمصدرها إلهي ، وفي حديثه عن الفقه الإسلامي اعتبر التطور أمراً وارداً شريطة أن يقصد به العمل والمجهود الإنساني لعلماء المسلمين في فهم نصوص الشريعة الإسلامية واستنباط أحكامها سواء فيما يتعلق بالجزئيات والفرعيات أو بالكليات في ضوء النصوص والمقاصد العامة للتشريع (١).

بذلك التأصيل الذي اعتمده المفكر أنور الجندي في إسقاط نظرية التطور وعدم واقعية إسقاطها على الفكر والمنهج الإسلامي ، تبين أن الإسلام له مفهومه الخاص ومنهجه

(٦) سورة آل عمران: الآية ٢٨ .

(٧) سورة النحل: الآية ١٠٦ .

(٨) سورة النساء : الآية ١٤٨ .

(٩) سورة البقرة: الآية ١٧٣ .

(١) انظر : أصالة الفكر الإسلامي في مواجهة التغريب ، ص ٥١ .

الذي يستغني به عن كل المناهج البشرية ، ذلك انه مستمد أساسا من الوحي فكيف يمكن أن يعرض للمقارنة مع فلسفات الأرض ؟ إن ذلك من محالات العقول ، وبذلك تسقط كل الدعاوى التي تتادي بتجديد الدين أو تجديد الفكر الإسلامي ، أو تعديل الشريعة ونحوها من الدعوات المشبوهة ، وكنا ولا نزال نسمع عن علم مقارنة الأديان الذي أصبح مجالا للدراسات الحديثة والدعوة إلى وحدة الأديان ، ليعرض الإسلام على أنه دين أسوة ببقية الفلسفات والعقائد الوضعية والمنحرفة ، ومن ثم يخضع للمقارنة والنقد والتصحيح ، أو دعوات التقارب الديني لا سيما بين الإسلام والمسيحية ، بحيث تسقط أيديولوجيات الصراع بين الحق والباطل ، فكل هذه الدعوات يجب أن نفطن إليها ، لاسيما ونحن بصدد الحديث عن خصائص ومعالم المنهج الإسلامي ، ومدى شرعيته ومواءمته للحياة البشرية المتجددة ، وقدرته على التكيف مع ظروف الناس وأحوالهم ، لأنه جمع بين الإلهي والبشري .

الكشف عن هدف العلمانيين من تطوير الشريعة :

كشف المفكر أنور الجندي عن محاولة فرض نظرية التطور المطلق وإسقاطها على الشريعة الإسلامية ، حيث رأى بأن هذه الفكرة تخضع للمذهب المادي الذي ينكر كل ما هو غيبي ، ولا يؤمن إلا بما يقع تحت الحس ، ورأى أنها السبيل إلى نزع القداسة عن الدين ، والقيم والأخلاق والتهكم عليها ، والتحلل والإباحية ، والقضاء على فكرة الدين وما يتعلق بها من إيمان باليوم بالله واليوم الآخر ، بمعنى نقل الإسلام من الربانية إلى البشرية ، من نظريته الجامعة إلى التجزئة والانشطارية بين القيم ، ومن التكامل بين المادة والروح إلى المادية الوثنية، وبذلك تزول الذاتية الإسلامية من تميزها (1) .

وما من شك أن تلك الأهداف تمثل المخططات التلمودية في غزو الفكر الإسلامي ، فقد لا حظنا فيما سبق عند الحديث عند الترابط بين التلودية والعلمانية أثر المادية التلمودية في الفكر العلماني ، حيث تنتهي غايتها إلى القضاء على الأديان وتدمير القيم والتحرر من القيود الدينية ، تلك هي الغاية التي تلمسها المفكر أنور الجندي وهو يستقرئ تطبيقات الفكر التلمودي في الممارسة السياسية والفكرية والتربوية على الواقع المعاصر مع مقارنته ، والأهداف التي سجلتها محافلهم .

وبعد بطلان نظرية التطور في الفكر العلماني ، وعدم قابلية الإسلام لمبادئها وانفصالها نظريا وعمليا وفكريا عن مقومات الإسلام ، يتعين القول بسقوط العلمانية بكل المقاييس والاعتبارات العلمية والفكرية والعقلية ، وظهور الإسلام واستعلائه عن كل مناهج

(1) انظر : حقائق مضيئة في وجه شبهات مثارة ، ص ١١٢

الأرض في محدوديتها وقصورها وضعفها ، وصدق الحق إذ يقول : (مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)^(٢) .

ثانيا (موقفه من دعاة العلمانية) :

١- علي عبد الرازق :

شاء الله أن تمتحن الحياة الفكرية بفتنة ضارية أثارها كتاب: "الإسلام وأصول الحكم" لعلي عبد الرازق-الذي صدر في سنة (١٣٤٥هـ = ١٩٢٥م) وأثار ضجة كبيرة وانبرت الأقلام بين هجوم عليه ودفاع عنه، وقد صدم الكتاب الرأي العام المسلم، إذ كان بمثابة صيحة تغريبية ظالمة ، تحاول القضاء على مفهوم الإسلام الذي جمع بين الدين والدولة ، وكان المفكر أنور الجندي واحدا من الذين هاجموا هذا الكتاب ليكشفوا زيفه بالحجة القوية والاستدلال الواضح والعلم الغزير .

أ - الشبهات التي تناولها كتاب الإسلام وأصول الحكم :

يذكر الأستاذ أنور الجندي بأن هذا الكتاب جاء ليذيع جملة من المفاهيم الخاطئة للقضاء على الإسلام ومفهومه الجامع وتتمثل في :

١- وصف الشريعة الإسلامية بأنها روحية (مفهوم الدين العبادي القائم على الروحانيات) ، لطمس دور الدين في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ونحو ذلك ، بمعنى هدم الإسلام بتعطيل مفهومه الجامع ، وقطع صلة الدين بالنظام الحياتي مطلقا ، زعم أن الإسلام ليس دين حكم، وأنكر وجوب قيام الخلافة الإسلامية، ونفى وجود دليل عليها من الكتاب والسنة، وكانت الصدمة أن يكون مؤلف هذا الكتاب عالماً من علماء الأزهر.^(١)

٢- الزعم بأن جهاد النبي - صلى الله عليه وسلم - كان الغرض منه الملك لا الدين، على طريقة الماركسيين ، الذين فسروا التاريخ الإسلامي تفسيراً مادياً .

٣- الافتراء على نظام الحكم في عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - بوصفه أنه كان موضع غموض وإبهام ، واضطراب ، وحيرة .

٤- قصر مهمة النبي - صلى الله عليه وسلم - على تبليغ الشريعة ، وتجريده من الحكم والتفويض .

^(٢) سورة يوسف: الآية ٤٠

^(١) انظر : أصالة الفكر الإسلامي في مواجهة التغريب ، ص ٣٣٠-٣٣١

٥- نفي وجوب الإمامة على الأمة ، بإنكار الإجماع الذي عمل به الصحابة والذي نص على وجوب تنصيب أمام وخليفة للامة يقوم بأمرها في الدين والدنيا ، بمعنى تعطيل الخلافة .

٦- إنكار شرعية القضاء الشرعي في الإسلام ،حيث عدّها متفرعة من الخلافة ،والخلافة لا اعتبار لها في نظره كما سبق .

٧-التجني على حكومة الخلفاء الراشدين بنزع الصفة الدينية على نظام الحكم فيها ،باعتبارها لادينية^(١) .

ويعلق الأستاذ أنور الجندي على تلك الشبهات ، حيث اعتبرها أخطر مؤامرة على الإسلام ، ويرى أن آراء الكتاب تمثل وجهة نظر الاستشراق الصهيوني التلمودي الهدام ،واصفا مؤلفه بأنه كان مضللا ومخدوعا ،مع نفي صلته بالاجتهاد والعلم والإمامة ، وبهذا ينفي الجندي صلة هذا الكتاب بالفكر الإسلامي ، ويسقط الدعوى القائلة بأن هناك رأيين عند علماء المسلمين ، أي يقول بالترابط بين الدين والدولة ، والرأي الذي لا يرى أي ترابط بينهما ، فيجيب على ذلك : بأن مفهوم الإسلام أنه دين ومنهج حياة ونظام مجتمع ،وليس هناك رأي آخر أو مفهوم مغاير لهذا التصور عرف في تاريخ الإسلام^(٢) .

ب - النصوص التي اعتمد عليها في كشف شبهات من كتاب أصول الحكم :

القضية الأولى : الإسلام دين لا دولة وروحانية الحكومة الدينية : فقد جاء في كلامه الاستدلال على فكرته بالسؤال فيقول علي عبد الرازق : "... فاعلم أن المسألة الآن هي : أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان صاحب دولة سياسية ورئيس حكومة ، كما كان رسول دعوة دينية وزعيم وحدة دينية أم لا ؟؟ " ^(٣) .

يجيب عن السؤال الذي طرحه ،ويعلن عن رأيه وفكرته في تلك القضية فيقول : " ولاية الرسول على قومه : ولاية روحية ، منشؤها إيمان القلب ، وخضوعه خضوعا صادقا تاما ، يتبعه خضوع الجسم ، وولاية الحاكم : ولاية مادية ، تعتمد إخضاع الجسم من غير أن يكون لها بالقلب اتصال ، تلك ولاية هداية إلى الله وارشاد إليه ، وهذه ولاية تدبير لمصالح الحياة وعمارة الأرض ، تلك للدين وهذه للدنيا ، تلك لله ، وهذه للناس ، تلك زعامة دينية وهذه

(١) انظر :إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام ، ص ٦١-٦٢ ، انظر : جيل العمالقة والقمم الشوامخ في ضوء الإسلام ، أنور الجندي ، ص ٩٦

(٢) انظر : نظريات وافدة كشف الفكر الإسلامي زيفها ، أنور الجندي ، ص ١٧ ، دار الاعتصام ، القاهرة

(٣) الإسلام و أصول الحكم ،علي عبد الرازق ، ص ٤٧ ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٩٢٥م ، مطبعة مصر

زعامة سياسية ، وما أبعد ما بين السياسة والدين " (٤) بهذا فصل بين الدين والسياسة ، وفرق بين الزعامة الدينية والسياسة على النحو الذي جرى في ثقافة المسيحيين في القرون الوسطى ، تحت القاعدة المشهورة ما لله لله وما لقيصر لقيصر ، يؤكد ذلك بقوله : " ولقد كان عيسى ابن مريم - عليه السلام - رسول الدعوة المسيحية ، وزعيم المسيحيين ، وكان مع هذا يدعو إلى الإذعان لقيصر ويؤمن بسلطانه ، وهو الذي أرسل بين أتباعه تلك الكلمة البالغة : أعطوا ما لقيصر لقيصر ما لله لله " (١) وهذا القول يمثل النظرة المسيحية ومحاولة تمريرها على الإسلام ، ومحاولة تبرير تلك الفكرة بالتجني على نبي الله عيسى باتهامه بأنه كان علمانيا ، ذلك أنه فصل بين الدين والدولة من جهة والسياسة من جهة أخرى .

القضية الثانية: نفي الإمامة والقضاء الشرعي يقول في هذا : " تكلم عيسى ابن مريم عن حكومة القياصرة ، وأمر أن يعطى ما لقيصر لقيصر .. فما كان هذا اعترافا من عيسى بأن الحكومة القيصرية من شريعة الله ، ولا مما يعترف به دين المسيحية ، وما كان لأحد ممن يفهم لغة البشر في تخاطبهم أن يتخذ من كلمة عيسى حجة له على ذلك ، وكل ماجرى في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم - من ذكر : الإمامة والخلافة والبيعة لا يدل على شيء أكثر مما دل المسيح حينما ذكر بعض الأحكام الشرعية عن حكومة قيصر ، فإن كان النبي صلى الله عليه وسلم قد ذكر البيعة ، والحكم والحكومة ، وتكلم عن طاعة الأمراء والولاء وشرع لنا الأحكام في ذلك ، فوجه ذلك ما عرفت وفهمت " (٢) .

من جملة هذه النصوص وغيرها تتعين خطورة هذا الكتاب على الفكر الإسلامي ، وتتضح صورة الاتهام الموجه لمؤلفه ، وحقيقة ما نسب إليه من المظان التي سبق ذكرها ، بما لا يدع مجالاً للشك في خدمتها للمخططات التلمودية .

ب - صلة الكتاب بمؤلفه (علي عبد الرازق) :

يرجح الأستاذ أنور الجندي نسبة هذا الكتاب للمستشرق اليهودي (مرجليوث) حيث يرى أن حاشية هذا الكتاب على متنه ، ويلخص دور الشيخ علي عبد الرازق بأنه كان صيدا ثمينا للمستشرقين ، حيث تلقفته واصطنعت منه أداها لهدم الإسلام ، تحت اسم التجديد في الفكر الإسلامي ، ويفيد بأن الشيخ علي خضع للدراسات والأفكار الإستشراقية ، ومن ثم تهيأ لدوره المناط به ، فقدم اسمه على الكتاب الذي هو في الأصل لمؤلفه "مرجليوث" وأضاف إليه بعض النصوص العربية ، وقد اقتبسها من كتب الأدب كالعقد الفريد التي لا تعد في الحقيقة

(٤) المصدر السابق : ص ٦٩ ، انظر جيل العمالقة والقمم الشوامخ في ضوء الإسلام ، ص ١٠٤

(١) الإسلام وأصول الحكم ص ٤٩

(٢) المصدر السابق ص ١٨-١٩-٢١

مصدرا أصوليا وشرعيا أو تاريخياً، وهكذا كشف الجندي عن طريقة أعداء الإسلام في غزو فكرنا الإسلامي ، فهم يصنعون الشبهات ، ثم يختارون لها من الأسماء العربية لتقوم بتسويقها وإذاعتها في محيط المجتمع الإسلامي ، فهم يدركون بأن هذا الأسلوب فيه خديعة للامة ، ويقيم دليلا على ذلك باهتمام المستشرقين بطبع هذا الكتاب

واتخاذة مادة علمية للطعن والتشكيك في الإسلام ، لا سيما فيما يتعلق بالخلافة ، (١) حيث اعتمد هذا الكتاب على جملة من الكتب التي صدرت في تركيا لتبرير إلغاء الخلافة ، ويقف الجندي عندها فيفيد بأنها مؤلفات كتبت بأقلام يهود الدونمة ، الذين تطلعوا لتحطيم الخلافة الإسلامية ، والنفوذ إلى فلسطين ، بعد أن شكل السلطان عبد الحميد حائلا أمام أطماعهم الاستعمارية ، ويرجع شبهة اتصال الكتاب بمؤلفه انه مستفاد من نظريات الفكر المسيحي حول البابوية وفكرة الفصل بين الدين والدولة ،الذي كان نتيجة لصراع طويل بين الكنيسة والشعب ، فاعتماده على تلك النصوص والأفكار فيه تأييد واضح لدعوات المستشرقين اليهود (٢) .

يؤكد هذا الحقيقة الدكتور محمد البهي في كتابه الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، بقوله : " وكتاب (الإسلام وأصول الحكم) من كتب التجديد في الفكر الإسلامي الحديث - يعالج أو يعرض دعوى : (إن الإسلام دين لادولة) وفي عرضه لهذه الدعوى : يستعير من الدراسات الإسلامية للمستشرقين : القساوسة الصليبيين ، واليهود الحاقدين ماله من آراء في هذا الجانب ، وما لهذه الدراسة من أصول تواضعوا عليها عند النظر إلى الإسلام ، لا نتيجة لبحث نزيه ، ولكن انبثاقا عن غرض خاص ! " (٣) .

والواقع أن الترابط بين المنهج العلمي الذي عرض به الكتاب ، وأفكار المستشرقين ، والظروف السياسية التي رافقت ظهور ونشر هذا الكتاب يقطع بصلته بغير المسلمين ، وترابطه مع الفكر التلمودي الاستعماري ، الذي استفاد من النتائج التي يقدمها الكتاب خصوصا فيما يتعلق بقضية فلسطين و الخلافة ، إن مجموع هذه القرائن التي قدمها الأستاذ أنور الجندي فيما يتعلق بجذور هذا الكتاب يؤكد مدى

(١) انظر : إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام ، ص ٥٥ - ٥٦ ، وانظر : جيل العمالة والقمم الشوامخ في ضوء

الإسلام ، ص ٩٧

(٢) انظر : نظريات وافدة كشف الفكر الإسلامي زيفها ، ص ١٨

(٣) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، ص ٢٠٦ - ٢٠٧

تساقت علي عبد الرازق ودعاة العلمانية بعامه في التبعية العمياء للفكر الغربي الملحد .

ت - قرائن وأدلة الانتحال لكتاب أصول الحكم :

يذكر الأستاذ أنور قرائن علمية تمنع صلة علي عبد الرازق بكتاب أصول الحكم ونسبته إلى المستشرقين ، يلخصها في التالي :

١- : مؤلف الكتاب أكثر من واحد

ويستدل على ذلك بأن اسم الكتاب مترجم عن التركية طبعة عام ١٩٢٤م ، في حين وجد فقرة تنص على تاريخ آخر للتأليف قبل عام ١٩١٨م، إضافة إلى ذكر السلطان محمد الخامس ، واستفاد من التعليق في الهامش على أنه قد كتب في عهده ، فتفاوت الزمان واضطراب اسم المؤلف يؤكد على أن المؤلف لأكثر من واحد .

٢- : غرابة الخطاب:

يؤكد على أن مؤلف الكتاب ليس مسلما ، وقرينة ذلك أن المؤلف كان يتحدث عن العرب بضمير الغائب، ولا يتحدث عن ذاته على نحو نحن العرب أو العرب ، مما يشير إلى انفصاله عنهم^(١)

٣- : تكرار عبارات المسيحية والغرب :

لاحظ على المؤلف الاعتماد بكثرة على عبارات وتعبيرات لا تصدر عن المسلم الحق ، فقد كرر المؤلف عبارة " دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله " فهذا التعبير غريب على اللسان العربي المسلم .

٤- : التعاطف مع الحركات الخارجة على الإسلام :

أستدرك على المؤلف تعاطفه مع المرتدين الذين وجهوا ضربة قاسية إلى الدولة الإسلامية في خلافة أبي بكر الصديق ، وتحامله على أبي بكر الصديق بإنكار خلافته، وتفسيره للحرب التي كانت على المرتدين بأنها نزاع على الملك والسلطة ، ولم تكن دينية ، مبينا أن الحرب كانت بسبب رفض المرتدين للانضمام لوحدة أبي بكر ، ووصفا الحكومة بأنها حكومة أبي بكر ، بمعنى ليست حكومة الإسلام ، ويجب الأستاذ أنور على ذلك ، ببيان أن وحدة أبي بكر هي وحدة المسلمين ، وأشار إلى أن من يتهم على الصحابة والخلفاء ويعاديهم لا يمكن أن يكون مسلما بحال ، ومن يظاهر أعداء الإسلام لا يمكن أن يكون كاتباً مسلماً بالمطلق .

(١) انظر : إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام، ص ٥٩

٥- : غرابية الأسلوب :

لقد أخذ الجندي على أسلوب الكتاب خروجه عن الأسلوب العلمي والطريقة الأزهرية في التأليف، ولاحظ أنّ طريقة الغرب تغلب على الأسلوب الذي عرض به الكتاب على النحو الذي لم تعهده الكتابات العربية ، فقد لا حظ فيه المراوغة والمناورة وعدم الوضوح ، وصورة ذلك أنه يعرض الشبهة ، ويتظاهر بإنكارها ، ولا يرد عليها ، ومن ثم يعرض تهمة أخرى وهكذا ، ويعيب على عباراته حيث اتسمت بالغموض ، واستنتج من ذلك : أن الكتاب كتبه رجل سياسي خبير بالتحايل والمناورة ، وهذا أسلوب غربي عهد في كتاباتهم ، وأكد بذلك على أن الكتاب في أصله مترجم وليس عربياً^(١).

٦- : عدم شهرة المؤلف بالكتابة والتأليف :

لم يعهد عن علي عبد الرازق انه كان كاتباً أو مؤلفاً في عرف المؤلفين والكتاب الأزهريين ، وأفاد بأن كل ما كتبه على عبد الرازق كان كتباً في اللغة العربية أو في علم البيان ، ولم يكتب غيره طيلة حياته منذ أن تخرج في الأزهر ، ويعلل ذلك بأنه لم يتمرس الكتابة والتأليف^(٢).

٧- : رغبة المؤلف في الشهرة والظهور :

يرى الأستاذ أنور أن هنالك سبباً ودافعاً آخر للشيخ علي عبد الرازق في تصدير اسمه على الكتاب ، هو حب الظهور والشهرة ، حتى يوصف بالمحقق أو الباحث أو المجدد ، لا سيما وأن هذه الألقاب أطلقت عليه بالفعل إبان صدور الكتاب ، وإمكانية الانتحال للكتب أمر مألوف في الشرق ، خاصة فيما يتعلق بالكتب الأجنبية ، وفي مثل تلك الكتابات تحديداً^(١) ، من هذا التفسير بنى الأستاذ أنور حكمه على علي عبد الرازق، كما بناء على طه حسين في انتحاله لكتاب الشعر الجاهلي ، والذي كان أساساً من وجهة نظره لنفس المؤلف اليهودي المتعصب (مرجليوث) .

إن تلك القرائن التي استدلت بها الأستاذ أنور الجندي لتأكيد الرابط بين علي عبد الرازق والفكر التلمودي الصهيوني ، والفكر الاستشراقي من جهة ، وحقبة الانتحال التي مثلها في (كتابه الإسلام وأصول الحكم) ، لم تكن بدعا عند العلماء الذين

(١) انظر : أصالة الفكر الإسلامي في مواجهة التغريب ، ص ٣٣٦

(٢) انظر : إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام، ص ٦٠

(٣) انظر : إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام، ص ٦١

عاصروا نشر هذا الكتاب ، فقد عزز الموقف والرأي نفسه كوكبة من خيرة العلماء الذين نهضوا للرد عليه وكشف جذوره ، ونذكر منهم الشيخ محمد الخضر حسين^(٢) ، فقد عمل على تنفيذ دعاوى الكتاب فأصدر كتابه: "نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم" سنة (١٣٤٤هـ = ١٩٢٦م)، تتبّع فيه أبواب كتاب علي عبد الرزاق، مثبتاً فساد مدلولها ، ومعبراً عن خطورتها ، ومجانبتها للحق^(١) .

كما أولى الدكتور محمد البهي عناية بالغة بهذا الكتاب، بغية الرد عليه وإبراز مخاطره والتحذير منه في كتابه (الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار)، حيث قام بتتبع فقراته وتحليلها ، ومن ثم الكشف عن منطلقاتها الفكرية وتربطها مع الفكر الغربي المسيحي والفكر التلمودي الصهيوني ، والدكتور ضياء الدين الريس في كتابه (النظريات السياسية في الإسلام) حيث أثبت الأخطاء التي تولاها الكتاب ، ورجّح نسبة الكتاب إلى المستشرقين اليهود .

ث - أهداف الغرب من نشر كتاب أصول الحكم في الإسلام :

إن تضافر تلك الجهود في الكشف عن مخاطر دعاة العلمانية في العالم الإسلامي ، يجعلنا أكثر حذراً وحيطة من الدراسات التي تأتي من الغرب ، لا سيما وأنها على الطريقة التي أراقتها الشعوبية التي ترمي إلى هدم قاعدة الإسلام ، ومحاولة تنصير المسلمين ، وجعل الإسلام شبيهاً بالفكر النصراني .

وقد اعتبر مؤلف كتاب أصول الحكم المفتاح لغزو الأمة الإسلامية في فكرها ، وفرض النفوذ الاستعماري على بلاد المسلمين ، وفرض الأيديولوجيات الغربية في مجالاتها المختلفة ، لفتح الطريق أمام القانون البشري ، وتحطيم القيود المنيعّة التي وضعها الإسلام حائلاً أمامهم ، ونشر الإباحيات والمحرمات ، والقضاء على الاقتصاد الإسلامي من خلال الربا ، وخلق مجتمع استهلاكي يقوم على الشهوات ، وهدم قاعدة القيم، والمسئولية الفردية^(٢) .

^(٢) ولد محمد الخضر حسين بمدينة نفطة التونسية في (٢٦ رجب ١٢٩٣هـ = ١٦ أغسطس ١٨٧٦م)، ونشأ بأسرة كريمة تعزز بعراقة النسب وكرم الأصل، فحفظ القرآن الكريم، الأدب والعلوم الشرعية، وقرأ فيه علوم الدين من تفسير وحديث وفقه وعقيدة وعلوم اللغة من نحو وصرف وبيان ، مؤلفاته: رسائل الإصلاح ، ووسائل النهوض بالعالم الإسلامي. الخيال في الشعر العربي..وفاته : وبعد استقالته من المشيخة تفرغ للبحث والمحاضرة حتى لبى نداء ربه في مساء الأحد (١٣ من رجب ١٣٧٧هـ = ٢٨ من فبراير ١٩٥٨م)، ودفن بجوار صديقه أحمد تيمور باشا بوصية ، عن شبكة المعلومات العلمية مجلة إسلام

الشخصيات www.islamonline.net/Arabic/history/1422/03/article16.SHTML

^(١) إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام : ص ٦١

^(٢) انظر : أصالة الفكر الإسلامي في مواجهة التغريب ، ص ٣٣٨

وعليه فقد كان علي عبد الرازق بوقاً للفكر التلمودي وللاستشراق الصهيوني، في كل ما ذكره ، ومعول هدم غربي بيد عربية للإسلام وشريعته ، وما كان كتابه إلا ترجمة عملية لهذه المخططات .

٢- الكاتب /خالد محمد خالد:

لقد مثلت آراء الأستاذ خالد محمد خالد ضربة قاسمة للفكر الإسلامي ، وذلك من خلال كتابه (من هنا نبدأ) الذي أنكر فيه أن يكون الإسلام دين الدولة ، مما أثار حوله الجدل في ملابسات تلك الآراء والأفكار الأمر الذي جعله في مصاف العلمانيين أعداء الشريعة الإسلامية ، ومن ثم كان كتابه (الحكم في الإسلام) الذي حاول فيه أن يخرج من الأزمة التي أحاطت به على إثر كتابه الأول ، فكان بمثابة نتصل من آرائه التي أعلنها في الخمسينات ، واعترافه بخطئه فيما يتعلق بالدين والدولة والفصل بينهما ، وفرح الناس لرجوعه عن أفكاره السابقة وعودته إلى الحق ، وبقي هذا التصور قائماً في ذاكرة من أحبه وقرأ كتاباته ، إلا أن اعتقاد المفكر أنور الجندي فيه كان غير ذلك ، حيث اعتبر أن التفسيرات التي قدمها خالد محمد خالد؛ لتبرير موقفه السابق غير مقنعة ، ولا يرى انه خرج عن إشكالية التصور المسيحي فيما يتعلق بالحكومة الدينية ، ويمكن إجمال تلك التفسيرات والآراء التي بنى عليها موقفه من الأستاذ خالد محمد خالد في النقاط التالية :

أ - تبريره للمفاهيم الغربية وتقريبها مع مفاهيم الإسلام :

يذكر المفكر أنور الجندي بأن مجلة الدوحة نشرت عدداً من المقالات للكاتب خالد محمد خالد ، بعد أن أعلن توبته ورجوعه إلى العمل في سلك الدعوة الإسلامية ؛ ليكون قلماً من أقلامها ، إلا أن تلك المقالات والكتابات لم تبدِ تغييراً ملموساً على آرائه السابقة، وذكر الأستاذ أنور حيث كان يرى أنه لم ينزع أفكاره وآراءه إنما ألبسها لباس آخر ، على عادة المستشرقين ، فأدرك عليه خطئه للمفاهيم الإسلامية مع غيرها من المفاهيم الوافدة ، في محاولة لتضييق الهوة بين مفاهيم الغرب ومفاهيم الإسلام ، فأخذ عليه خطئه بين مفهوم الديمقراطية الغربية والشورى الإسلامية ، حيث اعتبر أن الديمقراطية الحديثة هي الشورى ، متغافلاً الانقسام الواضح بينهما ، وإيمانه بالاشتراكية ووصفها بأنها منطبق للعدل الاجتماعي^(١) ويجب الجندي على ذلك ، بأن الإسلام يفضل كل الأيديولوجيات ، ذلك أن المذاهب الوضعية لا تقوى على التواصل والاستمرار في إعطاء البشرية متطلباتها وتتابع المتغيرات في ظل قواعد ثابتة ، فقد ثبت عجزها المطلق عن منح البشرية الأشواق والمطامح ، ثم

(١) انظر : إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام، ص ٢٧٧

يتساءل أين الاشتراكية والديمقراطية من منهج الله الجامع الصالح لكل زمان ومكان القادر على العطاء في مختلف البيئات والأزمان؟! لذلك فقد رتبَّ على فهمه المغلوط، سقوط الكاتب وعدم تراجعهِ عن فساد أفكاره، وعدم قدرته على الخروج من الدائرة الفكرية التي أثرت في فكره، لأنَّه لا يزال متأثراً بالتصور والفكر المسيحي، ويفسر ذلك العجز بآرائه التي رأى أنها مستمدة أساساً من التصور الغربي (٢).

ب - خلطه بين مفاهيم الإسلام والفلسفات الوثنية:

يأخذ الأستاذ أنور على خالد محمد خالد بأنه لم يفرق بين مفهوم التوحيد الذي جاء به الإسلام والتوحيد الذي عرفه الفلاسفة ويورد صورة ذلك: أنه اعتبر الفكر الفلسفي الذي انتحاه (أخناتون وأفلاطون وأرسطو) كان فكراً توحيدياً إيمانياً، على النحو الذي جرى فيه التوحيد في المفهوم الإسلامي، بينما يرى الأستاذ الجندي بأن هذا خلط لا يصح معه أن تتساوى فيه مفاهيم الإسلام في التوحيد، مع مفهوم الأديان في الفلسفات، ومن هنا يرفض الجندي طريقة الأستاذ خالد محمد خالد في اعتماده على المذاهب الفلسفية في الاستلال على التوحيد، فهذا الخلط له محاذير منها: أنه يجعل الإسلام أقل قدراً من تلك الفلسفات، وبذلك يتحسس الرغبة في إعلاء شأن الفلسفة أو على الأقل موازاتها للإسلام، وهذا ما يريده دعاة التقريب أو حوار الأديان.

ومن صور الخلط التي أدركها الجندي على الكاتب، أنه جمع بين فلاسفة الوثنية والثنائية والإغريقية الغنوصية، والجمع بين سقراط وأفلاطون، وعمر بن الخطاب وبوذا وغاندي وهيجل وديكارت تحت اسم الإنسان السوبرمان (الإنسان الأعلى)، ويتساءل عن حقيقة وجود ما يسمى الإنسان الأعلى، يريد هنا أن يبرهن على الخداع الذي وقع به الكاتب بتأثره بالكتابات القديمة التي لم تفارق وعيه الفكري، ويحاول صياغتها بطريقة جديدة وبأسماء عربية، ومكمن خطر تلك الفكرة ومخالفتها لمفاهيم الإسلام في التوحيد، هي أن تنسب العظمة لغير الله تبارك وتعالى، وقد أرجعها إلى نظرية الإيمان بالإنسانية، والتي تهدف إلى إضفاء هالة من القداسة والعظمة على الإنسان، في حين يمنع الإسلام أن يتفرد بالعظمة غير الله تعالى، فالعظمة لله وحده إليه تخضع كل الخلائق وتكون طوع أمره وسلطانه، وهذه الكلمة مستمدة أساساً من (مارك وابن مسكويه أو سقراط)، فلا يمكن أن تؤخذ مفاهيم التوحيد من هذه الفلسفات الوثنية، لا سيما وأنها تتعارض بالكلية مع الإسلام (١)

(٢) انظر المصدر السابق، ص ٢٨٠ - ٢٨٤

(١) انظر: إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام، ص ٢٨٩ - ٢٨٠

ت - تجنيه على حقائق التاريخ بالتفسير المادي :

لقد سقط خالد محمد خالد في تفسيره وتصويره للأحداث في معركة كربلاء، حيث قام الأستاذ أنور بتتبع أخطائه في تفسير تلك المعركة، وتفحص أبعادها، فأدرك عليه وصفه لخروج الحسين - رضي الله عنه - بأنه كان من أجل المادة ولمطمع شخصي، على طريقة المستشرقين في تفسير التاريخ، بما يطلق عليه التفسير المادي، وقد راجع (الأستاذ إسماعيل الكيلاني)، الروايات التي جاء بها خالد محمد خالد، وكان يرى فيها محاولته لتكفير أحد الصحابة، وكان يحشد الروايات دون تمحيص ونظر في صدقها التاريخي ويرتب عليها موقفاً، فمن جملة ذلك: أنه شكك في إسلام أبي سفيان بن حرب، والزعم بأنه وحمزة - سيد الشهداء - كانا يتطلعان للملك ويتنازعا عليه، ويعرض دليلاً لم يعرف في كتب التاريخ والسير، وهو أن أبا سفيان وقف عند قبر حمزة، وذكر بان ما تنازعا عليه من مغنم أصبح لغللمان بني أمية، لتنتفي صلتهم بالدين، فينقطع دورهم كقدوة للأجيال، وهذا ما يحاول العلمانيون الوصول إليه، ويجب أنور الجندي على ذلك معلقاً على الرواية التي تنكر إسلام أبي سفيان، بأن أبا سفيان كان عدواً لرسول الله قبل إسلامه، ولكنه بعد إسلامه شارك المسلمين في معركة اليرموك وغيرها من المعارك، كما أن الإسلام يحو ما قبله، ويشير إلى أن غرض ذلك التفسير والتجني هو تعميق التناذب بين المسلمين، فهذا هو المسوغ الحقيقي لحملة التشكيك التي يتصدرها أعداء الإسلام^(١).

اعتبر الأستاذ أنور أن ما انتهجه (خالد محمد خالد) كان يعبر عن أهداف الشعوبية أعداء الإسلام، الذين كان جل همهم إثارة الأحقاد والنزاعات القديمة وإحياءها في المجتمعات الإسلامية، بغية صرف المسلمين عن تاريخهم العريق، والقضاء على القدوة؛ بقطع الاتصال بين الجيل والقدوة الصالحة من أبطال التاريخ في الإسلام^(٢).

(١) انظر: المصدر نفسه، ص ١٨٢.

(٢) انظر: نفس المصدر، ص ٢٨٣.

ث - دعايته لإخوان الصفا^(٣):

وصف خالد محمد خالد إخوان الصفا بأنهم أحرار الفكر و ينفي الأستاذ أنور ذلك الوصف عن إخوان الصفا ، ووصفهم بأنهم جماعة سرية هدامة ، وسمى كتبها بالـدجالين ، وقومها ملحدون وزنادقة ، كما اعتبرهم الجنود المخلصة للماسونية والصهيونية العالمية ، ووصفهم مع الباطنية التي حرفت القرآن وأخرجته عن ظاهره إلى بواطن التأويل ، تحت ستار الورع والزهد والتقوي ، في حين تتجه أفكارهم لهدم الإسلام نفسه ، ومحاولتهم إضفاء العقائد الوثنية على العقيدة الإسلامية^(٤) لذلك أدرجه في الدائرة التي تهدف إلى القضاء على الإسلام ، من خلال إفساد مفهومه الصحيح القائم على التوحيد الخالص ، فإحياء إخوان الصفا ورسائلهم إنما يأتي في سياق المؤازرة والدعم للاتجاهات المناهضة للإسلام .

يرى الباحث أن ما ورد بشأن الأستاذ خالد محمد خالد الكاتب الإسلامي المعروف، بعد إعلان توبته لم يبق عليه دليل علمي ملموس ، وظنّي أن الأستاذ أنور الجندي قد أخطأ في الحكم عليه من عدة وجوه :

الوجه الأول : عدم التوثيق العلمي في النقل عنه من مجلة الدوحة فيما نشر من مقالات وكتب ، فلم يذكر عدد المجلة وتاريخ صدورها ومواقع الاقتباس النصي منها .

الوجه الثاني : إن جل ما أورده الأستاذ أنور لا يزيد على ما ورد في كتابه (من هنا نبدأ) الكتاب الذي طُفح بالآراء الفاسدة والمناهضة للفكر الإسلامي في محاور كثيرة ، وقد أعلن مؤلفه عن تراجعها عما ورد فيه ، وخطأ نفسه ، وأسقط منهجه في القياس التحليلي للديانات ، وفسر ذلك بأدلة توحى بسلامة القصد ، وقد تجلّى ذلك في مؤلفه الجديد الذي صدر بعد ذلك : (الدولة في الإسلام) تصحيحاً على ما ذكره الأستاذ أنور بأنه كتاب (الحكم في الإسلام) ، الذي سجل فيه مراجعته لنفسه في أفكاره السابقة ،^(١) وأكد ذلك (شاكر النابلسي) بقوله : "

^(٣) إخوان الصفا ثمرة الحركات الباطنية ، وهي الجماعة السرية التي مزجت الفلسفات اليونانية والعقيدة الباطنية لتخرج للناس مذاهباً جديدة ، يمزج إلهيات اليونان ونظريات أفلاطون وأرسطو وأفلوطين وفيثاغورس وغيرهم بالعقيدة الإسلامية ، وقد وضعوا رسائلهم وكتبوا فيها أسماءهم ، والتي كانت ترمي للقضاء على الإسلام ودولته ، وتأسيس دولة أخرى على أنقاض الدولة الإسلامية ، تضم العقائد الوثنية والنجوسية والإباحية ، مما جعل المستشرقين يولونها أهمية بالغة ، لما تمثل من أهدافهم وتطلعاتهم المشتركة ، غير أنها تمثل لهم مادة علمية للطعن في الإسلام ، دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين الخوارج والشيعة ، د . أحمد محمد جلي ، ص ٢٧٣ ، ط ٢ ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

^(٤) : إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام ، ص ٢٨٥ ، بتصرف .

^(١) : انظر : نبضات القلب: شخصيات في مصر سهير اسكندر القاهرة: ، ص ١٤٣ دار المقطم، ٢٠٠٣م، كتاب أصدرته دار

الشروق عن موقع من <http://www.weghatnazar.comd=29>

كما أخطأ الشيخ خالد محمد خالد في كتابه (من هنا نبدأ، ١٩٥٠) وقد راجع أفكاره بعد ثلاثين سنة، واعتبر أن الإسلام دين ودولة في كتابه اللاحق (الدولة في الإسلام، ١٩٨١) (٢).

الوجه الثالث: لم يعرف عن أحد من العلماء والمفكرين أنه اسقط حكم البراءة عن الأستاذ خالد محمد خالد، والقول بردته الفكرية والعقائدية، ولو كان صحيحاً ما نسب إليه في مجلة الدوحة لفظت إليه هالة من المفكرين، وأشاروا إلى ضلالاتها وفسادها، أو استصحبوا الحكم السابق، عدا أن الأمر قد يراد به إعادة نشر الكتب القديمة، وبعث ما فيها من شبهات في صميم الفكر الإسلامي، لخدمة طموح العلمانيين أعداء الشريعة الإسلامية، كيف يمكن أن يعلن الأستاذ خالد براءته مما قال، ثم يعيد ذلك الركاب المضطرب من جديد وينسبه إلى نفسه، لا سيما وأن المشار إليه هو نفس ما حرر في كتاباته القديمة، وقد عمل الباحث على تتبع آراء وأقوال العلماء في مظان المعرفة المختلفة، فلم يقف على قول لباحث، أو فقيه يقول بإدانته من جديد، خاصة وأن المفكر أنور الجندي قد صاغ ما يريد في صيغة التجهيل، ولنتأمل قوله: "كانت كتابات خالد محمد خالد المجددة في مجلة الدوحة تلخيصاً لكتبه القديمة التي أصدرت قبل ذلك، ولم يكن لديه شيء جديد" (١) فهل يمكن أن ينسب هذا إلى الأستاذ خالد، فكثير من الكتابات التي تراجع مؤلفوها عنها أعيد نشرها من جديد، فهل يضير هذا في مؤلفيها، فالإمام الأشعري مثلاً نراه يتراجع عن آرائه في مسائل خالف فيها منهج السلف وطرق فيها سبل الفلاسفة وأهل الكلام، من خلال كتابه المشهور (الإبانة في أصول الديانة) وما زالت كتبه القديمة تنشر وتقرأ ولها من يروج لها ويعتقد بما فيها من آراء، فهل يكون هذا دليل إدانة أم براءة؟!

ومن الحق أن يقال: بأن ما نقله الأستاذ أنور في محاولة إثبات ردة الكاتب خالد محمد خالد إنما هو كلام يحتاج إلى دليل، ولم نقف على دليل إدانة من أقوال أو تعليقات العلماء على الأستاذ خالد، فما نقل لا يعدو أكثر من إعادة وبعث لكتابات تراجع عنها مؤلفها، فدليل نفي التهمة وهو كتابه المخطوط بقلمه أبلغ وأقوى من قرائن الإثبات بالردة التي افتقرت إلى الدليل، وبهذا يثبت خطأ الأستاذ أنور الجندي فيما ذكر، وحسبي أنه اجتهد في هذا فأخطأ، وما قدمه من دليل ما هو إلا دليل نفي لا دليل إثبات، ويبدو أن الأمر قد اختلط عليه، فنشر تلك المقالات وإحياء ما فيها من انحراف عن التصور الإيماني إنما يصب في خانة أعداء

(٢) مقال للكاتب / شاكِر النابلسي =mailto:shakerfa@worldnet.att.net?subject= مركز الدراسات والبحاث

العلمانية في العالم العربي - لماذا - دولة <http://www.rezgar.com/debat/show.art.asp?aid=24444> / ٤ / ٤ / ٢٠٠٤ م

(١) إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام، ص ٢٨١

الشريعة ، الذين لا يرون في نشر كتابات التراجع والتوبة منفعة لهم ، بل تشكل ضربة قاسية إلى مؤسساتهم الناشطة في دعم الثقافة والفكر المنحرف عن قاعدة الإيمان ، وعليه يكون الأستاذ (خالد محمد خالد) بريئاً مما نسب إليه ، وهذا ما يراه الباحث وجيهاً في كل ما استند عليه من قرائن وأدلة .

وهكذا نكون قد ألقينا الضوء على موقف الأستاذ أنور الجندي من دعاة العلمانية ، وقد اقتصر الباحث على ذكر اثنين ممن اشتهر ذكرهم على السنة المتقنين ، الشيخ (على عبد الرازق) في كتابه (الإسلام وأصول الحكم) وهذا نموذج لأحد دعاة العلمانية وأخطرهم ، وهو الذي لم يبدِ تراجعاً يذكر في كل ما نسب إليه ، وعده الأستاذ أنور كبير دعاة العلمانية ووصف من بعده بأنهم خلفاء لمنهجه وتصوراته ، والكاتب (خالد محمد خالد) الذي أثير حوله الجدل في تراجعه عن أخطر آرائه ، ولم يكن المفكر أنور الجندي مكتفياً على الرد عليها حصراً ، بل كانت له مواقف كثيرة ومتنوعة ومواجهة صريحة مع دعاة العلمانية ، من أمثال : الكاتب محمد احمد خلف الله ، ومحمد سعيد العشماوي ، وأحمد بهاء وزكي نجيب محمود وغالى شكري ، عبد الرحمن بدوي وعبد الرحمن الشرقاوي ، صلاح عبد الصبور ، وأنيس منصور ، ويوسف إدريس ، وصلاح جاهين ، وحسين مؤنس ، وكلهم وقفوا من الإسلام موقف الخصومة ، فكتبوا في مجالات متنوعة ، كانت جلها في صميم الطعن ودس السم في الثقافة الإسلامية والفكر الإسلامي بعامه ، فكشف عن أخطائهم في منهج البحث والتحقيق ، وأبرز انحرافهم في التصور ، وحلل أفكارهم وعزاها إلى مظانها من أجندة الطرح الغربي ، ولعلنا لا نغفل موقفه من (طه حسين) ، وإبراز النزعة الصهيونية في فكره من خلال تحليله لمواقفه من التاريخ والفكر والعقيدة ، وكذا (سلامة موسى) في قضية بث العاميات ، ونظراً لتكرار تلك الأفكار والشبهات عند دعاة العلمانية فإن الباحث يكتفي بذكر ما فصل الحديث عنهم رغبة في عدم التكرار ، ولأن القضية تأخذ بعدها الفكري أكثر من بعدها الشخصي ، فإن جملة ما ذكر يكشف عن حقيقة دعاة العلمانية ، وأن ما حاولوا إثارتته إنما ينبع من مصدر واحد ، وينطلق من أهداف واحدة ، تلك الحقيقة التي دلل عليها المفكر أنور الجندي في مساجلاته السابقة .

المبحث الثاني

الديمقراطية

- المطلب الأول : تعريفها - أهدافها.
- المطلب الثاني : موقف أنور الجندي من الديمقراطية ودعاتها.

المطلب الأول

الديمقراطية: تعريفها - أهدافها

أولا : تعريفها لغة :

الديمقراطية كلمة يونانية في أصلها ، مشتقة من لفظتين لاتينيتين الأولى (ديموس) وتعني الشعب ، والثانية (كراتوس) وتعني الحكم أو السلطة ، وترجمتها الحرفية سياسيا : الحكومة التي تكون فيها السلطة والحكم للشعب^(١) .

ثانيا: تعريفها اصطلاحا :

تطور مفهوم الديمقراطية في عالما المعاصر في دلالاته ، فتباينت في تفسيره المذاهب والأنظمة المختلفة في سبيل إلحاق هذا المفهوم في إطار أيديولوجياتها ومبادئها، وبالتالي تعددت التعريفات المتعلقة بهذا المفهوم ،ومن هذه التعريفات على سبيل المثال :

١- هي الحكم الذي يملك فيه كل فرد نصيبا .
٢- هي شكل من أشكال الحكم الذي تكون فيه الهيئة الحاكمة جزءا كبيرا نسبيا من الأمة كلها .

٣ - بأنها شكل من أشكال الحكم ، أو تجربة في الحكم^(٢) والملاحظ في تلك التعريفات أنها تدور حول القضايا المتعلقة بحماية الشعب ، وحماية الحقوق المتعلقة بالأفراد داخل الدولة ، بمنحه (أي الشعب) مطلق الحق في صياغة القوانين والتشريعات التي تلائم المصالح العامة والخاصة لهم .

إلا أن التعريف الأكثر رواجاً وشيوعاً وتداولاً في وسط المثقفين المعنيين بدراسة الديمقراطية في إطارها السياسي هو: " أن الديمقراطية هي ذلك النظام من أنظمة الحكم الذي يكون الحكم فيه أو السلطة فيه أو سلطة إصدار القوانين والتشريعات من حق الشعب أو الأمة أو جمهور الناس " ^(٣) وتعرفها الموسوعة السياسة بأنها: " نظام سياسي اجتماعي يقيم العلاقة

(١) انظر : القاموس السياسي ، ص ٦٨٠ ، انظر : مذاهب فكرية معاصرة ، ص ١٧٨ انظر : حقيقة الديمقراطية ، محمد الشريف ، ص ١٠ ط دار الوطن للنشر - الرياض .

(٢) الإسلام وقضايا العصر ، د ابراهيم الدبو وآخرون ، ص ١٦٨ ، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م دار المناهج القلعة -الأردن

(٣) حقيقة الديمقراطية ، ص ١٠ ، وانظر : الاتجاهات الفكرية المعاصرة ، ص ١٢١ ، انظر : الشورى وأثرها في الديمقراطية " دراسة مقارنة " د. عبد الحميد الأنصاري ، ص ٣٣٥ ، ط ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م ، دار الفكر العربي القاهرة . انظر : الإسلام وأيديولوجية الإنسان ، سميح عاطف الزين ، ط الثانية ١٩٧٨م ، دار الكتاب اللبناني -بيروت لبنان وار الكتاب المصري القاهرة ، انظر : الإسلام وقضايا العصر ، ص ١٦٩ .

بين أفراد المجتمع والدولة وفق مبدأ المساواة بين المواطنين ، ومشاركتهم الحرّة في صنع التشريعات التي تنظم الحياة العامة ، أما أساس هذه النظرة فيعود إلى المبدأ القائل بأن الشعب هو صاحب السيادة " (١).

يتبين من التعريفات السابقة بأن الديمقراطية في مدلولها اللغوي والاصطلاحي تقوم على مبدأ سيادة الأمة ، وأن الأمة هي مصدر السلطات والتشريعات ، وعليه تكون القيادة السياسية معبرة عن تطلعات تلك الشعوب التي تختار من القوانين والتشريعات ما يلبي مصالحها ويخدم أهدافها ، وهذا يفسر لنا التباين العميق في الأنظمة السياسية في العالم الديمقراطي ، حيث تختلف توجهات الشعوب في مزاجها وفكرها وفلسفاتها المجتمعية ، وبالتالي تتعدد النظرة وتختلف التشريعات والأنظمة السياسية التي تحكم بها تلك الشعوب ، وفي ظني أن الديمقراطية جاءت ثمرة للثورة على الكنيسة أو السلطة الدينية في عهد الباباوات وظهور فكرة الحرية المطلقة أو الفكر الليبرالي الحر ، مما يجعل هذا المفهوم الغريب المنبت من التباين بمكان مع فكرنا وثقافتنا وعقليتنا نحن المسلمين ، الذين نحتكم لمنهج رباني المصدر ، لا يتغير بتغير الزمان والمكان ، يجمع بين الأصالة والمعاصرة ، منطلقاً من عالميته وعموميته الزمانية والمكانية ، وصدق الحق سبحانه : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) (٢).

"ومن هنا كان مصطلح الديمقراطية مصطلحاً غريباً مرتبطاً بنشأة المجتمع الغربي وتطوره التاريخي ، وبالتالي لا ينفصل عن فلسفة الفكر الأوروبي ومذهبه الاجتماعي والسياسي، وبناء عليه كانت حساسية الفكر الإسلامي في التعامل مع المصطلحات الوافدة من الغرب ومنها مفهوم الديمقراطية (٣).

ثالثاً : أهدافها :

مربنا ونحن في سياق الحديث عن مفهوم الديمقراطية ، أنها تقوم على مبدأ سيادة الأمة في التشريعات والسلطات ، غير أن هذا التوجه لم يكن وليد الصدفة التاريخية ، بل كان نتيجة لظروف تاريخية مر بها هذا المفهوم ، ولا يمكن تحديد أهداف الديمقراطية كنظرية إلا

(١) الموسوعة السياسية ، ج ٢/ص ٧٥١ ، وانظر : منهاج الحكم في الإسلام ، محمد أسد ص ٤٧ ، الطبعة الخامسة ١٩٧٨ م ، دار العلم للملايين ، وانظر : عموم الاستشراق والمستشرقين ، أنور الجندي ، ص ٨٤ .

(٢) سورة الأنبياء : الآية ١٠٧ .

(٣) الحركات الإسلامية والديمقراطية " دراسات في الفكر والممارسة " سلسلة كتب المستقبل العربي (١٤) ، مجدي حماد ومجموعة من الكتاب الإسلاميين وغيرهم ، ص ٦٧ في سياق الحديث عن الديمقراطية في النظرية عند الإسلاميين ، تصدر عن مركز دراسات الوحدة العربية .

بالنظر في الظروف التي أحاطت بالمجتمع الغربي ، وجعلته يتبنى هذا المفهوم أو النظرية كمشروع سياسي ، يعكس رغبة الأفراد والمجتمع .

فالديمقراطية تاريخياً انبثقت عن عقيدة فصل الدين عن الدولة أو عن الحياة ، وهي نفس العقيدة التي انطلق منها المبدأ الرأسمالي ، نتيجة الصراع الذي كان بين الملوك والقيصرة في أوروبا وروسيا من جهة ، وبين الفلاسفة والمفكرين من جهة أخرى ، حيث اتخذ الدين وسيلة لظلم الشعوب واستغلالها من قبل الملوك والقيصرة ، بحجة أنهم وكلاء الله في الأرض ، الأمر الذي جعل الخروج عليهم محتملاً للخروج من ربقة القهر والاستعباد وكبت الحريات بدافع الدين ، فكانت الثورة على الكنيسة ، ومن ثم إبعاد الدين والكنيسة عن الحياة والدولة وعن النظام السياسي ، فكان لابد للشعب أن يختار لنفسه التشريعات ، وينصب من يقيم هذه التشريعات ويعمل في ضوءها ^(١) .

من هنا نستنتج أهم أهداف الديمقراطية:

أ - فصل الدين عن الحياة ، وعليه فإن أعظم ثمرة جناها الغرب من الثورة على الكنيسة وطغيانها هي الخروج بفكرة العلمانية ، التي تعد انتصاراً عظيماً للغرب على الكنيسة ، والديمقراطية التي كانت انتصاراً آخر على طغيان الملوك والحكام في القرون الوسطى ، مما يؤكد على أن ميلاد الديمقراطية كان مرافقاً لميلاد العلمانية ، باعتبار أن الديمقراطية هي الوجه السياسي للعلمانية ^(٢) .

ب - إعطاء الشعوب الحقوق والحريات العامة ، مراعاة لحقوق الإنسان في الغرب ، والذي يمثل العمود الفقري للقانون بمجمله ، حيث ظهر عند قيام الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م ، وإعلانها عن صياغة وثيقة لحقوق الإنسان (المواطن) متضمنة لمبادئ الحكم الديمقراطي وقد صدر الإعلان الأول لحقوق الإنسان رسمياً عام ١٨٩٧م ^(٣) .

ويمكننا تقسيم تلك الحقوق إلى قسمين :

١ - ما يتعلق بالمساواة ، وجاء فيه إن من حقوق جميع الأفراد المساواة في الكرامة والحقوق ، كما أفاد الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في مادته الأولى ، ويندرج تحت هذه المساواة : المساواة أمام القانون والقضاء والوظائف والضرائب ^(٤) .

(١) النظر : الديمقراطية نظام كفر يحرم أخذها أو تطبيقها أو الدعوة إليها ، عبد الكريم زلوم ، من منشورات حزب التحرير ، انظر : الإسلام وقضايا العصر ، ص ١٧١ ، في إطار الحديث عن الأصول التاريخية للديمقراطية وتطورها .

(٢) انظر : الاتجاهات الفكرية المعاصرة ، ص ١١٩ .

(٣) انظر : المصدر السابق ، ص ١٣٠ .

(٤) انظر : الاتجاهات الفكرية المعاصرة ، ص ١٣١ ، وانظر : واقعنا المعاصر ، الرقب ، ص ١٩٨ .

٢- ما يتعلق بالحرريات العامة ، وتنقسم إلى : حريات مادية ، ومعنوية ، واجتماعية ، وسياسية ، واقتصادية ^(١) .

فالحرريات المادية تتمثل في حق الحياة ، والتنقل ، والأمن ، ومنع الاسترقاق ، وحرمة المسكن ، أما الحرريات المعنوية فتتحدد في خمس : حرية التفكير العلمي ، وحرية العقيدة ، وحرية التعبير عن الرأي ، وحرية الشكوى ، وحرية التعليم ، وتتمثل الحرريات الاجتماعية في أمرين أولها : الحرية في عقد الاجتماعات وبالتالي حضورها وثانيها : الحرية في تكوين الجمعيات والعضوية فيها ، وما يتعلق بالحرريات السياسية كان من حق المواطن أن ينتخب ويرشح ويشعر ويراقب الحاكم ويعزله وأن يتولى الوظائف العامة ويكون حزبا ، كما تسعى لتمكين المواطن من الحرريات الاقتصادية والتي تتمثل في : منحه الحرية في التملك والعمل والأجر والراحة ^(٢) .

إن تلك الأهداف المتصلة بمبادئ الديمقراطية لا يمكن أن تتفصل وتختلف عن الأهداف التي اختارتها العلمانية ، ذلك أنهما وجهان لعملة واحدة ، فالعلمانية تمثل الجانب الفلسفي بينما تمثل الديمقراطية الوجه السياسي لها ، كما تمثل الرأسمالية الوجه الاقتصادي لهما ، ومن هنا كان الإطناب والاطراد معدوم القيمة ، لاسيما وأن الحديث عن أهداف الديمقراطية تم تفصيله في مبحث العلمانية.

ومن المؤكد تماما بأن تلك الأهداف قد فقدت أدنى مقومات التكامل الحضاري ، ذلك أنها انحصرت في إشباع الرغبات المادية ، فيظهر فيها الإباحية المطلقة كردة لفضل التحرر من عقدة الالتزام الديني والتسلط الكهنوتي الذي ساد الحياة الغربية في القرون الوسطى ، حتى جاء عصر النهضة كوسيلة لإخراج الحكومة الدينية من واقع التأثير على محيط الحياة . إن أخطر ما تدعو إليه تلك الحقوق أو الحرريات هو التجرد من القيم الدينية ، وعزل الشعوب عن سلم القيم والأخلاق ، فالواقع المعاش في الغرب يشير إلى أن الغرب يعيش أزمة خانقة لا يمكن له أن يتجاوزها ، لذلك كان جهدهم منصبا في ترحيل تلك الأزمة إلى محيط المجتمعات الإسلامية .

لذلك كان من الخطأ أن يقاس الإسلام على غيره ، فهذا قياس مع الفارق ، ذلك أن الإسلام قد أعطى للبشرية منهجا جامعا ، تتناغم فيه ثقافة القلب مع ثقافة العقل في إطار من الموضوعية والواقعية ، منهجا استكمل كل مقومات النهوض الحضاري ، فالإسلام هو الذي

^(١) انظر : الاتجاهات الفكرية المعاصرة ، ص ١٣١-١٣٢

^(٢) انظر : الاتجاهات الفكرية المعاصرة ، ص ١٣١-١٣٢ وانظر : الإسلام وأيديولوجية الإنسان ، ص ١٢-١٦

احترم العقل حين دعا إلى التفكير والتدبر في الكون ، وفسح للعقل أن يسبح في مسرح الكون الفسيح ليعظم خالقه ، ورتب على العقل التكليف والحساب والجزاء ، وكان منهج الإسلام ولازال متكاملا جامعا لكل متطلبات النفس الروحية والمادية والأخلاقية ، وصدق الحق تعالى : (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ) ^(١) وقوله جل ثناؤه : (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ) ^(٢) .

من هنا كان الترويج لهذه الحريات والحقوق هدفا للمجتمعات الغربية التي تهدف إلى توهين الإسلام ، واخراج مجتمع متحلل من الأخلاق والقيم في إطار قانوني يسمح بهذا ، وعليه كان لا بد من الحذر من تمرير تلك المصطلحات الغربية الوافدة وعلى رأسها مفهوم الديمقراطية ، فإن في ديننا ما يغنينا عن تلك الحقوق والحريات ، فهي مكفولة في الشريعة الإسلامية ومحاطة بالضمانات والضوابط الشرعية ، التي تَعلى من شأن الإنسان وتحافظ على كرامته الإنسانية ، في حين افتقرت حقوق الإنسان الغربية إلى ذلك ، مما يجعلنا نرفض الديمقراطية معنا ومبنا ، وإن أي محاولة لتقريب هذا المصطلح مع مفاهيم الإسلام يعد إشكالا وخطا ، وتسويقا للأزمة الغربية في واقعنا ووجودنا الإسلامي ، ولا يقال عن ذلك انغلاقا ورجعية ، بل الإسلام نسق منفتح على الآخر ، يقبل بكل جديد يتوافق مع مقاصد الإسلام ، ويصهر في إطار اسلامي ، أما أن نأخذ الأمور على حلقها ، فهذا من التقليد المذموم ، لذا كان التعرف على حقيقة المفهوم ولوازمه أمرا مهما ، وهذا ما بسطناه حال عرضنا لأهداف الديمقراطية .

^(١) سورة النحل : الآية ٨٩

^(٢) سورة الأنعام : الآية ٣٨

المطلب الثاني

موقف أنور الجندي من الديمقراطية

تباينت وجهات النظر عند العلماء والمفكرين الإسلاميين في موقفهم من الديمقراطية ، وإن هذا الإشكال أفرز لنا اتجاهات ثلاثة ترى الديمقراطية برؤى مختلفة وكان منشأ هذا الاختلاف مدى قابلية الإسلام لاحتواء هذا المفهوم أو رفضه ، فمن الكتاب من حاول إيجاد شيء من المقابلة بين الشورى والديمقراطية ، والإعلاء من شأن الشورى وترجيح كفتها (١) .

أما الاتجاه الثاني فلم يجد فرقا بين الشورى الإسلامية، والديمقراطية الغربية متجاوزا الفوارق العميقة بينهما ،ولذا كان اصطلاح مفهوم الديمقراطية الإسلامية مقابلا للديمقراطية الغربية الحديثة (٢) .

أما الاتجاه الثالث فكان الرفض لكل لوازم الديمقراطية ، ورأى بأنها على طرف نقيض من الإسلام ، وبالتالي تحريم صهر الإسلام بمفهوم الديمقراطية مطلقا (٣) .

لقد كان الأستاذ أنور الجندي من الراضين والمهاجمين للديمقراطية الغربية ممثلا للاتجاه الرفض لعملية الموازنة أو المقابلة بين الشورى الإسلامية ،والديمقراطية الغربية ، ورأى بأن ثمة فوارق عميقة بين الشورى الإسلامية والديمقراطية الغربية (٤) وقد أجمل تلك الفوارق بتحليل أصول النظرية الغربية وأثرها في الفكر السياسي الغربي ومدى مخالفتها لمفهوم الإسلام في الفكر السياسي .

وجوه الاختلاف بين الفكر السياسي الإسلامي والفكر السياسي الغربي الديمقراطي :

١ - يؤكد الأستاذ أنور بأن الفكر السياسي الإسلامي يقوم على وحدة العقيدة أكثر من تأكيده على وحدة الإقليم كما هو في الفكر الغربي (٥) .

(١) انظر: الشورى وأثرها في الديمقراطية ، ص ٤٢٧-٤٢٩ .

(٢) - الفكر السياسي في الإسلام يقوم على النظرة المتكاملة بين المادة والروح بينما الفكر السياسي الغربي يفصل بينهما ، الحرية

السياسية في الإسلام ، أحمد شوقي الفنجري ، ص ١٤٣ الطبعة الثانية ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، دار القلم الكويت

(٣) انظر : الشورى لا الديمقراطية ، عدنان علي رضا النحوي ، ص ٣٤ ، الطبعة الرابعة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م ، دار النحوي

- الرياض .

(٤) انظر : سموم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية ، ص ٨٢ .

(٥) انظر : المصدر السابق ، ص ٩٦ .

٢- يستند الفكر السياسي الإسلامي على قاعدة الأخلاق ، فكل عمل سياسي له مقياس خلقي ،بينما ينتفي هذا الاعتبار في الفكر السياسي الغربي ، ويذكر بأن مفهوم فصل السياسة عن الأخلاق، واستقلال السياسة على الأخلاق مفهوم ميكافيلي ، وقد به إلى أوروبا فاعتنقته (١) .

٣- السيادة في الفكر السياسي الغربي الديمقراطي تكون للشعب بصورة مطلقة (سيادة الأمة) ، وهو أهم المبادئ الدستورية التي تقوم عليها الديمقراطية الغربية ، بينما ترتبط تلك السيادة في الفكر السياسي الإسلامي بتعاليم الشريعة الإسلامية وفي معزل عن الأهواء البشرية (٢) .

٤- الفكر السياسي الإسلامي جعل السيادة حقاً للأمة وحدها ، ومنح الوالي الحق في السيادة ، ورأى أن الشورى الإسلامية تكون على أهل الحل والعقد ، وأن الإسلام أعطى للمرأة حقها في إبداء الرأي في الشؤون العامة للمسلمين ، كما سمح للأرقاء في المساهمة في الرأي ، وقد أشار إلى أن الشورى في الإسلام تمر بمرحلتين : مرحلة الملاءمة ، ومرحلة المشروعية ، وتكون الملاءمة بمشورة المتخصصين وأهل الخبرة في القضية مجال النظر ، والمشروعية تكون بقياس تلك الآراء على الشرع ، فهي مقيدة به ، في حين تكون المشروعية في الفكر الديمقراطي على مواعمة الشعب لا الشرع (٣) ، يوضح الأستاذ أنور طبيعة الخلاف بين الشورى والديمقراطية بقوله : " ومن هنا فإن هناك فارقا بعيدا وعميقا بين الشورى الإسلامية والديمقراطية الغربية ، ولا يمكن الجمع بينهما ، والخطأ هو أن يظن البعض أن مبدأ الشورى الذي يأخذ به الإسلام ، هو نفس المفهوم الديمقراطي الغربي الذي يستند إلى مبدأ سيادة الأمة ، ويأخذ بنظام الاقتراع أو الانتخاب العام ، كما هو في الديمقراطية الغربية المعاصرة " (٤) .

٥- الفكر السياسي في الإسلام يرفض أي إلحاق لمصطلحات الديمقراطية ، والاشتراكية القومية بالإسلام ، ويفسر ذلك : بأنها غريبة المنبت وتختلف في أصولها ومبادئها عن مفهوم الإسلام الذي يجمع بين الروح والمادة في إطار التكامل الذي لا يقبل التجزئة ، وبالتالي يكون من الخطأ إقحام هذه المصطلحات في بيئة تتغاير تماما معها. (٥) .

(١) سحوم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية ، ص ٨٣-٨٤

(٢) انظر: المصدر السابق، ص ٨٥ ، التربية وبناء الأجيال في ضوء الإسلام : ، ص ١١٨

(٣) انظر : سحوم الاستشراق والمستشرقين ٩٨-٩٩

(٤) المصدر السابق ، ص ٨٧ .

(٥) انظر: المصدر نفسه ، ص ٩٩ .

٦- إن خواص الدولة في الإسلام تقوم على الربط بين الدين والدولة ، في حين لا يتطابق هذا الجمع في النظم الحديثة في الفكر السياسي الغربي ، فالإسلام في جوهره ليس قضية إيمان مجرد ، بل هو نظام يتسع لكل مجالات الحياة ، ويضع الحلول المناسبة لكل المعضلات والإشكالات بكافة جوانبها ، وعلى ذلك فالحديث عن العصرية نقيض لما يعبر عنه الإسلام من واقعية ومرونة وشمول ومعاصرة في إطار كليات ومقاصد الشرع^(١) .

لذلك نظر الأستاذ أنور إلى خطورة اتهام الدولة الإسلامية بأنها دولة ثيوقراطية^(٢) ، ويجب على ذلك : بأن الإسلام لم يعرف بما يسمى الدولة الثيوقراطية عبر تاريخه ، فهذا ما عرفته أوروبا في القرون الوسطى ، وهذا النوع لا يقره الإسلام^(٣) .

تلك هي أهم الفروق العميقة بين الفكر السياسي الإسلامي ، والفكر السياسي الغربي التي استند إليها الأستاذ أنور؛ لتدعيم موقفه الرفض للديمقراطية ومغايرتها لمبادئ المسلم ومفاهيمه ، غير أن تلك الفروق قد أوجدت صداماً أيديولوجياً بين مفاهيم الغرب وإقليميتها ، ومفهوم الإسلام الجامع ، يذكر الأستاذ أنور بأن التجربة الديمقراطية بناء على ما تقدم قد فشلت فشلاً ذريعاً في محيط المجتمعات الإسلامية ، ولم تصل إلى ما تحققه الشورى في الفكر السياسي في الإسلام ، ويبرر ذلك: بأن الإسلام قد انطوى أساساً على المساواة ، وبما يحمل من احترام لآراء المجتمع في إطار الشرعية^(٤) .

من هنا فقد رأى الأستاذ أنور بأن الديمقراطية الغربية الحديثة قد وصلت إلى النهاية ، بسبب إخفاقها في إيجاد الحياة الكريمة للشعوب الغربية خاصة ، فكيف يمكن أن تتجح في مجتمع له قيمه ومفاهيمه الخاصة؟! ، يقول في هذا : " لقد وصلت الديمقراطية الغربية اليوم إلى مرحلة الفشل والهزيمة والانهيـار ، بعد أن اقتحمتها الأخطاء من كل جانب ، ولم يعد الغرب يثق بها أو يجد فيها نظاماً صالحاً " ^(٥) .

كما يذكر من اعترافات الغرب أنفسهم ما يدعم تلك الحقيقة ، فيذكر بأن عدداً كبيراً من رؤساء الأحزاب في الغرب من أمثال : (أرو نولد تويني) قد كشفوا عن فساد هذا النظام في

(١) انظر: سموم الاستشراق والمستشرقين ص ٨٧ .

(٢) "هو النظام الذي يستند إلى فكرة دينية ، ومنها نظرية الحق الإلهي الذي يعتبر الله مصدراً للسلطة، والحاكم بمثابة ظل الله على الأرض ، أو مفوض السماء ، فالسلطة الزمنية تستمد مقوماتها من المشيئة الإلهية ، ويتم اختيارها بعنايتها وتوجيه منها ."

الموسوعة السياسية ٩٢٨/١

(٣) انظر: سموم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية ، ص ٩١ .

(٤) انظر: المصدر السابق ، ص ٨٦ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٨٧ .

مجال التخلف الاقتصادي، والانحلال الأخلاقي، والتمزق الاجتماعي بإيجاد هوة واسعة بين الفقراء والأغنياء^(٦).

وقد توجه المفكر أنور الجندي بنصيحة إلى شباب الجامعات، بأن يدرسوا النظم السياسية الإسلامية، ويتركوا المناهج الغربية في الفكر السياسي، الذي اعتمد مادته من الواقع الغربي والتجربة الغربية، ويرى ضرورة تصحيح المفاهيم، وتحرير المناهج الدراسية في مجال الفكر السياسي الإسلامي، حتى يتبصر أبناء المسلمين بأن للمسلمين مفهوما سياسيا ومنهجيا يتميز عن كل المناهج البشرية وفي مقدمتها المنهج السياسي الغربي^(١).

إن الالتقاء الوهمي بين الديمقراطية والإسلام في الحقوق والضمانات، وفي مبدأ الشورى يحتم علينا عدم المقارنة بين النظام الإلهي والنظام الجاهلي، ذلك أن المقارنة تفرض اعتقادا بأن الشريعة الإسلامية بحاجة لمن يدافع عنها، وأن النظم الغربية تضمنت نفس الفضائل التي جاء بها الإسلام، وفي هذا حظ من قدر الشريعة الإسلامية، ونهوض بالمنهج البشري؛ ليكون بديلا شرعيا^(٢).

ويرى الباحث بأن الإسلام لا يمكن أن يكون هو الديمقراطية، ولا يصح أن تكون الديمقراطية هي الإسلام، بل الإسلام فريد في نسجه وغاياته، فالإسلام هو الإسلام والديمقراطية هي الديمقراطية، وليس بعد الحق إلا الضلال، فالإسلام هو الدين الذي رضيه الله للبشرية، منهجا حاكما على شؤون الحياة صغيرها وكبيرها وصدق الحق جل ثناؤه: (أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)^(٣).

أما الديمقراطية فهي أرضية المصدر، قاصرة التصور، مادية المنهج، إقليمية النشأة، لا يقاس بها على غيرها، ويخطئ من يحاول أن يجمع بين الشورى وبينها، فالشورى حكم الله، والديمقراطية حكم الشعب، فالانقسام في الجذور يمنع أي محاولة للجمع بين المفهومين إن كانت الديمقراطية على - الفرض الجدلي - مكسبا وثمره للمضطهدين، فإن ذلك لا يتجاوز البيئة التي ظهرت فيه، فإسلامنا لم يشهد ذلك الصراع بين العلم والدين أو العلم والسياسة كما شهدته أوروبا، بل يلتقي الإسلام والعقل والسياسة في وحدة متألفة،

(٦) المصدر نفسه، ص ٨٧.

(١) انظر: سموم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية ص ١٠٠

(٢) انظر: الإسلام وقضايا العصر، ص ١٨٣

(٣) سورة الأعراف: الآية ٥٤

وبناء عليه فإنه يمكننا أن نقبل الديمقراطية بما ينسجم مع مفاهيمنا ، ولكن لا ندعو إليها ،
نقبلها في الوسائل ولا نقبلها في النظام والأفكار ، وهذا ما يراه الباحث -من وجهة نظره
الخاصة- وتأكيدا على موقف المفكر أنور الجندي الراض للديمقراطية ولعمليات الدمج
الاصطلاحي أو الدلالي بينهما .

المبحث الثالث

القومية

- المطلب الأول : تعريفها - أهدافها.
- المطلب الثاني : موقف أنور الجندي من القومية ودعاتها.

المطلب الأول

القومية ، تعريفها ، آثارها

القومية قديمة جداً، وقد كانت تسمى العصبية ، وهي تعمل على تجميع أفراد القبيلة ، وقد كانت تنتشر عند العرب قبل الإسلام وبسبب هذه الروح العصبية حدثت حروب كثيرة ، مثل حرب داحس والغبراء ^(١) يقول جل شأنه في كتابه العزيز : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) ^(٢) .

تلك القومية لا تعرف التعصب والأناية ، ولا الترفع والإلغائية للآخر ، تقضي بالتنافس نحو الكمال والسمو الإنساني، بيد أن القومية الوافدة تجاوزت هذا العقد ، فهي من منبت غير قومي ، خرجت من واقع لا يعبر عن طبيعة الفكر العربي والإسلامي ، وبمنظور مختلف عما عهد في تاريخ المجتمعات العربية ، لذلك تعددت المذاهب والآراء في بيان مفهوم القومية ، فتعددت التعريفات فيها بتعدد البيئات والمدارس الفكرية التي انبثقت عنها ، من هنا كان لا بد من عرض تلك التعريفات ، لإبراز العامل الزمني فيها ، ومدى موافقتها لمفهوم القومية في الطرح العربي والإسلامي .

أولاً : تعريفها لغة واصطلاحاً :

١- لغة " القومية مصدر صناعي مقيس على ما تواضع عليه العرب المعاصرون على اشتقاقه من لفظة قوم بإضافة ياء النسب وتاء التأنيث، لمواجهة الكثرة الغمرة المتدفقة من المصطلحات الحديثة في مختلف العلوم " ^(٣) .

٢- اصطلاحاً :

من المتعذر جداً الوقوف على تعريف للقومية يجمع وجهات النظر المختلفة ، بسبب تمايز نظرة دعائها ، ويمكن أن يقال في تعريف القومية العربية: "أنها حركة سياسية فكرية متعصبة، تدعو إلى تمجيد العرب، وإقامة دولة موحدة لهم، على أساس من رابطة الدم والقربى واللغة والتاريخ، وإجلالها محل رابطة الدين ، وهي صدى للفكر القومي الذي سبق أن ظهر في أوروبا " ^(٤) .

(١) انظر: حاصر العالم الإسلامي : د. صالح الرقب ص ١٠٠. فلسطين - قطاع غزة - ط ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م .

(٢) سورة الحجرات: الآية ١٣ .

(٣) الإسلام والحضارة الغربية ، ص ١٩٥ .

(٤) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والمعاصرة ، ص ٤٠١ ، انظر : الإسلام والحضارة الغربية ، ص ١٩٥ .

ويعرف الأستاذ أنور الجندي القومية بقوله : " تيار غربي ظهر في القرن الماضي في أوروبا في ظل تحديات مختلفة واجهت الغرب من خلال مراحل النهضة والتطور والحضارة والاستعمار ، خروجاً من قيود الكنيسة " (١) .

يعرفها الدكتور حسين السيد عباس : " القومية نزعة تربط الفرد بقومه بروابط متجانسة ، كالقراية واللغة والعادات والتقاليد والتاريخ ، وتوجد بينهم أهداف مشتركة كالوحدة والتحرر والحرية ، والعدالة " (٢) .

ويعرفها انطون سعادة بقوله : " القومية يقظة الأمة العربية وتنبهها لوحدة حياتها وشخصيتها وميزتها ، ولوحدة مصيرها ، إنها عصبية الأمة " (٣) ، وتعرفها دار المعارف والعلوم الاجتماعية : " القومية تشير إلى الحالة التي ترجع إلى الشخصية القومية أعلى مقاماً في القيم العليا " (٤) .

ويعرفها محمد باقر الصدر : إن القومية ليست إلا رابطة تاريخية ولغوية ، وليست فلسفة ذات مبادئ ، ولا عقيدة ذات أسس ، بل حيادية بطبعها " (٥) .

ومضى في التعريف نفسه كبير دعاة القومية (ساطع الحصري) حيث عرفها بقوله : " إن اللغة هي روح الأمة وحياتها ، والتاريخ ذاكرة الأمة وشعورها ووحيتها " (٦) .

مما تقدم يتضح عدة أمور :

١- اضطراب مفهوم القومية وعدم الاتفاق على مدلول مشترك يعبر عنه ، نتيجة التمايز في الثقافات والبيئات ، فتارة نجد القومية دلالة على وحدة العرق والجنس ، وتارة على أساس اللغة أو رابطة اللغة كما جاء في تعريف الصدر والحصري .

وهذا الفهم أساساً مستفاد من نظرية (هيغل الألماني) ، الذي اعتبر أن العرق الأوروبي هو أفضل الأعراق والأجناس ، ونظر إلى الأجناس الأخرى نظرة دونية كما ينظر اليهود إلى شعوب الأرض بوصفهم لأنفسهم بأنهم شعب الله المختار ، وما عداهم

(١) الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي ، أنور الجندي ، ص ٣٠٣-٣٠٤

(٢) المذاهب والأفكار المعاصرة في التصور الإسلامي ، ص ٢٣٩

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٤٠

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٤٠

(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٤٠

(٦) المصدر نفسه ، ص ٢٤١

فهم خدم لهذا الشعب ، يقومون على مصالحهم وأغراضهم ، مما جعل تلك النظرية تصل حد الإسفاف الصهيوني واليهودي^(١) .

إن التجربة التاريخية تثبت فشل تلك النظرية ، فتفاضل الشعوب لا يرجع إلى العرق ، ولننظر إلى التقدم الهائل الذي حظيت به ألمانيا ، في ظل تأخر المجتمعات العربية والشرقية ، هل يمكن أن ننسب التأخر إلى العرق ؟ إن الحقيقة المنطقية نقول: بأن الشعوب الأخرى لو أخذت بأسباب النهضة العلمية لنالت من أسباب التقدم وحازت الصدارة ، فليس الأمر حكرا على الجنس والعرق ، بل يتعدى التفاضل إلى عوامل أخرى مثل : الدين ، والاجتهاد في ميادين العمل^(٢) .

إضافة إلى أن الأنساب لم تعد عنصرا للتمييز ، فالواقع يثبت امتزاجها ، حتى الدماء اختلطت ، فكل الأعراق لا يمكن أن تصل إلى الصفاء في العرق والجنس والدم ، مما يجعل الاعتماد على هذا العنصر مجاوزة لحقائق التاريخ وللواقع المنظور ، كما لا يمكن أن تعبر النعرات العرقية عن الوحدة ، بل تبعث على الحقد والأناية والعنصرية ، مما يقطع بفساد هذا الأصل حين نعتبره الأصل في الاجتماع القومي ، على نظرية العرق الآري المختار^(٣) .

أما اعتماد عنصر اللغة كرابط قومي ، وعامل هام في تكوين الأمم ، على زعم (ساطع الحصري والصدر) ، فهو كلام مغلوط ، فليست اللغة العامل الوحيد في ذلك ، فأمريكا وروسيا لم يتحدا بهذا العامل ، فشعوبهما تتكلم بلغات مختلفة ومتباينة ، كذلك في سويسرا التي يسكنها شعب واحد ، ولكنه يتكلم بلغات متعددة ومختلفة ، وسكان القارة الهندية كذلك ، حيث يوجد فيها أكثر من ثلاثمئة لغة متغايرة ، فكيف يمكن اعتبار اللغة العامل الأساسي للوحدة القومية^(٤) .

أما عنصر التاريخ ، فلا يصح أن يكون أساسا للوحدة القومية ، ويجاب على ذلك: بأن التاريخ من صنع الرجال ، والعوامل المشتركة (كالعقيدة والمصالح أو اللغة) ، فإمكانية التقاء الأمم على مصالح مشتركة أمر قائم ، مع التباين في الأصول والثقافات ، ولكن

(١) انظر : المذاهب والأفكار المعاصرة في التصور الإسلامي، ص ٢٤٠ .

(٢) انظر: المرجع السابق : ص ٢٤١ .

(٣) انظر : القومية في ميزان الإسلام ، عبد الله ناصر علوان ، ص ١٩ ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م ، دار السلام للنشر والتوزيع والترجمة القاهرة .

(٤) انظر : المذاهب والأفكار المعاصرة في التصور الإسلامي، ص ٢٤٢ ، القومية في ميزان الإسلام ، ص ٢٠ .

تنتهي تلك العلاقة بانتهاء تلك المصلحة ، لعدم وجود رابط رئيسي يجمعها ، فما حدث في الحرب العالمية الأولى خير برهان على سقوط عنصر التاريخ ، فقد قاتلت ألمانيا مع تركيا دول الحلفاء بدافع المصالح المشتركة ، كما كانت المصالح المشتركة عاملاً لتجمع أمريكا وبريطانيا وروسيا في الحرب العالمية الثانية على ألمانيا النازية ، وبعد انتهاء الحرب دب الصراع بين هذه القوى المتحالفة ، من هنا فلا يمكن أن يكون التاريخ الذي صنعوه بأيديهم في إطار المصالح المشتركة أساساً لوحدهم القومية المشتركة ، وبهذا يسقط هذا العنصر الذي اعتبره دعاة القومية أساساً للوحدة^(١).

٢- عدم اعتبار الدين عاملاً رئيساً في الوحدة ، ومكوناً للفكر والأخلاق ، ورمزاً لتمييزها واستقلاليتها ، وهذا يؤكد الصورة الإلحادية التي خرج بها هذا المفهوم ، وعدم توافقه مع نظرة الإسلام الذي ألغى فوارق النسب واللغة والعرق حينما جعل البشرية سواء في الإنسانية يقول تعالى في ذلك : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)^(٢) كما جعل الرابطة بينهم تقوم على العقيدة الإيمانية يقول تعالى : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)^(٣) .

إن جماع القول في القومية الوافدة أنها لم تخرج من رحم الإسلام ، بل خرجت من واقع إلحادي استعماري ، يهدف إلى تفويض الإسلام ، بإبطال دوره في جمع كلمة الأمة وتشكيل فكرها وحياء شعورها ، وعليه فلا يصح أن يحمل هذا المفهوم على أنه نظير لمفهوم الإسلام في الوحدة ، وما فساد تلك الأسس التي اعتمدت القومية عليها إلا دليل ساطع على فسادها فكراً وفلسفة ومبدأً.

ثانياً : آثارها :

تركت تلك الدعوة آثاراً سلبية وخطيرة في العالم الإسلامي ، ويمكن إجمالها فيما يلي :

١- تفتيت الوحدة الإسلامية الجامعة للمسلمين ، بيعت الأفكار الضالة المستمدة من الغرب وتسويقها في المجتمع الإسلامي ، وتحويل الجيل المسلم إلى جيل متحلل من المبادئ

(١) انظر : القومية في ميزان الإسلام ، عبد الله ناصح علوان ، ص ٢٢-٢٣

(٢) سورة الحجرات الآية : ١٣

(٣) سورة الحجرات : الآية : ١٠

والقيم الإيمانية، ينساق وراء الشك والإلحاد ، لا يؤمن بعقيدة ربانية ، ولا يتطلع إلى تاريخ أمته ، ولا يتواصل مع مشروعها الحضاري^(٤) .

٢- إقصاء الشريعة الإسلامية عن الحكم والتشريع ، أي فصله عن الدولة ، وإنشاء الجامعة العربية بديلا عن الجامعة الإسلامية ، في سبيل استبدال الرابطة الدينية بالرابطة القومية^(١) .

٣- احتلال فلسطين عام ١٩٤٨م ، واقامة دولة إسرائيل بمباركة الاحتلال الأوروبي وفي إطار القومية والتصدع في الجسد الإسلامي تصبح قضية فلسطين ذات بعد قومي وليس إسلامي ، لنزع الشعور المقدس نحوها ، ولم يكن هذا الأمر عبثا ، بل بتخطيط وتدبير من اليهودية والصهيونية العالمية ترافقها الماسونية ، التي عملت على إسقاط الخلافة ، وتسويق فكرة القومية كبديل عن الرابطة العقائدية ، لما علموا من أثر العقيدة في جمع التكتلات العربية وتعميق أواصر المحبة بينها ، وتمكين جبهتها الداخلية والخارجية في مواجهة كل دخيل عليها^(٢) .

٤- التجزئة القطرية بين الدول العربية المسلمة ، بحيث ترى السوري غير المصري ، والسعودي غير اللبناني وهكذا ، مع إحياء النعرات العصبية الضيقة في كل قطر ، في محاولة للتجزئة والتوهين لوحدة الأمة الإسلامية ، ومن ثم يسهل على الدول الاستعمارية أن تتحكم في مصير تلك الشعوب^(٣) .

٥- تأسيس الأحزاب القومية الضيقة والواسعة على أسس قومية علمانية وإلحادية ، منها : الجمعية العلمية السورية سنة ١٨٥٢هـ ، والتي شارك فيها زعماء عرب تتباين عقائدهم ، وفي عام ١٩٣٢م أسس (أنطون سعادة) الحزب القومي السوري ، وكان يتبنى فكرة العلمانية ، ويؤمن بالقومية السورية معتبرا غير السوريين أجانبا ، على قاعدة (هيغل) كما أسس حزب البعث العربي الاشتراك في إطار القومية السورية بقيادة (ميشيل عفلق) وذلك في عام ١٩٤٧م ، ومن ثم انتقلت إلى بعد قومي عربي أوسع مساحة حيث تأسست حركة القوميين العرب إبان احتلال فلسطين ، وقد قام على تأسيسها مجموعة من العرب كانوا طلابا في الجامعة الأمريكية^(٣) .

(٤) انظر : القومية في الميزان ، ص ٣٧ ، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، ص ١٤٠

(١) انظر : واقعا المعاصر ، ص ١٠٨ ، القومية في الميزان ، ص ٢٨

(٢) انظر : القومية في الميزان ، ص ٣٩

(٣) انظر : أجنحة المكر الثلاثة ، ص ٢٧٢

(٣) انظر : المذاهب والأفكار المعاصرة في التصور الإسلامي ، ص ٢٣٧-٢٣٩ ، أجنحة المكر الثلاثة ، ص ٢٧٢-٢٧٣

إن هبوط الوعي بحقيقة القومية ومخططاتها ، يجعل الأمة الإسلامية أكثر قابلية للتعايش مع مفاهيمها ومبادئها ، وما نلمسه اليوم من تراجع في جميع قطاعات الحياة، إنما يندرج في إطار الحملة الموجهة على الإسلام والمسلمين ،وغزو الأمة بهذا السلاح ، الذي هو أخطر من كل الأسلحة التقليدية التي تحارب بها بعض شعوب الأرض ، من هنا كان الخطر اعظم ، والمصيبة أشد ، وبهذا يتعين على الأمة أن تتبصر حقيقة شخصيتها الإسلامية ، وتتحسس الفوارق العميقة بينها وبين غيرها ، ممن تقيدوا بظروف تاريخية وسياسية لا تتجاوزهم ، ولا يقاس بها على غيرهم ، لتندراً عن نفسها خطر الاحتواء والإلغاء الذي يحاول الغرب أن يحققه بسلاح القومية ، وخير برهان على ذلك لسان الحال الذي هو أصدق من المقال ، احتلال العراق في ظل الصمت العربي والإسلامي غير المبرر ، واحتلال فلسطين لأكثر من خمسين عاماً ولا يزال مع الصمت المطبق للأمة ، الحرب على أفغانستان وإقصاء رجالات العمل الدعوى عنها بالقتل والمطاردة والسجن متبوع بالصمت، بل التأييد أحياناً ! .

لا يمكن للأمة أن تتجاوز هذه المحنة إلا بالعودة إلى كتاب ربها وسنة نبيها محمد - صلى الله عليه وسلم - ، والتماس طريقها في ضوء مفاهيم الإسلام ، وتحرير فكرها من الفراغ الثقافي الذي استبدت بجملة منها ، ولا يكون ذلك إلا بإعادة بعث وإحياء الدراسات الشرعية من مظانها المعتمدة ، وإقامة إعلام إسلامي مضاد يعرض التصور الإسلامي وفق مبادئه الأساسية ، والحمد لله بدأنا نلمس هذا التوجه في الإعلام العربي في بعض الفضائيات التي تعرض القضايا الفكرية المعاصرة ، وتعالجها معالجة شرعية ، مما يجعل الحاجة إلى أمثالها أشد ، لتحصين الأمة من الفراغ الفكري ، الذي تسبب في تغلغل القومية بأفكارها ومنطلقاتها في العالم الإسلامي ، ومعالجة الخلل الذي أصاب الأمة والضلال الفكري الذي استبد بها .

المطلب الثاني

موقف أنور الجندي من القومية ودعاتها

من أخطر ما طرحه المنهج العلمي الغربي الوافد نظرية القومية والإقليمية ، ولما كانت القومية سلاح غربي لغزو العالم الإسلامي ، كان الحديث عن خطرها وأيديولوجيتها أمر واجب محتتم ، لا سيما وأنها تعرض في منهجيات تبدو وكأنها منسجمة مع مفاهيم الإسلام ، وقد خالطها التزييف والتصحيف ، وقد كان للمفكر أنور الجندي جهد واضح في الكشف عن تلك النظرية ، ففصل في جذورها ، وبين الأهداف المرتبطة بها ، وصحح المفاهيم الخاطئة التي يحاول الغرب فرضها على المجتمع الإسلامي.

أولاً : موقفه من القومية :

١- علاقة مفهوم القوميات بنظرية الأجناس :

يرى الأستاذ أنور الجندي وهو يحلل المناخ الذي برزت فيه القومية أو مفاهيم القوميات ، بأن هذا المفهوم كان متصلاً بأخطر مقررات المنهج العلمي الغربي الوافد ، حيث نظريات العنصرية وعلوم الأجناس المتضاربة ، لذلك قرن بين مفاهيم القوميات والأفليات وطبيعة تلك النظريات التي تقوم أساساً على التمييز بين الأجناس في إطار نظرية التفوق والاستعلاء الجنسي والطبقي ، من هنا كانت هذه الدعوة إلى إبراز هذا المفهوم؛ ليحل محل الدين ، لتشكل أديانا قومية وإقليمية تتفوق بها الشعوب وتتميز ، وتتصارع^(١).

يعرض الأستاذ أنور وقائع تاريخية أفرزتها تلك النظرية ، فيفيد بأن أوروبا انتقلت من وحدة الفكر الغربي المسيحي إلى عنصريات مختلفة استعلت بالدم والجنس ومنها: نظرية الدم الأبيض وتسفيه السلالات غير البيضاء ، وأسطورة الجنس اليهودي ، ونظرية الجنس ونظرية الجنس السكسوني (إنجلترا وأمريكا) ، ويؤمن بأن تلك النظريات كانت مصدراً للصراع العلمي والحروب الدامية بين الشعوب^(٢).

(١) انظر : الموسوعة الإسلامية العربية ، أخطاء المنهج الغربي الوافد في العقائد والتاريخ والحضارة واللغة والأدب والاجتماع ، أنور الجندي ج ١٨١/٦ ، الناشر دار الكتاب اللبناني - بيروت .

(٢) انظر : المصدر السابق ، ص ١٨١ ، الصوحة الإسلامية منطق الأصالة وإعادة بناء الأمة على طريق الله ، ص ٣٢٧ .

يقول الأستاذ أنور الجندي واصفا حقيقة تلك النظرية : " وقد برزت فكرة القومية في الغرب مقترنة بفكرة التفوق الإقليمي واحتقار الأمم الأخرى ، وتقوم المفاضلة بين الأجناس على أساس دعوى تقرر أن لكل جنس خصائص تميزه عن غيره " (١) .

من هنا يستنتج الترابط العميق بين تلك النظرية والبعد الاستعماري ، حيث السيطرة على الحضارة بتفوقها الإقليمي والجنسي ، وإلغاء الشهود الحضاري للشعوب الملونة ، ومنح الدول البيضاء مقومات القوة والعظمة والتفوق على الأجناس الأخرى والواقع يؤكد ذلك فقد عصفت بأمريكا ولانزال صراعات تقوم على الجنس والعرق بين أصحاب البشرة البيضاء والسوداء متصلا بعوامل القوة والضعف لكل ، فقد حرصت أمريكا على إضعاف الشعوب الملونة ، والعمل على إعاقة تقدمها على السلالات البيضاء ، يقول الأستاذ أنور معلقا على ذلك الترابط بين تلك النظرية والاستعمار : " ارتبطت نظرية العنصرية وإعلاء الأجناس والسلالات البيضاء عن طريق المنهج العلمي الغربي بالاستعمار ، واتخذت من مقررات العلم مبررات لها ومحاولات لتبرير السيطرة الاستعمارية على البلاد المتخلفة في أفريقيا وآسيا " (٢) .

من هنا فقد كشف الجندي عن منهجية الغرب في تحقيق أطماعها الاستعمارية ، وصورة ذلك أنهم يضعون أحكاما مسبقة وفرضيات ، ومن ثم يحاولون فرض أفكارهم ونظرياتهم من خلال إيجاد الأدلة والبراهين العلمية عليها ، وحجب الدلائل والمقررات العلمية الأخرى التي تثبت إخفاقها وفسادها علميا ، وعليه فقد قرن بين السياسة والعلم في المجتمع الغربي ، إذ أشار كلامه إلى أن الغرب إنما يوظف العلم في خدمة السياسة الاستعمارية والتي تقوم عليها دعائم حضارتهم، وهذا التحليل يصف لنا المزاجية التسلطية التي تقوم على صرع الحضارات والصدام معها ، انطلاقا من نظرية دارون التي تقول: (بقاء الأصلح) ، أو بما يسمى (الاختيار الاجتماعي) ، إذ يختار المجتمع الأصلح ليقود المجتمع (٣) .

يشير الأستاذ أنور الجندي إلى أن العالم الإسلامي لم يكن يؤمن بالقوميات كعامل للوحدة الإقليمية ، بل إن ظهور تلك المصطلحات إنما هو وافد وغريب على مفاهيم الإسلام ومنطلقاتها في التوحد ، ويؤكد بأن وحدة الفكر لا وحدة اللغة هي الأساس

(١) المصدر الصحوة الإسلامية منطق الأصالة وإعادة بناء الأمة على طريق الله ، ص ١٨٢ .

(٢) أخطاء المنهج الغربي الوافد ، ج٦/١٨٥ .

(٣) انظر : المصدر السابق ، ص ١٨٥ .

للتوحد في التصور الإسلامي ، فجامعة الفكر هي مصدر الترابط واللقاء بعيدا عن الاعترافات العرقية أو الجنسية أو اللغوية ونحو ذلك ، بهذا التحدي الكبير للنفوذ الاستعماري كان لابد من تغييب هذا المنطلق الإسلامي ؛ حتى يقيم نفوذه ويبسط قواه على المسلمين ، فكانت فكرة القومية في إطار الطرح الغربي مستمد من نظرية الفوقية والاستعلاء ، أو التفوق الإقليمي ، لتقسيم الجماعة الواحدة إلى عناصر ، بعضها يتبع العرق والجنس ، وبعضها يتبع اللغة والدين ، ومن ثم تنشأ الخلافات المذهبية في الإقليم الواحد ، مما يهيئ الأسباب لاحتواء العالم الإسلامي أو القضاء على وحدته ، وإفناء شهوده الحضاري بين الأمم^(١) .

اتخذ الأستاذ أنور العامل التاريخي منطلقا له في تعرية النظريات الغربية ، فالبيئات عامل مهم في تشكيل الثقافة ، والتطور الذي تمر به المجتمعات الغربية تاريخيا يكشف عن هويتها ، ويجلي الفوارق العظيمة بينها وبين غيرها من المجتمعات ، فنظرية القومية الغربية كانت مستمدة من ثقافة الاستعلاء والتفوق ، والتمايز بين المجتمعات البشرية بطابع الجنس واللغة والدم والعرق ، في حين تبدو منسجمة بوجهة نظرهم مع بعض النظريات العلمية ، لتمرير اتجاهاتها ومنطقاتها ، وبالطبع لا يمكن أن تتفصل تلك الرؤية عن العامل النفسي ، فهو مهم في دعم تلك التوجهات الاستعمارية ، فالعالم الغربي يكن الحقد الدفين على الإسلام والمسلمين الذين ثبتوا في مواجهتهم ردحا من الزمن وانتصروا عليهم ، وأقاموا أعظم حضارة عرفها التاريخ ، فما يعرض من تلك النظريات نتاج طبيعي لما تعبر عنه النفسية الغربية ، والتاريخ الذي مرت به يحدد مدى مطابقة هذه النفسية للواقع الغربي ، ولا يكاد عربي أو غربي يجهل مظاهر التجزئة للعالم الإسلامي في المحيط الجغرافي الواحد ، وأثرها ولعل أهمها : احتلال فلسطين وهي في قلب العالم الإسلامي ، وموت الوحدة الشعورية عند الجزء الآخر من المجتمع الإسلامي ، فالفناء المحقق بموت القلب ، وفلسطين هي القلب الذي زرع فيه الخنجر الغربي المسموم ، ليبقى المجتمع الإسلامي فاقداً للشعور ومغيباً عن بعضه الآخر ، واحتلال العراق في محاولة لإسقاط أثر الدين أو العروبة في جمع لحمة المسلمين والنهوض لطرده هذا الجسم الغريب عن الأمة ، وإعادة السيادة لمعلم من معالم النفوذ الحضاري للمسلمين ، وكلنا أسف ونحن اليوم نتغنى بحضارة المسلمين التي عرفها التاريخ ، والحضارة تسلب ، بسلب مقوماتها والتي من أهمها العقيدة (وحدة الفكر والتصور) .

(١) انظر : الإسلام والدعوات الهدامة ، أنور الجندي ، ص ٢٢٥ ، دار الكتاب اللبناني بيروت - لبنان ١٩٨٢م.

لذلك أرى بأن الأستاذ أنور الجندي كان بارعا ورائدا في تحليل حركة التاريخ غير مكثف بدراسة الظواهر على علاتها ، إنما يرصد البواعث الكامنة وراءها ، مؤصلا لذلك التحليل بشهادة التاريخ والحال .

يكشف الأستاذ أنور عن فساد نظرية الأجناس ، فيبين زيفها ، بإبراز حقيقة خالدة لا يمكن إغفال أهميتها ، وهي وحدة الجنس البشري الذي تشكل كله من نفس واحدة وتتنوع في شعوب مختلفة في إطار وحدة الجنس ، دون اعتبار للاختلاف في الجنس والعنصر والوطن بأنه يؤثر في جوهر القيمة الإنسانية ، فالبشر جميعا أخوة في الإنسانية ، وهذه حقيقة علمية لا يختلف عليها أحد ، ويشير إلى أن الإسلام اعتبر المفاضلة في العمل لا في الجنس^(١)، والعمل المراد به هو التقوى التي عبر بها القرآن في قوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)^(٢) من هنا يتبدى سقوط تلك النظرية ، وان مرجعيتها تقوم على الأهواء والعصبية ، وهذا المنطق لا يستقيم مع الحقيقة العلمية أو التاريخية .

كما يسوق من مقررات العلم بما يقطع بفساد تلك النظرية ، ومن جملة ذلك محاولة إثبات بأن مخ الزنجي أقل من حجم مخ الأوروبي ، إذ تثبت الدراسات بأن الذين اشتهروا بقوى عقلية مميزة لم يكونوا ذوي أمخاخ كبيرة في حجمها أو وزنها^(٣)، كما تشير الدراسات إلى أن عوامل الانحطاط لا ترجع إلى السلالات البيضاء والملونة ، إنما ترجع إلى القدرات الاقتصادية والحضارية والعلمية ، مضيفا بأن اختلاط الأجناس واقع قائم منذ بدء البشرية ، وعملية مستمرة ، حيث إن الهجرة كانت قديمة قدم السلالات البشرية ، والتاريخ يؤكد بأن جميع الحضارات حدثت نتيجة الغزو من جماعات البدو الرحل ، وانتهت بانهيار القسم الطبقي ، وإفراز خليط مختلف من السكان ، ويفيد بأن سكان أوروبا وهم متعددة الأصول لا يمكن تصنيفهم الآن ؛ بسبب اختلاط الأجناس ، بما يقضي بعدم وجود سلالات بشرية نقية ،^(٤) بهذا الحشد من الأدلة يصل الأستاذ أنور إلى بطلان نظرية الأجناس ، ومن ثم عدم توافق مفاهيمها ونتائجها مع الإسلام ، وأنها غريبة

(١) انظر : أخطاء المنهج الغربي الوافد ، ج٦/١٨٢ .

(٢) سورة الحجرات : الآية ١٣ .

(٣) انظر : أخطاء المنهج الغربي الوافد ، ج٦/١٨٢ انظر : الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي " موسوعة شاملة لشبهات الأدب والثقافة والتاريخ والسياسة والاجتماع وتراجم الأعلام والمؤلفات تضم أكثر من مئتي مصطلح " أنور الجندي ص ٣٠٦ ، دار الاعتصام .

(٤) انظر : أخطاء المنهج الغربي الوافد ، ج٦/١٨٤ .

النظرة تنقسم عن الإسلام في الأصول والفرعيات ، ولا تصلح لأن تكون جزءاً من عقلية الأمة أو ثقافتها .

٢ - مفهوم العروبة ومدى توافقه مع الإسلام :

يرى الأستاذ أنور بأن مفهوم القومية الغربي جاء ليفصل بين العروبة والإسلام وذلك بإخراج مفهوم العلاقة التي بينهما عن الوضع الأصيل، ويبين بأن غاية ما يريده النفوذ الأجنبي هو أن تكون القومية عبارة عن إقليمية ضيقة تنحصر في مفهوم الوطنية والاستعلاء بالأرض والتاريخ ، ويضيف: بأن تلك المحاولة قد فشلت ببروز مفهوم العروبة ليكون قاعدة للتجمع والوحدة في مواجهة النفوذ الأجنبي ، وينظر الجندي إلى أن اتجاه الغرب لتفريغ مفهوم العروبة من قيمته الحقيقية إنما كان من تقديرهم للعلاقة التي تجمع بين العروبة والإسلام ، لذلك فقد عمدوا إلى إحياء دعوات جاهلية تفصل بين هذه العلاقة قومية تفصل بين التراث والثقافة ، وقد أطلق عليها (القومية العلمانية) لذلك فهو يحذر منها ، ويرى أنها تمثل قاصمة ظهر للمسلمين^(١)، وتهدف إلى تدمير وحدة العروبة والإسلام الجامعة ، ويؤكد ذلك بما حرص عليه النفوذ الأجنبي في الأقطار العربية باستعمال كلمة القومية بما يخدم الأهداف الغربية في النظرية الإقليمية كوسيلة للتجزئة ففي مصر استعملت كلمة القومية الإقليمية باسم الفرعونية ، وفي سوريا باسم الفينيقية وفي العراق باسم (الآشورية) (البابلية) وفي المغرب باسم (البربرية) ، مشيراً إلى أن هذا الاتجاه كان بمعونة من رجالات الاستشراق الصهيوني ، الذي قدم دراسات مضللة بهدف بعث تلك النحل التي قضى عليها الإسلام^(٢) ويذكر قولاً يعتمد عليه في تثبيت تلك الحقيقة لكبير السياسيين وكبير المستشرقين البروتستانت الدكتور " صمويل زويمر " في قوله : " إن أول ما يجب عمله للقضاء على الإسلام هو إيجاد القوميات " ^(٣).

يرفض الأستاذ أنور تلك المحاولات القاضية بتعرية العروبة من كل مفاهيمها المرتبطة بالإسلام ، سواء في السياسة كالترايط والانفتاح بين الأمم الإسلامية ذات التاريخ والثقافة الواحدة والعقيدة الواحدة التي تجمعها منذ أربعة عشر قرناً ، يقول الأستاذ أنور : " كان هدف دعاة القومية أن يفصلوا العرب عن الفكر الإسلامي وعن الامتداد الإسلامي

(١) انظر : الإسلام والدعوات الهدامة ص ٢٢٦ .

(٢) انظر : معلمة الإسلام ، أنور الجندي ، ج ٢ / ص ٢١٦ .

(٣) وانظر : نحو بناء منهج البدائل الإسلامية " للنظريات والأيدولوجيات والمفاهيم الغربية الوافدة المطروحة في مناهج التربية والثقافة والعلوم " أنور الجندي ، ص ٢٢٨ - ٢٢٩ ، دار الاعتصام .

وأن يخلقوا كيانا عربيا يعود بالعرب إلى كنعان وعدنان وإرم ، وإحياء هذا التراث القديم بعد أن سيطر الفكر الإسلامي أربعة عشر قرنا كاملة على هذا العالم الواسع ، واستوعب في أعماقه كل فكرة صائبة ونظرية صالحة من ذلك التراث القديم" (١)

من هنا فلا يرى الأستاذ أنور الجندي بأن الفكرة القومية الوافدة استطاعت أن تحتوي مفهوم العروبة والإسلام ، مفسرا ذلك بأن مضمون الفكرة القومية عند الغرب اقترن بفكر التفوق الشعبي واحتقار الأمم الأخرى ، وهذا منطق يرفضه الإسلام اللاهوتية التي هي اصل في الطرح الغربي لمفهوم الدين أو في النظرة إلى الدين ، فالإسلام كما سلف نظام حياة ، كما أن الدراسات تشير إلى أن القومية الغربية دعوة عنصرية تهدف إلى قطع الروابط والصلات بين المسلمين ، وعزل العرب عن التاريخ الإسلامي ببطولاته ومواقفه ، وهذا كله يرمي إلى تفرغ العرب من إسلامهم (٢).

ولكن هل من الممكن أن تكون العروبة بديلا عن الإسلام ؟ يرى الأستاذ أنور بأن العروبة غير الإسلام ، فيفيد بأن العروبة دعوة في نطاق القوميات ، أما الإسلام دين وفكر وحضارة ، ومن ثم فلا يرى بأسا بدعوات القوميات التي ظهرت في القرن التاسع عشر في العالم الإسلامي باعتبارها وسيلة للمقاومة ، لكن تلك القومية لا تتفصل عن الإسلام باعتباره جوهر تلك العروبة ، أما إذا عريت العروبة عن الدين كما هو في الطرح الغربي المستمد من مفهوم الغرب والمسيحية ، فهذا مرفوض ومناقى لديننا وقيمنا وعقيدتنا (٣).

من هنا فقد رأى بأن الترابط والتكامل بين العروبة والإسلام في الفكر العربي والإسلامي أمر طبيعي يصل في قوته وعمقه درجة الترابط العضوي ، فالعروبة وحدها عاجزة عن إثبات وجودها إلا بقوة دافعة لها عبر عنها بالإسلام ، فهو سبب قوتها وتماسكها واستمراريتها ، معتبرا عملية الفصل بينهما إساءة للعروبة وليس للإسلام (٤).

يقول الأستاذ أنور الجندي وهو يصف العلاقة التكاملية بين العروبة والإسلام بقوله : " فالعروبة جزء من الإسلام بل هي نتاج الإسلام ، فالإسلام هو الرابطة التي جمعت العرب كلهم على إيمان واحد ، ولولا الإسلام لبقى العرب في جزيرتهم قبائل

(١) معلمة الإسلام، ج ٢ / ص ٢٢٠، انظر : اليقظة الإسلامية في مواجهة الاستعمار منذ ظهورها إلى أوائل الحرب العالمية الأولى

أنور الجندي ، ص ١٧٩ ، دار الاعتصام ، القاهرة .

(٢) انظر : المصدر السابق ، ٢ / ٢٢٦ .

(٣) انظر : شبهات في الفكر الإسلامي ، أنور الجندي ، ص ١٠ ، دار الاعتصام - القاهرة ، الشبهات والأخطاء الشائعة في

الفكر الإسلامي ص ٢٥١ - ٢٥٢ .

(٤) انظر : معلمة الإسلام، ج ٢ / ص ٢٢٣ .

متفرقة لا قدر لها في تاريخ الحضارة الإنسانية ، فللإسلام على العرب فضل توحيدهم وفضل إطلاقهم في معارج الحضارة وفي الحياة الإنسانية^(١) .

يعتمد الأستاذ أنور الجانب التاريخي لتأكيد تلك العلاقة ، فيذكر بأن العروبة الحنفية منذ قرون كانت مهد للرسالات السماوية منذ فجر التاريخ ، حيث كانت دعوة إبراهيم ومنها امتدت إلى أبنائه اسحق جد اليهود والمسيحيين (وإسماعيل) وهو جد العرب ، وامتد عطاء هذه الرسالات الممتدة من العراق إلى آسيا الصغرى إلى فلسطين على يد هذه الأمة ويستنتج من ذلك أن الإسلام كان بمثابة الصورة النهائية لتلك المجتمعات ، إذ يرى بأن تلك المجتمعات قد تشكلت داخل عطاء تلك الرسالات ، فالفينيقية والبابلية والفرعونية والآشورية والبربرية كانت من مصدر واحد ، انصهرت بالإسلام عندما ألغى فيها تلك النزعات في وحدة الفكر ، بحيث يتعذر الفصل بينها لا في الأديان ولا في الأجناس فالجزيرة العربية على هذا الاستدلال هي الأم التي تفرعت عنها الرسالات السماوية وعليه فقد بنى الأستاذ أنور الجندي قولته المشهورة (الإسلام صانع العروبة)^(٢) .

وعليه فلا يوجد أي تباين بين مفهوم العروبة والإسلام ، ولا يمكن أن تكون العروبة بحال بديلا عن الإسلام ، لأنها من نتاج الإسلام ، فالإسلام قوتها ، وما كانت العرب أمة إلا بالإسلام الذي عمل على توحيدها .

٣ - الفصل في شبهة عروبة الإسلام :

يكشف الأستاذ أنور عن محاولة وصم الإسلام بأنه عربي، أو أنه عنصر من عناصر العروبة ، ويعد ذلك تعبيراً عن العجز الكبير في فهم الإسلام ومكانته ، وموضعه من العالم بأسره ، ويجب على ذلك : بأن ظهور الإسلام بلسان العرب يعد تشريفاً للعرب والعربية ، ولم يكن الإسلام ديناً عربياً بمفهوم الأديان الأخرى باعتباره ديناً قومياً أو لاهوتياً فالإسلام يتسم بالشمولية ، فهو منهج جامع متكامل إلي البشرية جمعاء ، متفاعل مع التاريخ البشري أخذاً وعطاءً .^(٣)

إن إطلاق تلك الشبهة يعد جهلاً بحقيقة اللغة العربية ، يذكر الأستاذ أنور العلاقة بين اللغة والفكر في سياق الرد على تلك الشبهة فينبه إلى أن اللغة العربية لغة العرب

(١) منهج الإسلام في بناء العقيدة والشخصية ، أنور الجندي ص ٤٢-٤٣ ، دار الاعتصام - القاهرة .

(٢) انظر : معالم التاريخ الإسلامي المعاصر " العروبة والإسلام " ، أنور الجندي ، ص ٣٥٩-٣٦٤ ، مطبعة الجبلاوي شارع الزعة البولاقية ، خصائص الأدب العربي ، أنور الجندي ، ص ٤٢ ، دار الاعتصام .

(٣) انظر : المصدر السابق ، ص ٣٥٦ .

عامة ، ولغة ثقافة لسبعمئة مليون مسلم ، فأسس الإسلام نفسه ارتبطت باللغة العربية ، وبالتالي تتميز اللغة العربية بأنها لغة أمة ولغة فكر^(١) .

لذلك يرفض القول بعروبة القرآن، وأطلق تمسكه بعربية القرآن ، وذلك لتنبهه من تلك الدعوى التي يراد بها أن يبقى القرآن عند حد بيئته العربية المحدودة ومن ثم تنتفي صفة العالمية عن القرآن أو عمومية الإسلام ، يقول الأستاذ أنور الجندي محلا تلك الحقيقة : " هذا التلبس بالوصف بالعروبة بدلا من النسبة إلى العربية - أن وصف القرآن بالعروبة إنما قصد به قصره على العرب ، إذ العروبة اسم يراد به خصائص الجنس العربي ومزاياه فيتحقق لهم ما يريدون الوصول إليه من قصر القرآن على العرب ، وما يؤدي إليه من الوقوف بالإسلام عند حدود المحلية الضيقة بدلا من العالمية المنتشرة في الزمان والمكان " ^(٢) .

الواقع أن هذا الرد تؤيده النصوص القرآنية والنبوية، كما يؤيده دليل الحال فقد ساق القرآن الكريم عشرات الآيات التي تبين العمومية في الخطاب فكفر منها قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالرَّحَامَ) ^(٣) فأية يا أيها الناس دلت على الجنس الإنساني الواحد ، وعموم الخطاب يشير إلى لغة الفكر فيشمل كل عربي وغير العربي في إطار العموم ، كما تشير إلى وحدة البشرية .

كما تؤيد ذلك نصوص السنة منها الحديث الذي رواه جرير بن عبد الله يقول: " يَوْمَ مَاتَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ قَامَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَتَى عَلَيْهِ وَقَالَ عَلَيْكُمْ بِاتِّقَاءِ اللَّهِ وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَالْوَقَارِ وَالسَّكِينَةَ حَتَّى يَأْتِيَكُمْ أَمِيرٌ فَإِنَّمَا يَأْتِيكُمْ الْآنَ ثُمَّ قَالَ اسْتَغْفُوا لِأَمِيرِكُمْ فَإِنَّهُ كَانَ يُحِبُّ الْعُفْوَّ ثُمَّ قَالَ أَمَا بَعْدُ فَإِنِّي أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ أَبَايَعُكَ عَلَى الْإِسْلَامِ فَشَرَطَ عَلَيَّ وَالنُّصْحَ لِكُلِّ مُسْلِمٍ فَبَايَعْتُهُ عَلَى هَذَا وَرَبِّ هَذَا الْمَسْجِدِ إِنِّي لَنَاصِحٌ لَكُمْ ثُمَّ اسْتَغْفَرَ وَنَزَلَ " ^(٤) فالحديث ظاهر الدلالة على وجوب النصيحة لكل المسلم ، فالإطلاق في الوصف دليل على أن المسلم ليس بالضرورة أن يكون عربيا بالنطق بل قد يكون عربيا بلغة الفكر التي أرساها القرآن الكريم ، وإلا

(١) انظر : شبهات في الفكر الإسلامي ، ص ٢٧ .

(٢) مدخل إلى القرآن الكريم ، أنور الجندي ، ص ٨٥ ، دار الاعتصام .

(٣) سورة : النساء : الآية ١ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان " باب الدين النصيحة لله ورسوله ولأئمة المسلمين " ، انظر : فتح الباري ١ / ٢٠٠٤ .

كيف (صلاح الدين الأيوبي) من أعظم الأبطال في تاريخ الإسلام وهو غير عربي اللغة كمنطق ذات مدلول قومي؟ ! إن الواقع يمنع ذلك فاللغة كما أفاد المفكر أنور الجندي هي لغة الرسالة، فهي محفوظة بها، أما ما تحمله من معانٍ وقيم فهي لغة الثقافة والفكر الذي جاء للعالم أجمع يقول الأستاذ أنور الجندي في هذا الصدد: "إن محاولة القول بأن العروبة هي كل من يتكلم عربياً لا يقرها الإسلام، إنما يقر الإسلام حقيقة: من يفكر عربياً، وهذا يعني أن اللغة هي جزء من الفكر الذي هو الإسلام، وبذلك يدخل صلاح الدين والظاهر بيبرس وعشرات وغيرهم من المسلمين الذين شكلهم الفكر الإسلامي العربي اللغوي، القرآني المصدر" (١).

ثانياً : موقفه من دعاة القومية :

١- ساطع الحصري

لقد كان ساطع الحصري من أبرز دعاة القومية، لذلك فقد كان محل اهتمام المفكر الإسلامي أنور الجندي، فقام برصد آرائه وتفنيدها، ومن الآراء التي أخذها عليه:

أ - فكرة فصل مفهوم العروبة عن الإسلام: والتي تعد محور الصراع في هذه القضية يرجع الأستاذ الجندي ذلك إلى تأثير ساطع الحصري بمفهوم القومية الغربي الوافد، كما ويرجع ذلك إلى أن ساطع الحصري كان ثمرة من أنضج ثمار المدرسة الاتحادية التركية وهي من أكبر المؤثرات التي شكلت فكر ساطع الحصري، والاتحاديون تربوا في المحافل الماسونية، التي حرصت على فصل العرب عن الدولة العثمانية، وتدمير الخلافة التي تمثل وحدة الأمة ومظهراً لسيادة الإسلام، لذلك كان من أكبر دعاة القومية الطورانية التركية، الذين نقلوا تلك المفاهيم إلى محيط العروبة التي ارتبطت أساساً بالإسلام، وقد انصبت اهتماماته بالتركيز على اللغة والتاريخ في سبيل عزلهما عن نطاق الفكر الإسلامي، ومن أخطر ما أخذه عليه اعترافه: بأن إسرائيل قومية تقوم على الدين، في حين يرفض اعتبار الإسلام مقوماً بوصفه ديناً، ويفسر الجندي ذلك في أن ساطع الحصري إنما أخذ آراءه من مدرسة الاتحاديين التي تستقي مفاهيمها من الغرب المسيحي اللاهوتي، إذ يؤمن بأن الإسلام لا يعدو أن يكون ديناً لاهوتياً، ولا توجد علاقة لهذا الدين بالنظام السياسي والاقتصادي والأخلاقي وما يتعلق بأمور الحياة جملة (٢)، ويجيب

(١) معلمة الإسلام، ج ٢ / ص ٢٢٨

(٢) انظر: جيل العمالقة والقمم الشوامخ في ضوء الإسلام، / ص ١٥١ - ١٥٢، الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر

الإسلامي، ص ٤٢٩ - ٤٣٠

الجندي على ذلك : بأن ساطع الحصري لم يدرك الفرق بين الدين بعامة الإسلام بخاصة ولم يحط بالفروق العميقة بينهما سواء في العصر والبيئة والجذور الثقافية التي تختلف فيها نظرة الإسلام عن الطرح الغربي في مفهوم العلاقة بين العروبة والإسلام، أو الإسلام والحياة ، لذلك فقد كان مفهوم العروبة ناقصاً في فهم ساطع الحصري، ولم يرتق إلى مفهوم العروبة الذي يترابط مع الإسلام ترابطاً جذرياً^(١) ، فالإسلام هو الذي أوجد في العرب قبل الإسلام كياناً موحداً ، وكان العرب هم حملة الرسالة للعالمين ، وكانت قاعدة هذه الرسالة المساواة والعدل ، ويشير الأستاذ أنور: بأن ساطع الحصري تأثر من تجارب البلقان والوحدة الألمانية، وما فعله الاتحاديون في تركيا ، عندما نزعوا بلادهم من الإسلام إلى القومية الطورانية^(٢).

ب - عجزه عن فهم ماهية اللغة العربية والتاريخ:

أخذ أنور الجندي على ساطع الحصري فهمه للغة على أنها أساس الوحدة ويجب على ذلك : بأن الفكر هو أساس وحدة الأمة وليست اللغة ، فلغة ألف مليون مسلم هي لغة الفكر الذي حمله القرآن بلغة العرب، فحفظ بها ، ويشير إلى أنه تأثر بالخلافات قياساً بما حدث للغة اللاتينية التي تفرقت إلى لهجات ، من هنا استفاد الحصري نظريته في إقليمية اللغة ، فحاول فرض هذا المفهوم على اللغة العربية ، متغافلاً الفرق العميق بينهما يرفض الأستاذ أنور هذا القياس ، لأنه قياس مع الفارق العظيم ، ذلك أن الإسلام حين ظهرت فيه المذاهب لم يتمزق إلى أديان متضاربة ، بل كان ذلك في إطار التنوع في الاجتهاد الذي دعمه التشريع ، بغية رفع الحرج والتضييق على المسلمين ، كما كشف عن النظرة الخاطئة للتاريخ ، حين اعتبر أن للعرب تاريخاً منفصلاً عن الأمة الإسلامية بقوله بإقليمية التاريخ ، ذلك أن اللغة كانت لسان الأمة، ولا تاريخ للعرب غير تاريخ الإسلام ، ولولا القرآن لتمزقت اللغة، وانفصل العرب طوائف متباينة في عقائدها ، وعليه فتاريخ العرب هو تاريخ الإسلام الذي لا يمكن فصله بسبب هذا التلاقي الذي بين العروبة والإسلام^(٣).

(١) انظر : معلمة الإسلام ، ٢ / ٢٢٩ - ٢٣٠ ، قضايا الأدب والثقافة والفن ، أنور الجندي ، ص ٣٤٨ ، دار الاعتصام إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام ص ١٨٥ ، انظر : جيل العمالقة والقمم الشوامخ في ضوء الإسلام ، ص ١٥٦ - ١٥٧ .

(٢) انظر : أصالة الفكر الإسلامي في مواجهة التغريب والعلمانية والتنوير الغربي ، ص ٣٤٨ ، الطريق أمام الدعوة الإسلامية أنور الجندي ص ٥٣ .

(٣) انظر : أصالة الفكر الإسلامي في مواجهة التغريب والعلمانية والتنوير الغربي ، ص ٣٥٠ .

بذلك يظهر الوجه الحقيقي لساطع الحصري ، وتبين فساد نظرياته التي استفادها من الاتحاديين الماسون، ومن النظرة المسيحية اللاهوتية التي تريد تقويض الإسلام ، إلا أن تلك النظريات لم تلق رواجاً بين المفكرين والمنقذين في وقتنا الحاضر ، بسبب أنها فقدت قدرتها على العطاء ، غير أنها تحاول أن تخرج بلباس جديد في إطار من الماركسية والبعثة والناصرية ، ولكن سقوطها تاريخياً وأيديولوجياً حال دون تسلسلها التاريخي والاجتماعي ، لاسيما وأن الصحوّة الإسلامية تتحرك في الاتجاه الصحيح نحو التوحد على منهج الله .

٢- محمد عمارة :

لقد عد المفكر الإسلامي أنور الجندي الدكتور محمد عمارة من عصابة العلمانيين القوميين ، منتزعا عنه صفة الباحث الإسلامي أو المفكر الإسلامي ، باعتباره أحد الكتاب اليساريين الذين يعرفون بأرائهم المبتدلة في الفكر والتاريخ والفقهاء ، غير أن الأمر هنا على خصوصيته مع الدكتور محمد عمارة ، فقد كانت آراؤه تمثل وجهة نظر العلمانيين القوميين من وجهة نظر الأستاذ أنور الجندي ، حين رصد كتاباته التي تعلي من شأن الفكر القومي ، وتحليلاته المندفعة نحو العقلانية المجردة .

إن المواقف التي كانت محورا للخلاف في قضايا الفكر بين الأستاذ أنور والدكتور عمارة كثيرة ، إلا أن الحاجة لذكرها غير مفيدة هنا، إلا ما كان محل هذه القضية التي نحن بصدد مناقشتها وهي آراؤه القومية ، وقد كانت أخطر آرائه التي أخذها عليه في تفسيره للحروب الصليبية ومقاومة المماليك للتتار أنها معارك عربية قومية ، ويجب الأستاذ أنور على ذلك ويرى بأنها كانت معارك إسلامية خاضها المجاهدون المسلمون ورجال الطرق الصوفية^(١)، ويتعجب لذلك بقوله : " ومن العجيب أن يقال : إن حروب التتار والحروب الصليبية هي حروب عربية قومية ، وهي مرتبطة أساسا بيزوغ الإسلام وأثره في السيطرة على مناطق كانت في حوزة الدولة الرومانية في الشام ومصر والمغرب ، وقد امتدت هذه المعارك منذ ظهور الإسلام بين المسلمين على حدود الشام والدولة البيزنطية ، ثم اتسعت إلى حروب صليبية في الشام وحروب الفرنجة في المغرب بمحاولة استرداد الأندلس " ^(٢) ويستنتج الأستاذ أنور من ذلك بأنه كان سبباً في الصراع الذي أثاره الغرب حول دعوتهم باسترداد ما سلب من المسيحية بسبب تلك الحروب

(١) انظر : إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام ص ٢٩٦ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٩٦ - ٢٩٧ .

باعتبار أن الصراع كان قومياً ولا يحمل أي بعد ديني ، إضافة إلى أن كلمة عروبة لم يكن لها وجود في تلك الفترة ، ولم تظهر إلا بعد سقوط الدولة العثمانية عام ١٩١٨م^(٣) .

إن إقحام كلمة العروبة في تحليل حركة الصراع في الحروب الصليبية، ومقاومة التتار كانت المقتل للدكتور محمد عمارة ، باعتبار أن هذا الوصف لم يكن له وجود في ظل المد الإسلامي ، وأي محاولة للفصل تعد خطأ تاريخياً وتجاوزاً للحقيقة ، بهذا التقيد رأى الأستاذ أنور بأن محمد عمارة متفق في آرائه مع الماركسية والقومية المفرغة، يقول الأستاذ أنور في هذا : " إن خطأ محمد عمارة أنه يفسر التاريخ بأهواء القوميات والماركسيات المعاصرة التي تريد أن تترد إلى الوراء لتجعل لها جذوراً غير حقيقية " (١)

لذلك رأى بأنه لا يقل عن ساطع الحصري في محاربتة للوحدة الإسلامية ، وفي تجاوزه الحقيقة التاريخية من خلال تفسيراته المضللة التي تخدم أعداء الوحدة الإسلامية (٢) .

يرى الباحث بأن الأستاذ أنور الجندي قد أصاب وأخطأ في الحكم على المفكر الدكتور محمد عمارة ، وصورة ذلك :

أ- خروج الأستاذ أنور عن قواعد البحث العلمي الذي يقوم على توثيق الإحالات وثبت النقل من مظانها تحرياً للحق ، ودرءاً للظن والشبهة، وهذا خطأ كبير لطالما استدركه الباحث على الأستاذ أنور الجندي .

ب - لا يمكن إنكار نسبة المفكر محمد عمارة لما يسمّى (باليسار الإسلامي) وتبنيه لجميع الأفكار التي يعلنها هذا الحزب أو تلك الجماعة ، مما يجعل ما نسب إليه صحيحاً لاسيما وأنه يعبر عن رؤية هذا الاتجاه اليساري ، غير أن هذا الحكم قد سقط بخروج الدكتور محمد عمارة عن اليسار ، وبالتالي تراجع عن آرائه وأفكاره التي كانت محل الجدل والاختلاف .

وحتى لا تصدر الأحكام جزافاً نعرض اعترافه بذلك، حيث يقول : " اعتقد أن الله — سبحانه وتعالى — له مقادير وتقديرات. فهذه الإطالة على اليسار كانت بمثابة "بعثة"

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٩٧ .

(١) ، إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام ص ٢٩٨ .

(٢) انظر : المصدر السابق ، ٢٩٩ .

لأكشف مفاتيح هذا الفكر، حتى يأتي اليوم الذي يحتدم فيه الجدل مع الإسلام، وأكون من أقدر الناس على كسر شوكة أعداء الفكر الإسلامي من اليساريين والمتغربين".^(٣).

ج- إن الكتابات المعاصرة للدكتور محمد عمارة تعد دليلاً آخر للبراءة الكاملة من جميع الأفكار الضالة التي نسبت إليه سابقاً ، ولاسيما في موقفه من العروبة وعلاقتها بالإسلام ونذكر من ذلك وصفه للعروبة وعلاقتها بالإسلام ضارباً بالطرح القومي عرض الحائط يقول : " إن هذه العروبة ليست خصوصية للأمة العربية بالمعنى القومي ، وإنما هي لازمة من لوازم الإسلام ، فهي عروبة اللغة ، التي يستحيل على المسلم من أي جنس أو لون أو قومية أن يفقه القرآن العربي المعجز ، فيبلغ في فقهه مرتبة الاجتهاد والتشريع دون أن يكون عربي اللغة " ^(١).

وفي حديثه عن عروبة الفكر والثقافة قال : " إن الدولة الإسلامية لا بد وأن تكون عربية اللغة والفكر والثقافة ، بصرف النظر عن لغة وقومية الرعية والعامّة والجمهور ... ومن هنا جاء ارتباط الإسلام بالعروبة الحضارية ، وصارت العربية لغة الإسلام ، ... تلك هي العروبة وثيقة الصلة بالإسلام ، العروبة الحضارية التي أثمرها الإسلام ، وليس عروبة الجاهلية وعصبيتها العرقية الفاصرة الشوهاء التي أسقطها الإسلام " ^(٢).

وفي ذمه للقومية في إطارها الجاهلي تحدث عن ضرورة تهذيب القومية في إطار المعايير الإسلامية بقوله : " فالإسلام هو الأب الشرعي الوحيد الذي إليه ينتسب كل مسلم ، وما تعدد وتميز أوطان وقوميات أبنائه المسلمين إلا كتعدد أمهات هؤلاء الأبناء الذين تجمعهم رابطة الانتساب إلى أبيهم الإسلام " ^(٣).

وفي تحذيره من القومية العلمانية تحدث قائلاً : " إن القومية العلمانية - التي عرفها الغرب - والتي استعارها منه المتغربون من مفكرينا وساستنا - وإن عملت للوحدة القومية الجامعة شتات الشعوب التي مزقتها الاستعمار - إلا أن علمانية هذه القومية تجعلها تحارب إسلامية الواقع والفكر في مجتمعنا ودولتنا ، ومن ثم فهي موظفة ضد الصبغة

^(٣) جريدة الرياض الجمعة (٢٦) ربيع الثاني ١٤٢١هـ العدد (١١٧٢٢) زاوية تحقيقات العلماء والفقهاء والدعاة يفتحون قلوبهم .

^(١) الإسلام والتعددية (الاختلاف والتنوع في إطار الوحدة ، د. محمد عمارة ، ص ٢٠٩ ، الناشر / دار الرشاد ، شارع جواد حسني - القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .

^(٢) المصدر السابق ، ص ٢١٠ .

^(٣) معالم المنهج الإسلامي ، د. محمد عمارة ، ص ١٩٢ ، الناشر دار الرشاد - القاهرة ، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ -

الإسلامية لوحدة الأمة ، كما أنها بإسقاطها الدائرة الإسلامية من نطاق اهتماماتها الفكرية والعلمية، وفي ذلك تقترب القومية العلمانية من عصبية الجاهلية " (٣)

إن هذا الحشد من النقول لكتابات الدكتور محمد عمارة يقطع ببراءته ، ويقضي برجوعه إلى الدائرة الصحيحة التي عليها جمهور الدعاة والمفكرين الإسلاميين ، ومن هنا كان على الأستاذ أنور الجندي أن يسقط حكمه السابق بدراسة الواقع الجديد لهذا المفكر لا سيما وأن تلك الكتابات كانت حال حياته ، ولا يعني كلام الباحث هنا التقليل من شأن الأستاذ أنور الجندي فهو علم لا ينكر ، وقامة في العلم شامخة لا يغفل أثرها ، ولكن الأمانة العلمية والمسئولية التاريخية تقضي بأن نكون وقافين عند الحق .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٩٣ .

الفصل الرابع

موقفه من الفلسفات المعاصرة

المبحث الأول : الفلسفة اليونانية وأثرها في الفكر المعاصر

المبحث الثاني : الماركسية

المبحث الثالث : الفلسفة الفرويدية

المبحث الرابع : الفلسفة الوجودية

المبحث الأول

الفلسفة اليونانية وأثرها في الفكر المعاصر

المطلب الأول : تعريفها - وأسسها .

المطلب الثاني: موقف أنور الجندي من الفلسفة اليونانية

المطلب الأول

الفلسفة تعريفها - أسسها

أولا : الفلسفة لغة :

إن الفلسفة كلمة متأخرة في تاريخ الفكر الإنساني ، وهي يونانية الأصول نحتت من " فيلو " وتعني محب أو صديق و " صوفيا " ويراد بها الحكمة ، وكانت الثانية هي المستعملة في بداية الإطلاق ، ويقال: بأن أول من سمي الفلسفة على هذا الحصر هو فيثاغوراس (١).
ويذكر الفارابي تعريفا لغويا للفلسفة وجاء فيه : " اسم الفلسفة يوناني ومعناه إثثار الحكمة ، والفيلسوف معناه المؤثر للحكمة " (٢).

ثانيا : الفلسفة اصطلاحا :

يعرف ابن سينا الفلسفة تعريفا شاملا فيقول : " الحكمة صناعة نظر يستفيد منها الإنسان تحصيل ما عليه الوجود كله في نفسه ، وما عليه الواجب مما ينبغي أن يكسبه فعله لتتشرّف بذلك نفسه وتستكمل ، وتصير عالما معقولا مضاهيا للوجود ، وتستعد للسعادة القصوى بالآخرة ، وذلك بحسب الطاقة الإنسانية " (٣) وذكر الشهرستاني في تعريف الفلسفة أن موضوع الفلسفة إنما يدور حول : " ذكر وحدانية الباري تعالى ، وإحاطته علما بالكائنات ، كيف هي ؟ وفي الإبداع وتكوين العالم : ماهو ، وكم هو ؟ وأن المعاد : ما هو ومتى هو (٤) وهذا التفسير لمعنى الفلسفة يميل إلى المدرسة المثالية في الفلسفة .
يعرفها المفكر أنور الجندي بأنها : " الوصول عن طريق العقل إلى فهم المجهول والإجابة على الأسئلة التي يعجز العلم التجريبي عن بحثها والفصل فيها ، وقد كانت الفلسفة بمثابة الأسلوب البشري في مواجهة الأديان المنزلة من السماء " (٥)

(١) انظر : الملل والنحل للشهرستاني ، ١ / ٥٨ دار المعرفة - بيروت ١٩٨٤م انظر L التفكير الفلسفي في الإسلام ، د. عبد الحليم محمود ، ص ٢٢٣-٢٣٠ ، دار الكتاب اللبناني - ودار الكتاب المصري ، تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون ، تأليف عمر فروخ ، ص ١٩ ، دار العلم للملايين - بيروت ، انظر : أسس الفلسفة الماركسية ، قا . أفانا سييف ، ترجمة عبد الرازق الصافي ، ص ٥ ، الطبعة الرابعة ١٩٨٤م ، دار الفارابي - بيروت انظر : مقدمة في الفلسفة الإسلامية د. عمر التومي الشيباني ، ص ١٨ ، ط ١ ، ١٩٩٠م ، الدار العربية للكتاب - ليبيا .

(٢) انظر : تاريخ الفكر العربي ، ص ١٧ ، انظر : المادية الديالكتيكية ، تأليف جماعة من سادة السوفييت ، كونسانيون وآخرون ، ترجمة فؤاد مرعي ، ص ٢ ، الطبعة الثالثة ١٩٧٣ ، دار الجماهير دمشق .

(٣) تاريخ الفكر العربي ص ١٧-١٨ .

(٤) الملل والنحل ، ص ٦١ .

(٥) معلمة الإسلام ، ص ٤١٧ .

غير أنه يفرق بين العلم والفلسفة ، فالفلسفة متعلقة بالنظريات التي قد تصيب وقد تخطئ، وصورة ذلك أنه لا يرى متعلقات النفس الإنسانية، كالأخلاق والاجتماع بأنها تخضع لقانون العلم، لاتصالها بالنفس الإنسانية ، بينما العلم متعلق بالمحسوسات ولا تقبل نتائجها النقض أو التغيير^(١) .

يتضح من التعريف اللغوي والاصطلاحي وجود تطابق في المدلول ، فالبحث عن الحكمة يتسع لمعرفة مبادئ الوجود والقوانين السائدة فيه ، غير أن هذا الإطلاق قد مر بمراحل ، ففي العصور القديمة كانت الفلسفة تبحث في عوالم ما وراء الطبيعة أو ما يعبر عنها الإمام الغزالي بالفلسفة الإلهية الوثنية وما عرف بالفلسفة الغنوصية في الشرق والفلسفة الهيلينية في الغرب ، وهي التي بذرت الشك في تفسيرات الأديان ، وهي الفلسفة التي هاجمها الغزالي - رحمه الله^(٢) .

ومن ثم اتسعت لتشمل العلوم الطبيعية ثم المعارف الإنسانية قاطبة ، فشمّل تفسير كل الصلات والعلاقات بين الأعيان الموجودة^(٣) .

لا يتفق الباحث مع الأستاذ أنور في تفريقه بين الفلسفة والعلم ، ويرى بأنه تناقض بين تعريفه وتفريقه ، فالتعريف يشير إلى وجود علاقة تكاملية بين العلم والفلسفة في جزئية المحسوسات ، بينما عدّ العلم مقيداً بالقطعيات التي تثبتتها التجربة ، وكان ينبغي التوفيق لا التفريق ، فالفلسفة تتناول الناحية النظرية من البحث في مظاهر الوجود ، والعلم إنما ينتفع بالنتائج التي تتوصل إليها الفلسفة ، ففي العصور المتقدمة كان الحديث يدور حول تركيب المادة من الذرات هذا حديث فلسفة ، لا تسمى علماً إلا إذا استخدمت تلك الطاقة الذرية في أغراض الحرب والسلم^(٤) ، وبالتالي لا يقوم العلم إلا بالفلسفة وان كان العلم هو مجال التصديق أو التكذيب للفلسفة إلا أن التكامل بينهما قضية واردة .

ثالثاً : أسسها

١- المادية:

ويعتمد هذا الأساس على اعتبار أن أصل الكون أو الوجود هو المادة وحدها ، وتزعم هذا الاتجاه في الفكر اليوناني " تاليس " حيث اعتبر أن المبدع الأول للكون والوجود مطلقاً

(١) انظر : الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي ، ص ٣١-٣٢

(٢) انظر : الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي ، ص ٣١

(٣) انظر : تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون ، ص ١٧

(٤) انظر : المصدر السابق ، ص ١٩

هو الماء ، وكان من بعده " انكسيمانس " حيث ذكر بأن المبدع الأول هو الهواء ، وأما هيرقليطس فقد اعتمد أن مبدأ الموجودات هو النار ^(١) ، حيث قال : " إن مبدأ الموجودات هو النار فما تكاثف وتحجر فهو الأرض ، وما تحلل من الأرض بالنار صار ماء ، وما تخلخل من الماء بالنار صار هواء ، وما تخلخل من الهواء بحرارة النار صار نارا " ^(٢) .

ويظهر من كلامهم أن المادة هي أصل الموجودات ، وبذلك قصرُوا تفكيرهم في المحسوس ، مما يعني تجاهل المثاليات ، وأسس عليها في العصر الحديث الفلسفة الماركسية في تبنيها الاتجاه المادي الصرف ، وكانت أطروحة ماركس نفسه في موضوع " الاختلاف بين فلسفة الطبيعة عند ديمقريطس وبين فلسفة أبيقور " وكلاهما من أئمة الفكر المادي الإلحادي في الفلسفة اليونانية ^(٣) .

٢- المثالية :

تزرع هذا الاتجاه في الفكر اليوناني "أفلاطون" الذي قال : " أن للعالم محدثا مبدعا أزليا ، واجبا بذاته " ^(٤) .

ويظهر من هذا القول إيمانه بوجود إله للكون مجرد عن المادة ، أبدع هذا الوجود وعلى هذا الأساس عد أفلاطون مؤسس هذا الاتجاه ، وعلى هذا الأساس الفلسفي المثالي بنى هيغل فلسفته .

(١) انظر : انظر : الملل والنحل ، ٦٣ - ٨١

(٢) المصدر السابق ، ص ٨١

(٣) انظر : كواشف زيوف ، عبدا لرحمن حبنكة الميداني ، ص ٤٤٣ ، وانظر : حاضر العالم الإسلامي ، ٢٢٢

(٤) الملل والنحل ، ج ٨٨/١

المطلب الثاني

موقف أنور الجندي من الفلسفة اليونانية

لم ينظر الأستاذ أنور الجندي إلى المسألة الفلسفية في شقيها المادي والمثالي من حيث هي ، فلم يناصر في دراسته أي المنهجين ، بل نظر إلى تأثير الفلسفة اليونانية الإغريقية في الفكر الإسلامي ، على أساس أنها هي المصدر الوحيد في الفلسفة الإسلامية وأن المسلمين أخذوا الفلسفة اليونانية وبنوا عليها مفاهيم ومصطلحات في الفقه والنحو والبلاغة^(١).

وجه الأستاذ أنور نقده لتلك الشبهة بقوله : " بخطأ القول بأن الفلسفة الإسلامية فلسفة يونانية مكتوبة باللغة العربية ... فإن الفلسفة الإسلامية قامت أساسا على التوحيد ، وهو ما ليس مذكورا ولا معتنقا ولا معروفا على الإطلاق في فلسفة اليونان "^(٢).

حيث يرى بأن الفلسفة الإسلامية لم تكن عالية على الفلسفة اليونانية ، بل قد : " دخلت على الفكر الإسلامي بعد قرنين كاملين من ظهور الإسلام ، بعد أن اكتملت مقومات هذا الفكر ، ووضحت معالمه ، ولما كان أساس الثقافة العربية هو القرآن ، فإنه قد رفض من الفكر الهيليني التماثيل والصور ورفض تعدد الإلهية ، ورفض رأي أرسطو في الله ، واصطنع فلسفة خاصة تتلاءم مع مفهوم التوحيد ، وقد بدت الفلسفة الإسلامية في ثوب الصراحة والعلانية ، وهو ما يخالف غموض الفلسفة اليونانية "^(٣). يذكر المفكر أنور الجندي رأي المنصفين من الكتاب الغرب ما يقطع العلاقة بين المنطق الأرسطي، والقرآن، يقول جوستاف لوبون : " إن العرب لم يتقبلوا الفلسفة اليونانية فقط إنما ناقشوها ونقحوها وزادوا عليها " ^(٤).

ويرى بأن الفكر الإسلامي لم يأخذ من علوم اليونان وحدها ، بل أخذ من علوم أمم أخرى وأضاف وحذف ، ولم يكتف بالنقل والاقتناس من الفلسفة اليونانية ، وما قبله منها كان على أساس موافقته لمفاهيم الإسلام ^(٥).

(١) انظر : سموم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية ، ص ٢٠٣ .

(٢) شبهات في الفكر الإسلامي ، ص ١٣ ، وانظر : سموم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية ، ص ٢٠٣ - ٢١٠ .

(٣) ، وانظر : معلمة الإسلام ، ج ١ / ص ٤١٩ - ٤٢٠ ، نحو بناء منهج البدائل الإسلامية " ص ١٩٥ .

(٤) انظر : تاريخ الغزو الفكري والتغريب ، ص ١٦١ .

(٥) انظر : عيون التراث وذخائر التاريخ ، أنور الجندي ، ص ١٩ ، ط ١ ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م ، دار الصحوة للنشر والتوزيع القاهرة .

وقد دلّل الأستاذ أنور على قطع الصلة بين الفلسفة اليونانية والفكر الإسلامي من خلال: وضوح المنهج القرآني ، في مخاطبته للإنسان من خلال عقله ووجدانه، واختلاف النظرة في المجتمعين الإسلامي واليوناني ، وقيام كل منهما على أسس متباينة، فأحدهما وثني يقول بتعدد الآلهة ، والآخر ديني موحد، والفلسفة اليونانية لا تهتم بالمنهج التجريبي في الفكر الإنساني ، وهذا يخالف المنهج الإسلامي الذي يدعو إلى البحث والتجربة ، ويوضح ذلك من خلال قصور العقل الإنساني عن التفكير فيما هو فوق العقل والمطالبة في التفكير فيما هو واقع في الحياة الإنسانية العملية ، حيث الاهتمام بالمنهج التجريبي^(١) حيث قال الله تعالى "قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ"^(٢) ويرى الباحث أن الأستاذ أنور وقع في خطأ كبير حينما وصف المنهج الإسلامي بأنه فلسفة إسلامية لاسيما وهو يعرض المفارقة بين أسلوب القرآن، وهو يخاطب العقل والوجدان بكل وضوح بعيدا عن السفسطة الفلسفية الغامضة ولا يصح وصف المنهج الإلهي " بأنه فلسفة وذلك " لأنه نتاج التفكير الإنساني، بينما القرآن والسنة يأتیان من الله عزّ وجلّ من خلال الوحي لا العقل ولا الفكر.

ويذكر الأستاذ (سيد قطب) أن هناك جفوة أصيلة بين منهج الفلسفة ومنهج العقيدة، وبين أسلوب الفلسفة وأسلوب العقيدة، وبين الحقائق الإيمانية الإسلامية وتلك المحاولات الصغيرة المضطربة المفتعلة التي تتضمنها الفلسفات والمباحث اللاهوتية (البشرية!)، فقد بدتْ (الفلسفة الإسلامية) كما سميت نشاراً في لحن العقيدة المتناسق، ونشأ من هذه المحاولات تخليطٌ كثير، شابَ صفاءَ التصور الإسلامي، وصغرَ مساحته، وأصابه بالسطحية. ذلك مع التعقيد والجفاف والتخليط ..، مما جعل تلك (الفلسفة الإسلامية) ومعها مباحث (علم الكلام) غريبة غريبة كاملة على الإسلام، وحقيقته، ومنهجه، وأسلوبه^(٣)

وبذلك تنتفي الشبهة القائلة بأصالة الفلسفة اليونانية أو المنطق الأرسطي في بناء الفكر الإسلامي ، وخلاصة القول : إن المنطق الذي يعنى به الحجج والبراهين العقلية غير متعين حصراً على اليونان ، بل هو قاسم مشترك بين أمم الأرض مجتمعة ، فمنها من سبق اليونان

(٢) انظر : معلمة الإسلام : ٤٢٠/١ - ٤٢٢ .

(٢) سورة : يونس : آية : ١٠١ .

(٣) انظر : خصائص الصور الإسلامي ومقوماته ، سيد قطب ، ص ١٨ - ١٩ ، الطبعة الشرعية الرابعة ، ١٣٩٨هـ -

١٩٧٨م ، دار الشروق - بيروت .

أو جاء بعدهم ،فما عرف على لسان إبراهيم وموسى وعيسى في مناقشاتهم العقلية مع أقوامهم ،هل سبق إليه اليونان؟! وعلى فرض الاتفاق نسبيا بين القرآن والقواعد المنطقية في نتائج صحيحة ، فلا يعطي ذلك دليلا على أن القرآن سلك في استدلاله منهج المنطق اليوناني ، إنما يدل على توافق الحق في الاستدلال الصحيح ،إضافة إلى أن المنطق اليوناني يمازج في نتائجه الحق بالباطل ، والقرآن يتسم بأسلوبه وطرقه العقلية فيعلو على كل الطرق الجدلية العقيمة .

أما دراسة العلماء المسلمين لتلك العلوم من فلسفة، ومنطق،إنما كان للرد على كل المتاهات الكلامية والضلالات الفلسفية ، التي حاولت أن تتال من الفكر الإسلامي بالطعن والشك ، وتعمل على العلوم الشرعية حتى تظهر وكأنها علوم منطقية وفلسفية،فكانت المواجهة الصادقة لهم ، وكان من أبرز فرسان هذا التصدي شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- فكان من منهجه في دخول هذه المعركة معرفة مصطلحات القوم، ومناحي فكرهم ومنطلقاته ، ومن ثم مخاطبتهم بما يعرفون ، فدراسته للفلسفة هنا كانت بمثابة السلاح الذي يحارب به ⁽¹⁾ وهذه هي حقيقة الباعث على دراسة المنطق والفلسفة لكل من علماء المسلمين ومنكريه من أمثال: الفخر الرازي وابن رشد ونحوهم، فقد تراجعوا عن كثير من المنطقيات الفلسفية ، وأثبتوا خطأها ، مما يؤكد أن النظرة للعلوم المنطقية كانت في حدود الضابط العام التي ينسجم مع الفطرة المشتركة بين الناس في التفكير والاستدلال، وليست مسلمة لمنطق اليونان.

يذكر الدكتور عبد الحليم محمود في كتابه (التفكير الفلسفي في الإسلام) في سياق الحديث عن أثر الفلسفة اليونانية في الفكر الإسلامي ما يدفع تلك الشبهة ، حيث أشار إلى أنّ العلوم الإسلامية إذا أطلقت فهي تنحصر في العقيدة والشريعة والأخلاق ، وفي اجتماعها كانت تفسيراً للقرآن ، وشرحا للحديث ، ومثلت اتجاها روحيا مستمداً من القرآن والسنة وبالتالي فقد نشأت منذ بدء الإسلام نفسه ،ويمثل لذلك : بأن أبا ذر - رضي الله عنه - لم يدرس الأفلاطونية الحديثة ، ولا اشتراكية أفلاطون ، ولم يعتمد ذلك قاعدة لدعوته ، كما أن سيدنا عمر بن الخطاب ومعاذاً ، وعلياً ، والإمام مالكا - رضي الله عنهم جميعاً - لم يدرسوا نظريات اليونان ، ليقيموا عليها فتاواهم ⁽²⁾ .

(1) انظر : مناهج الجدل في القرآن الكريم ، د. زاهر بن عواض الألمي ، ص ١١١ ، بدون طبعة .

(2) انظر : التفكير الفلسفي في الإسلام ، ص ٢٥٣ - ٢٥٧ .

وبذلك تسقط دعوى تأثير الفلسفة اليونانية على الفكر الإسلامي والعلوم الشرعية
وتثبت الأصالة التي يتمتع بها منهج الإسلام ، والخصوصية التي يتمتع معها الاحتواء .

المبحث الثاني

الماركسية

المطلب الأول : تعريفها - أسسها .

المطلب الثاني : موقف أنور الجندي من الماركسيه.

المطلب الأول

الماركسية- تعريفها - أسسها

تعريفها :

" هي عبارة عن فلسفة خاصة للحياة وفهم مادي لها على طريقة دياكتيكية وقد طبق الماديون الديالكتيكيون هذه المادية الديالكتيكية على التاريخ والاجتماع والاقتصاد فصارت عقيدة فلسفية في شأن العام " (١) .

— : أسسها :

١- المادية الديالكتيكية :

أ - المادية :

تقوم على القول: بأن العالم مادي ، وأن كل ما في الوجود يرتكز على هذا الأصل وكل التطورات في الكون والإنسان والحياة ما هي إلا صور لتحركات المادة وتفاعلاتها الذاتية بدون أي تأثير خارجي عليها، وهم يقومون بتعريف المادة من وجهة النظر الفلسفية بأنها " واقع موضوعي ، توجد خارج الوعي ويعكسها الوعي " (٢) وعليه فإن كل المعنويات والأفكار والمشاعر والأحاسيس ما هي إلا عملية انعكاس للواقع الموضوعي الذي هو — المادة — على الدماغ .

ب - الديالكتيك :

الديالكتيكية : هي عبارة عن نظرة فلسفية للكون والإنسان والحياة تتحرك من خلال عامل داخلي يعتمد على التناقضات الذاتية ضمن دائرة التطور لتفاعلات الذرات الأساسية للمادة الصماء في إطار القوانين التي يرون أنها تتحكم في المادة، وتتمثل في: وحدة الأضداد والصراع بينها، وتحول الكم إلى كيف، ونفي النفي (٣) .

المادية الديالكتيكية :

(١) فلسفتنا : محمد باقر الصدر : ص ٢٦ دار التعارف بيروت ط ١٠ ، ١٤٠٠ هـ الموافق ١٩٨٠ م ، انظر : الموسوعة الميسرة في الأديان المذاهب المعاصرة : الندوة العالمية للشباب الإسلامي ص ٣٠٩ ، ط ٢ ، ١٩٨٩ م ، كواشف زيوف : عبد الرحمن الميداني ص ٤٦٣ ط دار القلم ، ثقافت الفكر الماركسي : صلاح عبد العليم إبراهيم ص ٣٩ ط ١ ، عام ١٩٨١ ، دار الطباعة احمديّة .

(٢) أسس الفلسفة الماركسية : ص ٣٢ .

(٣) انظر : نقض أوهاام المادية الجدلية : محمد سعيد رمضان البوطي ، ص ٥٧ — ٩١ ط ٢ ، ١٩٧٩ م دار الفكر دمشق : ثقافت الفكر الماركسي : ص ٣٤ — ٣٥ ، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي : ص ٢٧٥ — ٢٧٨ .

هي مركب لفظي يرتكز على النظرة المادية التي تعتمد على أن المادة أساس كل الوجود ، والديالكتيكية على أساس النظرة إلى التطور في الحياة من خلال التغيرات الداخلية للمادة نفسها، ويعرفها الماركسيون: بأنها نظرة فلسفية تنطلق من الاعتقاد " بأن المادة – الوجود – هي الأولى ، وأن – الوعي – ثانوي، ... وأن العالم مادي يمكن معرفته ، بالنظر إليه كما هو في الواقع ، وهي ديالكتيكية لأنها تنظر إلى العالم المادي ، باعتباره في حركة دائمة ، وتطور وتجدد مستمرين "(١).

٢- المادية التاريخية :

تتبنى المادية التاريخية على تفسير كل النشاط البشري بناء على مقاييس المادة ، وعليه فالمجتمع يرتبط في تطوره بتطور المادة أو(العامل الاقتصادي) دون غيره من العوامل، اعتمادا على فكرة ماركس في نظرية (العلاقة بين الوجود والوعي)، والتي تنقضي بان الوجود سابق على الوعي ، انسجاما مع اعتقاده بان التماسك المادي لا يقوم إلا بجعل علم الاجتماع منسجماً مع الأساس المادي وإعادة بنائه على هذا الأساس، وعليه وأن يكون الوعي الاجتماعي نتيجة للوجود الاجتماعي (٢).

(١) أسس الفلسفة الماركسية : ص ١٤ ، انظر : الموسوعة الفلسفية ، وضع لجنة من العلماء الأكاديميين السوفييتيين ، بإشراف روزنتال ، يودين ، ١ / ٥٧٧ - ٥٧٨ ط٧ آذار مارس ١٩٩٧ م ، ط دار الطليعة للطباعة والنشر - بيروت

(٢) انظر : مرجز تاريخ الفلسفة ، إعداد جماعة من الأساتذة السوفييات ، ترجمة وتقديم د. توفيق سلوم ، ص ٤٢٣ - ٤٣٤ ، ط١ ١٩٨٩ الفارابي انظر : ثقافت الفكر الماركسي : ص ٢٥ - ٢٦ ، انظر : أسس الفلسفة الماركسية : ص ١٣٥ تعريب شعبان بركات ، من منشورات المكتبة العصرية ، صيدا بيروت ، ١٤ / ٢ .

المطلب الثاني

موقف أنور الجندي من الماركسية

أولاً : مفهوم أنور الجندي للمادية الجدلية :

يرى الأستاذ أنور بأن المادية الجدلية الديالكتيكية تعتمد على المادة ، وأنها أصل جميع الأشياء ، وليس هنالك خالق ، بل الكون عبارة عن مادة ، وتعتبر أن المادة سابقة للوعي ، حيث فسرت جميع الأحداث تفسيراً مادياً محضاً (١) .

ثانياً : نقده للمادية الديالكتيكية :

أ - تهافت تعريف المادة عند الماركسيين :

وبعد تعريفه للمادة خلص إلى: أنها الأساس الرئيس لهذا الفكر، وهم قد قالوا أن المادة هي أصغر شيء في الكون، وذلك من خلال التطور العلمي في القرن التاسع عشر ولكن العلم أثبت أن هناك ما هو أصغر من المادة ، وأن المادة نفسها تتشطر وتتحول إلى طاقة ، وأن المادة صورة مختلفة من الطاقة ، وتوصل العلم إلى أن الأثير ليس نوعاً من المادة ، ومعنى ذلك أن شيئاً لا مادياً يحيل نفسه إلى مادة بواسطة بعض الالتواء الغامض، وإن ظاهرة الكهارب والذرة قد جعلت المادة غير ثابتة، وأصبحت المادة كلها كهارب وذرات، وتتحول الذرات إلى شعاع كالنور، وعليه يتهافت مفهومهم العلمي للمادة، وسقوط القاعدة التي يرتكز عليها الأساس الأول ، وأعلن العلم اليوم أنه ليس قادراً على معرفة كنه الأشياء، كما أظهرت الدراسات العلمية أن هناك عالماً مثالياً غيبياً متصلاً بهذا العالم ، وأن العلماء اليوم يقررون وجود الله - عز وجل - وأن المادة ليست هي أصل الوجود (٢) .

ب - سقوط أسبقية المادة على الوعي :

يرى العلماء أن الحواس هي أبطأ أدوات المعرفة، ولذلك يشترك فيها الحيوان مع الإنسان في إدراك البيئة المادية، ولكن لا يتساوى التفكير لدى كل منهما : لأنه لا بد من العقل الذي ليس هو الدماغ فقط وهو الذي تميز به الإنسان دون غيره من الموجودات، حيث تحكم من خلاله بالمادة ، ولا يمكن أن يتحكم المصنوع بالصانع، وعليه تكون هناك مسائل لا مادية في الفكر البشري تجعل أسبقية الوعي على المادة التي يتحكم بها من الإنسان (٣) .

(١) انظر : الإسلام والعالم المعاصر ، أنور الجندي ، ص ٤٣٨ ، ط ٢ ، ١٩٨٠ م ، دار الكتاب اللبناني - بيروت معلمة الإسلام

٦٨٠/١

(٢) انظر : معلمة الإسلام : ٦٨٠/١ .

(٣) انظر : هزيمة الشيوعية في عالم الإسلام : أنور الجندي ، ص ٩٨ ، دار الاعتصام .

ج - تقديس المادة وتطور القيم :

يرى الأستاذ أنور أن الفكر الماركسي يقَدِّس المادة فهو قد أله المادة، وأنكر وجود - عز وجل - وبذلك هاجموا الدين والأخلاق والقيم الإنسانية، ومقياس الأعمال في المناهج الدينية قاطبة، والماركسيون بذلك قد عارضوا الثبات في القيم الدينية، إيماناً منهم أن مصدر القيم هو المادة، وهي متغيرة زمانياً لخضوعها لقانون التطور الذاتي^(١).

ثالثاً : نقده للمادية التاريخية :

أ - العامل الاقتصادي :

إن الفكر الماركسي يقوم على تفسير التطور التاريخي من خلال النظرة الأحادية ، حيث يرجع التطور الاجتماعي إلى العامل الاقتصادي من خلال التعميم على كل الحضارات البشرية وقد ذكر الأستاذ أنور أن هذا خطأ كبيراً لأن الدراسة المتعمقة تثبت أن هناك عوامل أخرى لها دور في إنشاء الحضارات العالمية ومنها: المعتقدات الدينية ، والعواطف والأهواء التي تسيطر على حياة الرجال وإن التحليل المادي للتاريخ كان منحازاً لا علمياً وأيضاً فقد قدّم تحليلاته لفترات انتقائية من التاريخ في بعض البيئات البشرية لا في كل البيئات، ولذلك سقط تعميم فكرتهم الفائلة بدور العامل المادي الاقتصادي في تفسير الحركة التاريخية^(٢).

ب - صراع الطبقات :

يقوم التفسير المادي للتاريخ على أصل آخر من الأصول التي يعتمد عليها في تغيير الحضارات، وهو الصراع الطبقي بين الطبقة التي يسميها البروليتاريا، والطبقة التي يسميها البرجوازية ، ومن خلال هذا الصراع تتحول المجتمعات إلى الشيوعية العالمية ، وعلى ذلك فقد تنبأ ماركس بسقوط الرأسمالية في بريطانيا بناءً على وجود التناقض الكبير بين هاتين الطبقتين فيها ، ولكن هذه الدولة الرأسمالية اتجهت إلى تحقيق أكبر قدر من المساواة بين هاتين الطبقتين بتضييق حقوق الملكية بينهما، ووضع نظام العدالة الاجتماعية فالخدمات الاجتماعية للطبقة الحاكمة فارتفع مستوى معيشة البروليتاريا فلم تحدث الثورة في البلاد الرأسمالية، وهذا ناقض قول ماركس أن الثورة تحدث في البلاد الرأسمالية في حين أن الفكرة الماركسية ظهرت في البلاد الزراعية التي لا يوجد فيها طبقية وذلك في روسيا القيصرية^(٣).

(١) انظر : معلمة الإسلام : ٦٨١/١

(٢) انظر : هزيمة الشيوعية : ص ٦٥ - ٦٧ ، انظر سموم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية ، ص ١٩٦ - ١٩٧ .

(٣) انظر معلمة الإسلام : ٦٨٢ - ٦٨٣

ت - فساد التنبؤ :

لقد قام ماركس من وجهة نظره - بالتنبؤ بتغيرات عالميه على أساس التفسير المادي، فقد تنبأ بسقوط الرأسمالية وهذا لم يحدث ، وأيضاً قوله: بأن العالم يسير في الصناعة والتجارة نحو الإنكار، بحيث يأكل القوي الضعيف، وهذا الاحتكار يزداد بحيث يلغي الملكية الفردية، ولكن هذا لم يحدث حيث روسيا نفسها تعمل اليوم على القبول بالملكية الفردية وأيضاً قوله: بهزيمة قانون رأس المال أمام الإرادة الإنسانية ، وهذا لم يقع؛ لأن الأمم عدلت من أنظمتها الخاصة بالعمال ، وأيضاً من توقعاته أن الدولة ستنتهي عند ظهور الشيوعية فبقيت الدولة ولم تتحقق الشيوعية المطلقة (١).

ث - سقوط فكرة الحتمية :

يبرز الأستاذ أنور خطأ جسيماً وقعت فيه النظرية المادية عموماً ، والفكر الماركسي تحديداً ، وهو محاولة تطبيق قوانين المادة ومفاهيمها على الظواهر الإنسانية ، في حين تختلف الظواهر الإنسانية في أسسها وعواملها وخصائصها ، فهي تقوم على عوامل في غاية التعقيد سواء كانت نفسية أو روحية أو معنوية ، إضافة إلى أن الإرادة الإنسانية والعنصر الإنساني هو المحور الأساسي في تشكيلها وتباينها عن العلوم الطبيعية ، مما يجعل محاولة التعميم لمفاهيم المادة على الدراسات الاجتماعية من المحالات العلمية ، وصورة ذلك أن البحث في الظواهر الاجتماعية لا يعطى أحكاماً موضوعية أو محايدة ؛ نظراً لأن المجتمعات الإنسانية متباينة في الظروف والتحديات والأوضاع ، وبالتالي فإن الآراء تخضع للميول والأهواء والظروف المختلفة للمجتمعات الإنسانية ، وبالتالي تتغير الأحكام والتفسيرات للظواهر الاجتماعية ، ومن هنا يعجز أي فيلسوف أو عالم عن وضع أيديولوجية ثابتة لجميع المجتمعات ، وبالتالي تفقد الدراسات الإنسانية عنصر الموضوعية التي نجدها في العلوم الطبيعية التي تهتم بدراسة المادة ، ويلزم من القول بالحتمية إلغاء حرية أو إرادة الإنسان ، فالحتمية تتعارض مع إرادة التغير ، مما يجعل دور الإنسان أمام التطور التاريخي منحصراً في كونه مراقباً للمجتمع وللطبيعة ، وهذا يتنافى ويتعارض مع مسئولية الإنسان الإكتسابية والميل به إلى الجبرية التاريخية ، وعليه فإن ما نادى به ماركس من القول: (بالحتمية أو التنبؤ التاريخي) الذي يعتمد على أساس أن هناك قوانين ثابتة يسير التطور التاريخي بناء عليها قول فاسد ، ومن هنا كانت الحتمية التاريخية، وحتمية الحل الاشتراكي - وهي أهم المبادئ التي نادى بها ماركس - متغايرة مع المبادئ العلمية وحقائقها ، ومن ثم لا يطلق

(١) انظر : هزيمة الشيوعية في عالم الإسلام : ٦٧ - ٦٩ .

على نظريات ماركس بأنها علمية، بل هي فلسفة تتبع من تصور أيديولوجي منطلق من نظريته للمادة^(١).

من هنا فقد حاول ماركس أن يبرر لنظريته بالعلم ، غير أن الأمر مختلف ، فقد تجاوزت نظريته مقررات العلم وحركة التاريخ ، لذلك حاول أن يخرج النظرية في إطار العلم ، إلا أن شهادة العلم والتاريخ أثبتت فساد تلك المحاولة ، وهذا ما كشفه المفكر الإسلامي أنور الجندي وهو يفند عناصر ومقومات النظرية ، مما يقطع بإخفاقها ما بين النظرية والتطبيق .

ج - الظروف المتغيرة وإشكالية التعميم :

نظرا لانطلاق الماركسية من المادة ، فإن إمكانية تحركها وتكيفها مع التحولات والظروف المختلفة للعصور والبيئات أمر متعذر ، لذلك كان من أعظم أخطاء ماركس كما يذكر الأستاذ أنور اعتمادها في نظريته على متغيرات اقتصادية وعلمية ، فالظروف التي بنى عليها نظريته كانت قائمة في القرن التاسع عشر وتناست معه ، غير أنها لم تتناسب مع الظروف والتغيرات الاقتصادية في الواقع المعاصر ، والإشكال هنا قصور ماركس عن تصور ما ستقدمه ثورة العلم والتكنولوجيا في القرن الحالي ، حيث العقول الإلكترونية التي تدير المصانع ، وإنشاء نقابات العمال، ووضع قوانين تخدم الطبقة العاملة وتوفر لها سبل الراحة ، وعجزه عن تصور حقيقة القدرة التي تتمتع بها الرأسمالية وإمكانية تطورها واحتوائها لتطلعات الطبقة الكادحة ، من ذلك كان خطأ التعميم للنظريات والفرضيات التي اعتمدها ماركس في بيئة محددة وزمان محدد ، لتكون حقائق ثابتة تتلاءم مع كل زمان ومكان ، في حين يثبت الواقع خطأ التعميم وفساد النظرية ، وهذا ما اعترف به لينين، حين فرض تلك النظرية على المجتمع السوفييتي في ظروف مختلفة ، حيث تمكنت طبقة جديدة من السيطرة على مقدرات المجتمع، واستيلائها على السلطة بدافع التطوير الاقتصادي والاجتماعي ، مما يعني سقوط النظرية وخطأ المواعمة بين المجتمعات لاختلاف الظروف والتغيرات^(٢).

ح - تراجع النظرية وشهادة الواقع :

يذكر الأستاذ أنور: بأن مقتل النظرية الماركسية كان في وضع قوانين ثابتة لا تستجيب لتطور المجتمعات ، وبالتالي قصورها نظريا في وضع الحلول الاقتصادية لما

(١) انظر: الشيوعية في عالم الإسلام : ٦٨ - ٧٠ ، سموم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية، ١٩٧

(٢) انظر: سموم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية، ١٩٧، الشيوعية في عالم الإسلام: ص ٧٠

يستجد في عالمنا المعاصر ، مما يعني تراجع تلك النظرية وسقوطها واقعياً ^(١) ويدلّل الأستاذ أنور بشهادة الغرب أنفسهم، لا سيما أبرز دعاة هذه النظرية وهم يتراجعون عن أبرز دعائم تلك النظرية، وهو العامل الاقتصادي، ومن هؤلاء انجلز (زميل ماركس في إعداد النظرية) حيث تنازل عن القول بأن العامل الاقتصادي هو العامل الوحيد الذي يقيم الحركة الاجتماعية لأي أمة أو جماعة ، حين قال : " بالرغم من أن العامل الاقتصادي ضروري فإنّ عناصر متعددة تدخل في عملية تكوين الأشكال الأخرى " ^(٢) .

سجل الأستاذ أنور الجندي بهذا الاعتراف ضربة قاصمة لأصول النظرية المادية التاريخية التي آمن بها ماركس وأتباعه ، وعليه فإنّ فناء تلك النظرية من المسلمات نظرياً وعملياً ، ذلك لفقدانها الواقعية التاريخية والشهادة العلمية .

يرى الباحث أن الأستاذ أنور قد أصاب في نقده لهذا الفكر الوافد ، وذلك بتشخيصه لإشكالية الفكر المادي ، وتدميره لفكرة أزلية المادة من واقع التغير العلمي، واعتماده على العلم في نقده لمواجهة هذه الفكرة التي تعتمد في أغلب كلماتها على العلم ، ولكنه العلم الذي اندثر في ركام الماضي ، لأن كل تحليلات ماركس العلمية التي اعتمد عليها كان لها رصيد في عصره فلا يوجد لها وجود في عصرنا الحاضر ، وسبب وقوع هذه الأخطاء هو الاعتماد على التعميم، واعتبار العلم الذي كان في عصره حقائق علمية ثابتة وهي متغيرة .

^(١) انظر : الشيوعية في عالم الإسلام : ص ٧٢

^(٢) المصدر السابق : ص ٧٣

المبحث الثالث

الفلسفة الفرويدية

المطلب الأول : تعريفها - أسسها .

المطلب الثاني: موقف أنور الجندي من الفرويدية.

المطلب الأول

الفرويدية : تعريفها - أسسها

أولاً : تعريفها :

هي مدرسة في التحليل النفسي تنسب إلى مؤسسها (سيجموند فرويد) اليهودي الأصل^(١) ، تقوم على تفسير كل مجالات النشاط البشري والسلوك الإنساني على أساس الجنس ، وأن الدافع والموجه للسلوك الإنساني هو الطاقة الجنسية ، واعتبار الضوابط والقيود الدينية عائقاً أمام غريزته وتطلعه للإشباع ، ومسبباً للكبت والعقد النفسية ، التي لا سبيل لتجاوزها إلا بالحرية الجنسية^(٢) .

ثانياً : أسسها :

١ - الإلحاد بالله :

عدّ فرويد الغيبيات بأنها خرافة ، من هنا فقد أنكر الغيبيات وعدها خرافة كبيرة واتجهت نظرتة للإنسان على أنه مجرد ظاهرة مادية بكل ما يحمل من أفكار وأحاسيس وشعور ، وعليه فقد أنكر وجود الخالق باعتبار أرضية الإنسان وخضوعه لقانون المادة وبالتالي فقد سار على نهج دارون في نظرية التطور^(٣) .

٢ - الإباحية الجنسية :

فهو يدعو إلى إطلاق غريزة النوع الظاهرة في الميل الجنسي ، بحيث تتحرك بحرية تامة دون قيد من منهج ديني سماوي ، أو فكر أرضي ، أو أخلاق مجتمع ، أو ضمير إنساني ، ولا يجوز كبته، وإن الكبت هو المسؤول عن الإصابة بالأمراض العصبية ولذلك لا بد من الإباحية الجنسية ، محلاً ذلك من خلال قصة خرافية تدعي أن الذكور في العصر الأول شعروا بالميل الجنسي إلى أمهم، فوجدوا المانع من ذلك هو وجود الأب فقتلوه ، ثم ندموا على ذلك فبدأت أول عبادة وهي عبادة الأب، ثم وجدوا أنهم جميعاً يريدون الأم إلا أن ذلك لا يتم إلا بالصراع والقتال، فتم الاتفاق على عدم القرب

(١) فرويد هو : سيجوند فرويد ولد عام ١٨٥٦م وتوفي عام ١٩٩٣م صاحب نظرية التحليل النفسي له العديد من المؤلفات من أهمها الكتب التالية : تفسير الأحلام ، ثلاث رسائل في نظرية الجنس ، مدخل إلى التحليل النفسي ، ما فوق مبدأ اللذة .

عن موقع www.fosta.net/mnawaat/alahlam.htm

(٢) انظر : الإنسان بين المادية والإسلام : محمد قطب ، ص ١٩-٢٣ ، كواشف زيوف : ص ٢٩٠ ، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة : ص ٣٧٥

(٣) انظر : كواشف زيوف : ص ٢٩٢ الإنسان بين المادية والإسلام : ص ٢٤

من الأم فنشأ الكبت من فكرة التحريم ، وهذا ما يطلق عليه عنده بعقدة (أوديپ)، وعقدة
(أليكترا)^(١) .

(١) انظر : الصحة النفسية : علاء الدين كفاي ، ص ٣٧٠ ط ١٩٩٠ م، القاهرة ، انظر : مبادئ علم النفس ، إعداد . هيئة
التدريس بقسم علم النفس التربوي ، ص ٢١٦ - ٢١٧ - ط ١٩٩٨ م جامعة عين شمس قسم علم النفس التربوي وانظر :
محاضرات في التحليل النفسي ، سيجموند فرويد ، ص ٧٤ - ٧٥ - ٧٧ ، ترجمة عزت راجح ، راجعه . محمد فتحي ، ط دار
مصر للطباعة ، مكتبة مصر ، فرويد التحليل النفسي والفلسفة الغربية المعاصرة ، ترجمة : زياد الملا ، ص ١٠٠ - ١٠٣ ط ١
١٩٩٧ م دار الطليعة الجديدة - سوريا دمشق .

المطلب الثاني

موقف أنور الجندي من نظرية فرويد

١- الإلحاد :

لا يظهر من كتابات أنور الجندي أنه قد ناقش فرويد في مسألة الإلحاد ، وإن كان قد نوّه إلى نظرية دارون الإلحادي، وتأثيرها في تحليلات فرويد الجنسية، بالإضافة إلى اعتبار القصص الديني خرافة وأساطير، وهو من حقه أن يحلل ويضع قصصاً توافق تحليلاته الخاصة به فاخترع أكذوبة ما تسمى بعقدة (أوديب) محاكاة لقصة (قابيل وهابيل) الموجودة في التوراة ، وهو قد أنكر وجود الله عزّ وجل؛ لكي يلغي كل القيم الدينية ويطلق العنان لمفهومه الجنسي في تحليلاته ، باعتباره حيوانياً في شهوته (١).

٢- الإباحية الجنسية :

يستطيع الباحث أن يقسم رد الأستاذ أنور الجندي على هذا الأساس الخطير في نقاط ، وذلك لتشعبات ردوده الكثيرة على هذه المسألة التي يعتبرها من أخطر ما في فكر هذا الرجل وهي كالتالي:

أ - نظرتة إلى أصل الإنسان :

يرى الأستاذ أنور أن فرويد قد بنى نظريته في التحليل النفسي على اعتبار أن الإنسان ليس حيواناً فقط، بل قد أضاف عليها مفهومه الجنسي بمعنى: أن الجنس هو الدافع لكل أنواع السلوك الإنساني ، وقد أسرف في نظريته على النظرة الأحادية في تفسير السلوك الإنساني كله (٢)، وفي معرض نقده لذلك يقول : " هذه النظرية لم تكن مقبولة منذ اللحظة الأولى بين علماء النفس ، وقد وجدت معارضة شديدة من حيث معارضتها للفطرة ، ومن حيث تغليب عنصر الجنس ورد كل حوافز الإنسان إليه " (٢) .

ب - مفهوم الكبت :

لقد اعتمد في بناء هذا المفهوم على أسس خرافية لا علاقة لها بالعلم ، وإنما الهدف منها تسويق نظرتة المسبقة للكبت الجنسي للإنسان من خلال قصة اخترعها من عقله، وهي

(١) : الشباب المسلم قضايا ومشكلاته ، أنور الجندي ، ص ٣٦ - ٣٧ ، ط ١ ١٤١٥ هـ ، معلمي الإسلام : ٢ / ٣٧٦ - ٣٧٧ . انظر - ١٩٩٤ م.

(٢) انظر : مقدمات العلوم والمناهج : ١٠ / ٣٤٣ ، معلمي الإسلام : ١ / ١٩٢ - ١٩٣ .

(٢) معلمي الإسلام : ١ / ١٩٣ . المخططات التلمودية الصهيونية اليهودية في غزو الفكر الإسلامي ، أنور الجندي ، ص ١٩٧ - ٢٠٣ ، دار الاعتصام .

قصة (أوديب وأليكترا)، واعتمد الكثير من الأساطير اليونانية القديمة ، وقد أثبت في أواخر حياته، عند مناقشته في هذه العقدة التي اعتمد عليها، فتراجع عنها^(١)، وعدم اعتماده على العلم ذكره بنفسه بقوله : " لست في الحقيقة رجلاً من رجال العلم ، ولا من رجال الملاحظة ولا التجربة ، لست مفكراً " ^(٢) وذكر الأستاذ أنور معارضة علماء النفس المعاصرين لفرويد وخطأ اعتماد هذا المفهوم.

باعتباره الأساس في التحليلات النفسية لمعالجة العقد النفسية ، ومن أبرزهم الدكتور إسكندر توماس الذي قال : " إن عدداً من البحوث قد أجري بمعرفة فريق من الأطباء النفسيين ، انتهى إلى أن نظرية فرويد لم تكن مطلقة " ^(٣) .

ت - خطأ التعميم :

ذكر الأستاذ أنور أن اعتماد فرويد على رد مفهوم الدوافع للأعمال، هو دافع أحادي وهو الدافع الجنسي ، حيث غلب حافز الجنس ، وبعد ذلك اعتمد على المرضى النفسيين الفردية حيث جعل ذلك أساساً للأسوياء، وذكر أن الأفضل ألا تعمم الاستنتاجات على الأشخاص العاديين، وقد وضح العلماء أن فرويد قد أخذ من دراسة نفسه الخاصة وطفولته هو قاعدة للتعميم^(٤)، ويقول يونج : " إن الجنس ليس أساساً للدوافع الإنسانية ، وإنما هو دافع واحد من عدة دوافع " ^(٥).

"وقد أثبتت الدراسات النفسية العلمية بما لا يقبل الجدل أن الدافع الجنسي يأتي في مرتبة أدنى من كثير من الدوافع الأخرى، كالدافع إلى الهواء أو الشراب أو المال " ^(٦) وقد صرح ردين فاين - أحد علماء النفس - بقوله : " إن تعميمات فرويد قد طرأ على صفاتها تغير كبير، وكان فرويد يعتقد أن نظريته صالحة للتطبيق ، غير أن التحليل النفسي قد أوقعه في تحجر أفقده خصوبته، وليس من دليل يؤكد أن علم النفس في المستقبل سوف يتم على الأسس الفرويدية " ^(٧) .

(١) انظر : معلمة الإسلام : ١ / ١٩٥ .

(٢) المصدر السابق : ١ / ١٩٨ .

(٣) الإسلام والدعوات الهدامة : ٣ / ١٨٦ .

(٤) انظر : معلمة الإسلام : ١ / ١٩٣ - ١٩٤ .

(٥) السابق : ١ / ١٩٤ ، انظر : مقدمات العلوم والمناهج : ١٠ / ٤٤٥ ، الإسلام والدعوات الهدامة : ٣ / ١٦٧

(٦) معلمة الإسلام : ١ / ٢٠٣ .

(٧) مقدمات العلوم والمناهج : ١٠ / ٤٤٤

ث - مخالفة الفطرة الإنسانية :

إن طبيعة الإنسان التي خلقه الله متمثلة في وجود غرائز في داخله تدفعه للإشباع ومن هذه الغرائز (غريزة النوع) التي تظهر في الناحية الجنسية لدى الإنسان ، والفطرة البشرية لا يمكن أن تتكرر هذه الناحية في الإنسان ، ولكن عليه أن ينظمها ضمن قوانين المصدر صادرة من منهج قيمي ، وعند قيامه بذلك لا يحدث عنده أي نوع من الكبت، لأنه لا يخجل منها في حال إشباعها ضمن مقياس علوي ينظمها ، ولذلك يرى الأستاذ أنور: أن فلسفة فرويد تعارض الفطرة الإنسانية من وجوه متعددة ، حيث أهدرت الجانب الفكري والنفسي فيه حين أنكرت إنسانيته عند القول: بأنه إنسان تحكمه غرائزه وتجاوزته للدين وتتكبره للقيم والأخلاق والمسؤولية الفردية وما يتبعها من حساب وجزاء في الآخرة مما يؤدي حتماً إلى الانحراف في كل السلوك البشري (١) .

يرى الباحث أن الأستاذ أنور كان موافقاً في مناقشة فرويد في فلسفته، وخاصة ما يتعلق بالجانب الجنسي في نظريته، وهي تعد المحور الأساسي لفلسفته ، من هنا كان نقده لهذا الجانب فيه وضوح أكثر من نقده للأساس الإلحادي ، ذلك أن فلسفة فرويد تركز على هذا الأساس أكثر من غيره وموافقة الباحث لذلك تتبع من معالجة الإسلام لهذه القضية معالجة إنسانية عامة ، لكونه إنساناً ، ودليل ذلك ما ساقه القرآن الكريم في سياق التنظيم للسلوك الغريزي عند الإنسان بقوله تعالى : (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (٢) .

وقد عالج الإسلام الجموح الجنسي عند البعض بأن أجاز وشرع الزواج بأكثر من واحدة بقوله تعالى : (فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا) (٣) ومن هنا جاء الزواج كعلاج لقضية الكبت الجنسي والانفلات المطلق لها فكان وسطاً في معالجة هذه الغريزة وكل الغرائز الإنسانية .

وجاءت السنة مدعمة لهذه القضية بالترغيب بالزواج للقادر، ووضع الحلول لغير القادرين على الزواج بالصوم ، روى الإمام البخاري بسنده المتصل عن علقمة قال كنت مع عبد الله فلقية عثمان بنمي فقال : " يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً فَخَلَوَا فَقَالَ عُمَانُ

(١) انظر : الإسلام والدعوات الهدامة : ٣ / ١٦٣ - ١٦٤

(٢) سورة الروم : الآية ٣١

(٣) سورة النساء : الآية ٣

هَلْ لَكَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي أَنْ نَزُوجَكَ بِكَرًا تُذَكِّرُكَ مَا كُنْتَ تَعْهَدُ فَلَمَّا رَأَى عَبْدُ اللَّهِ أَنْ
لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ إِلَى هَذَا أَشَارَ إِلَيَّ فَقَالَ يَا عَلْقَمَةَ فَاَنْتَهَيْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ أَمَا لئن قُلْتَ ذَلِكَ لَقَدْ
قَالَ لَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ وَمَنْ
لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ" (٤) .

(٤) صحيح البخاري : باب (قول النبي صلى الله عليه وسلم من استطاع منكم الباءة فليتزوج) انظر : متن فتح الباري ١٠/٩ .

المبحث الرابع

الفلسفة الوجودية

المطلب الأول : تعريفها - أسسها.

المطلب الثاني : موقف أنور الجندي من الوجودية.

المطلب الأول

الوجودية - تعريفها - أسسها

أولاً : تعريفها :

تنسب كلمة الوجودية للوجود ، وتعني أن الإنسان يهتدي لوجوده بنفسه لا بالأخلاق المتعارف عليها في محيط المجتمعات، سواء أكانت من مصدر قدسي أو أرضي ، إنما من القيمة الداخلية التي يجدها في نفسه ، فهي متغيره بتغير الذوات^(١)؛ فهي تعتبر أن "أساس الأخلاق قيام الإنسان بفعل إيجابي، وبأفعاله تتحدد ماهيته ، فوجوده الفعلي يسبق ماهيته"^(٢) فهي اتجاه فلسفي يرفع من قيمة الإنسان، بمنحه صفة التقرد ، والحرية والإرادة المطلقة، وهو فوق أن يخضع للتوجيه والبيان، وهو شتات من الأفكار المتضاربة غير الواضحة^(٣).

ثانياً : أسسها :

١ - وجود في ذاته :

ويعني أن الشيء الموجود في الخارج هو موجود في ذاته بمعنى أن كل موجود خارجي في عالم الواقع المحسوس لا في الأفكار، ويعني بذلك الأشياء المادية صاحبة الذات الثابتة^(٤).

٢ - الموجود لذاته :

ويقصد به الوجود الشعوري الذهني ؛ ليحقق من خلاله نفسه وذاته ، فهو يعتبر أن الموجود لذاته متغير ينزع إلى المستقبل ويلغي الماضي ، ففي كل لحظة يغير ما سبق إليه من الأفكار والشعور، فهي من - وجهة نظر الوجودية - غير مستقلة ، فهي تعتمد على حرية الإنسان المطلقة ، فهو الذي يحدد طبيعة أفكاره ويغيرها من وقت لآخر ، دون الحاجة إلى موجه أو مرشد خارجي ، وبالتالي يكون الإنسان أو الفرد هو مقياس الحق والخير ويراد به نسبية القيم لا ثباتها ، وألغى مسئولية الإنسان عن أعماله أمام الله^(٥).

يرى الباحث من خلال هذا التقسيم أنهم يعتبرون أن الأصل أسبقية المادة على الوعي ، وينفقون مع الفكر الماركسي في ذلك، فينكرون وجود الله، ويقولون بأزلية المادة ، ولكنهم يختلفون عنهم بقولهم بثبات المادة وتغير الأفكار، تبعاً للمقياس الفردي الحر دون ارتباطه بأي

(١) انظر : مناهج البحث في العلوم الإنسانية بين علماء الإسلام وفلاسفة الغرب ، مصطفى حلمي ، ص ٣٢٤ ، ط ٢ ١٩٩١ م ، دار الدعوة ، القاهرة

(٢) انظر : الموسوعة الفلسفية ، وضع لجنة من العلماء الأكاديميين السوفياتيين ، بإشراف روزنتال ، يودين ، ١ / ٥٧٩ ط ٧ آذار مارس ١٩٩٧ م ، ط دار

الطليعة للطباعة والنشر - بيروت . كراشف زيوف : ص ٣٦١ .

(٣) انظر : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة : ص ٥٤٣ ، الاتجاهات الفكرية المعاصرة : ١٤٦

(٤) انظر : كراشف زيوف : ص ٣٦١ - ٣٦٤

مفاهيم علوية أو سفلية تتحكم فيه ، في حين يعتمد الفكر الماركسي بتغير المادة والوعي تبعاً لها وهي محددة للواقع الاجتماعي الفكري .

^(٥) انظر : المرجع السابق ، ص ٣٦٠

المطلب الثاني

موقف أنور الجندي من الوجودية

أولاً : نقده للمادية الوجودية (الوجود في ذاته) :

وجود في ذاته يعني أزلية المادة ، باعتبار أن هذا المصطلح له علاقة بالفلسفة المادية الوجودية المتعلقة بالفرد، على خلاف المتعلقة بالجماعة كالماركسية ، فهي منبثقة من فكرة العدمية وإنكار وجود الله ، وفي نقده لذلك فقد رفض القول بأسبقية الوجود على الماهية ، لأنها تعني إنكار وجود الله عز وجل ، وكل ما هو غيبي، وهو يعتبر أن المادة هي أصغر الموجودات ويؤمن بأزليتها وأنها لا تتجزأ ، غير أن العلم أثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن المادة تتجزأ وتصبح أثراً بعد عين^(١)، ويرى الباحث أن كل ما تبنيه الوجودية على هذا الأساس باطل ، وأكثر ما يميز المادية الوجودية عن المادية التاريخية هو القول بثبات المادة ، وهذا ادعاء باطل؛ لأن المادة تتغير بتغير الزمان ، ولكن المادية الديالكتيكية تؤمن بتطور المادة مما يؤدي إلى تطور الأفكار فهي مرتبطة بالواقع المتغير للمادة ، فتأخذ قيمها ومبادئها من المادة نفسها ، في حين أن المادية الوجودية تعتقد بثبات المادة وتغير الأفكار والقيم، تبعاً للتغير الذهني والشعوري للفرد ، وبمقياسه الفردي الخاص^(٢)، ويرى الباحث بأن إثبات الأستاذ أنور لعدم أزلية المادة وأسبقيتها على الفكر يكشف فساد الأساس الأول للفلسفة الوجودية وهو الوجود في ذاته .

٢ - نقده للوعي الوجودي (الوجود لذاته) :

يوضح الأستاذ أنور مفهومه لهذا الأساس بقوله عنه أنه : " يرمي إلى كسر جميع القيود والضوابط سواء منها الدينية أو الاجتماعية، أو الأخلاقية، التي تحيط بالإنسان حتى يتمكن من تحقيق ذاته منفصلاً عن كل قيد"^(٣) وأخطر من هذا الاعتقاد هو إنكار ثبات القيم والمفاهيم، وتغيرها تبعاً للمصلحة الذاتية المنبثقة عن الحرية الفردية ، فيطلق العنان للتفكير في كل شيء، وتغيير كل الأفكار والمبادئ والقيم القدسية والمجتمعية ، فيصبح لكل فرد نظامه الخاص به ، دون ضبطه بأي قاعدة كانت ، وهذا يؤدي إلى انتشار الفوضى وتحلل الأفراد والعمل، على إشباع الغرائز والحاجات العضوية بأي كيفية كانت ، لعدم وجود مقياس

(١) انظر : معلمة الإسلام : ٦٨٠/١ ، وانظر : كيف يحتفظ المسلمون بالذاتية الإسلامية في مواجهة أخطار الأمم ، أنور الجندي ، ص ١٢ - ١٣ - دار

الاعتصام .

(٢) انظر : كواشف زيوف : ص ٣٦٣ .

(٣) معلمة الإسلام ٢٢٤/١ .

ثابت يضبط هذا الإشباع ، مما يؤدي إلى القلق والتشاؤم والإيمان بعدم معقولية الوجود وبالتالي الجنوح نحو الانحراف^(١).

يقول الأستاذ أنور الجندي مبينا لوازم الفردية الوجودية بقوله أنها : "تعامله على أنه حيوان مادي ، له غرائز وأهواء ، وتغضي إغضاء كاملا عن جوانبه الروحية والنفسية والفكرية ، وهي دعوة إلى الانطلاق المتحرر من كل قيد ، أو ضوابط ، أو قيم ، وتقوم أساسا على إنكار الألوهية ، وإنكار البعث والجزاء والأخلاق^(١)" ، ويرى الباحث: بأن الأستاذ أنور الجندي قد أصاب في نقده للمادة بذاتها ، ونفى أسبقيتها للوجود ، ولكنه لم ينقد القول بثبات المادة ، ويبدو أن الأستاذ أنور قد اهتم بنقد المفهوم القاضي بنفي أزلية المادة: ليرتب على ذلك فساد كل ما ينبني عليها.

وبهذا تتجلى حقيقة الوجودية الإلحادية ، التي ترمي إلى التحلل والانحراف عن الهداية ، وجعل الإنسان أسيرا لهواجس القلق والحيرة والشؤم ، بل تجريد الإنسان من طبيعته البشرية ، التي من خصائصها الفطرية الحاجة إلى الإيمان ، احتياجه لمتطلبات الجسد من الطعام والشراب ، ولا يختلف أحد في دور الإيمان في فهم حقيقة الوجود ، وحقيقة النفس ، فإذا فقد الإنسان هذه الحقيقة ، تجرد من إنسانيته ، وحملته الشهوة للضياع ، لذلك كان الإيمان مصدر كل خير ، وقد أعجبني كلام للدكتور مصطفى حلمي في كتابه (مناهج البحث في العلوم الإنسانية) يعرض فيه لوازم التجرد من القيم الإيمانية ، فيقول : " لولا إيماننا بالقضاء والقدر لقتلنا الحزن ، ولولا إيماننا برحمة الله لقتلنا اليأس ، ولولا إيماننا بانتصار المثل العليا لجرفنا التيار ، ولولا إيماننا بخلود الحق لحسدنا أهل الباطل أو كنا معهم ، ولولا إيماننا بقسمة الرزق لكنا من الجشعين ، ولولا إيماننا بالمحاسبة عليه لكنا من البخلاء أو المسرفين ولولا إيماننا بعدالة الله لكنا من الظالمين ، ولولا رؤيتنا آثار حكمته لكنا من المتحيرين " ^(٣).

(١) انظر : معلمة الإسلام : ٢٣٢/١ - ٢٣٣ ، أخطاء المنهج الغربي الوافد : ص ٤٠٦ - ٤٠٧ ، انظر : خصائص الأدب العربي ،

ص ٣٦ ، انظر : ترشيد الفكر الإسلامي ، أنور الجندي ، ص ١٧ ، دار الاعتصام .

(١) الإسلام والدعوات الهدامة : ص ١٩٣ .

(٣) مناهج البحث في العلوم الإنسانية بين علماء الإسلام وفلاسفة الغرب ، ص ٣٣٥ .

ملخص الرسالة

تناول الباحث بالدراسة والتحليل موضوع " أنور الجندي وموقفه من الفكر الغربي الوافد " وأظهرت تلك الدراسة مواقفه بموضوعية من خلال كتاباته والحكم عليها في ضوء الكتاب والسنة واجماع الأمة .

قسم الباحث هذه الدراسة إلى أربعة فصول ، وأدرج تحت كل فصل مباحث ومطالب ، تلقي بالضوء على مواقف الأستاذ أنور الجندي من الفكر الغربي الوافد .

تناول الفصل الأول عصره وحياته ، وذلك من خلال دراسة الحياة الاجتماعية والدينية والعلمية والثقافية والسياسية ، وتحليلها وبيان مدى تأثيرها في بلورة شخصية المفكر أنور الجندي خاصته كمفكر وفهم طبيعة مواقفه وظروفها ومدى صدقها التاريخي .

كما تناول الباحث الحياة الخاصة للأستاذ أنور ، حيث التعريف باسمه ومولده

ونشأته ووفاته ، وطلبه للعلم وثقافته ، وأعماله ومؤلفاته ، وأقوال معاصريه فيه .

أما الفصل الثاني فأبرز موقفه من الحضارة الغربية ، وضم أربعة مباحث:

فالمبحث الأول تعلق بمفهوم الحضارة واندراج تحته مطلبان : المطلب الأول تعريف الحضارة لغة واصطلاحاً ، أما المطلب الثاني : فاخصص بموقف الأستاذ أنور الجندي من

الحضارة ومفهومه لها ، أما المبحث الثاني: فكانت قضية التغريب محوره ، واندراج تحت

هذا المبحث مطلبان : أما المطلب الأول : تعريف التغريب وبيان أهدافه ، واختص

المطلب الثاني : بالرد على دعاة التغريب ، وقد عيّن الباحث اثنين من دعاة التغريب كان

لهم اعتبار خاص في كتابات الأستاذ أنور الجندي وسلط الأضواء عليهم وتناول كتاباتهم

بالتحليل والكشف عن أخطائها ، وأهدافها التغريبية ، وهما طه حسين ، وخليفته سلامة

موسى ، أما المبحث الثالث : فكان الحديث عن التبشير ، وتعلق به مطلبان : المطلب

الأول : التبشير تعريفه، وأهدافه ، والمطلب الثاني : فكان بيان لموقف أنور الجندي من

التبشير، والمبحث الرابع : أفرد قضية الاستشراق وفيه مطلبان : المطلب الأول : تعريفه

وأهدافه والمطلب الثاني : موقف أنور الجندي من الاستشراق .

تناول الفصل الثالث من هذه الدراسة موقفه من المذاهب الفكرية المعاصرة ، وقد

قسم الباحث هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث وكل مبحث يتفرع عنه مطلبان : أما المبحث

الأول : فقد تناول مفهوم العلمانية ، وفيه مطلبان : المطلب الأول : تعريفها وأهدافها

والمطلب الثاني : موقف أنور الجندي من العلمانية وأبرز دعواتها من وجهة نظر الأستاذ

أنور الجندي الشيخ على عبد الرازق من خلال مناقشته لكتابه الذي أثار ضجة في الحركة

الثقافية والفكرية في العالم الإسلامي (الإسلام وأصول الحكم) ، والكاتب المعروف (خالد محمد خالد) ومواقفه العلمانية التي تضمنتها كتاباته ، أما المبحث الثاني : فاختص بمفهوم الديمقراطية واندرج تحته مطلبان : المطلب الأول : تعريفها - وأهدافها ، والمطلب الثاني : فكان موقف أنور الجندي من الديمقراطية الغربية ونقده لها ، وعن البحث الثالث : فقد اهتم بقضية القومية وفيه مطلبان : المطلب الأول : تعريفها - وأهدافها ، والمطلب الثاني : موقف أنور الجندي من القومية ودعاتها ، وقد وجد الباحث أن الأستاذ أنور الجندي تصدى لشخصيتين رأى أنهما من اخطر دعاة القومية ، بعد أن راجع كتابتهما ورصد شبهاتهما ، وحلل أبعادها ، وهما ساطع الحصري و الدكتور محمد عمارة ، وقد كان للباحث رأيه في تلك المناقشات والردود .

عرض الفصل الرابع موقفه من الفلسفات المعاصرة ، وتم تقسيم هذا الفصل إلى أربعة مباحث وكل مبحث ينطوي تحته مطلبان ، أما المبحث الأول :فقد تناول الفلسفة اليونانية وأثرها في الفكر المعاصر ، فالمطلب الأول : كان لتعريف الفلسفة وبيان أسسها والمطلب الثاني : فكان لبيان موقف أنور الجندي من الفلسفة اليونانية ، من حيث تأثيرها في العلوم الإسلامية ،تحدث المبحث الثاني عن الماركسية وتفرع عنه مطلبان ، الأول : تعريفها وأسسها ، والثاني : موقف الأستاذ أنور الجندي من الماركسية ونقده لأسسها والمبحث الثالث : كان للفلسفة الفرويدية ، وفيه مطلبان : الأول : تعريفها وأسسها والثاني : ألقى الضوء على موقفه منها ببيان نقده لأسسها وختم هذا الفصل بالمبحث الرابع : والذي أفرد للفلسفة الوجودية ، وتحت هذا المبحث مطلبان : الأول : تعريفها وأسسها ، والثاني : تعرض لموقفه من الأسس التي تقوم عليها الوجودية .

وفي الختام ذيلت هذه الدراسة بخاتمة تشتمل على أهم النتائج التي توصل إليها الباحث .

الخاتمة

أحمدك ربي حمدا كثيرا على نعمة التوفيق في إنجاز هذا العمل المتواضع الذي ادخره عند الله تعالى راجيا منه القبول ، وأن يكون عملي هذا مساهمة طيبة أعبّر فيها عن حبي للإسلام ، الذي أعيش لأجله وأموت في سبيله ، وحرصا مني على أن أكون من النفر الذين يفارعون الجاهلية ويزودون عن حياض الإسلام .

وبعد الانتهاء من كتابة الرسالة يشير الباحث إلى أهم النتائج التي توصل إليها :

١- للحياة السياسية والثقافية والاجتماعية عميق الأثر على مواقف وآراء المفكر أنور الجندي
٢- أيد المفكر أنور الجندي فكر وطرح جماعة الإخوان المسلمين حتى كان أحد أعضائها ومعلما معتبرا في إعلامها الدعوي ، وأميناً لسرها .

٣- تبين للباحث بعد البحث بأن الاسم الحقيقي للأستاذ أنور الجندي هو (أحمد أنور الجندي) على غير ما اشتهر به .

٤- يعد أنور الجندي معلما من المعالم الثقافية عند جماعة الإخوان المسلمين ، فقد كان عضوا معتبرا ، حيث أسندت رئاسة تحرير جريدة الإخوان ، كما كان الركيزة الأساسية في حركة الإعلام الإسلامي ، كما كان أميناً لسرها .

٥- كان للأستاذ أنور أعمال كثيرة تصب في خدمة الإسلام وقضاياها ، فقد شارك في المؤتمرات الإسلامية في مصر والرياض ، الجزائر ، والمغرب وجاكرتا ، مكة ، وغيرها من البلاد ، وله جهد عظيم في عقد المحاضرات والمشاركة فيها ، فقد شارك في ندوة نظمتها الأيسسكو بالمغرب ، كما كان رائدا في العمل الصحفي فقد عمل في صحيفة العالم الإسلامي وغيرها .

٦- قدّم للمكتبة الإسلامية كمّاً هائلا من المؤلفات ، حتى عد من المكثرين من التصنيف كما أشارت مجلة فيصل ، وقد جمعت تلك المؤلفات بين الأصالة والمعاصرة وكانت تركز على قضية أساسية وهي تصحيح المفاهيم ، وأسلمة المناهج ، ووضع مشروع لتشبيد الصحة الإسلامية وحمايتها من الاحتواء .

٧- أخذ الباحث على كتابات أنور الجندي التكرار في أغلب مباحثها ، رغم اعترافه بغزارتها وتنوعها كما وكيفا .

٨- نال الأستاذ أنور مكانة مرموقة بين علماء ومفكري عصره ، فقد امتدحه نخبة من المعالم المعتمدة في العلم والفكر من أمثال : الدكتور يوسف القرضاوي ، والدكتور شوقي ضيف ، والدكتور عبد الحلیم عويس ، وغيرهم .

- ٩- رفض كل محاولات الإحلال الثقافي أو التبادل الثقافي مع الغرب
- ١٠- كشف عن الوجه الآخر لدعاة التغريب من أمثال طه حسين وسلامة موسى وعلي عبد الرازق .
- ١١- كشف عن أخطار قوى التحالف الغربي ممثلة في التغريب والاستشراق والتبشير ، وأبدع في إسقاطها منهجيا وفلسفيا .
- ١٢- أثبت أنور الجندي مدى التناسق بين قوى التبشير والاستشراق، فيذكر أوجه التركيز والاختصاص لكل .
- ١٣- استطاع الجندي أن يكشف عن إشكالية التعميم التي وقع بها الغرب في نظرتهم إلى الدين ، رافضا أن يلبس الإسلام لباس المسيحية ، فثمة فروق جوهرية لا يمكن معها أن تتحد النظرة أو تعمم.
- ١٤- أكد مادية الفكر العلماني ، وارتباطه بالفكر الماركسي ، ونظرية دارون ، مما يثبت تناقض العلمانية بين المسمى العلمي والفلسفي ، مما يؤكد بأن العلمانية كانت ثمرة للفكر الإباضي .
- ١٥- لا يرى أنور الجندي إمكانية نجاح تلك التجربة العلمانية في بلاد المسلمين، فليس للعلمانية مكان في المجتمعات الإسلامية، لوجود فوارق عظيمة بين الفكر العلماني والمنهج الإسلامي .
- ١٩- نفي صلة العلمانية بالمنهج العلمي ، وأثبت صلتها بالفلسفة . من خلال الكشف عن تلك الفوارق العميقة بين العلم والفلسفة .
- ٢٠- أثبت انقسام النظرة الغربية الكهنوتية عن نظرة الإسلام في نظام الحكم والسياسة.
- ٢١- رفض المفكر أنور الجندي تطور الشريعة ، واعتبرها نظرية مضللة ، ووصفها بأنها قلب الهجوم على الدين بعامة والإسلام .
- ٢٢- كان الأستاذ أنور الجندي من الرافضين والمهاجمين للديمقراطية الغربية ، ممثلا للاتجاه الرافض لعملية الموازنة أو المقابلة بين الشورى الإسلامية، والديمقراطية الغربية ورأى بأن ثمة فوارق عميقة بين الشورى الإسلامية والديمقراطية الغربية.
- ٢٣- رفض الأستاذ أنور المحاولات القاضية بتعرية العروبة من كل مفاهيمها المرتبطة بالإسلام ، سواء في السياسة، كالترباط والانفتاح بين الأمم الإسلامية ذات التاريخ والثقافة الواحدة ، والعقيدة الواحدة ، ورأى بأن العروبة والإسلام وحدة لا تنفصل .

٢٤- أثبت الأستاذ أنور خطأ القول بأثر الفلسفة اليونانية في الفكر الإسلامي ، مستدلا على ذلك بعامل الزمن والتاريخ.

٢٥- أخذ الباحث على أنور الجندي إدراجه لمفهوم الفلسفة في إطار المفهوم الإسلامي مرجحا لرأيه بموقف الأستاذ سيد قطب الذي رفض تمرير هذا المفهوم ، لانفصاله عن أسلوب القرآن الخالي من الجفاء والتعقيد الفلسفي .

٢٦- أبرز الأستاذ أنور خطأ جسيما وقعت فيه النظرية المادية عموما ، والفكر الماركسي تحديدا وهو محاولة تطبيق قوانين المادة ومفاهيمها على الظواهر الإنسانية

٢٧- أسقط الأستاذ أنور خطأ التعميم في نظرية ماركس لاعتماده على متغيرات اقتصادية .

٢٨- أدرك الجندي على ماركس في نظريته ، في أنه يقوم على تفسير التطور التاريخي من خلال النظرة الأحادية ، حيث يرجع التطور الاجتماعي إلى العامل الاقتصادي من خلال التعميم على كل الحضارات البشرية .

توصيات الباحث :

١- يوجه الباحث الدارسين في مجال النقد الأدبي إلى دراسة منهج الأستاذ أنور الجندي في نقد الحركة الأدبية في القرن العشرين .

٢- يرى الباحث أهمية دراسة فكر أنور الجندي في دراسة الديانة اليهودية تحت بحث بعنوان (" جهود أنور الجندي في مواجهة الحركة الصهيونية المعاصرة) .

٣- حبذا لو درّس منهج الأستاذ أنور الجندي في التربية في بحث بعنوان (أنور الجندي وموقفه من النظم التربوية المعاصرة (دراسة وتحليل) .

الفهارس

- أولاً: ثبت آيات القرآن الكريم .
- ثانياً : ثبت الأحاديث النبوية .
- ثالثاً : ثبت الأعلام المترجم لهم .
- رابعاً : ثبت المراجع والمصادر .
- خامساً : ثبت الموضوعات .

أولاً : ثبت أطراف الآيات القرآنية في البحث

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
" وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا....."	١٠٩	البقرة	٩٥
"إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ...."	١١٩	=	١٠٢
" وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى ..."	١٢٠	=	١٠٣
" وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ..."	٢١٧	=	١٣٧
" اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ..."	٢٥٥	=	١٤٧
" فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ..."	١٧٣	=	١٨٩
" إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ..."	٢٨	آل عمران	١٨٩
" لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ..."	٢٨	=	١٨٩
" هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ..."	٦٦	=	٨٥
" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ..."	١٠٠	=	٩٥
" إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ ..."	٤٥	=	٩٩
" فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ..."	٢١	=	٩٩
"إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ..."	٥١	=	١٠١
" فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ..."	٥٢	=	١٠١
" إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ..."	٥٥	=	١٢٣
" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ ..."	١١٨	=	١٣٣
" مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا ..."	٦٧	=	١٥٠
"أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالََةَ .."	٤٤	النساء	٩٥
" وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ "	١٥٧	=	١٢٣
" إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ..."	٥٨	=	١٨٩
" لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ .."	١٤٨	=	١٨٩
" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ..."	١	=	٢٣٠
" فَانكحوا ما طاب لكم من النساءِ متنى وثلاث ورباع..."	٣	=	٢٥٧

"لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ... "	١٧	المائدة	١٠١
"ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ... "	٥٤	المائدة	١١٩
"حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالِدَمُّ ... "	٣	=	١٨٩
"وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ... "	٣٨	الأنعام	٢١٠
"أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ... "	١٨٥	الأعراف	١٦٥
"وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالنَّاصِرِينَ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ ... "	١٠٠	التوبة	٧٧
"قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ ... "	١٠١	يونس	٢٤٢
"مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ ... "	٤٠	يوسف	١٩١
"وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي وَأَنْهَارًا ... "	٣	الرعد	١٦٥
"يُنَبِّئُكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ ... "	١١	النحل	١١٥
"وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ... "	٤٤	=	١١٨
"ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ ... "	٦٩	=	١٦٥
"إِلَّا مَنْ أكرهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْأَيْمَانِ ... "	١٠٦	=	١٨٩
"وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً ... "	٨٩	=	٢٠٩
"وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ... "	١٠٥	الإسراء	١٠٢
"هَذَا الْقُرْآنُ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ ... "	٩	=	١٠٣
"تِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ... "	٥٩	الكهف	١٢٨
"السَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ... "	٣٣	مريم	١٢٣
"ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ... "	١٢٢	طه	١٢٢
"مَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا ... "	١١٢	=	١٨٦
"وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ ... "	٢٥	الأنبياء	١٠٢
"وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ... "	١٠٧	=	١١٢
"هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ... "	٩٢	=	١١٦
"فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ ... "	٩٤	=	١٨٧

"وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ... "	٧٨	الحج	١١٦
" أَفحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ... "	١١٥	المؤمنون	١٢٣
"وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ .. "	٥٥	النور	٥٥
" مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِنَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ .. "	١٠٩	الشعراء	٣٢
"فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ... "	٥٠	القصص	١٦٥
"وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ... "	٣١	الروم	٢٥٧
"أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ... "	٤٥	الأحزاب	١٠٢
"الَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا "	١٧٠	الزمر	٩٩
"وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ... "	٣٨	الشورى	١٨٩
"أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا ... "	٢١	الجاثية	١٨٦
"إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ... "	٨	الفتح	١٠٢
"يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا ... "	١٣	الحجرات	٢١٧
"إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ ... "	١٠	=	٢٢٠
"وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ... "	٢١	الطور	١٢٢
"مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ... "	٢٨	النجم	١٦٥
"أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ .. "	٧	الحشر	١١٨
"وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ .. "	٦	الصف	١٠٢
"يُرِيدُونَ لِيُطْفَنُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ "	٨	=	١٢٨
"اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ... "	٣	العلق	١٤٢
"فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ... "	٧	الزلزلة	١٨٧

ثانياً: ثبت أطراف الأحاديث النبوية الواردة في البحث

رقم الصفحة	الحديث
١١٧	"أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ أَلَا لَنَا فَضْلٌ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ ..."
١١٧	"أَيُّ يَوْمٍ هَذَا قَالُوا يَوْمٌ حَرَامٌ ثُمَّ قَالَ أَيُّ شَهْرٍ هَذَا قَالُوا شَهْرٌ حَرَامٌ ..."
٢٣٠	"اسْتَعْفُوا لِأَمِيرِكُمْ فَإِنَّهُ كَانَ يُحِبُّ الْعَفْوَ ..."
١١٧	"بَلَدٌ حَرَامٌ قَالَ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ بَيْنَكُمْ دِمَاعَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ ..."
١١٧	"فَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَالُوا بَلَّغْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ لَنَا كَحُرْمَةِ"
١١٦	"قَامَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَتْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ عَلَيْكُمْ بِاتِّقَاءِ اللَّهِ وَحُدُودِهِ لَنَا شَرِيكَ لَهُ"
٩٦	"لَا تَسْأَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ فَإِنَّهُمْ لَنْ يَهْدُوكُمْ وَقَدْ ضَلُّوا ..."
٨٧	"لَا تَسْبُوا أَصْحَابِي لَا تَسْبُوا أَصْحَابِي فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ ..."
٢٥٨	"يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ ..."

ثالثا : ثبت الأعلام المترجم لهم في البحث

الرقم	العلم	الصفحة التي ورد فيها
- ١	توفيق الحكيم	١٦
- ٢	حسن البنا	١٠
- ٣	سيد قطب	٢٢
- ٤	سلامة موسى	١٥
- ٥	طه حسين	١٤
- ٦	علي عبد الرازق	١٤
- ٧	فـرويد	٢٥٣
- ٨	فـسـنـك	١٤٨
- ٩	محمد رشيد رضا	١٤٩
- ١٠	محمد خضر حسين	١٩٧
- ١١	هاملتون جب	١١٢

رابعاً : ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أ - المصادر : مؤلفات أنور الجندي :

- ١ - الإسلام والعالم المعاصر ، دار الكتاب اللبناني - بيروت، ط ٢ ، ١٩٨٠م
- ٢ - الإسلام والدعوات الهدامة، دار الكتاب اللبناني بيروت - لبنان ١٩٨٢م
- ٣ - الإسلام والعالم المعاصر بحث تاريخي وحضاري، دار الكتاب اللبناني بيروت ط ٢ ١٩٨٠م
- ٤ - أخطاء المنهج الغربي الوافد في العقائد والتاريخ والحضارة واللغة والأدب والاجتماع ، دار الكتاب اللبناني بيروت لبنان ، ط ١٩٨٢م.
- ٥ - عرضوا أنفسكم على موازين القرآن ، ط دار الاعتصام ، بدون عام ط .
- ٦ - أصالة الفكر الإسلامي في مواجهة التغريب والعلمانية ، ط دار الفضيلة.
- ٧ - إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام، ، ط دار الاعتصام القاهرة.
- ٨ - آفاق جديدة للدعوة الإسلامية في عالم الغرب ، ط ٢ ، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.
- ٩ - التغريب أخطر التحديات في وجه الإسلام ، أنور الجندي ، ١٩ - ٢٠ ، من مطبوعات مجلس اتحاد الطلبة - جامعة الخليل .
- ١٠ - ترشيد الفكر الإسلامي ، دار الاعتصام.
- ١١ - التربية وبناء الأجيال في ضوء الإسلام دار الكتاب اللبناني - بيروت ط ١٩٧٥م ،
- ١٢ - الثقافة العربية ، دار الكتاب اللبناني، ط ١ ، ١٩٨٢م ،
- ١٣ - جيل العمالقة والقمم الشوامخ في ضوء الإسلام ، دار الاعتصام .
- ١٤ - حقائق مضيئة في وجه شبهات مضيئة ، دار الصحوة للنشر ، القاهرة .
- ١٥ - خصائص الأدب العربي ، دار الاعتصام،
- ١٦ - الخنجر المسموم الذي طعن به المسلمون ، دار الاعتصام

- ١٧- سقوط نظرية دارون ، دار الاعتصام .
- ١٨- سموم الاستشراق والمستشرقون في العلوم الإسلامية الطبعة ٢ / ١٤٠٥ هـ —
١٩٨٥ م
- ١٩ - سقوط العلمانية ، دار الكتاب اللبناني .
- ٢٠- شهادة العصر والتاريخ ، دار الاعتصام .
- ٢١- الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي " موسوعة شاملة لشبهات
الأدب والثقافة والتاريخ والسياسة والاجتماع وتراجم الأعلام والمؤلفات تضم أكثر
من مأتي مصطلح " ، دار الاعتصام .
- ٢٢- شبهات في الفكر الإسلامي ، ط دار الاعتصام.
- ٢٣- شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي ، ط المكتب الإسلامي بقطر .
- ٢٤ - الشباب المسلم قضايا ومشكلاته ، دار الصحوة ، للنشر والتوزيع ط ١ ١٤١٥ هـ .
- ٢٥ - الصحوة الإسلامية منطق الأصالة وإعادة بناء الأمة على طريق الله ، دار الاعتصام .
- ٢٦ - طه حسين حياته وفكره في ضوء الإسلام ، دار الاعتصام القاهرة ط ٢ ١٣٩٧ هـ -
١٩٧٧ م .
- ٢٧- الطريق إلى الأصالة ، دار الاعتصام .
- ٢٨- الطريق أمام الدعوة الإسلامية ، دار الاعتصام.
- ٢٩- عيون التراث وذخائر التاريخ ، دار الصحوة للنشر والتوزيع القاهرة ط ١ ١٤١٥ هـ -
١٩٩٤ م
- ٣٠- عالمية الإسلام ، دار المعارف ، كورنيش النيل ، القاهرة .
- ٣١ - الفكر الإسلامي والثقافة العربية المعاصرة في مواجهة تحديات الاستشراق والتبشير
والغزو الثقافي ، دار الاعتصام.
- ٣٢- قضايا الأدب والثقافة والفن ، دار الاعتصام.
- ٣٣- قضايا مثارة تحت ضوء الإسلام ، دار الاعتصام .
- ٣٤- كيف يحتفظ المسلمون بالذاتية الإسلامية في مواجهة أخطار الأمم ، إصدار الاعتصام
- ٣٥- كيف يحطم المسلمون قيد التبعية والحصار ، - مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت - لبنان
، ط ١ ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- ٣٦- المؤامرة على الإسلام — بدون طبعة - دار الاعتصام.
- ٣٧- مقدمات العلوم والمناهج ، دار الأتصار شارع عبيد - القاهرة .

- ٣٨- من طفولة البشرية إلى رشد الإنسانية ، ط دار الاعتصام .
- ٣٩- منهج الإسلام في بناء العقيدة والشخصية ، دار الاعتصام - القاهرة .
- ٤٠- مدخل إلى القرآن الكريم ، دار الاعتصام .
- ٤١- معالم التاريخ الإسلامي المعاصر " العروبة والإسلام " ، مطبعة الجبلوي شارع النزعة البولاقية
- ٤٢- الموسوعة الإسلامية العربية ، أخطاء المنهج الغربي الوافد في العقائد والتاريخ والحضارة واللغة والأدب والاجتماع ، الناشر دار الكتاب اللبناني - بيروت .
- ٤٣- المسلمون في فجر القرن الوليد ، دار الاعتصام .
- ٤٤- محاكمة فكر طه حسين ، أنور الجندي ، ط دار الاعتصام القاهرة .
- ٤٥- معلمة الإسلام أنور الجندي ، دار الصحوة للنشر والتوزيع القاهرة ، ط الثانية ١٠٤١هـ - ١٩٨٩م
- ٤٦- المخططات التلمودية الصهيونية اليهودية في غزو الفكر الإسلامي ، دار الاعتصام .
- ٤٧- نظريات وافدة كشف الفكر الإسلامي زيفها ، دار الاعتصام ، القاهرة .
- ٤٨- نحن وحضارة الغرب ، دار الاعتصام .
- ٤٩- نظريات وافدة كشف الفكر الإسلامي زيفها ، دار الاعتصام ، القاهرة .
- ٥٠- نحو بناء منهج البدائل الإسلامية " للنظريات والأيديولوجيات والمفاهيم الغربية الوافدة المطروحة في مناهج التربية والثقافة والعلوم " ، ط دار الاعتصام .
- ٥١- هزيمة الشيوعية في عالم الإسلام ، دار الاعتصام .
- ٥٢- اليقظة الإسلامية في مواجهة الاستعمار منذ ظهورها إلى أوائل الحرب العالمية الأولى ، دار الاعتصام ، القاهرة .

ب - المراجع :

- ١- الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر د. محمد محمد حسين ، بدون طبعة، مؤسسة الرسالة .
- ٢- الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا د. حسن محمود ، دار الفكر العربي .
- ٣- الاتجاهات الفكرية المعاصرة ، للمستشار الدكتور علي جريشة، دار النشر دار الوفاء
- ٤- للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة - المنصورة، الطبعة الثالثة ١٠٤١هـ - ١٩٩٠م
- ٥- آفاق جزائرية، مالك بن نبي، عالم المعرفة ، الكويت
- ٦- الإسلام والحضارة الغربية محمد محمد حسين، ط المكتب الإسلامي

- ٧- أجنحة المكر الثلاثة ، التبشير ، الاستشراق ، الاستعمار ، عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني ، دار القلم بيروت ط ١ ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .
- ٨- الإسلام والعلمانية وجها لوجه ، د. يوسف القرضاوي ، دار الصحوة للنشر ، الطبعة الأولى ١٩٨٧م - ١٤٠٨هـ
- ٩- الإسلام وقضايا العصر ، د ابراهيم الدبو وآخرون ، دار المناهج القلعة -الأردن ، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م
- ١٠- الإسلام و أصول الحكم ، علي عبد الرازق ، ، الطبعة الثالثة ، مطبعة مصر سنة ١٩٢٥م .
- ١١- الإسلام وأيديولوجية الإنسان ، سميح عاطف الزين ، دار الكتاب اللبناني -بيروت لبنان وار الكتاب المصري القاهرة ط الثانية ١٩٧٨م .
- ١٢- أسس الفلسفة الماركسية ، ق . أفانا سيف ، ترجمة عبد الرازق الصافي، دار الفارابي -بيروت ، الطبعة الرابعة ١٩٨٤م.
- ١٣- الإنسان بين المادية والإسلام : محمد قطب: ط دار الشروق بيروت والقاهرة الخامسة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .
- ١٤- الأعلام ، خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ط ٥ ، ١٩٨٠م .
- ١٥- أسس الفلسفة الماركسية : تعريب شعبان بركات ، من منشورات المكتبة العصرية ، صيدا بيروت.
- ١٦- باشوات وسوير باشوات (صورة مصر في عشرين) د/ حسين مؤنس) الزهراء للإعلام العربي ، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ١٧- تاريخ الحركة الوطنية وجذور النضال المصري د. مصطفى رمضان ، بدون طبعة ، ودار نشر.
- ١٨- تاريخ سياسات التعليم في مصر ، شكري عباس حلمي و د. ايهاب السيد إمام ، ط ١٩٩٦م .
- ١٩- تطور مصر ١٩٢٤-١٩٥٠م ، مارسيل كولومب ، بدون طبعة ، مكتبة مدبولي.
- ٢٠- التاريخ الإسلامي ، محمود شاكر ، المكتب الإسلامي ط ٧ ، ١٩٩١م .
- ٢١- التقارب الديني خطره وأسبابه ودعائه تأليف الشيخ الأمين الحاج محمد احمد حقوق الطبع محفوظة لشركة المفكرة ١٤٢٤هـ - ١٤٢٥هـ.
- ٢٢- تاج العروس من جواهر القاموس" محب الخطيب أبي الفيض السيد محمد الزبيدي، ط دار الفكر

- ٢٣- التفسير الإسلامي للتاريخ دار العلم للملايين ، ط الثانية ١٩٧٨م.
- ٢٤- التنصير مفهومه، وأهدافه ، ووسائله وسبل مواجهته ، د. علي إبراهيم النملة ، دار الصحوة للنشر والتوزيع - القاهرة - ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- ٢٥- تاريخ الجدل ، للشيخ محمد أبو زهرة ، مطبعة العلوم - القاهرة
- ٢٦- تاريخنا بين تزوير الأعداء وغفلة الأبناء ، يوسف العظم ، دار القلم دمشق ،الدار الشامية بيروت ط الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .
- ٢٧- التبشير والاستعمار في البلاد الإسلامية : د. عمر فروخ د. مصطفى الخالدي ، الطبعة الرابعة ١٣٩٠ - ١٩٧٠م.
- ٢٨- تهافت الفكر الماركسي : صلاح عبد العليم إبراهيم ط ١ ، دار الطباعة المحمدية عام ١٩٨١م.
- ٢٩- تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون ، تأليف عمر فروخ ، دار العلم للملايين - بيروت
- ٣٠- ثورة الجنرال جمال عبد الناصر ، د. رفعت سيد احمد، دار الهدى للنشر والتوزيع ط ١ ، ١٤٦٣هـ - ١٩٩٣م .
- ٣١- ثورة ٢٣ يوليو ، أحمد حمروش ، ، بدون ط ، الهيئة المصرية للكتاب .
- ٣٢- جذور العلمانية. السيد أحمد فراج ، الطبعة الرابعة دار الوفاء للنشر والتوزيع - المنصورة ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- ٣٣- الحضارة حسين مؤنس ط الأولى، عالم المعرفة الكويت.
- ٣٤- الحضارة الإسلامية، د أحمد شلبي ، دار النهضة المصرية.
- ٣٥- الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية دار الوفاء للطبع والنشر ط الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
- ٣٦- الحركات الإسلامية والديمقراطية " دراسات في الفكر والممارسة " سلسلة كتب المستقبل العربي (١٤) ، مجدي حماد ومجموعة من الكتاب الإسلاميين .
- ٣٧- الحرية السياسية في الإسلام ، أحمد شوقي الفنجري ، دار القلم الكويت الطبعة الثانية ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
- ٣٨- حقيقة الديمقراطية ، محمد الشريف ، ط دار الوطن للنشر - الرياض.
- ٣٩- حول تشكيل العقل المسلم ط المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، سلسلة قضايا الفكر الإسلامي (٦) ١٤٠١هـ -

- ٤٠- حاضر العالم الإسلامي ، د. صالح الرقب ، ط فلسطين - قطاع غزة - ، الطبعة ١
١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .
- ٤١- خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، سيد قطب دار الشروق ، بيروت الطبعة
الشرعية الرابعة ، ١٣٨٩هـ - ١٩٧٨م .
- ٤٢- دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين الخوارج والشيعة ، د . أحمد محمد جلي ، ط
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
- ٤٣- الديمقراطية نظام كفر يحرم أخذها أو تطبيقها أو الدعوة إليها ، عبد الكريم زلوم ، من
منشورات حزب التحرير .
- ٤٤- دلائل النبوة ومعجزات الرسول ، د. عبد الحليم محمود ، في مقدمة الكتاب ، دار
الإنسان للطباعة والنشر بالقاهرة سبة ١٣٩٤ هـ .
- ٤٥- دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة د. محمد بديع شريف وآخرون ،
٥٨٩ عدد ، دار اقرأ .
- ٤٦- الدليل العام للجامعات العربية ، ط ١ ، ١٩٨٨م .
- ٤٧- دراسات في الثقافة الإسلامية د . أمير عبد العزيز مطبعة الخليل الإسلامية ط الثالثة
١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م .
- ٤٨- دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين وبيان الشبه الواردة على
السنة قديما وحديثا وردها ردا علميا صحيحا د. محمد أبو شهبة ، الدار السلفية لنشر
العلم - مكتبة السنة ط الأولى جمادى الآخرة ١٤٠٩ هـ - يناير ١٩٨٩م .
- ٤٩- رثاء مخطوط بقلم ، محمود سعيد أحمد عبد النبي ، تم الحصول عليه منه مباشرة
- ٥٠- السادات وكامب ديفد د/ صلاح العقاد بدون طبعة - مكتبة مديولي
- ٥١- السيرة النبوية ، لابن هشام ، "قصة تملك النجاشي على الحبشة" ط المركز العربي
لخدمة الكتاب ، بدون تاريخ الطبع
- ٥٢- الشورى لا الديمقراطية ، عدنان علي رضا النحوي ، دار النحوي الطبعة الرابعة
١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .
- ٥٣- الشورى وأثرها في الديمقراطية " دراسة مقارنة " د. عبد الحميد الأنصاري ، دار
الفكر العربي القاهرة ، ط ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .
- ٥٤- " الشعوبية ودورها التخريبي في مجال العقيدة الإسلامية ، تأليف /حسن حميد عبيد
الغباوي ، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة ، العراق ١٩٩٣

- ٥٥- الصحة النفسية : علاء الدين كفاقي ، القاهرة ط ١٩٩٠ م .
- ٥٦- العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة ن، سفر الحوالي مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
- ٥٧- الغارة على العالم الإسلامي ، تأليف ا . شاتليه A.Le chateler لخصها ونقلها إلى العربية ، محب الدين الخطيب ، مساعد اليافي ، ، مكتبة أسامة بن زيد ، بيروت
- ٥٨- الفتنة الكبرى عثمان (١) ، طه حسين ، دار المعارف بمصر .
- ٥٩- الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، د. محمد البهي ، ط التاسعة ، الناشر مكتبة وهبة القاهرة
- ٦٠- فرويد التحليل النفسي والفلسفة الغربية المعاصرة ، ترجمة : زياد الملا ، دار الطليعة الجديدة - سوريا دمشق ط ١ ١٩٩٧ م .
- ٦١- الفكر الفلسفي في الإسلام ، د . عبد الحليم محمود ط دار الكتاب اللبناني - ودار الكتاب المصري .
- ٦٢- فلسفتنا : محمد باقر الصدر : دار التعارف بيروت ط ١٠ ، ١٤٠٠ هـ - الموافق ١٩٨٠ م .
- ٦٣- القاموس المحيط ، الإمام مجد الدين محمد يعقوب الشيرازي الشافعي ، ط دار الكتب العلمية بيروت - لبنان .
- ٦٤- القومية في ميزان الإسلام ، عبد الله ناصر علوان ، دار السلام للنشر والتوزيع والترجمة القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م .
- ٦٥- قوى الشر المتحالفة الاستشراق . التبشير . الاستعمار ، محمد محمد الدهان ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة ش.م.م ط الثانية ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
- ٦٦- كواشف زيوف : عبد الرحمن الميداني ٣ ط دار القلم .
- ٦٧- لسان العرب " جمال الدين ابن منظور ، ، دار الفكر ، بيروت .
- ٦٨- الموسوعة السياسية : عبد الوهاب الكيالي، وآخرون ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط ٢ ، ١٩٨٩ م .
- ٦٩- موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية د. أحمد شلبي دار النهضة المصرية ط ، ١٩٨٦ م ،
- ٧٠- مصر في القرن الواحد والعشرين ، د. أسامة الباز ، مؤسسة الأهرام ، القاهرة ط ١ ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م .

- ٧١- مصر وعالم البحر المتوسط ، رءوف عباس حامد، مكتبة نهضة مصر، ط ١٩٩٦م.
- ٧٢- معجم المؤلفين ، عمر رضا كحالة ، مكتبة المتنبي ، ودار إحياء التراث العربي ، لبنان .
- ٧٣- الموسوعة العربية العالمية ، إشراف محمد شفيق غربال ، بدون طبعة ، دار نهضة لبنان ، بيروت.
- ٧٤- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك د. عبد الرحمن بن الجوزي دار الكتب العلمية
- ٧٥- مصر قبل جمال عبد الناصر د. عبد العظيم رمضان الهيئة العامة للكتاب.
- ٧٦- مصر المجاهدة في العصر الحديث د. عبد الرحمن الرافي ، دار الهداية .
- ٧٧- مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر الرازي ، ط دار الفكر، بيروت .
- ٧٨- مقدمة ابن خلدون ، عبد الرحمن بن خلدون ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان.
- ٧٩- المستقبل لهذا الدين ، ط الكويت.
- ٨٠- معالم الثقافة الإسلامية ، د. عبد الكريم عثمان ، ط مؤسسة الرسالة.
- ٨١- معالم في الطريق، سيد قطب ، دار الشروق للتوزيع.
- ٨٢- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي - الرياض ، من إصدارات مسجد نور شمس طولكرم ، ١٩٧٢م.
- ٨٣- مختار القاموس ، الطاهر أحمد الزاوي ، من مادو غرب ، طا لدار العربية للكتاب.
- ٨٤- الملل والنحل للشهرستاني ، دار المعرفة - بيروت ١٩٨٤م
- ٨٥- المذاهب والأفكار المعاصرة في التصور الإسلامي ، تأليف : محمد الحسن ، نشر وتوزيع دار الثقافة - الدوحة - قطر، الطبعة الأولى ١٩٨٦م .
- ٨٦- المستنصر ، المطبعة الأميرية - القاهرة بولاق - سنة ١٣٢٢هـ
- ٨٧- المنقذ من الضلال ، دار النصر للطباعة - القاهرة
- ٨٨- مناهج الجدل في القرآن الكريم ، د. زاهر بن عواض الألمي ، ، بدون طبعة
- ٨٩- المسلمون بين العلمانية وحقوق الإنسان الوضعية ، د. عدنان النحوي ، دار النحوي للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .
- ٩٠- ومفردات ألفاظ القرآن: للراغب الأصفهاني ، دار القلم - دمشق - الطبعة الثالثة - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .
- ٩١- مذاهب فكرية معاصرة ، محمد قطب ، دار الشروق - بيروت ط الأولى ١٤٠٣هـ -
- ١٩٨٣م

- ٩٢- مناهج البحث في العلوم الإنسانية بين علماء الإسلام وفلاسفة الغرب ، مصطفى حلمي دار الدعوة ، القاهرة ، ط٢ ١٩٩١ م .
- ٩٣- مبادئ علم النفس ، إعداد . هيئة التدريس بقسم علم النفس التربوي جامعة عين شمس قسم علم النفس التربوي ط٢ ١٩٩٨ م
- ٩٤- محاضرات في التحليل النفسي ، سيجموند فرويد ، ترجمة عزت راجح ، راجعه . محمد فتحي ، ط دار مصر للطباعة ، مكتبة مصر
- ٩٥- مناهج الحكم في الإسلام ، محمد أسد ، دار العلم للملايين الطبعة الخامسة ١٩٧٨ م .
- ٩٦- مرجز تاريخ الفلسفة ، إعداد جماعة من الأساتذة السوفيات ، ترجمة وتقديم د. توفيق سلوم ، الفاراب، ط١ ١٩٨٩ .
- ٩٧- الموسوعة الفلسفية ، وضع لجنة من العلماء الأكاديميين السوفياتيين ، بإشراف روزنتال ، يودين ، ط دار الطليعة للطباعة والنشر - بيروت ط٧ آذار مارس ١٩٩٧ م ،
- ٩٨- معالم المنهج الإسلامي ، د. محمد عمارة ، ص١٩٢ ، الناشر دار الرشاد - القاهرة الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ - ١٩٩٨ م .
- ٩٩- مقدمة في الفلسفة الإسلامية د. عمر التومي الشيباني ،الدار العربية للكتاب - ليبيا ط١ ١٩٩٠ م .
- ١٠٠- المادية الديالكتيكية ، تأليف جماعة من سادة السوفييت ، كونسانيون وآخرون ، ترجمة فؤاد مرعي ، دار الجماهير دمشق ، الطبعة الثالثة ١٩٧٣ .
- ١٠١- مباحث في علوم القرآن ، د. مناع القطان ، مؤسسة الرسالة ، لبنان ، ط٣٥ ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨ م .
- ١٠٢- نقض أوهام المادية الجدلية، محمد سعيد رمضان البوطي دمشق ط٢ ، ١٩٧٩ م .
- ١٠٣- نضال شعب مصر -١٧٩٨م -١٩٥٦م - المستشار محمد عبد الرحمن حسين - منتشأة المعارف بالإسكندرية .- بدون طبعة
- ١٠٤- افعنا المعاصر، محمد قطب ط الثانية ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، الناشر مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر
- ١٠٥- في الأدب الجاهلي ، د. طه حسين ، ط١٦ ، ١٩٢٧ م ، دار المعارف - القاهرة .
- ت - المجالات :**
- ١٠٦- مجلة المنار الجديد ، قسم المقالات مقال للكاتب . محمود خليل ، بعنوان " أنور الجندي رائد الأصالة والتنوير" في محرم ١٤٢٣هـ - العاشر من إبريل سنة ٢٠٠٢م .

- ١٠٧- جلة الوعي الإسلامي ، قسم الشخصيات ، مقال بقلم ، محمد محمد صالح عوض
عدد ٤٣٨ ، السنة ٣٩ صفر ١٤٢٣هـ - مايو ٢٠٠٢م.
- ١٠٨- جلة الوعي ، مقال عالم خليل الأميني، في صفحاتها الأربعين من العدد الثاني لشهر
صفر ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م مايو السنة ٢٦
- ١٠٩- جلة اللواء الإسلامي ، تحت عنوان " من يحمي مكتبتنا بعد وفاته في ٢٤ من ذي
القعدة ١٤٢٢هـ يوم الخميس.
- ١١٠- مجلة منبر الإسلام رئيس التحرير سامي التوني ، عدد ١٢ ذو الحجة ١٤٢٢هـ -
فبراير ومارس ٢٠٠٢م . السنة ٦٠.
- ١١١- الوعي الإسلامي في عندها الثاني عشر في مقال للكاتب / عالم خليل الأميني
بعنوان المفكر والكاتب العصامي الأستاذ أنور الجندي ص ٤٠ في صفر ١٤٢٣هـ ، أبريل -
مايو ٢٠٠٢م.
- ١١٢- جلة منبر الإسلام العدد (١) المحرم ١٤٢٣هـ مارس وأبريل.
- ١١٣- جلة منبر الإسلام ، مقال للكاتب ، محمد عباس عرابي مقال بعنوان " المفكر
الموسوعي أنور الجندي ترك ثروة فكرية ثرية" العدد الثاني ، السنة الثامن والعشرون ،
صفر ١٤٢٣هـ - أبريل ومايو ٢٠٠٢م
- ١١٤- جلة الخليج / الإماراتية " الزهرة" في مقال بعنوان " أنور الجندي الفارس الذي رحل
" بيارب ٢٠٠٢/٢/٣م العدد ١٣؟
- ١١٥- مجلة منبر الإسلام :مقال : محمد عباس عرابي ، عدد ٢ ٢٨ صفر ١٤٢٣هـ -
أبريل ومايو ٢٠٠٢م .
- ١١٦- جلة الوعي الإسلامي في مقال بقلم /محمد محمد عوض بعنوان " وداعا لفقيد الأمة"
ص ١٣ عدد ٤٣٨ السنة ٣٩ صفر ١٤٢٣هـ - مايو ٢٠٠٢م
- ١١٧- نظر : مجلة الوعي الإسلامي ، ص ١٣ العدد ٤٣٨ صفر ١٤٢٣هـ - مايو ٢٠٠٢م.
- ١١٨- جلة اللواء الإسلامي، عن مقال : من يحمي مكتبتنا بعد وفاته ٢٤ ذي القعدة
١٤٢٢هـ ، خميس السابع من فبراير ٢٠٠٢م
- ١١٩- جلة الوعي ، ، العدد ٢ السنة ٢٦ ، صفر ١٤٢٣هـ - أبريل ومايو ٢٠٠٢م
- ١٢٠- جلة المختار الإسلامي، حوار مع المفكر الإسلامي أنور الجندي، ص ٩٠ العدد
١٢١- سنة ٢٤ - غرة جمادي الأولى ١٤٢٤هـ - يوليو ٢٠٠٣م

١٢٢- جلة الروافد الثقافية للنشر والطبع والتوزيع ، مقال : عبد الله كاتون في يوم الثلاثاء، ٤ صفر ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢/٤/١٦ ، تم الحصول عليه من هذه الشركة مباشرة
١٢٣- لة منار الإسلام - التنصير التحدي والمواجهة، د. أحمد عبد العزيز السايح-ص ٨٠ من السنة السابعة عشرة من عددها السابع -رمضان-١٤١٣هـ - ١٩٩٣م - تصدر عن دولة الإمارات العربية المتحدة.

١٢٤- جلة الوحدة، العدد ٩٦، مقالة " الحركات الإسلامية قراءة أولية" د. محمد أركون ترجمة هاشم صالح.

١٢٥- مجلة المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية- مؤسسة آل البيت - عمان ط- ١٩٩٦م التبشير والمسلمون في أفريقيا السوداء، السيد عبد الله باه- الدورة العاشرة لمؤتمر المجمع تحت عنوان : المسلمون وحوار الحضارات في العالم المعاصر، صفر ١٤١٦هـ - تموز ١٩٩٥م.

١٢٦- مجلة دراسات في التنمية والتكامل الاقتصادي العربي" سلسلة كتب المستقبل العربي ، ببيروت حزيان ١٩٨٢م ط١ مقالة للدكتور/ اسماعيل صبري
١٢٧- مجلة : التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي- الترجمة الكاملة لأعمال المؤتمر التبشيري المنعقد في مدينة جلين آيري بولاية كولورادو في الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٩٧٨م ، منشورات مركز دراسات العالم الإسلامي-بيروت.

ث - الجرائد :

١٢٨- ريدة العالم الإسلامي ، ص ٢ " نعي أنور الجندي" عددها ١٧٣٢ ، الجمعة ٢٥ ذو القعدة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢/٢/٨م - الرباط.

١٢٩- جريدة الخليج ، الإمارات ، الزهرة / مقال بعنوان " أنور الجندي .. الفارس الذي رحل " بتاريخ ٢٠٠٠ / ٢ / ٣ .

١٣٠- يدة المساء ، مقال للدكتور/ حلمي محمد القاعود ، الملحق الديني بتاريخ عدد ٦٠ ٢٠٠٢/٢/٦م.

١٣١- ريدة الرياض الجمعه ٢٦ ربيع الثاني ١٤٢١هـ العدد (١١٧٢٢) زاوية تحقيقات العلماء والفقهاء والدعاة يفتحون قلوبه

١٣٢- يدة الأهرام حرر المقال في ٢٠٠٢/٢/١م

١٣٣- يدة الأهرام بتاريخ ٢٠٠٢/٢/٨م

ج - شبكة المعلومات الدولية إنترنت :

- ١٣٤-شبكة المعلومات العلمية مجلة اون لاين مقال تحت عنوان أنور الجندي رجل بكته الأرض والسماء كتبه عصام تليمة بتاريخ ٢٠٠٢/٢/٦م.
- ١٣٥-بكة المعلومات العالمية ، إسلام أون لاين . مقال عن "مجاهيل مشاهير" للكاتب محمود خليل في ٢٠٠٢/٢/٦م.
- ١٣٦-بكة المعلومات العامية ، لها أون لاين - حوارات - أنور الجندي المفكر الإسلامي بعين ابنته فائزة، بتاريخ ٢٠٠٢/ ٧/١٨م.
- ١٣٧ - شبكة المعلومات العالمية: العلمانية وثمارها الخبيثة ، جمعه وأعدّه : الكاتب/محمد عبد الهادي المصري <http://saaid.net/mktarat/almani/22.htm/>
- ١٣٨-بضات القلب: شخصيات في مصر سهير اسكندر القاهرة: ، ص١٤٣ دار المقطم، ٢٠٠٣م، كتاب أصدرته دار الشروق عن موقع من <http://www.weghatnazar.comd=29>
- ١٣٩ - الفرويديّة إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي عن موقع <http://saaid.net/feraq/mthahb/97.htm>
- ١٤٠-ال للكاتب / شاكِر النابلسي =<mailto:shakerfa@worldnet.att.net?subject=> مركز الدراسات والابحاث العلمانية في العالم العربي -لماذا -دولة
- ١٤١-شخصيات www.islamonline.net/Arabic/history/1422/03/article16.SHTML إسلام .

ح - الهاتف :

- ١٤٢ -لاتصال الهاتف في السابع عشر من شهر أكتوبر لعام أربع بعد الألفين في تمام الساعة الخامسة مساءً بالأستاذة فائزة الجندي ، كريمة الأستاذ أنور الجندي الوحيدة ، ومناقشتها في الحياة الخاصة للأستاذ أنور والمعالم الفاصلة في حياته .

خامساً : فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	جـ
الفصل الأول: أنور الجندي عصره وحياته	٢
المبحث الأول: عصره	٣
المطلب الأول: الحياة الاجتماعية	٤
المطلب الثاني: الحياة الدينية	٩
المطلب الثالث : الحياة الثقافية والعلمية	١٣
المطلب الرابع : الحياة السياسية	١٧
المبحث الثاني : حياته	٢٨
المطلب الأول : اسمه ومولده ونشأته ووفاته	٢٩
أولاً : اسمه :	٢٩
ثانياً : مولده :	٢٩
ثالثاً : نشأته:	٢٩
رابعاً : وفاته : ..	٣٠
أ : ظروف الوفاة والدفن :	٣١
ب : كرامات صاحبه وهو يحتضر :	٣١
ج: الدفن :	٣١
د: رثاؤه :	٣١
المطلب الثاني : طلبه للعلم وثقافته :	٣٥
أولاً : طلبه للعلم :	٣٥
ثانياً: ثقافته :	٣٥
ثالثاً : الأحداث التي أثرت في تكوينه الفكري والثقافي :	٣٧
المطلب الثالث : أعماله ومؤلفاته وأقوال معاصريه فيه:	٣٨
أولاً : أعماله	٣٨
ثانياً : أسباب التحول في منهج أنور الجندي	٣٨
ثالثاً : مؤلفاته	٤١

٤٧	رابعاً: أقوال معاصريه فيه
٥٠	الفصل الثاني : موقفه من الحضارة الغربية
٥١	المبحث الأول : مفهوم الحضارة
٥٢	المطلب الأول : تعريف الحضارة لغة واصطلاحاً:
٥٢	أولاً : الحضارة لغة :
٥٣	ثانياً : الحضارة في الاصطلاح
٥٦	ثالثاً : مصطلحات ذات صلة بالحضارة
٥٦	أ- المدنية والحضارة
٥٧	ب- الثقافة والحضارة
٥٨	المطلب الثاني : الحضارة عند أنور الجندي
٥٨	١- الحضارة الغربية والمركب الحضاري
٥٩	٢- الحضارة الغربية والإنسان
٥٩	٣- الحضارة الغربية المعاصرة ووحدة البشرية
٦٢	٤- مفهوم الحضارة الإسلامية في فكر أنور الجندي
٦٢	أ- مقومات الحضارة الإسلامية
٦٣	ب - الحضارة الإسلامية والقيم
٦٤	٥- موقف العلماء من تحديات الحضارة الغربية المعاصرة
٦٦	٦- موقف أنور الجندي من تحديات الحضارة الغربية المعاصرة
٦٨	٧- موقف أنور الجندي من الانفتاح على ثقافة الغرب
٧٠	المبحث الثاني : التغريب
٧١	المطلب الأول : تعريفه - أهدافه
٧١	أولاً: التغريب
٧١	١- تعريفه لغة :
٧١	٢- تعريفه اصطلاحاً :
٧٢	ثانياً : أهداف التغريب :
٧٨	المطلب الثاني : الرد على دعاة التغريب
٧٩	أولاً : طه حسين
٧٩	أ- في مجال الأدب العربي واللغة والتاريخ :

١ - في مجال التاريخ الإسلامي	٨٤
٢ - في مجال نظام الحكم في الإسلام	٨٥
٣ - رد أنور الجندي في مجالات الأدب والتاريخ والحكم الإسلامي	٨٦
ب - طه حسين في مجال السيرة	٨٥
- الصحابة والجاهلية	٨٦
- عمرو بن العاص وخراج مصر	٨٦
- معاوية وموقفه من أبي ذر	٨٦
- الصحابة والفتنة	٨٦
- ابن عباس وأموال المسلمين	٨٧
٢- رد أنور الجندي في مجال السيرة النبوية	٨٧
ج: طه حسين في مجال الفكر الإسلامي	٨٨
١- فرية التناقض بين العلم والدين	٨٨
٢- رد أنور الجندي على فرية التناقض	٨٩
د - دعوى تراجع طه حسين عن أخطر آرائه	٩٠
ثانيا : سلامة موسى	٩٢
أولاً : سلامة موسى وأهم أفكاره التغريبية	٩٢
أ - الدعوى إلى العامية	٩٢
ب - دعوته إلى إلغاء الشخصية الإسلامية وصهرها في الفكر الغربي	٩٣
المبحث الثالث : التبشير	٩٨
المطلب الأول : التبشير تعريفه - أهدافه	٩٩
أولاً : التبشير لغة واصطلاحاً	٩٩
١- التبشير لغة	٩٩
٢- التبشير اصطلاحاً	١٠٠
ثانياً : أهداف التبشير	١٠٣
١- توهين الوحدة الإسلامية	١٠٤
٢- حمل المسلمين على تبني العقيدة النصرانية	١٠٥
٣- تشويه صورة الإسلام وإضعاف قيمه	١٠٦

١٠٧	٤- تحسين صورة الغرب الصليبي
١٠٩	المطلب الثاني : موقف أنور الجندي من التبشير
١٠٩	أولاً : أثر التبشير في بناء الفكر والثقافة
١٠٩	١- التبشير والاهتمام بالأطفال
١١١	٢- التبشير والاهتمام بالمرأة
١١٢	٣- التبشير والتغريب الثقافي
١١٤	ثانياً : شبهات التبشير في مجالات الفكر والثقافة والرد عليها
١١٤	١- التبشير والتجزئة
١١٧	٢- التبشير والسنة النبوية
١١٩	٣- التبشير والفكر الإسلامي
١٣٠	المبحث الرابع : الاستشراق
١٣١	المطلب الأول : تعريفه - أهدافه
١٣١	أولاً : معنى الاستشراق
١٣٢	ثانياً : أهدافه
١٣٢	١- الهدف الديني
١٣٢	أ - التشكيك بنبوّة النبي ﷺ
١٣٣	ب - إنكار نسبة القرآن إلى الله تعالى
١٣٣	ت - دعوى اختلاق الصحابة للحديث النبوي
١٣٣	ث - التقليل من قيمة الفقه الإسلامي في التشريع
١٣٤	ج - اتهام اللغة العربية بالجمود
١٣٤	ح - إنكار أثر الحضارة الإسلامية على أوروبا
١٣٤	د - إثارة الشكوك حول فكر المسلمين وتاريخهم
١٣٤	ذ - تشويه صورة الإسلام في نظر النصارى
١٣٥	٢ - الهدف التجاري
١٣٥	٣- الهدف السياسي
١٣٥	٤ - الهدف العلمي
١٣٨	المطلب الثاني : موقف أنور الجندي من الاستشراق
١٣٨	١- علاقة الاستشراق بالتبشير

٢ - اتجاهات التبشير والاستشراق	١٣٨
٣- ارتباط الاستشراق والتبشير بالكنيسة	١٣٩
٤- منهج المستشرقين في البحث	١٤٠
أ - إثبات بشرية القرآن	١٤٠
ب - التشكيك في أمية النبي ﷺ	١٤٢
٥- دراسات المستشرقين والاستدراكات عليها	١٤٤
أ - دائرة المعارف الإسلامية (فنسك)	١٤٨
ب - قاموس المنجد	١٥٠
ت - الموسوعة العربية الميسرة	١٥٢
ث - كتاب يقظة العرب (جورج انطونيوس)	١٥٣
ج - شمائل المصريين المحدثين (إدوارد وليم لين)	١٥٤
ح - كتاب الأغاني للراغب الأصفهاني	١٥٥
خ - كتاب ألف ليلة وليلة	١٥٦
الفصل الثالث : موقفه من المذاهب الفكرية المعاصرة	١٥٩
المبحث الأول : العلمانية	١٦٠
المطلب الأول : العلمانية تعريفها - أهدافها	١٦١
أولاً : العلمانية لغة واصطلاحاً	١٦١
أ - تعريفها لغة	١٦١
ب - تعريفها اصطلاحاً	١٦٣
ثانياً : أهدافها	١٦٦
أ - علمنة التشريع	١٦٦
ب - علمنة الإعلام	١٦٧
ج - علمنة التعليم	١٦٧
المطلب الثاني : موقف أنور الجندي من العلمانية ودعاتها	١٧١
أولاً : العلمانية المنبت والجدور	١٧١
١- المراحل التي مرت بها العلمانية في الغرب	١٧٢
٢- اتجاهات العلمانية في العالم الإسلامي	١٧٢
٣- الماسونية الصهيونية والفكر العلماني	١٧٦

١٧٩	٤- العلاقة بين العلمانية والعلم
١٧٢	٥- العلاقة بين العلمانية والفلسفة
١٨٣	٦- موقفه من شبهات العلمانية وادعاءاتهم
١٨٤	أ-المقولة القائلة بأن الدولة في الإسلام دولة ثيوقراطية
١٨٥	ب-نظرية نسبية الأخلاق
١٨٧	ت - تطوير الشريعة الإسلامية وخروجها عن قاعدة الثبات
١٨٨	ث-البرهان العقلي على فساد نظرية التطور
١٨٨	ج- سقوط نظرية التطور المطلق في ضوء الحقيقة العلمية
١٨٨	ح- الثوابت والمتغيرات في الشريعة في ضوء نظرية التطور
١٨٨	١- الثابت
١٨٩	٢- المتغير
١٩٠	٣- الكشف عن هدف العلمانيين من تطوير الشريعة
١٩٢	ثانيا : موقفه من دعاة العلمانية
١٩٢	١- علي عبد الرازق
١٩٢	أ- الشبهات التي تناولها كتاب الإسلام وأصول الحكم
١٩٢	ب-النصوص التي اعتمد عليها في كشف شبهات الإسلام وأصول الحكم
١٩٥	ت-قرائن وأدلة الانتحال لكتاب أصول الحكم
١٩٥	١- مؤلف الكتاب أكثر من واحد
١٩٦	٢- غرابة الخطاب
١٩٦	٣- تكرار عبارات المسيحية والغرب
١٩٦	٤- التعاطف مع الحركات الخارجة على الإسلام
١٩٦	٥- غرابة الأسلوب
١٩٦	٦- عدم شهرة المؤلف بالكتابة والتأليف
١٩٧	٧- رغبة المؤلف بالشهرة والظهور
١٩٨	ث- أهداف الغرب من نشر كتاب الإسلام وأصول الحكم
١٩٩	٢- خالد محمد خالد
١٩٩	أ- تبريره للمفاهيم الغربية وتقريبها مع مفاهيم الإسلام
١٩٩	ب-خلطه بين مفاهيم الإسلام والفلسفات الوثنية

٢٠٠	ت – تجنيه على حقائق التاريخ بالتفسير المادي
١٩٧	ث – دعايته لإخوان الصفا
٢٠٠	المبحث الثاني : الديمقراطية
٢٠١	المطلب الأول : تعريفها – أهدافها
٢٠١	أولاً : تعريفها لغة :
٢٠١	ثانياً : تعريفها اصطلاحاً
٢٠٢	ثالثاً : أهدافها
٢٠٦	المطلب الثاني : موقف أنور الجندي من الديمقراطية
٢١٠	المبحث الثالث : القومية
٢١١	المطلب الأول : تعريفها – آثارها
٢١١	أولاً : تعريفها لغة واصطلاحاً
٢١١	١- تعريفها لغة
٢١١	٢- تعريفها اصطلاحاً
٢١٤	ثانياً : آثارها
٢١٧	المطلب الثاني : موقف أنور الجندي من القومية ودعاتها
٢١٧	أولاً : موقفه من القومية
٢١٧	١- علاقة مفهوم القوميات بنظرية الأجناس
٢٢١	٢- مفهوم العروبة ومدى توافقه مع الإسلام
٢٢٣	٣ - الفصل في شبهة عروبة الإسلام
٢٢٥	ثانياً : موقفه من دعاة القومية
٢٢٥	١- ساطع الحصري
٢٢٥	أ - فكرة فصل مفهوم العروبة عن الإسلام
٢٢٦	ب - عجزه عن فهم ماهية اللغة العربية والتاريخ
٢٢٧	٢ - محمد عمارة
٢٢٩	الفصل الرابع : موقفه من الفلسفات المعاصرة
٢٣٠	المبحث الأول : الفلسفة اليونانية وأثرها في الفكر المعاصر
٢٣١	المطلب الأول : تعريفها – وأسسها
٢٣١	أولاً : الفلسفة لغة

٢٣١	ثانياً : الفلسفة اصطلاحاً
٢٣٢	ثالثاً : أسسها
٢٣٢	١- المادية
٢٣٣	٢- المثالية
٢٣٤	المطلب الثاني : موقف أنور الجندي من الفلسفة اليونانية
٢٣٦	المبحث الثاني : الماركسية
٢٣٧	المطلب الأول : تعريفها - أسسها
٢٣٨	أولاً : تعريفها
٢٣٨	ثانياً : أسسها
٢٣٨	١- المادية الديالكتيكية
٢٣٨	أ - المادية
٢٣٨	ب - الديالكتيكية
٢٣٩	٢- المادية التاريخية
٢٤٠	المطلب الثاني : موقف أنور الجندي من الماركسية
٢٤٠	أولاً : مفهوم أنور الجندي للمادية الجدلية
٢٤٠	ثانياً : نقده للمادية الديالكتيكية
٢٤٠	أ - تهافت تعريف المادة عند الماركسيين
٢٤٠	ب - سقوط أسبقية المادة على الوعي
٢٤١	ج - تقديس المادة وتطور القيم
٢٤١	ثالثاً : نقده للمادية التاريخية
٢٤١	أ - العامل الاقتصادي
٢٤١	ب - صراع الطبقات
٢٤٢	ت - فساد التنبؤ
٢٤٢	ث - سقوط فكرة الحتمية
٢٤٣	ج - الظروف المتغيرة وإشكالية التعميم
٢٤٣	ح - تراجع النظرية وشهادة الواقع
٢٤٤	المبحث الثالث : الفلسفة الفرويدية
٢٤٥	المطلب الأول : تعريفها - أسسها

أولاً : تعريفها	٢٤٦
ثانياً : أسسها	٢٤٦
١- الإلحاد بالله	٢٤٦
٢- الإباحية الجنسية	٢٤٦
المطلب الثاني : موقف أنور الجندي من نظرية فرويد	٢٤٨
١- الإلحاد	٢٤٨
٢- الإباحية الجنسية	٢٤٨
أ- نظرتة إلى أصل الإنسان	٢٤٨
ب- مفهوم الكبت	٢٤٨
ت- خطأ التعميم	٢٤٩
ث- مخالفة الفطرة الإنسانية	٢٤٩
المبحث الرابع : الفلسفة الوجودية	٢٥٠
المطلب الأول : تعريفها - أسسها	٢٥١
أولاً : تعريفها	٢٥١
ثانياً : أسسها	٢٥١
١- وجود في ذاته	٢٥١
٢- الموجود لذاته	٢٥١
المطلب الثاني : موقف أنور الجندي من الوجودية	٢٥٣
أولاً : نقده للمادية الوجودية (الوجود في ذاته)	٢٥٣
ثانياً : نقده للوعي الوجودي (الوجود لذاته)	٢٥٣
ملخص الرسالة	٢٥٤
الخاتمة : وفيها أهم النتائج التي توصل إليها الباحث	٢٥٧
الفهارس	٢٦٠
فهرس أطراف الآيات	
فهرس أطراف الأحاديث	
فهرس الأعلام	
فهرس المصادر والمراجع	
فهرس الموضوعات	

Extraction

The researcher studied and analysed the topic of “ Anwar Al_Jundi and his position of the alien western thought” This research showed his position subjectively through his writings and judging them in the light of the Holly Quran , the Sunnah and the Ummas consensus.

The researcher divided this study into four chapters included sub-sections to spot the light on Anwar Al-Jundis position of the alien western thought.

The first chapter discussed his life and era through studying his social, religious, educational, cultural and political life. Then, analyzing it to show its impact on forming his character as a scholar as well as understanding the nature and conditions and the extent of its historical credibility. Moreover, the researcher spotted the light on the personal life of anwar Al-Jundi through introducing his name , birth, early life, his sought of knowledge , the writing and sayings of the contemporary writers in that era.

The second chapter presented his position of the western culture. It includes four sections .The first section is about the concept of civilization .it includes tow sub- sections .The first one is about the liguistic and the idiomatic defintion of civilization, the second concentrates on Anwar Al-Jundis position of the civilization and his understanding of it.

The second division is westernaization . This section has two sub-sections. The first sub-sections is the definition of Westrearnaization and its aims, the second is replying the westernaization callers. For this purpose, the researcher specified two of these callers who are of special importance in Anwar al-Jundis writings through analyzing them, finding their mistakes and westernaiaizing aims. These writers are Dr. Taha Husein and his successor Slama Mousa.

The third section focused on Evangelism. Its includes two sub-sections .The first sub-sections discussed Evangelism definition and aims, the second declared Anwar al- Jundis position of it.

The fourth section focused on the topic of Orientalism .It consists of two sub-sections .the first discussed its definition aims, the second declared Anwar Al-jundis position of it.

The third chapter in this research discussed his position of the contemporary ideological schools. The researcher divided this chapter into three sub- sections. The first section dealt with the concept of Secularism. It included two sub-sections, the first is about Its definition and aims, the second declared Anwar Al-jundis position of Secularism and its well- known callers from his point of view as: Shiekh Ali Abdull_Razeq through the discussion of his book “ The Islam and the Foundations or ruling” which was a point of criticism among the ideological and cultural movement in the Islamic world . Also, the famous writer Khaled Mohammad Khaled, which his secular positions, included in his writings. As to the second section, It concentrated on the concept of Democracy. It, Also, has two sub-sections. The first one dealt with the definition and the aims of it, but the second showed Anwar Al-jundis position of it.

Concerning the third section, it discussed the topic of Nationalism .Its divided into two sub –sections , the first presented the definition and aims of Nationalism, the second displayed Anwar Al-jundis position of it and its callers .In this regard , the researcher found that Anwar Al-jundi confronted with two of the most dangerous callers of the Nationalism from his point of view through the deep checking of their writing and pinpointing their dubiousities and analyzing their dimensions. These writers are Satee Al-Husary and Dr. Mohammad Umarah. Also, the researcher added his point of views in these discussions and replies.

The fourth chapter presented his position of the contemporary philosophies .the chapter is categorized into main four sections with two other sub-sections each. The first division is a definition of the philosophy and its basics, the second is a declaration of Anwar Al-jundis position of the Greek philosophy and its impact on the Islamic sciences.

Then second sub-sections was about Marxism. Its categorized into sub- sections, the first one presented the definition and the basics of the Marxism , and the second introduced Anwar Al-jundis position and criticism of the Marxism and its basics. Concerning the third division, concentrated on Fruids philosophy. It included two sub-sections. The first one presented the definition and the basics of Fruids philosophy, and the second introduced Anwar Al-jundis position and criticism of the Frued philosophy and its basics.

The last section of the chapter was about the Existentialist philosophy. It included two sub-sections. The first one presented the definition and the basics of the Existentialist philosophy, and the second introduced Anwar Al-jundis position and criticism of it and its basics.

Finally, the researcher concluded this research with conclusion sums up the most important results found in this study.